AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

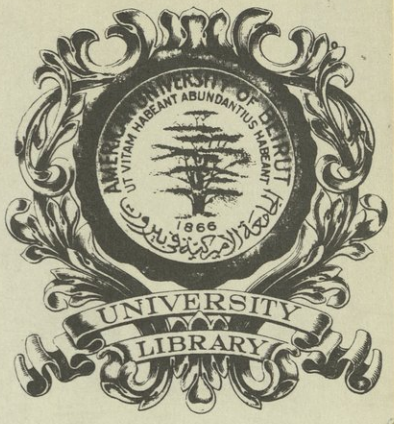

A.U.B. LIBRARY

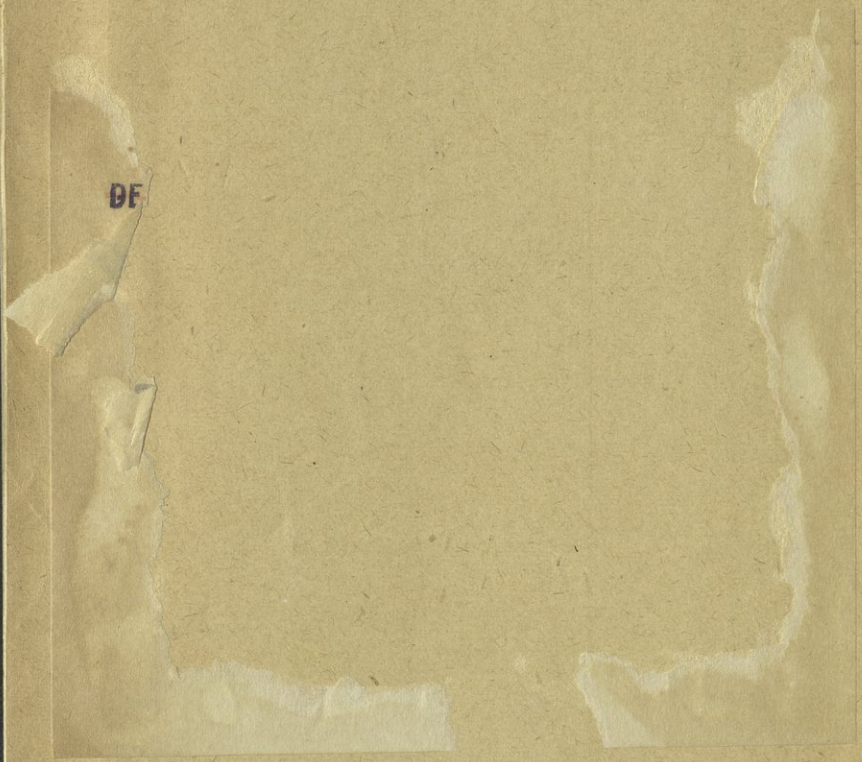

Cat. Feb. 1946

هدية المحبة والاعتبار
حضرة العلامة السيد بيارد ضودج رئيس الجامعة الاميركية المحترم
حزيران ١٩٤١
CA 270
B28dA
Cat. Feb. 1946

كتاب

الدرر النفيسة
في مختصر تاريخ الكنيسة

تأليف

اغناطيوس افرام الاول برصوم
بطريرك انطاكية وسائر المشرق على السريانه

المجلد الاول

حقوق الطبع والترجمة محفوظة

HISTOIRE ABRÉGÉE DE L'EGLISE

par Sa Béatitude

Mgr. IGNATIUS APHRAM I BARSAUM
Patriarche Syrien d'Antioche et de Tout l'Orient

59798

مطبعة السلامة — حمص
١٩٤٠

AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

فاتحة الكتاب

الحمد لله الاول بلا بداية ، والآخر بلا نهاية ، الذي تشدو بتسبيحه الدهور ويفنى الزمان ولا يفنى حمدُه على مرّ العصور .

اما بعد فلما كان تاريخ الكنيسة المسيحية ، من ألزم العلوم وانفعها وأخطر المعارف وأجلها ، واصدق الاحداث واعجبها وأشرف الكوائن وأبدعها ، بل هو تاريخ الحق ، وكانت مصنفاته احبّ الكتب الى النفوس واوقعها فيها أثراً ، وكان هذا العلم يستوعب عدة مجلدات لا يتسع الزمان لكل احد لدرسها . ورأينا الاكليريكيين وطبقات المؤمنين فضلاً عن ابنائهم طلبة المدارس ، من احوج الناس الى مطالعتها ، واشوقهم الى ارتشاف مناهل هذا العلم الصافية واقتطاف ثماره الدانية . عمدنا الى تأليف هذا المختصر وقد جمعناه من اصدق المصادر واوثقها واعذب الموارد واحقها بالاعتبار وأحواها للحقائق ، من مصنفات قديمة وحديثة مخطوطة ومطبوعة ، سريانية

وعربية وفرنسية وانكليزية ولاتينية جاوزت المئة والستين عـدداً . لم ندخر جهداً في مطالعتها بين تدقيق وتحقيق وتنقيب وتمحيص وتصحيح وترجيح . وهو عمل شاق ولاسيما في ما يتعلق بصدر النصرانية . اَسعَفنا الله سبحانه على القيام به جهد الامكان بين اعمالنا ومهامنا البطريركية الكثيرة التي تستغرق معظم اوقاتنـا . وقد رأينـا الاّ نَدَعَ حدَثاً هـاماً الاّ اودعناه دفتي هذا الكتاب الاول ، ليحيط بعظائم احداث النصرانية مدة القرون الاربعة الاولى . وتخيرنا له أسلوباً نظنه سهلاً على الاسماع سائغاً للاذهان داعيـاً الى الدراسة والاستفادة ، ووسمناه بالدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة . آملين ان يُقبل عليه القرآء إقبالاً يقابل ما عانينا فيه من حرص واجتهاد ، ويعدل حرارة ايمانهم ورغبتهم الصادقة في العلم ، وسعيهم الحثيث المحمود في طلبه من خيرة مظانه . وان يقتبسوا من احداثه ما يزيدهم حباً لبيعة الله واستمساكاً باركان حقائقها واستعصاماً باوامرها . ويهذبوا اخلاقهم بما يرونه من مُثُل عليا واعمال جليلة مقدسة ، قام باعبائها انصار الدين المسيحي المبين وابناؤه البررة . فيفتحوا

قلوبهم لمحبة السيد المسيح آلهنا وفادينا الكريم ، الذي اسس بيعته في الارض وجعلها محجة الهدى . ويزينوا نفوسهم بفضائل القديسين الذين نشأوا فيها ، من شتى الطبقات ومختلف البيئات ، فيصيروا بنين صالحين يبرون بامّهم الكنيسة التي تغتبط بهم ، ويكملوا مقاصدها السامية بحسن سيرتهم ، فندرك بذلك الغاية التي نتوخاها ولاجلها استعذبنا عناء البحث والتأليف . ونحن نبتهل الى الله سبحانه ان ينفع به الطالبين ، كما نسأله ان يسدد خطانا ويوفقنا الى صواب القول وحسن العمل ، وييسر لنا من الاسباب افضلها وانفعها لنا لنواصل التصنيف في تواريخ القرون التالية ، ويجعل ضعيف سعينا محمود الأثر خالصاً لوجهه الكريم ومجد كنيسته وهو حسبنا كافياً ومُعيننا .

في الفلاية البطريركية في حمص

١٢ كانون الاول سنة ١٩٣٨ م

مصادر الكتاب

١ كتاب العهد الجديد المقدس .

٢ دياطسرون - بالعربية : طبعة A. Marmardji ١٩٣٥

٣ تفسير اعمال الرسل والرسائل والرؤيا لمار ديونوسيوس ابن الصليبي مطران آمد بالسريانية .

٤ تفسير اعمال الرسل والرسائل لمار غريغوريوس ابن العبري مفريان الشرق بالسريانية .

٥ مقالة في اعمال مار بولس ورسائله بالسريانية وضعت على الارجح في اواسط القرن التاسع ووردت في نسخة محفوظة في خزانتنا كتبت سنة ١٢٥٠ م

٦ تفسير اعمال الرسل والرسائل ليشوعداد اسقف الحديثة الكلداني بالسريانية .

٧ تيسير الوسائل في تفسير الرسائل للخوري يوسف العلم طبعة ١٨٧٣ بالعربية .

٨ تفسير رؤيا القديس يوحنا لابرهيم ابن كاتب قيصر القبطي طبعة ١٩٣٩ (الفصول الثلاثة الاولى) .

٩ العنوان العجيب في رؤيا الحبيب ليوسف القس الحلبي .

١٠ التاريخ الكنائسي لاوسابيوس القيسري بالسريانية طبعة بيجان سنة ١٨٩٧ وطبعة وليم رَيت ونورمان ميكلان سنة ١٨٩٨ .

١١ التاريخ عينه بالافرنسية واليونانية ثلاثة اجزآء .

١٢ تاريخ شهدآء فلسطين له بالسريانية .

١٣ شذور التواريخ السريانية ثلاثة اجزآء طبعة بروكس Chronica Minora سنة ١٩٠٣ .

١٤ التاريخ السرياني العام تأليف احد رهبان دير زقنين ونُسب الى ديونوسيوس التلمحري غلطاً وهو مجلدان بالسريانية طبعة شابو ١٩٣٠ J-B. Chabot .

١٥ تاريخ مار ميخائيل الكبير بطريرك انطاكية السرياني بالسريانية المجلد الاول .

١٦ تاريخ الرهاوي المجهول بالسريانية المجلد الاول .

١٧ نبذة تاريخية قديمة بالسريانية نشرها المؤلف في باريس سنة ١٩١٤ في مجموعة C. S. C. O. .

١٨ التاريخ الكنائسي لابن العبري بالسريانية مجلدان .

١٩ التاريخ المدني بالسريانية له .

٢٠ تاريخ مختصر الدول له .

٢١ تاريخ مشيحا زخا الراهب الحديابي بالسريانية طبعة الفنس منغانه .

٢٢ كتاب العفة ليشوعدناح اسقف البصرة بالسريانية .

٢٣ اثنا عشر كلنداراً سريانياً لاعياد القديسين نشرها نو Nau في P.O. .

٢٤ الكلندار المطوّل تأليف الربان صليبا ابن خيرون بالسريانية نشره Paul Peeters .

٢٥ السواعي الكبير للروم طبعة اورشليم سنة ١٩١٤ .

٢٦ قصص القديسين مخطوطة سريانية ضخمة تشتمل على ١٢٠ سيرة وقصة : نسخة الخزانة الزعفرانية الاسطرنجيلية وقد خطّت في اواخر القرن الثاني عشر للميلاد .

٢٧ اخبار الشهداء والقديسين بالسريانية سبعة مجلدات طبعة بيجان .

٢٨ مجموعة قوانين المجامع سريانية اسطرنجيلية تحوي اسماء آباء المجامع المسكونية والاقليمية الاولى .

٢٩ مجموعة قوانين المجامع نسخة قديمة سريانية فريدة

خطت سنة ١٢٠٤ م .

٣٠ كتاب الناموس وهو مجموعة المجامع للروم مخطوط .

٣١ قصص الرسل الاثني عشر كرشوني مخطوط .

٣٢ كتاب المجدل لماري بن سليمان وهو سير جثالقة المشرق والنساطرة بالعربية .

٣٣ كتاب المجدل لعمر الطيرهاني وهو سير جثالقة المشرق والنساطرة بالعربية .

٣٤ نخب ثمينة من رسائل مار سويريوس الانطاكي وخطبه في بعض القديسين .

٣٥ قصص قديسين من مجلدة ضخمة بالسريانية وجدت في خزانة كنيسة ديار بكر .

٣٦ عدة فصول في اصحاب البدع من كتابي المجادلات لابن الصليبي ومنارة الاقداس لابن العبري بالسريانية .

٣٧ العنوان وهو تاريخ محبوب اسقف منبج بالعربية .

٣٨ تاريخ سعيد ابن بطريق البطريرك بالعربية .

٣٩ تاريخ بيعي تأليف برحذبشابا اسقف حلوان بالسريانية طبعه P. O. .

٤٠ تاريخ كنسي لمؤلف نسطوري مجهول نُحل تاريخ سعرت لوجوده في مكتبتها بالعربية .

٤١ سنكسار القديسين تأليف ميخائيل أسقف اتريب ومليج القبطي ثلاثة مجلدات .

٤٢ الكنز الثمين في سير القديسين للسيد مكسيموس مظلوم ثلاثة مجلدات .

٤٣ سيرة اشهر شهداء المشرق طبعة السيد ادي شير مجلدان .

٤٤ التاريخ اللوسياني لبلاديوس اسقف هلينوبليس وهو تاريخ نساك مصر على الاغلب . طبعه باليونانية والفرنسية Lucot .

٤٥ ابحاث لتواريخ القرون الستة الاولى للنصرانية تأليف تيلمون بالفرنسية طبعة سنة ١٦٩٨ (نخب من المجلدات ٢ و٣ و٤ و٦ و٧ و٨) .

٤٦ منتخبات قصص النسآء القديسات طبعة السيدة لويزة بالانكليزية .

٤٧ تاريخ الكنيسة القديم لدوشين Duchêne بالافرنسية المجلد الاول والثاني سنة ١٩١٠ .

٤٨ تاريخ الكنيسة العام بالافرنسية تأليف Ferran Mourret المجلدان الاول والثاني سنة ١٩٣٠ .

٤٩ خلاصة تاريخ الكنيسة تأليف Lhomond نقل الخوري يوسف البستاني الجزء الاول .

٥٠ سير بطاركة الاسكندرية (الاقباط) لابن المقفّع اسقف الاشمونين وغيره طبعة بيروت .

٥١ سير بطاركة الاسكندرية طبعة B. Evetts في P.O. المجلد الاول .

٥٢ تاريخ الاضطهادات بالفرنسية تأليف بولس الآر P. Allard خمسة مجلدات .

٥٣ الاناجيل الموضوعة (المنحولة) يعقوب توما طبعة Ch. Michel وانجيل الطفولية طبعة P. Peetres باليونانية واللاتينية والفرنسية ثلاثة اجزآء .

٥٤ رؤيا مار بطرس بالكرشوني والانكليزي طبعة منغانه في المجلد الثالث في دروس وودبروك .

٥٥ تعليم الرسل ورسالة برنابا طبعة Hemmer et Lejay

٥٦ دسقالية الرسل الاثني عشر بالفرنسية نقلها ونشرها نو Nau .

٥٧ القوانين الرسولية المنسوبة الى مار اقليمس نقلها ونشرها نو Nau .

٥٨ رسالة مار اقليميس الروماني الى اهل قورنثية بالفرنسية طبعة همّر .

٥٩ رسالتان في النسك والعذارى تنسبان له بالسريانية نقل المؤلف احداهما الى العربية ونشرها في المجلة البطريركية في اورشليم المجلد الرابع صفحة ١٤٠ .

٦٠ كتاب مار ديونيسيوس الاريوفاغي بالسريانية .

٦١ رسائل مار اغناطيوس الانطاكي ومار فولقرفوس طبعة Auguste Lelong .

٦٢ الكنيسة المسيحية في عهد مار اغناطيوس الانطاكي تأليف Henri Genouillac .

٦٣ كتاب الراعي هرما طبعة Auguste Lelong .

٦٤ احتجاج مار يوسطنيس الفيلسوف بالافرنسية طبعة Louis Poutigny .

٦٥ جدل مار يوسطنيس مع تريفون اليهودي جزءان طبعة جورج Archambault .

٦٦ مار يسطنيس وتعاليمه تأليف Bery .

٦٧ اصحاب الاحتجاج عن النصرانية في القرن الثاني بقلم Aimé Puech .

٦٨ القديس يسطينس واصحاب الاحتجاج في القرن الثاني بقلم Jean Rivière .

٦٩ كتاب ترتليانس في التوبة باللاتينية والفرنسية طبعة P. de Labriolle .

٧٠ كتابه في الحكم على الهراطقة باللاتينية والفرنسية طبعة P. de Labriolle .

٧١ احتجاجه عن النصرانية وضعه سنة ١٩٧ ونشره Valtzing .

٧٢ العلم اللاهوتي بحسب آراء ترتليانس بقلم : Adhémar d'Alès

٧٣ العلم اللاهوتي بحسب آراء مار هيبوليطس له .

٧٤ مرسوم كاليستس L'édit de Calliste نشره A. d'Alès

٧٥ سيرة مار بطرس الرسول تأليف Fillion .

٧٦ سيرة مار بولس الرسول تأليف Prat .

٧٧ سيرة القديس يوسطينس بقلم Lagrange .

٧٨ سيرة اقليميس الاسكندري بقلم Bardy .

٧٩ سيرة القديس ايرناوس بقلم Dufourcq .

٨٠ شرائع البلدان لبرديصان بالسريانية نقله الى الفرنسية ونشره Nau .

٨١ سيرة القديس ديونوسيوس الاسكندري تأليف J. Burel .

٨٢ سيرة اوريجانس بقلم Prat .

٨٣ كتاب فى اوريجانس وابحاثه العلمية للسيد كيرلس مقار بالافرنسية جزءان .

٨٤ كتاب الصلاة والتحريض على الاستشهاد لاوريجانس بالافرنسية نشره Bardy .

٨٥ سيرة القديس قبريانس اسقف قرطاجنة بقلم : Paul Monceaux

٨٦ ترتليانس وقبريانس بقلم Bayard .

٨٧ كتاب وليمة العذارى العشر للقديس متوديوس طبعة Farges .

٨٨ فعلة الانجيل الاولون تأليف Ermoni .

٨٩ انتشار النصرانية في القرون الثلاثة الاولى

بقلم Jean Rivière .

٩٠ افريقية المسيحية جزءان تأليف Leclercq ,

٩١ انكلترا المسيحية بقلم Fernand Cabrol .

٩٢ النصرانية والمملكة الرومانية من عهد نيرون الى ثاودوسيوس الكبير تأليف Allard .

٩٣ النصرانية في مملكة الفرس تأليف Labourt .

٩٤ النسك المسيحي في القرون الثلاثة الكنسية الاولى بقلم F. Martinez .

٩٥ العيشة الروحانية المسيحية تأليف Pourrat .

٩٦ تاريخ العقائد في العهد المسيحي القديم الجزء الاول والثاني بقلم Tixeront .

٩٧ خلاصة البترولوجيا (تعليم الآباء) تأليف pargoire .

٩٨ سيرة الملكة هيلانة تأليف Rouillon .

٩٩ سيرة مار نيقولاس العجائبي بقلم القس Marin .

١٠٠ بيّنات افرهاط الحكيم الفارسي وهي ٢٣ خطبة بالسريانية نقلها الى اللاتينية ونشرها باريزو parisot واشترك معه في المجلد الثاني Nau و Kmosko .

١٠١ سيرة الانبا بولس والانبا هيلاريون بقلم المعلم هيرونيمس .

١٠٢ سيرة الانبا انطونيوس .

١٠٣ مداريش (تراتيل بيعية) لمار افرام بالسريانية طبعة اوفربك Overbeck .

١٠٤ مداريش وميامر مار افرام بالسريانية طبعة السيد رحماني ثلاثة اجزاء .

١٠٥ ميامره بالعربية نُقلت من اليونانية وهي محفوظة في نسخة مخطوطة سنة ١٢٣٨ م .

١٠٦ عدة ميامر ومداريش له وقفنا عليها في مخطوطات مختلفة .

١٠٧ سيرة مار اثناسيوس الاسكندري بقلم القس Barbier

١٠٨ سيرته بقلم Ferdinand Cavallera .

١٠٩ سيرته تأليف Bardy .

١١٠ سيرته بقلم الطوخي والقاهراني بالعربية .

١١١ كتابه في الردّ على الاريوسية نسخة سريانية في خزانتنا القدسية كتبت في القرن التاسع .

١١٢ درس ادبي عنه واحتجاجه الى قسطنس وهربذة بقلم Eugène Fialon سنة ١٨٧٧ .

١١٣ كتاب طيطس البُصري في الردّ على المانويين بالسريانية .

١١٤ سيرة مار باسيليوس القيسري لبولس الآر Allard

١١٥ سيرته والايام الستة له طبعة Eugène Fialon .

١١٦ خطب مار غريغوريوس اللاهوتي بالسريانية جزءان.

١١٧ خطبه التأبينية باليونانية والفرنسية طبعة : Fernand Boulanger

١١٨ الخطب التعليمية Catéchetique لمار غريغوريوس النوسي طبعة Meridier .

١١٩ سيرة مار قورلس الاورشليمي وتآليفه بقلم de la croix

١٢٠ سيرة مار هيلاريوس اسقف بواتيه تأليف Largent

١٢١ سيرة مار مرتينس اسقف تور بقلم Adolfe Régnier

١٢٢ سيرة مار امبروسيوس اسقف ميلان تأليف Duc de Broglie

١٢٣ سيرته بقلم Pierre de Labriolle .

١٢٤ ديديمس الاكه بقلم غوستاف باردي — Bardy .

١٢٥ سيرة الانبا باخوميوس طبعة مصر ١٨٩١ بالعربية.

١٢٦ سيرة مار يوحنا الصغير ورسائل مار مقاريوس بالسريانية .

١٢٧ ميامر قورلّونا السرياني طبعة بيكل Bickel .

١٢٨ مقالة في المكاييل والمقاييس لمار ابيفانيوس بالسريانية نشرها في شيكاغو سنة ١٩٣٥ J. Dean

١٢٩ سيرة مار يوحنا الذهبي الفم بقلم A. Puech .

١٣٠ نخب النخب في ترجمة القديس فم الذهب تأليف خليل البدوي — ١٨٩١ .

١٣١ ثمرة التهذيب والادب في ترجمة يوحنا فم الذهب طبعة مصر .

١٣٢ كتابه في الكهنوت طبعة الخوري قسطنطين الباشا

١٣٣ ٨٥ خطبة له بالعربية طبعت في بيروت .

١٣٤ تفسير انجيل يوحنا له نقله ابن الفضل الانطاكي الى العربية .

١٣٥ مقالاته في الرهبانية ورسائله الى الشماسة اوليمبيا طبعها بالفرنسية في جزئين Legrand .

١٣٦ ستون خطبة له بالسريانية وثماني عشرة لباسيليوس والنزينزي والنوسي وايبوليطس وابيفانيوس في مجلدتين ضخمتين تحويان التراجيم والخطب السنوية في خزانتنا نقلتا من النسختين القديمتين في خزانتنا الزعفرانية واحداهما خطت سنة ١٠٠٠ للميلاد .

١٣٧ نخب جديدة لآباء اليونان جزءان نقلها الى الافرنسية ونشرها Groisy سنة ١٨٥٩ .

١٣٨ سيرة المعلم هيرونيمس بقلم Largent .

١٣٩ نخب من تأليفه طبعة Turmel .

١٤٠ رسائل روحية له جزءان طبعة Denys Gorce .

١٤١ باكورة النصرانية في بلاد الهند وآسيا الوسطى والشرق الاقصى جزءان بالانكليزية تاليف منغانه .

١٤٢ اصل كنيسة الرها والكنائس السريانية بقلم مارتان طبع ١٨٨٩ .

١٤٣ شقاق انطاكية بالفرنسية تأليف Cavallera .

١٤٤ تاريخ سوريا للسيد يوسف الدبس المجلدان الثالث والرابع .

١٤٥ مختصر تاريخ الامة القبطية لسليم سليمان سنة ١٩١٤

١٤٦ الدروس السريانية جزءان بالسريانية طبعة السيد رحماني .

١٤٧ المباحث الجليّة في الليتورجيات له .

١٤٨ الكنيسة الارمنية للسيد ملاخيا اورمانيان الارمني بالفرنسية ١٩١٠ .

١٤٩ تاريخ كلدو للسيد ادى شير المجلد الثاني .

١٥٠ الطرفة النقيّة من تاريخ الكنيسة المسيحية للخوري عيسى اسعد .

١٥١ النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية جزءان للراهب لويس شيخو .

١٥٢ تاريخ كنيسة النساطرة بالانكليزية تاليف Wigram .

١٥٣ تاريخ الرها بالفرنسية لروبنس دوفال Duval .

١٥٤ مدرسة الرها تأليف Hayes بالفرنسية سنة ١٩٣٠ .

١٥٥ بعض رسائل لمار يعقوب السروجي ومار يعقوب الرهاوي وجرجس اسقف العرب بالسريانية .

١٥٦ مقالة في انطاكية تأليف ايرموني فرنسية .

١٥٧ مدرسة انطاكية بقلم المؤلف نشرت في مجلة

الحكمة السريانية في القدس سنة ١٩٣٠ .

١٥٨ الادب السرياني بالانكليزية تأليف ريت Wright .

١٥٩ الادب السرياني بالفرنسية بقلم دوفال Duval .

١٦٠ الادب السرياني بالفرنسية بقلم القس يوحنا شابو J. B. Chabot .

١٦١ تاريخ الادب السرياني بالالمانية تاليف انطون بومشترك Baumestark .

١٦٢ الادب اليوناني بالفرنسية تاليف Bardy .

١٦٣ الادب اليوناني بها بقلم P. Batiffol .

١٦٤ الادب اللاتيني تأليف Bardy .

١٦٥ خطب مارسويريوس بالسريانية والفرنسية طبعة باريس

١٦٦ دستور الكنيسة الالهي : للسيد كيرلس مقار بالفرنسية .

١٦٧ عدة مقالات من انسيكلوبذيا لاهوتية جديدة نشرها منيه في باريس سنة ١٨٥٤ و كتاب الشرق المسيحي للكيان والمكتبة الشرقية للسمعاني ومرشد الطالبين ومجلة صدى الشرق الافرنسية سنة ١٩١٢ وغيرها .

اهداء الكتاب

الى روح والدي الطيّب الذكر
الذي كان يجلّ قدر العلم

اسطيفان برصوم

اثابه الله عن حسن تربيته وتوّلاه بواسع
رحمتـه

الباب الاول

في اخبار الكنيسة منذ نشأتها حتى نهاية القرن الاول
من سنة ٣٠ الى سنة ١٠٠ م

الفصل الاول

في الكنيسة المسيحية وتاريخها

الكنيسة المسيحية، هي جمهور المؤمنين الذين آمنوا بربنا يسوع المسيح الاله المتجسد مخلص العالم وبأبيه والروح القدس، الثالوث الاقدس الاله الواحد، ايماناً ارثد كسياً اي مستقيماً. مقتبسين الدين المسيحي المبين وشرائعه المقدسة وسُنَنَه الرشيدة واحكامه القويمة، من انجيل السيد المسيح المقدس وتعاليم رسله الاصفياء وتلاميذه الامناء سفرآء الوحي، واتباعهم وخلفائهم الذين نسجوا على منوالهم واقتفوا آثار سُنَنهم الصالحة. وهم احبارها الشرعيون وآباؤها الراسخون في حقائق الدين

ومعلموها القويم ايمانهم الميمون رأيهم ، الذين حازوا دُرر الحكمة السموية وفازوا بذخائر النعمة الآلهية ، في صدر النصرانية .

فالكنيسة هي عمود الحق الذي لا يتزعزع بيد بشرية وقوة عالمية ، وبيت الله الخاص الحاوي شعبه المؤسس على صخرة الايمان التي ترتد عنها قوات الجحيم مندحرة اندحاراً . ويسمى ابناء الكنيسة مؤمنين لايمانهم بلاهوت سيدنا يسوع المسيح فادي العالم ، واعتصامهم بصدق تعليمه الرشيد . ويُدعون ايضاً مسيحيين ، وقد أُطلق عليهم هذا الاسم الشريف في مدينة انطاكية اولاً ، لاتباعهم دين المسيح . كما دُعوا نصارى نسبةً الى ربنا يسوع الذي دعي ناصرياً لنشأته في مدينة ناصرة الجليل .

وقد قامت الكنيسة المسيحية مكان الكنيسة الموسوية التي خلفت طبقة الآباء الاولين الصالحين ، الذين يؤلفون الكنيسة الابوية . ونعني بهم آدمَ ونوحاً وابراهيم وموسى ، الذين على ايديهم أوحى الله سبحانه الى الناس معرفته وفاتحة دينه الحق منذ خلق العالم .

وتاريخ الكنيسة هو علم باحوال الائمة الذين حموا

ثمارها واحسنوا تدبيرها ، والاحداث التي جرت فيها : كالرسل الذين بشّروها وعلموها وهدوا ابناءها الى محجة الحق ، والآباء الذين نشأوا فيها اعلاماً للهدى ومصابيح للدجى ، والمبشرين الذين نشروا دعوتها في آفاق المسكونة. والامم التي دانت بدينها القويم واستضاءت بنورها الساطع في ليل ضلال بهيم. وشهداءها ومعترفيها واساقفتها وكهنتها وشمامستها ونساكها وملافنتها اي معلميها الذين صنفوا لها الكتب الجليلة وسائر قديسيها والمجامع التي اجتمعت فيها وسنّت لها الفرائض والاحكام . واخبار المكاره التي ألمّت بها والاضطهادات التي اصابتها والبدع والشقاقات التي حدثت فيها ، وحاولت ان تشوّه جمال حقها وتعبث بنظامها ، وسائر احوالها .

وقد خرجت من مآزقها ناجيةً ظافرة مرفوعاً جبينها عالياً لواؤها ، ماحقة خصومها مزهقة باطل اعدائها ، ساخرةً بأفاعيل الدهور وقوات الجحيم ، بفضل ربها ومؤسسها وحافظها ورقيبها الذي انجزها وعدَه وأتمّ بها قصدَه سبحانه انه الآله العزيز القدير .

الفصل الثاني

في حالة العالم الدينية اثناء تأسيس الكنيسة

ان معرفة حقائق التاريخ الكنائسي على اصح الوجوه ، توجب الإلمام بالوضع العالمي اثناء تأسيسها من الجهات الدينية والسياسية والاجتماعية .

اما من الوجهة الدينية فقد كان العالم يدين بديانتين وهما اليهودية والوثنية . اما اليهودية دين آل اسرائيل الذي جاءت به التوراة كان قد عبث بها الفساد . لان آباء اليهود عند عودتهم من سبي بابل ادخلوا في ديانتهم عقائد باطلة تعلموها من الكلدانيين والامم الوثنية المجاورة لهم . فضلاً عن تسرّب عوائد اليونانيين الوثنيين ومعتقداتهم وفلسفتهم الشرقية في شعوب آسيا ، عن طريق التجارة والمخالطة . اضف الى هذا ما زرعه الحكام والجنود الرومانيون من الفساد في بلاد الاسرائيليين وسوء سيرة الملك هيرودس الكبير واولاده . فتوغل الشعب اليهودي

في سائر انواع الاثم وساد تلك الامة الشقاء . وقسمت الديانة الى مذهبين يهودي وسامري استحكمَ بينهما بغض قتّال . وتلوّثت اليهودية باضاليل وأمست عبارة عن حفظ فروض (طقوس) موسويّة يمازجها اعتقادات خرافية بابلية . وانقسم علماؤها الى سبع شيع اكبرها شيعة الفريسيين والزنادقة او الصدوقيين . واما السَمَرة فكانت ديانتهم اشد فساداً من اليهودية . لانهم لوّثوا تعاليم العهد العتيق باضاليل الوثنية الدنسة . هذا وقد كانت امة اليهود قد نمت وكثرت فتجاوزت حدود فلسطين وانتشرت في بلاد كثيرة من العالم. على انها كانت حيثما حلّت ثقيلة الوطأة مكروهة الجانب .

واما الوثنية وهي عبادة المخلوقات دون الخالق جلّ ثناؤه ، فكانت ينبوع خرافات فظيعة وضلالات شنيعة مختلفة الانواع متفاوتة الاشكال . وكان لكل امة طائفة من الآلهة ولكل بلد صنوف من المعبودات . ومعظم آلهة الوثنيين هم جبابرتهم وملوكهم الاقدمون الذين تميزوا عندهم باعمال مشهورة ولم يخلوا من بعض الإناث . اضافوا اليها كائنات طبيعية عبدوها كالشمس والقمر

والكواكب والعناصر والجبال والاشجار والنباتات والبهائم ، نحتوا لها تماثيل حجرية ومعدنية . وتقوم عبادتهم بطقوس عديدة مقرونة بذبائح حيوانية او بشرية . وبعض هذه الآلهة كانت قدوة فاسدة للرذائل فاصيبت آداب العامة منها بفساد عظيم . وكانت الديانة الوثنية قد عمّت جميع الشعوب في المملكة الرومانية الواسعة واكثر الامم الشرقية كالمصريين والهنود . واما المملكة الفارسية فاختصت بالدين المجوسي وهو عبادة النار ، ولم تزل هذه الامم العظيمة تعمَهُ في ضلالاتها . وكانت الشعوب الساكنة جنوبي اوربا تتوخى فى آلهتها الغاية السياسية . اما الشعوب الشمالية فتفضل الخلال العسكرية . وقد امتاز فلاسفة يونان والرومان باجتهادهم باصلاح الخرافات الفاشية واصابوا بعض النجاح باشهارهم بعض قضايا صحيحة عن الطبيعة الآلهية والواجبات الادبية ، ولكن ذلك لم يخلُ من خلل واختلاط بانظمة غير اساسية فكان نجاحهم يسيراً .

الفصل الثالث

في حالتي العالم الاجتماعية والسياسية

كانت الحالة الاجتماعية في العالم منبثقة من الطريقة الفلسفية ، وكانت الفلسفة قسمين ، يونانية وشرقية . اما الفلسفة اليونانية فاخذ بها الرومانيون وهي أحزاب مختلفة. منها الابيقوريّون الذين اعتقدوا بوجود العالم بطريقة الصدفة . والاكاديميون او اصحاب دار الفنون : وكانوا يرتابون بالمسائل المذكورة لانكارهم امكانية فهمها . واما الفلسفة الشرقية ومركزها في بلاد فارس وسوريا وبلاد الكلدانيين وعند اليهود ، فكان فيها فرقة ارسطو الذي يذهب الى انّ الآله اشبه بآلة ميكانيكية (آليّة) وهو لا يعبأ بامور الناس. وفرقة افلاطون الذي فاق على الجميع بالحكمة معتقداً ان للعالم آلهاً مستقلاً قديراً عاقلاً يدبره . ولكن تعليمه عن النفوس كان يزيد الخرافات ، وآدابه لا تستحق الاّ بعض الاعتبار وفيها غير قليل من الفساد . ومن هذا نستنتج فساد الجنس البشري وحاجته الى

معلم آلهي يرشده الى حقيقة الدين والآداب ، هادياً الضالين الى طريق التقوى وجادّة الفضيلة ، ليعلم الناس قاطبة ان البركات التي يتمتع بها العالم اليوم هي من فضل الدين المسيحي ، وان صَرحْ سعادته بني على اساس المبادىء الانجيلية الراهن .

واما من الوجهة السياسية ، فقد كان العالم المعروف يومئذ مقسوماً بين مملكتي الرومانيين والفرس . وكانت مملكة الروم مستولية على قسم عظيم منه ، اي اغلب بلاد اوربا ومغارب اسيا وجهاتها الجنوبية وبعض بلاد العرب الى حدود بلاد الكرج شمالاً والجهات الشمالية من افريقيا اي مصر كلها وبلاد المغرب ، وكانت عاصمة الامبراطور او القيصر الروماني مدينة رومية . وكانت الدولة الرومانية ذات شرائع عادلة وقد سهلت طريق الوصول الى اقصى الشعوب المعروفة ونشرت بينها العلوم .

واما الدولة الارشقيّة الفارسية ، فكانت مستولية على جانب كبير من بلاد الجزيرة وارمينية والعرب والعراق وفارس والهند وغيرها . وكان حكمها مطلقاً وقاسياً ، وعاصمتها المدائن وهي سليق وقسطفون في ارض

العراق ، وقد أمست أطلالاً دارسة منذ عهد عهيد .

الفصل الرابع

في تأسيس الكنيسة المسيحية

وضع الله اساس كنيسته المقدسة على يد كلمته وابنه الوحيد المساوي له في الجوهر ، ربنا والاهنا وفادينا يسوع المسيح المتجسد من روح القدس ومن سيدتنا مريم العذراء ، من اجل خلاص العالم رحمةً منه بعباده . وذلك انه لما رأى همة العالم قد قصرت عن البلوغ الى السعادة الابدية غاية الانسان القصوى ، وضل الطريق المؤدّية الى حياة النفس ، نزل من سمائه وجاء الينا وعلمنا السلوك في طريق الحق والخلاص بحكمته الفائقة عقول البشر ، على ما سبقت نبوات انبيائه فانبأت عنه وشهدت عجائبه المدهشة وخوارقه على سموّ تعاليم انجيله ، ثم فدانا بدمه الثمين .

وكان هذا الامر العجيب اي التجسد الالهي في الارض المقدسة اي بلاد فلسطين ، سنة ٤٠٠٤ للعالم

بحسب رأي المؤرخين الغربيين او سنة ٥٥٠٨ على رأي كثير من علمآء الشرقيين . وسبب اختلاف السنين هو اختلاف اعمار الاباء الاولين الذين سبقوا الطوفان بحسب ترجمتي التوراة المشهورتين وهما الترجمة العبرانية التي نقلت منها الترجمة السريانية المعروفة بالبسيطة ، والترجمة اليونانية السبعينية . فوُلد سيدنا يسوع المسيح بالجسد في بيت لحم قرية يهوذا ، وتربى في مدينة الناصرة . ولما بلغ الثلاثين سنة من العمر اقتبل العماد في نهر الاردن من يد عبده ونسيب والدته القديس يوحنا المعمدان . واقام نحواً من ثلاث سنوات معلماً الانجيل المقدس بشارة الحياة ، وعاملاً بواهر المعجزات من ابرآء صنوف المرضى واصحاب العاهات ، كالبرص والعرج والعُسْم والعميان والمخلّعين واحيآء الموتى . واتخذ له اثني عشر رسولاً وسبعين تلميذاً ، وعمل الفصح الجديد المقدس . فغاظ اليهودَ تعليمُه طريق الحق لمجتهم الظلمة اكثر من النور ، وحسدوه واسلموه بخيانة يهوذا الاسخريوطي الرسول الخائن الى الصلب والموت . فاحتمل الآلام بالجسد بارادته ومات ودُفن وقام بالمجد بعد ثلاثة ايام وتردد الى رسله وتلاميذه اربعين

يوماً يروّض ضعفهم ثم أمرهم بالمناداة والتبشير بالانجيل في العالم كله وتعليم جميع الامم كل ما اوصاهم به ، واعداً اياهم ان يكون معهم في كل الايـام حتى انقضآء الدهر ورفع يديه وباركهم وصعد الى السمآء ، وارسل اليهم الروح القدس الفارقليط فحلّ عليهم .

الفصل الخامس

في فاتحـة اعمال الرسل القديسين

لما صعد ربنـا يسوع بالمجد الى السمآء رجع الرسل الاطهار من طور الزيتون الى اورشليم ، وصعدوا الى العلّية التي كانوا فيها يقيمون . وكانوا مواظبين على الصلاة بنفس واحدة مع نسوة قديسات ومريم العذرآء امّ يسوع واخوته بالجسد . وفي تلك الايام وقف القديس بطرس في وسط التلاميذ وكانت جمـاعة الحاضرين نحواً من مئة وعشرين نفساً ، فخطب فيهم وذكر ان يهوذا الرسول الخائن اقتنى حقلاً من إجرة الاثم ، وسقط على وجهه وانشق من وسطه فانسكبت احشآؤه كلها . وقال

انه ينبغي ان يقوم مقامه احد هؤلآء الذين كانوا معنا في كل زمان يسوع . واقاموا اثنين من السبعين يوسف الذي يدعى برسابا الملقب يُسطس ، وماتيًا . وصلّوا واقترعوا عليهما فوقعت القرعة على ماتيًا فأُحصي مع الرسل الحواريين الاحد عشر . وبعد صعود الرب بعشرة ايام في يوم الخمسين بعد القيامة ، اذ كانوا مجتمعين كلهم سويّةً صار من السماء بغتةً صوت كصوت هبوب ريح عاصف ، وترآءت لهم ألسنة منقسمة كانها من نار واستقرت على كل منهم ، فامتلأوا كلهم من روح القدس وشرعوا ينطقون بألسنة مختلفة كما كان الروح يؤتيهم ان ينطقوا . وكان قد اجتمع باورشليم جمهور عظيم من اتقيآء اليهود من جميع الامم الذين تحت السمآء . وكان كل منهم يسمع الرسل ينطقون بلغته ، فأخذ منهم الدهش كل مأخذ . وكانوا فرثيين وماديين وعيلاميين ، والذين يسكنون ما بين النهرين واليهودية وقفدوقية وبلاد بنطوس وآسيا الصغرى وفروجية وفمفولية ومصر وليبيا ، وروم مستوطنون يهود ودخلآء وكريتيون وعرب . فخطب فيهم القديس بطرس خطبة بليغة وآمن في ذلك

اليوم نحو من ثلاثة آلاف نفس . وكانوا مواظبين على تعليم الرسل وعلى الشركة وكسر الخبز والصلوة ، وقد ملأت الهيبة كل نفس . وكانت تجري على ايدي الرسل معجزات وآيات كثيرة . وكان الذين آمنوا يبيعون أملاكهم ومقتنياتهم ويقسمونها على كلهم كل واحد بحسب احتياجه ، وهم يسبّحون الله سبحانه ، وقد نزلوا من قلوب الشعب كله اجمل منزلة . وكان الرب يضمّ الى الكنيسة قوماً كل يوم . وبعدما شفى مار بطرس ومار يوحنا رجلاً اعرج من بطن امّه ، ألقى عظةً فصار المؤمنون نحواً من خمسة آلاف .

الفصل السادس

في الرسل الاثني عشر بوجه الاجمال

هذه اسماء الرسل الاثني عشر القديسين : الاول سمعان بطرس واندراوس اخوه ، ويعقوب ابن زبدى ويوحنا اخوه ، وفيلبس وبرثلماوس وتوما ومتى العشار ، ويعقوب ابن حلفى المعروف بالصغير ، وسمعان القناني

الغيور ، ويهوذا الملقّب تداوس ولبّا ، وماتيّاس الذي اختير بدلاً من يهوذا الاسخريوطي الخائن ابن الهلاك .

بعدما اقتبلوا من لدن السيد المسيح درجتي الكهنوت والاسقفية وتقلدوا الرتبة الرسولية السامية ، وحلّ عليهم روحه القدوس وملأهم من مواهبه العجيبة ودرّعهم من العُلى قوّة في عزائمهم ، انطلقوا الى العالم بالمواعظ الشافية والبراهين الجليّة والمعجزات الباهرة ، باذلين نفوسهم في الحق وشاهدين بالصدق حاملين لواء الانجيل المقدس . وتفرّقوا في اقطار المسكونة لاضائتها بانوار الدين المسيحي المبين ، فنصبوا في الامم أعلام الهداية وعمّدوهم باسم الآب والابن وروح القدس وعلموهم اصول الدين وفروضه . وكانوا افضل قدوة لهم بسيرتهم الطاهرة واخلاقهم الفاضلة وافعالهم الحميدة ومبادئهم القويمة . ومع كونهم ضعفة أذلاء في ما ترى الاعين من حالاتهم ، لا يعرفون سوى اللغة السريانية كما صرّح اوسابيوس القيسري ، مع ركاكة في منطقهم ، فقد خاطبوا ملوكاً وامراء وفلاسفة وعلماء وصادفت دعوتهم الانجيلية قلوباً زاكية وقاسية ، ونفوساً وادعة وجامحة واسماعاً واعية وجافية .

وائبتوا صدق بشارتهم الغرّاء ومحجّتهم البيضاء بعزائم يقين لا ترعزعها عواصف الوعيد الصعاب ، وبصبرهم على معاناة المكاره وصنوف العذاب ، وبذل نفوسهم لافظع الميتات . ومعظمهم مات في الله شهيداً فمنهم من قُتل بأليم السياط مضروباً او مسلوخاً او مصلوباً ، ومنهم من صُلب منكّساً مكبوباً . ولولاهم لما ثبت للدين المسيحي وجود ولا قام له عمود . وبهذه التضحيات والجهود العظيمة بلغت النصرانية مابلغت وطلعت شموس حقائقها ما طلعت ، في اقطار البسيطة من اقاصيها الى اقاصيها ، حيث أدخل الله الناس في دينه افواجاً على ايدي هؤلاء الحواريين القديسين ، وسجّل عمله هذا العظيم العجيب باضعف الناس حالاً وشأناً ، إثباتاً لحجته الكبرى في بيعته المقدسة . اما اعمال الرسل القديسين فما كان منها في البلاد المشهورة المتمدّنة التي نالت من الحضارة حظّاً ، فقد حفظت تواريخها كرسالة القديسين بطرس وبولس ويعقوب ويوحنا وفيلبس . واما ما وقع منها في البلاد الشاسعة او القليلة الحضارة ، فلم تصل الى بيعة الله تفاصيلها ، ولعلّ احداث الزمان اضاعت ما وجد منها .

على ان من الاكيد الثابت انهم كلهم طافوا العالم مبشرين بروح واحدة وهمة عالية واحدة وكلهم في هذا الفضل سواء .

الفصل السابع

في استشهاد القديس اسطيفانس

ولما تكاثر التلاميذ تذمّر اليهود اليونانيون المتنصّرون على العبرانيين لاغفال ارامله في الخدمة . فحسن لدى الرسل والجماعة كلها واختاروا سبعة رجال ممتلئين من مواهب روح القدس والحكمة ، وهم اسطيفانس وفيلبس وفُرُوخورس ، ونقانور وطيمون وفَرْمِناس ونيقلاوس الدخيل الانطاكي . ولما أوقفوا بين أيدي الرسل صلّوا ووضعوا عليهم الايدي واقاموهم شمامسة لمعاونتهم في خدمة المعمودية والوعظ وخدمة الموائد وتقسيم الخبز اليومي على الفقرآء والارامل . وكانت كلمة الله تنمو وعدد التلاميذ يكثر في اورشليم جداً وجم غفير من الكهنة كان يطيع الايمان .

وكان اسطيفانس أول الشمامسة ومقدّمهم ، مملوءاً ايماناً ونعمةً وقوّة روحية يفوق اخوته بتقواه ومواهب روح القدس . فكان يبشر اليهود واليونانيين بالايمان وفاز بنجاح عظيم ، واجرى الله سبحانه على يديه آيات ومعجزات عظيمة في الشعب فالتفّ حوله . فأخذ اعداؤه يناصبونه ويجادلونه ولكنهم لم يكونوا يستطيعون مقاومة الحكمة والروح اللذين كان ينطق بهما . فهيأوا قوماً قالوا : اننا سمعناه يجدّف على موسى وعلى الله وهيّجوا الشعب . فهجم عليه المشائخ والكتبة وجاءوا به الى السنهدريم وهو مجلس المشيخة واقاموا عليه شهوداً كذَبة . وكانت عيون الجمهور محدقة به ورأوا وجهه كأنه وجه ملاك .

ولما سأله رئيس الكهنة عما شُكي به اجاب بخطبة شائقة ألقاها بحماسة ، برهن فيها من التوراة والانبياء على صحة نبوّة انبياء اسرائيل على ظهور السيد المسيح بالجسد وان كل من لا يؤمن به فهو لا محالة هالك .

فتنمّر اليهود المتعصبون من سماع هذه الحقيقة وحكموا عليه فوراً بالقتل مرجوماً ، فلم يزده هذا الحكم

الجائز الاّ حماسة وتفرّس فى السمآء وهو ممتلىء من روح القدس ، فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله فقال : ها انا أرى السموات مفتوحة ، وابن الانسان قائماً عن يمين الله . فصاحوا بصوت عظيم وسدّوا آذانهم وهجموا عليه معاً بجملتهم ، واخرجوه خارج المدينة ورجموه . ولما كانوا يرجمونه كان يدعو قائلاً : ايها الرب يسوع اقبل روحي . وقبلما يلفظ روحه الطاهرة التي تجلّى لها نور المسيح ومجده ، إستغفر لاعدائه وراجميه اذ جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم وقال : يا ربّ لا تُقم لهم هذه الخطية . ولما قال هذا رقد فكفّنه رجال اتقياء وبكوا عليه بكاءً عظيماً ، ودفن خارج باب العمود ، وبُنيت على رفاته كنيسة جليلة في القرن الرابع . وكان شاول (القديس بولس) يحرس ثياب راجميه وراضياً بقتله ، وقد نسب بعض الآباء اهتداءه الى صلوات القديس اسطيفانس . وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم وأتى على الكنيسة زمان شديد ، فتبدّد المؤمنون قاطبة في بلاد اليهودية والسامرة ما خلا الرسل .

الفصل الثامن

في اعمال القديس بطرس هامة الرسل

القديس سمعان (شمعون) بطرس الذي دُعي كيفا اي الصّفا ، هو أوّل الرسل ومقدّمهم ورئيسهم . اختاره السيد المسيح من أحقر المناسب ورفعه الى أعلى المناصب . وهو ابن يونا من قرية بيت صيدا في بلاد الجليل الواقعة على بحيرة طبريّة (جناشار) نشأ أمياً واحترف صيد السمك وتزوج امرأة ورُزق ابنة . دعاه الرب الى اتباعه في السنة الاولى من تاريخ البشارة الانجيلية بعد اندراوس اخيه فهو ثاني الرسل في الدعوة . وكان من اشدّهم صدقاً وغيرةً وحميّةً وأصفاهم حباً للرب . فميّزه يسوع وخصّه ويعقوب الكبير ويوحنا ابنا زبدى ، بمشهد عظام الامور كالتجلّي واحياء ابنة يوارش والصلاة الاخيرة في البستان . وطالما تكلم مع الفادي الكريم فكان يصيب مرة ويخطىء أخرى . فهو اول من اجاد باعترافه بلاهوت يسوع ربنا جلّ ثناؤه ، فأحرز الطوبى من فمه تعالى قبل الرسل ونُعت

بالصخرة التي عليها يبني المسيح بيعته اي صخرة الايمان به . واخطأ بانكاره على الفادي الآلام فزجره الرب . وافتخر بنفسه واثقاً بها دون اخوته فسقط في تجربة الجحود ثلاثاً ، ولكنه ندم من ساعته وبكى جريمته تائباً فتقبل الرب توبته وعظم قدره .

وقد اخبرنا القديس لوقا في كتاب اعمال الرسل انه بعد صعود ربنا الى السماء ، اعتنى مار بطرس واخوته الرسل بانتخاب ماتيًا الرسول بدلاً من يهوذا الخائن . فانه اول من خطب في قومه اليهود ، وكان في خطبه فصيحاً غيوراً ، واول من أيّد الرسالة الالهية بالمعجزات ، فهدى الى الايمان نحواً من خمسة آلاف نفس . كما انه اول من بشّر الامم بوحي آلهي ، اذ هدى في قيسارية قورنيليوس قائد المئة من العسكر الذي يسمّى الايطالي واهتدى معه اهل بيته واقرباؤه واصدقاؤه . وشفى هو ويوحنا الرسول ، رجلاً كان اعرج من بطن امّه ، يتسوّل على باب الهيكل الذي يدعى الحَسَن ، وقد اربى على الاربعين سنة ، فكان لهذا في الشعب اجمل الاثر . وبعث الرسل بطرس ويوحنا الى مدينة السامرة ، ليمنحا موهبة

روح القدس اهلها المهتدين . وحينما رأى بطرس من سيمون الساحر السامري الذي كان آمن واعتمد ، سوء نيته وفساد قلبه ، زجره وعنّفه تعنيفاً شديداً . كما بكّت حنانيا وزوجته شفيرا (حسنة) لتواطئهما على الكذب على روح القدس فنزل بهما عقاب الموت فوراً . وكان ذلك للمؤمنين عظةً بالغة رهيبة ليتجنبوا المكر والرياء في اعمال الدين . وبينما كان يطوف في كل موضع في بلاد اليهودية بلغ الى مدينة لُدّ فنزل الى المؤمنين الذين كانوا فيها وابرأ رجلاً مخلّعاً اسمه أينياس ، فرآه اهل لُدّ وصرفندة (الشارون) باسرهم فرجعوا الى الرب . واحيي في مدينة يافا تلميذة فاضلة ذات اعمال صالحة وصدقات اسمها طابيثة (غزالة) وذاعت هذه الآية في يافا كلها فآمن بالرب خلق كثير . وتسامى هذا الرسول العظيم في عمل الآيات والمعجزات حتى كان ظلّه يشفي المرضى . وفي سنة ٤٣ اراد هيرودس اغريبا الاول حفيد هيرودس الكبير ارضاء اليهود فقتل الرسول القديس يعقوب بن زبدى بحد السيف ، وقبض على مار بطرس ووضعه في السجن مخفوراً بجند . ولكن الله جلّ شأنه استجاب الصلاة التي

كانت تصليها الكنيسة بلا انقطاع من اجله ، فبعث ملاكه ليلاً فأخرجه من السجن باعجوبة وفي الليلة نفسها بارح اورشليم .

الفصل التاسع

في تتمة اعمال القديس بطرس

ذكر القديس لوقا ان هذا الرسول العظيم حينما بارح اورشليم انطلق الى موضع آخر . فرجّح اكثر المفسرين والمؤرخين الكنسيين ان هذا الموضع كان سواحل البحر المتوسط ثم انطاكية عاصمة الشرق ، وهو الاصح . وظنّ بعضهم انه مدينة رومية عاصمة المملكة الرومانية وهو حَدْس ضعيف .

اما كنيسة انطاكية فقد اثبت التقليد الكنائسي القديم الراهن ، الذي اجمعت عليه نخبة ممتازة من ائمّة النصرانية الاولين وعلمائها ومؤرخيها الاقدمين ، ان القديس بطرس الرسول بشّر فيها بالدين المسيحي وهدى وعمّد فيها خلقاً كثيراً وبنى اول كنيسة وسنّ للمؤمنين

الاتّجاه في الصلاة الى جهة الشرق واسس فيها كرسيه الرسولي الاول وكان هو اول اساقفتها اي بطاركتها الذين اليه يتسلسلون . وممن صرّح بهذا العلامة اوريجانس (٢٥٦ +) واوسابيوس القيسري (٣٤٠ +) والقديس افرام السرياني (٣٧٣ +) ومار يوحنا الذهبي الفم (٤٠٧ +) والمعلم هيرونيمس (٤٢٠ +) ولاسيما مار سويريوس الانطاكي (٥٣٨ +) الذي أيّد هذه الحقيقة في خطبه ورسائله سبع مرات وذكر رئاسته على الرسل وتقدّمه ثماني مرات كما سيأتي بيانه في نشأة كنيسة انطاكية . وقال مار افرام ان القديس بطرس مكث في انطاكية سنةً وقال غيره سنتين ، ثم اقام مكانه القديس افوديوس اسقفاً ، وخرج يجول بين اليهود المتشتتين في بلاد الشام كطرابلس وجزيرة ارواد وغيرهما . ثم شخص الى بلاد البنطس على ساحل البحر الاسود وغلاطية وقبادوقية واقليم آسيا الصغرى وبيثينية لانه أُوتمن بنوع خاص على تبشير اهل الختان . ثم قصد الى مدينة رومية على الارجح حوالي سنة ٤٨ او ٤٩ في رأي بعض الكتبة اصحاب الابحاث التاريخية ونفى بعضهم ذلك . اما المؤرخ

اوسابيوس القيسري فقد اكّد في تاريخه البيعي انه بشّر بالايمان اهل رومية في عهد قلوديوس قيصر (٤١ – ٥٢) ولا يصح هذا الا في اواخر زمانه . وكانت كلماته تحرث اراضي القلوب وتقلع منها اشواك الضلال ، فاشرق نور الايمان في عقول سامعيه فاهتدى بعض اليهود والموالي (العبيد) البؤسآء من الوثنيين فعمّدهم في نهر تيبر . ثم غادر رومية الى اورشليم في حدود سنة ٥١ وعقد المجمع الرسولي الذي حكم فيه الرسل والمشائخ بفضّ الخِلف بين المتنصرين الانطاكيين من اليهود والامم ومدّ هو ويوحنا ويعقوب الصغير يمين الشركة الى بولس وبرنابا بعدما عرض الانآء المصطفى عليهم ما كان ينذر به بين الامم . ثم طاف مار بطرس في بعض بلاد سورية لافتقاد المؤمنين الجدد وعاد الى انطاكية ثانية سنة ٥٣ او ٥٤ بينما كان مار بولس فيها كما صرّح به في رسالته الى اهل غلاطية . والأظهر انهما في تلك الاثناء اجترحا معجزة احيآء فتى شريف وحيد لاهله اسمه قسيان ، وانشأ هامة الرسل بيعة في داره عُرفت ببيعة القسيان في ما حكاه القديس يعقوب السروجي الملفان (٥٢١ +) وذكرها

ايضاً اغابيوس المنبجي الرومي (القرن العاشر) وقد ظلت عامرة حتى النصف الثاني من القرن الثالث عشر .

اما سنة قدوم القديس بطرس الاول الى انطاكية فمختلف فيها . عيّنها قوم سنة ٣٧ او ٣٩ وقالوا انه عاد منها الى الشام واورشليم . وذهب آخرون انها كانت سنة ٤٣ او ٤٤ وهو الاصح . واما قدومه اليها ثانية فكان سنة ٥٣ او ٥٤ فعدّت بعض التواريخ المدّتين سبع سنوات ، ذلك ان الرسل القديسين لاسيما هامتهم لم يكونوا يطيلون المكث في مدينة واحدة ما خلا اورشليم ، عدة سنوات حرصاً على استثمار الزمان في سبيل نشر البشارة الالهية في البلاد ، ولعله زارها ايضاً ثالثةً . واما شخوصه الى بلاد البنطس وما جاورها من بلاد آسيا الصغرى فيحتمل ان يكون بين سنة ٤٤ — ٤٨ او بين سنة ٥٤ — ٦٣ على الاغلب .

وفي حدود سنة ٦٣ قصد الى رومية حيث قاوم سيمون السامري الساحر اللعين وفضحه وأخزاه وأباده بدعائه ودعاء مار بولس على ما اثبته ترتليانس والذهبي الفم . ونادى فيها بكلمة الرب وجاء في تاريخ سرياني

قديم (١) انـه اسمع بشارة الملكوت الى اهل ايطاليا واسبانيا وما جاورهما من البلاد . وسام هو ومار بولس ، مار لينُس اسقفاً لرومية . وكان نيرون القيصر الطاغي قد اشتدّ على النصرانية ولما سُعي اليه بالرسولين المعظمين وما اصطاداه في شبكة الانجيل المقدس من الرومانيين ، تميّز غيظاً وطرحهما في السجن فاجتذبا الى الايمان نفراً من الجند والحرس ، وبعد تسعة اشهر قضى الطاغية على مار بطرس بالموت مصلوباً فصُلب منكّساً رأسه بحسب رغبته في مكان يعرف بالواتقان ، وقُتل مار بولس بحدّ السيف في ظاهر المدينة وذلك سنة ٦٧ .

قال القديس اقليميس الرومـاني في رسالته الجليلة الاولى الى اهل قورنثس وقد كتبها بين سنة ٩٥ - ٩٨ « ولكن لندع جانباً ما تقادم من الامثلة وهلمّوا بنا الى الابطال القريبي العهد منا ، لنتخذ لنا امثلة شريفة توحي

---

(١) هو تاريخ يُنسب تأليفه الى احد رهبان دير قرتمين (بطور عبدين) ينتهي الى سنة ٨٤٦ م نشره بروكس منقولاً الى اللاتينية عن نسخة عتيقة نفيسة في المتحف البريطاني كتبت في القرن العاشر ورقمها ١٤,٦٤٢ (شذور التواريخ ص ١٨٠) .

الشجاعة من ابنآء عصرنا ، لنلقِ الانظار على الرسل الذين تفوّقوا في الفضل والجودة . بطرس الذي ذهب ضحية الحسد عسْفاً ، ولم يكابد محنة واحدة او محنتين ، بل عانى مِحَناً عديدة ، وبعدما اكمل شهادته على هذه الصورة ، انصرف الى مثوى المجد الذي كان له اهلًا » ومما يدل على شدة زهده ما ذكره القديس غريغوريوس النزينزي اللاهوتي في خطبته في الفضيلة ج ١ ص ٧٤ قال « وما عسى ان يقال في بطرس الذي كان يقتات بالتُّرمس فقط » (١)

وخلف هامة الرسل للبيعة المقدسة رسالتين جامعتين مختصرتين . وفي اوائل القرن الرابع بنى الملك قسطنطين الكبير كنيسة فاخرة على ضريحه هي من اعظم كنائس المسكونة واجملها (٢) .

---

(١) الترمس نبات ذو حب مفرطح مرّ الطعم يؤكل بعد ان يُنقع في الماء اياماً .

(٢) ان هذه الحقيقة التاريخية الواردة هنا وفي فصلي نشأة كنيسة انطاكية والنصرانية في بلاد ايطاليا ، قد نقلناها بغاية الامانة من اقدم المصادر واصدقها ، لاسيما ما ورد منها فى كتبنا السريانية العريقة في

الفصل العاشر

في اعمال الرسل الاحد عشر

الرسول الثاني : القديس اندراوس ابن يونا من بيت صيدا أخو مار شمعون بطرس ، كان صيّاد سمك وتتلمذ ليوحنا المعمدان . وهو اول من تبع السيد المسيح بعدما سمع معلمه القديس يقول في حقه ، انه ابن الله وحَمَل الله ، فعُرف بالمدعوّ الاول بين التلاميذ ، واسرع وقد

القدم ، وتاريخ نسخها يتقادم اجيالاً على العصور الوسطى المتأخرة ؛ التي راجت فيها سوق البحث والجدل بين كتّاب النصرانية في هذه القضية ولا تزال . ففريق اتخذوا الانكار وركبوا متن الشطط ، وفريق تمسكوا بالاثبات واخذوا بجانب الغلو . وبديهي اننا مثلما نردّ على المنكرين مزاعمهم فاذّا لا نشارك الغلاة في رأيهم — والثابت عندنا ان مار بطرس هامة الرسل بشر في انطاكية ورومية وهو مؤسس كرسينا الانطاكي اولاً ثم الروماني ثانياً — وان لكل من الكراسي الرسولية المعروفة رئاسته الخاصة على من يلوذ به ، وليس بينه وبين امثاله الذين يشاركونه في المعتقد سوى رابطة الاخوّة على قدم المساواة . ولا مجال هنا للتوسع وكفى به بياناً لمن وعى .

ملك السرور مشاعره فبشّر اخاه شمعون بقوله ، قد وجدنا مشيّح الذي تأويله المسيح وجآء به اليه . وبعد صعود ربنا بشر مار اندراوس في بلاد قفدوقية وغلاطية وبيثينية وسقيثية ومدينة بيزنطية في اقليم ثراقية . وانتهى الى بلاد اخائية (اليونان) فنال اكليل الشهادة مصلوباً في مدينة بتراس نحو سنة ٦٢ — وقد اعتبره بعض المؤرخين مؤسس كرسي هرقلية الذي انتقل الى مدينة القسطنطينية ؟

الرسول الثالث : القديس يعقوب الكبير هو ابن زَبَدى وسالومي واخو ماريوحنا الانجيلي من بيت صيدا ، وكان كلاهما صيادي سمك ، وسماهما الرب بني رغش اي ابني الرعد لشدة غيرتهما . وقد ميزهما الفادي لمشاهدة عظام الامور مع مار بطرس . ولم تكن النعمة التي اسبغها على يعقوب دون ما افاضه على اخيه ، فانه بعد ما بشّر في اليهودية واورشليم وكان شديد الوطأة ثقيل الظلّ على اليهود ، اراد هيرودس اغريبا الاول ملك فلسطين ارضآء اليهود بقتله ، فقُتل شهيداً بحدّ السيف حوالي سنة ٤٣ وحكى اقليميس الاسكندري نقلاً عمّن تقدمه ، ان الرجل الذي ادخل الرسول الى المحكمة لما رآه وقد اعلن شهادته ،

تحرّك بالروح واعترف بالمسيحية فأُخذا معاً . وعندما كانا ماضيين في الطريق سأل الرسول الصفح عنه ، ففكّر هنيهة وقال له : عليك السلام وقبّله وهكذا قُطع رأساهما معاً — واما الملك الظالم ، وكان قاسياً منصرفاً الى الملذات ، فضربه ملاك الرب لاغضائه عن تجديف الجماعة الفظيع ، فأكله الدود فهلك .

الرسول الرابع : القديس يوحنا الانجيلي اللاهوتي ، كان أحدث الرسل سناً دعاه الرب في العقد الثالث من عمره ، وقيل انه كان ابن اثنتين وعشرين سنة . عاش بتولاً طاهراً وحظي لدى الرب يسوع بمحبة ومنزلة خاصة ، فاستودعه امه الطوباوية عند صلبه فعاش مع العذراء القديسة في صلوات وتأملات روحية حتى وفاتها وانتقالها الى الفردوس السموي — بشّر في بلاد اليهودية وانطاكية وقصد الى بلاد آسيا الصغرى نحو سنة ٦٨ وانشأ ثم سبع كنائس في اشهر مدنها وهي : افسس وجعلها مركزاً له ، وازمير وبرغمس وثواطيرة ، وسرديس وفلدلفية ولاوذقية . وقال بعضهم انه كان اسقفاً عاماً لكنائس آسيا باجمعها — ولما أثار دومطيانس اضطهاده سنة ٩٥ استقدمه الى رومية

وامر بتغطيسه في قدر مملوءة زيتاً مغلياً ، فخرج منها الرسول القديس سالماً من الأذى في ما رواه ترتليانس . فنفاه الى جزيرة بطمس فبشّر اهلها وهناك كتب سفر الرؤيا . وبعد موت القيصر عاد من منفاه الى افسس عام ٩٦ و كتب انجيله بعدما اطلع على اناجيل متى ومرقس ولوقا ، كما كتب ثلاث رسائل جامعة . وتوفي فيها شيخاً هرماً قد أناف على التسعين وذلك في حدود سنة ١٠٠ على الارجح ، بعدما بشر بكلمة الله نحواً من ثلاث وسبعين سنة وسيأتي بعد هذا فصل في فضائله .

الرسول الخامس : القديس فيلبس ، كان من بيت صيدا الجليل من مدينة اندراوس وبطرس . دعاه السيد المسيح فتبعه . وكان عاكفاً على دراسة الاسفار النبوية خبيراً بها . وفتّش في الحال عن نثنائيل واخبره بامر يسوع وجاء به اليه . وانذر بالانجيل المقدس في بلاد فريجية وقضى سنيه الاخيرة وهي ست وعشرون سنة في مدينة هيرابليس (فريجية) وضواحيها وقيل انه صلب فيها بعد سنة ٨٤ بمديدة . وكان له ثلاث بنات تزوجت احداهن ، وعاشت الاخريان بتولتين وساعدتاه في اعمال البرّ والتبشير وقضين نحبهن في افسس .

الرسول السادس : القديس برثلماوس ، كان جليلي الوطن وهو نثنائيل من قانا الجليل ، وكان بصيراً بالكتب المقدسة . دعاه فيليبس الى المسيح فلما رآه يسوع مقبلاً اليه قال من اجله: هذا حقاً اسرائيلي لا غش فيه فآمن به وقال له انت هو ابن الله انت ملك اسرائيل — حمل بشارة الملكوت الى بلاد العرب واليمن ، وترك فيها نسخة عبرانية الخط من انجيل متى شاهدها بنطينس الفيلسوف ، ثم بشر في ارمنية الكبرى مدة ثلاثين سنة وصُلب فيها .

الرسول السابع : القديس متى الانجيلي ويدعى ايضاً لاوي بن حلفى من مدينة الناصرة وكان عشاراً . دعاه السيد المسيح فتبعه — وبشّر اليهود وعندما عزم على التوجه الى بلاد اخرى سأله الذين آمنوا من اليهود ، فكتب لهم بشارته اي الانجيل المقدس باللغة السريانية الفلسطينية (التي تسمى ايضاً العبرانية نسبةً اليهم) وهي لغتهم يومئذ ، وذلك حوالي سنة ٤٣ على الارجح ، ثم انطلق الى مصر وبلاد الحبشة . وقال بعضهم انه بشر في مقدونية وبلاد الفرثيين . ويروي المفسرون السريانيون انه توفي في جبلة ودفن في انطاكية .

الفصل الحادي عشر

في بقية سِيَر الرسل

الرسول الثامن : القديس توما الذي يسمى التوأم المعروف برسول الهند من بلاد الجليل. كتب ماريوحنا الانجيلي ان هذا الرسول الجليل ، لم يكن مع التلاميذ عندما ظهر يسوع الى تلاميذه وأراهم يديه وجنبه ليتأكدوا قيامته . فلما اخبره التلاميذ انهم رأوا الرب اجابهم : إن لم ابصر في يديه أثر المسامير وأضع اصبعي في موضع المسامير ويدي في جنبه لا أؤمن - وبعد ثمانية ايام اتاهم يسوع وتوما معهم ، والابواب مغلقة ووقف بهم قائلاً السلام لكم ثم قال لتوما هات اصبعك الى ههنا وعاين يدي وهات يدك وضعها في جنبي ، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً . فأجاب توما بقوله : ربي والاهي - وبشر مار توما في اليهودية وبلاد الفرثيين ومادي وفارس ولاسيما بلاد الهند الغربية ، وهدى الى الدين المسيحي ملك الهند وعظماءه وخلقاً كثيراً وغلب على المهتدين اسم نصارى

مار توما . وختم حياته بالشهادة في مدينة قلامينة فهجم عليه كهّان الكفرة فسلخوا جلده وهو حيّ ثم طعنوه بالرماح حوالي سنة ٧٥ — وفي اواخر القرن الرابع نقل جسده الطاهر الى مدينة الرُّها ، وبُني على اسمه كنيسة عظيمة .

الرسول التاسع : القديس يعقوب بن حلفى كان عشّاراً . بشر بالانجيل في جنوب فلسطين وفي مصر حيث صُلب .

الرسول العاشر : القديس سمعان الغيور القنـاني (القانوي) بشّـر في سورية ولاسيما حلب ومنبج وقلوديا وبنى بيعة في مدينة قورس ، وقيل انه نادى بالايمان ايضاً في مصر وبلاد فارس واستُشهد .

الرسول الحـادي عشر : القديس يهوذا المسمى تدّاوس ولبّا ، اخو يعقوب اسقف اورشليم المعروف باخي الرب ، فهو ايضاً نسيب الرب بحسب الناسوت . بشّـر في سورية وما بين النهرين وبلاد الفرس . ورُجم في جزيرة ارواد وقيل بل صُلب حوالي سنة ٨٠ على رأي بعضهم في مدينة بيروت . وبني فيها بيعة باسمه كانت

عامرة في القرن السادس . و كتب ماريهوذا رسالة مختصرة هي احدى الرسائل الجامعة . ونعته الذهبي الفم بالرسول المفضال الكلي الحكمة .

الرسول الثاني عشر : القديس ماتيّاس ، احد التلاميذ السبعين ، اختاره الرسل والتلاميذ ومعه يوسف برسابا الذي يلقّب يسطس ، وصلّوا واقترعوا عليهما ليأخذ احدهما الرسالة التي تعداها يهوذا الاسخريوطي الخائن ، فوقعت القرعة على ماتيّاس فأُحصي مع الحواريين . وبشّر بالايمان في اليهودية والسامرة وآدوم وبلاد الحبشة ورُجم وحزّ اليهود رأسه .

واجمع اغلب مؤرخي السريان على ان سمعان القناني ويعقوب بن حلفى ويهوذا ، بشّروا الرّقة وقرقسيون (بُصيرة) وسروج وغيرها .

وقد أخبرنا الانجيل المقدس ان ساداتنا الرسل القديسين تركوا كل ما كان لهم وتبعوا يسوع الآله الفادي . وفوق ذلك امرهم الاّ يقتنوا شيئاً من ذهب وفضة وما اليه اثناء التبشير ، تعليقاً لاذهانهم وقلوبهم بنشر الانجيل وهداية الامم ليس الاّ وذلك منتهى الزهد

وغاية التجرّد ، وانما اعطاهم الايمان وحده رفيقاً في اسفارهم وزوّدهم عمل بواهر المعجزات . واعلم ايضاً ان المتزوجين منهم أمسكوا عن نسائهم وهجروا عيالهم على الاطلاق منذ تبعوه . فتبارك الله الذي اثبت للعالم دينه الصحيح بعوامل سمويّة على ايدي هؤلاء الانصار الزهّد الاطهار .

الفصل الثاني عشر

في القديس بولس الرسول واعماله

القديس بولس المعروف برسول الامم وكان اسمه شاول ، هو ذلك الشاب اليهودي الفريسي الغيور على تقاليد آبائه ، الذي كان حارساً ثياب الاثمة الذين رجموا القديس اسطيفانس ، وموافقاً لهم في قتله . وُلد في مدينة طَرَسوس في قيليقية وكان رومانيّ الراعوية ودرس اللغتين العبرانية واليونانية والفلسفة في وطنه ، وطرسوس يومئذٍ تفوق اثينا والاسكندرية بعلومها ، وتعلم ايضاً صناعة نسج الخِيام . ثم توجه الى اورشليم وقرأ علوم

الشريعة اليهودية على غملائيل معلم التوارة الفريسي المشهور . وتمهّر فيها متميزاً على اقرانه لتوقّد ذهنه ، وقد قال ترتليانس في حقه « لم يبرع احد في علم الكتاب مثل بولس » وتعلم ايضاً اللغة الرومية ثم عاد الى وطنه .

وجاء اورشليم ثانية وقد بزغت فيها شمس الدين المسيحي فانضم الى غلاة اليهود في مناهضته توهماً منه ان النصرانية تنقض شريعة موسى وتهدم تعاليم التوراة . وحمل على المسيحيين يضطهدهم ويقذف بخلق كثير منهم في السجون ويسومهم العذاب ، وقصد الى دمشق برسالة من رئيس كهنة اليهود ليسعى الى المؤمنين فيها . فبينما كان في الطريق ظهر له الرب يسوع له المجد وخاطبه وهداه الى الايمان به بأعجوبة باهرة . وبعث به الى التلميذ القديس حنانيا في دمشق فعلّمه الدين المسيحي وعمّده ، فزهر مصباح الانجيل في قلبه وكان ذلك سنة ٣٤ وبعدما ذاق حلاوة معرفة المسيح وهب لله قلبه وعاقده على طاعته ونصر بيعته . وعاش بتولاً واصبح للسيد المسيح رسولاً صفياً واميناً رضياً وانآءً مختاراً نقياً . منحه جلّ اسمه نعمته السماوية وبعثه بالحجج الدامغة والبراهين القوية ،

فحمل الرسالة الالهية والدعوة الانجيلية بعزيمة لا تعرف كلالاً ، وهمة لا تجد منه ملالاً ، وحماسة لا ينضب لها معين ، بصدر جريء وبأس صادق وفؤاد جميع ، متخذاً له اشهر مدن الدولة الرومانية ميداناً والانجيل المقدس شعاراً . متجرّعاً في رضوان السيد المسيح وانشآء بيعته كل غصّة ، ناثراً لآلىء التعاليم المسيحية ودرر المواعظ الشافية ، في قلوب زاكية وعاتية ، حتى بنى لمملكة المسيح مجداً مؤثّلاً . ولم تكن نفسه محبة الله لاجئةً في تبشيره وانذاره ، وتجلده على مضض المحن واصطباره الا الى كهف حريز ومانع عزيز ، هو يسوع الفادي الذي اصطفاه وطهره وأنار لُبّه وتولاه بخيرة نعمه ، حتى انه اختطف الى الفردوس وسمع كلمات سرّية لا يحلّ لانسان ان ينطق بها (٢ قورنثية ١٢ : ٤) ، وجعله مهندساً بارعاً لبيعته ودعامة راسخة لشريعته بل آية عجيبة في كنيسته . ولم يزل دائباً حتى فاز عملُه ورفع أعلام النصرانية ، فبلغ دين المسيح الصحيح ما بلغ ، وطلع حيث طلع .

فنادى هذا الرسول العظيم باسم يسوع اولاً في دمشق وتوجّه الى بعض بلاد العرب القريبة من تخومها

وتكلم فيها بكلمة الرب . ثم عاد الى دمشق مبشّراً فتغاوى اليهود على هلاكه ، فدلاّه التلاميذ من السور بزنبيل . وبعدما زار اورشليم سنة ٣٧ وتعرّف بالرسول بطرس الصفا ويعقوب اخي الرب وطفق يخاطب اليهود المتكلمين باللغة اليونانية ويباحثهم فحاولوا ان يقتلوه ، ارسله المؤمنون الى مدينة قيصرية فلسطين ثم الى طرسوس فأقام زماناً يبشّر فيه على الارجح ذويه وأهل وطنه . ثم شارك مار برنابا احد السبعين بالتبشير في مدينة انطاكية (سورية) حولاً كاملاً ، نزلا بعده الى اورشليم حاملين احساناً لفقراء المؤمنين وانقلبا الى انطاكية ، فمُنحا بدعوة الروح الالهي ، الاسقفية بوضع ايادي المبشرين الانبياء والمعلمين الاطهار سمعان نيجر ولوقيوس القيرواني ومناين (منايل) وذلك في حدود سنة ٤٢

ثم قام مار بولس برحلته الاولى والكبرى يصحبه مار برنابا حوالي سنة ٤٤ فبشرا في جزيرة قبرس وجالا فيها من سلامينة الى بافوس . وفي قبرس استبدل الرسول اسم شاول ببولس ، وقال بعضهم انه استبدل في السيامة الاسقفية . ثم بشّرا في برجة من اقليم بمفيلية ، وانطاكية

بيسيدية وايقونية ولُسترة ودربة والقرى المحيطة بهما في اقليم ليقاونية . ولما رأيا من اليهود المتعصبين مناصبة وعداء في هـذه البلاد وجّها البشارة الالهية الى الامم الوثنية فأنشأا الكنائس واقاما لهم قسيسين فانتشرت كلمة الرب في تلك البلاد والكُوَر اي في اواسط آسيا الصغرى ، وعادا هما بطريق البحر الى انطاكية . ثم قدما الى اورشليم سنة ٥١ موفدَين من قِبل جماعة انطاكية واستصحب مـار بولس تلميذه تيطس فأعطاه الرسل بطرس ويعقوب اخو الرب ويوحنا يمين الشركة كما اعطوها الى برنابا ايضاً . وحضرا المجمع الرسولي الذي عُقد فيها وعادا بنتيجة حكمه الى انطاكية . ثم افترق بولس من برنابا وبدأ رحلته الرسولية الثانية سنة ٥٢ مستصحباً سيلا (شئيلا : مطلوب) وطيمثاوس ولوقـا . فطاف سورية وقيليقية وليقاونية وفريجية وغلاطية بشيراً ونذيراً . ثم شخص الى بلاد مقدونية واليونان حاملاً مصباح الانجيل الى اوربا ، فأسس كنائس فيلبي وتسالونيقي (سالونيك) وبيرية وعرج على مدينة اثينا وأقام زهـاء سنة ونصف في مدينـة قورنثية (قورنثس) منشئاً

الكنائس في اشهر مدن يونان حضارةً وثروةً . فسكنت اليه نفوس نافرة ، وعطفت بانذاره على الدين أمم كانت كافرة . ثم سافر في البحر الى سورية ومرّ بافسس واقلع منها ونزل في قيصرية فلسطين وسلّم على اهل البيعة وانحدر الى انطاكية خامسة وبينما هو هناك قدم اليها مار بطرس . ثم باشر رحلته الثالثة حوالي سنة ٥٤ وطاف في بلاد غلاطية وفريجية مدينة فمدينة وهو يثبّت التلاميذ كافة ، حتى انتهى الى افسس فمكث فيها سنتين مبشّراً ومعلماً . وكان يقوم بأود نفسهِ وصحبته بما يربحه من صناعته ، نسج الخيام ، يفعل ذلك راضياً مختاراً لئلا يثقّل على المؤمنين الجدد ، مقدماً لهم بعمله مثالاً صالحاً للكدّ ومؤاساة البائسين ، مذكّراً اياهم بقول فادي العالمين « ألا إنّ الذين يعطون لأسعد حظاً من الذين يأخذون ، اولئك هم المغبوطون » واجتاز في نواحي مقدونية ولبث في هلاّس ثلاثة اشهر وافتقد مدينة تراوس (تروادة) وركب البحر وأرسى في صور وزار عكا ودخل اورشليم رابعةً عام ٥٨ حاملاً اليها ما جمعه من الحسنات من البلاد التي بشّر فيها قياماً بعهدهِ واجتمع

بمار يعقوب ومشائخ كنيستها . فهاج عليه اليهود وتنمّروا وكادوا يفتكون به ، لو لم ينقذه من ايديهم ، قلوديوس لوسياس قائد الالف الروماني ويرسله ليلًا الى قيصرية مخفوراً بمئتي جندي وسبعين فارساً ومئتي رامح . فاعتُقل فيها برفق سنتين ، ولما لم تثبت حجة خصومه اليهود عليه وخشي تقلّب الوالي ، رفع دعواه الى القيصر فأُرسل الى رومية فبلغها سنة ٦١ بعد سفر شاق مديد غرقت فيه السفينة فنجّاه الله ومن معه باعجوبة . وأقام ثلاثة اشهر في جزيرة مالطة وثلاثة ايام في مدينة سيراقوسا في جزيرة صقلية وسبعة ايام لدى الاخوة المسيحيين في مدينة بوطيولي في ايطاليا ومنها بلغ رومية فحكم عليه القيصر بالمكث فيها برقابة احد الحرس فاقام في بيت استأجره منادياً بملكوت الله ومبشراً بيسوع بلا مانع مدة سنتين كاملتين . ثم اطلق سبيله فغادر العاصمة حوالي سنة ٦٣ او ٦٤ فذهب قوم انه توجه الى بلاد اسبانيا كما نوّه بعزمه هذا في بعض رسائله ، وكما يراه بعضهم في رسالة مار اقليميس الروماني الى قورنثس في قوله « انه بلغ في تعليمه البرّ تخوم الغرب » ورجّح غيرهم انه انقلب الى زيارة بلاد الشرق وأسس

كنيسة في جزيرة كريت . ثم عاد ثانيةً الى رومية سنة ٦٦ فأمر نيرون باعتقاله فسجن هو والقديس بطرس هامة الرسل . وفي سجنه هذا الاخير كتب رسالته الثانية الى طيمثاوس ورسالته الى العبرانيين ، وجذب كثيرين من أسرة نيرون قيصر الى الايمان وقال بعضهم انه كان فيهم ساقيه او سريّته . ثم حكم عليه الطاغية بقطع رأسه وكان ذلك في صيف سنة ٦٧ فدفن جسده الطاهر في طريق اوستيا حيث بنى الملك قسطنطين باسمه في اوائل القرن الرابع كنيسة جليلة عظيمة تعدّ من اجمل كنائس العالم .

الفصل الثالث عشر

في تتمة اعمال القديس بولس الرسول

ان الرسول المشهور مار بولس جاهد في نشر الدين المسيحي جهاداً عظيماً اكثر من الرسل القديسين كافةً . وقد أفاض في بيان اعماله العظيمة الكاتب الفيلسوف القديس لوقا الانجيلي في كتاب اعمال الرسل واشتملت

رسائله على جانب منها . فاحتمل في سبيل الايمان شتائم ومكاره شديدة واخطاراً عظيمة . وجُرّ في الاغلال مصفّداً سبع مرّات على ماذكر مار اقليميس الروماني . وجلده اليهود خمس مرات في كل مره تسعاً وثلاثين جلدة . وضربه الوثنيون بالعصي ثلاثاً ، ورجمه اهل مدينة لُسطرة باغراء يهود انطاكية بيسيدية وايقونية وجرّوه خارج المدينة وهم يظنون انه قد مات . وغرق ثلاث مرات وكان في البحر بغير سفينة ليلةً ونهاراً . ولاقى اهوالاً وعانى اخطاراً كثيرة ، تارة في عبوره الانهر وطوراً من اللصوص في اسفاره واحياناً من اليهود وحيناً من الامم . حتى ان بعض المؤمنين الكذبة ائتمروا مع اعدائه على اضطهاده وهلاكه . وكان يرشد الناس الى سبيل النصرانية بالحجج الدوامغ حتى اوضح محجة الحق وركز في القلوب رأية الايمان . وكان الله يجري على يديه آيات ومعجزات باهرة حتى ان يؤتى عن جسمه بمناديل او أُزُر وتوضع على المرضى فتزول عنهم الامراض وتخرج الارواح الردية . وفي جزيرة قبرس ضرب بالعمى بريشوع الساحر الكذاب وشفى مقعداً في لُسطرة واحيى في طروادة

اوطُخُس الفتى بعد وفاته . وأبرأ مرضى كثيرين في جزيرة مليطة (مالطة) منهم والد بُبليوس وجيهها . وشارك القديس بطرس في معاقبة سيمون الساحر الفاجر وإبادته في ما قاله الذهبي الفم . وسام القسوس والاساقفة ولاسيما تلميذيه طيموثاوس وتيطوس . ومن اشهر من آمن على يده القديس ديونيسيوس الاريوفاغي قاضي اثينا ، والوالي سرجيوس بولس في قبرس ، ومجموع رحلاته اربع وخمسون فزار اورشليم اربع مرات وانطاكية خمساً ورومية مرتين . وقضى في التبشير ثلاثاً وثلاثين سنة وعمّر زهاء ثماني وستين سنة في ما قاله القديس يوحنا الذهبي الفم .

وكتب للكنيسة المقدسة اربع عشرة رسالة تفيض تقوى وعلماً وبلاغة وحكمةً وحياةً ، اودعها تعاليم نفيسة وأحكاماً عادلة وسنناً رشيدة فاضلة وقد جمعها القديس اقليميس الروماني في كتاب واحد ، لا يتمالك قارئها من التسليم فوراً بان روح الله كان يلهم كاتبها محرّكاً قلبه وقلمه .

وبعد كل ما ذكرناه من فوز هذا الرسول الشهم

وحسن أثره ، لا بدّ لنا من التنويه ببعض اسرار نفوذه وهو انه مع رباطة جأشه وشدة عزمه وألمعيّته كان يتحلى بنفس تجلببت الحماسة ويحمل بين جنبيه قلباً رقيقاً وحساً لطيفاً .

ومن كرم شمائله وحسن شِيَمه ، حيازته محابّ القلوب وانطواؤه على رقة ساحرة ومحبة صافية . فكان يصافي اخوته حباً ليسوع ولهم ، تدركه عليهم رقّة فيشاطرهم افراحهم وأتراحهم . وتأخذه لمصلحتهم اريحيّة فيجزع لمصابهم ويسكب عليهم من ألفاظه العِذاب بلسماً . يبعث فيهم الشجاعة ويدرّبهم على البسالة ويعلّمهم الصبر كيف يكون ، هذا وهو يتوقّع معاضدتهم !

تراه وهو صاحب الصدر الملتهب ، وفي قلبه الكبير لواعج الشوق الى العالم الاعلى ، بينما يخلع افئدة خصومه رعبةً ويكافح الضلال كفاحاً ماضيَ العزيمة صليبَ العُود ، يحاسن اصدقاءه واعوانه ويخفض جناح رحمته لابنائه الروحيين ، يتلقاهم بوجه متهلّل وصدر مشروح . فللّه درّ ما كان يمليه عليه رفقه بالمهتدين الى الدين القويم ، اذ كان لهم كالوالد الحدِب العطوف والوالدة التي تحنو على

الفطيم . اوَ لا تراه في رسائله كثيراً ما يوصي المؤمنين بالرِفق واللطف والدَّعة ، ذلك ان اللطف مفتاح القلوب . وهل وصف الواصفون محبة الاحسان بأبلغ وأفصح مما جآء به هذا الرسول العظيم ؟

انها لمنحة نفيسة وموهبة نادرة تنمّ عن خلُق كريم ومنبِت أثيل ونفس زكية ، تتناسى ذاتها وتُغفل نفعها وتغضي عن راحتها في سبيل سعادة القريب . وقد هان عليها الجمع بين امرين ليس من السهل التأليف بينهما وهما : بذر المودّة وجمعها . حقاً ان الرسول بلغ من هذه المنحة الطريفة الغاية القصوى ووصل منها الى الدرجة العليا فاجمَعت القلوب على محبته واتفقت على قبول دعوته .

لقد كان مار بولس منقطع النظير في فضائله نسيج وحده في شمائله ، لم تُفتح عين النصرانية على مِثله ولا اكتست بمثل حلّة علمه الديني وفضله ، انه احد الاحدِين فتبارك الله خير الواهبين .

وهذا الذهبي فمُهُ وهو مَن علِمت ، بعدما وشّى درر رسائله بشذور شروحه بحذاقة ليس بعدها مبتغي لطالب ، وفصاحة لم يفُقْهُ بل لم يدانِه فيها كاتب ، دبّج

في تقريظه خطباً سبعاً جاء فيها بالآيات البيّنات فاطرى استمساكه من محبة السيد المسيح بالعروة الوثقى ، ونشره لواء الانجيل على المعمور بالطريقة الفضلى . ونوّه بعزيمته التي لا تُغالَب وشهامته التي لا تدانى ولا تقارب . وقوة ايمانه وثبات جنانه . وما ازدان به من علم غزير وصدر رحب وحلم واسع وصبر عجيب وجحود بالنفس في سبيل فادينا الكريم ، وقد عقدنا الفصل التالي على نُخب منها .

الفصل الرابع عشر

في تقريظ الذهبي الفم للرسولين المعظمين

اليك بعض ما قاله القديس الذهبي الفم في خطبته في هامتي الرسل المعظمين مار بطرس ومار بولس في نهاية تفسير الرسالة الى اهل رومية : نقلاً عن المجلد الثاني من الخطب السنوية بالسريانية : (١)

« لكننا اذا مضينا هناك الى السماء ، نستحق ان نرى بطل المسيح ولو لم نقف معه ، لكننا سنشاهده

(١) من نسخة الخزانة الزعفرانية وقد نُخطّت سنة ١٠٠٠ م .

لا محالة متلألئاً بجوار عرش الملك السماوي . هناك نرى بولس مع بطرس رئيس مصف القديسين وزعيم الرؤساء . وانني لاجل هذا احب ايضاً ان أشاهد رومية ، لان بولس استوفى فيها حياته ولان اهلها يحوزون جسده المقدس . وهي محرزة هذين الجسدين المقدسين الموضوعين فيها . ألا ليست السماء وقد أرسلت الشمس اشعتها بهيّة ، بمثل بهاء مدينة الرومانيين حينما تبعث هذين المصباحين الى المسكونة بأسرها . من ثمّ سيُختطف بولس يوم البعث ومن هناك يُختطف بطرس ايضاً . فتأمل يا هذا اية هدية ترسل رومية الى المسيح ، وبأي اكليلين تكللت تلك المدينة وايّة قلائد ذهبية تقلّدت !

من لي بأن انطرح على جسد بولس وألاصق ضريحهُ ، وأشاهد رميم ذلك الجسد الذي كان لجروح المسيح حاملاً ، وأعاين رميم ذلك الفم الذي كان المسيح متكلماً فيه ! ألا ايّة مبرّة لم يفهُ بها ذلك الفم . لقد كان للشياطين طارداً وللعصاة مطوّعاً ، لقد أبكمَ الفلاسفة وقرّب الى الله المسكونة كلها ، وأقنع البرابرة باقتناء الحكمة . وكنت اودّ لو ابصرت ايضاً رميم ذلك القلب الذي لا

يُخطىء من يدعوه قلب الارض باسرها وينبوع ربوات الخيرات . ألا ما اوسع ذلك القلب الذي كان يحوي مدائن كاملة وجماهير الامم . القلب الذي كان يعاين الله ، الذي صار ذبيحة وهو أعلى من السمآء وأوسع من المعمور وأبهى من اشعّة الشمس وأشدّ حرارة من النار ، الذي كان يفيض أنهاراً وليس انهاراً فقط ، ولكن كانت ينابيع دموع تفيض منه ليلاً ونهاراً . أو لم يكن ذلك قلب بولس ؟ ألم يكن لوح الروح وقلب النعمة ؟

كنت اشتهي لو ابصرت رميم اليدين اللتين قُيّدتا بالأصفاد ، وبوضعهما كانت مواهب روح القدس تُعطى وبهما كانت تكتب الرسائل . وبودّي لو عاينت رميم المُقلتين اللتين حَسَناً عَمِيَتا ثم تفتحتا لخلاص المسكونة . وليتني رأيت رميم القدمين اللتين طافتا في البسيطة ولم ينل منهما التعب شيئاً ، وسلكتا في الاقطار العامرة والفلوات الغامرة . ومع هذا ايضاً كنت اودّ لو أبصرت جسد بطرس الذي كان بولس يُجلّهُ في حياته ، ولاجل ذلك جعلته النعمة اهلاً ليصير رفيقه ايضاً في وفاته ! » .

وقال في خطبته في الصلاة : « بطرس وبولس ركنا الكنيسة المقدسة ودعامتاها ، وهامتا الرسل المشرّفان المختاران من العلاء وسورا المسكونة باسرها » .

وقال ايضاً في حق مار بطرس « بطرس هو هامة الرسل وزعيمهم ومقدامهم فم التلاميذ وإمام صفّهم ، الشهم المفضّل ، حصن البيعة وعمودها ، المختار من السماء . حقاً انه عاشق الرب يسوع ، انه الرجل المتألّه (القديس) الحارّ في ايمانه ، تقلّد التقدّم على اخوته وانتُدب معلماً للمسكونة » .

وقال في حق مار بولس « أنظر بولس معلم المسكونة بولس الطوباوي فم الكنيسة وانآء الروح القدس ، المنتخب بالدعوة العُلْوية الكثير الجد والاجتهاد الشجاع الشهم والأسد ، القيثارة الملحّنة الهزار المنذر بالرب والبلبل الصدوح ، جرثومة الاعتقاد الصحيح ونموذج الايمان الآلهي . بوق الكلمة الانجيلية خطيب العبادة الحسنة ، أحبولة الامم وقنّاص الشَّرَد ، بولس البلبل الروحي الاناء المصطفى المينا الهادي الحصن الحصين غير المتزعزع ، الجَلْد المجاهد الذي كان يخترق المسكونة بجسد كانه

يطير باجنحة شديدة القوادم ، بولس فقيه السيد المسيح الذي أُحضر الى الفردوس وهو حيّ وتعلم من هناك اسرار ملكوت الله . بولس عمود الكنيسة الملاك الارضي والانسان السموي ، حقاً ان الشمس لا تنير الوجوه وتعطيها بهجة ، كما تشرق اشعة اسم بولس في افواه المؤمنين.

تأمل كيف كان يتواضع ذلك الجاهل الفيلسوف والفقير الغني ، الذي كان يسلم جسده الطاهر الى انواع الجراح والجلد كالطَّوْد الثابت غير المتزعزع ، الذي اقتنص المسكونة برمتها بشِصّ رسائله ، الذي لم يحتو فضائل البشر فقط من جميع طبقات الصديقين بل فاق طغمات الملائكة . الذي بالصلوة زلزل اسس السجن في مقدونية وحطم القيود والاغلال كالضرغام الزائر ، واقتنص السجّان بشِصّ بُشراه من بحر الجهل والضلال الطامي ، واوهى قوة الابالسة ومزّق شراستهم تمزيقاً ! هو الحصن الوثيق غير المتثلم الذي لم تنل منه المحن ولم تقهره التجارب ، فللّه درّ صفاء مودّته وصدق محبته ولله درّ شجاعته التي ارتفعت الى السماء سموّاً . فانه حينما كان معتقلاً مسجوناً كان يوجه رسائله من رومية الى اهل

فيلبي في مقدونية ، على ما بينهما من بُعْد شاسع . كما كان يبعث رسائله دائماً الى كنائس المسيح في كل صقع وجهة ، صدّقوني يا اخوتي اني عندما استحضر اسم بولس في خاطري ، اجد به من برْد السرور ما لست اقوى على وصفه ، ذلك لبلوغه في الفضائل الجميلة مبلغاً عالياً ! » .

الفصل الخامس عشر

في المبشرين السبعين

جاء في الانجيل المقدس ان فادينا يسوع جلّ شأنه ، اختار من المؤمنين به سبعين مبشّراً في رواية ؛ وفي رواية ثانية : اثنين وسبعين . ومما يؤسف له كل الاسف ان اسماءهم واخبارهم لم تصل الينا بالضبط على ما ذكر اوسابيوس القيسري الذي اقتصر على ذكر ستة منهم . ولما لم يتفق شرّاح الكتاب الالهي والمؤرخون على ذلك ، نقتصر على ما ثبت عندنا من امرهم وهم :

الاول : القديس ماتيّا الذي انتخبه روح القدس وصار من الرسل الاثني عشر .

الثاني : يوسطس برسابا الذي وضع اسمه مع ماتيا في القرعة الرسولية .

الثالث : القديس يعقوب اخو الرب اسقف اورشليم وسيأتي الكلام عنه .

الرابع : القديس ادّى الرسول وهو عبراني اخو القديس توما الرسول ولد معه توأماً في ما قاله البطريرك قرياقس الانطاكي (٨١٧ +) ويسميه اوسابيوس ثدّى — أرسله توما الرسول بالهام الهي الى مدينة الرها عاصمة الملوك الاباجرة ، وكانت اشهر مدينة في بلاد ما بين النهرين العليا ومركزاً للتجارة بين بلاد العرب وآسيا الوسطى وهي مدينة سريانية وفيها قوم يهود . وذلك ان ابجر الخامس ملك الرها كان قد بعث وفداً الى السيد المسيح ، حاملاً رسالته التي يعترف فيها بالايمان به ، ويسأله القدوم الى الرها لكي يشفيه من عاهته ويسكن في مدينته . فأجابه له المجد برساله فيها بار كه ومدينته ، ووعده بارسال احد تلاميذه ليشفيه نفساً وجسداً وذلك بعد صعوده الى السماء — وانجز توما الرسول وعد ربنا فانطلق ادّى الى الرها ، وشفى الملك وعلمه طريق الخلاص فآمن هو

وعظماؤه ، فعمدهم الرسول وبشر اهل الرهـا وبنى فيها كنيسة فاخرة ، ثم حمل مصباح الانجيل المنير الى بلاد كثيرة في ما بين النهرين . منها مدينة آمد (ديار بكر) وجنوبي بـلاد ارزون ووادي دجلة الشرقي وبازبدي وحديابين (اربيل) . ثم عاد الى الرهـا وصار هو اوّل اساقفتها وفيها توفي بعدما كتب التعليم المنسوب اليه . وخلفه تلميذه اجّى الرسول الذي كان قد انفذه الى نواحي قردى وبازبدي وغيرهما فبشر اهلها ، واستقامت النصرانية على ايدي هذين المبشرين القديسين احسن استقامة .

الخامس : القديس برنابا الرسول سماه الرسل بهذا الاسم وتأويله ابن التعزية لرقة طبعه وحلمه وبشاشته وكان اسمه قبلًا يوسف اللاوي وهو قبرسي المولد . قرأ علم الشريعة اليهودية على غملائيل معلم التوراة مع مـار اسطيفانس ومار بولس . واشتهر بفضيلته وعلمه وتبع المخلص فنظمه في سلك تلاميذه وكان له ضيعة فباعهـا وجاء بالدراهم فوضعها عند ارجل الرسل . ثم ارسلوه اولاً الى مدينة انطاكية . فلما قدم على المؤمنين ورأى نعمة الله

فرح ووعظهم كلهم ان يثبتوا بالرب بعزم القلب ، لانه كان رجلاً صالحاً ممتلئاً من روح القدس والايمان . فانضم الى الرب على يده جمّ غفير . فتوجه الى طرسوس وجاء بصديقه بولس الى انطاكية وتردّدا معاً سنة كاملة في كنيستها وعلّما جمعاً غفيراً . ثم حملا اسعاف المؤمنين الانطاكيين الى فقراء المؤمنين في اليهودية ، ورجعا من اورشليم اليها . فسيم كلاهما اسقفين بوحي روح القدس ، بوضع ايدي مار سمعان نيجر ومار لوقيوس القيرواني ومار مناين وذلك في حدود سنة ٤٢ فأرسلهما روح القدس الى هداية الامم الوثنية . فتوجها الى سلوقية وطافا جزيرة قبرس من سلامينة الى بافوس . ومنها اقلعا الى برجة في بمفيلية وصارا الى انطاكية بيسيدية وايقونية ولُسترة ودربة . وانشئا الكنائس وأقاما القسوس وعادا الى انطاكية العظمى ، فأقاما مع التلاميذ زماناً ليس بقليل . ثم شخصا الى اورشليم بسبب المنازعة التي حدثت بين المتنصرين من الامم واليهود وحينئذ اعطاهما بطرس ويعقوب ويوحنا يمين الشركة سنة ٥١ وانقلبا الى انطاكية مع رسولي المجمع الرسولي وصرفا هناك زماناً ثم افترقا .

وانطلق القديس برنابا الى قبرس وأتمّ تبشير اهلها . وأقام فيها اسقفاً ومبشّراً حتى رجمه اليهود في مدينة سلامينة سنة ٦٢ وقال بعضهم انه توفي ودفن في جزيرة ساموس . والرواية الاولى اصحّ بدليل وجود ضريحه الشريف في جزيرة قبرس سنة ٤٨٨ وكان على صدره انجيل القديس متى باللغة السريانية (العبرانية) فارسل الى القيصر زينون في القسطنطينية . وذكر القديس سويريوس الانطاكي في رسالته الى توما اسقف جرمانيقي (مرعش) وهي الرسالة ١٠٨ ص ٢٦٦ انه عاين هذا الانجيل الذي وُجد في ضريح القديس برنابا وهو مكتوب بحروف غليظة ومحفوظ في البلاط الملكي بكرامة جزيلة .

الفصل السادس عشر

في بقية سير المبشرين

السادس : القديس اسطيفانس اول الشمامسة وبكر الشهداء وقد سبق الكلام عنه .

السابع : فيلبس أحد الشمامسة السبعة كان من

قيصرية فلسطين بشر اهل السامرة والتفّ حوله اهلها يسمعونه ويرون الآيات والمعجزات التي كان يعملها . فان كثيراً من المعذبين بارواح نجسة والمخلّعين والمُقعدين بُرئوا ، وكان الرجال والنساء يؤمنون ويعتمدون وآمن واعتمد سيمون الساحر — ثم كلمه ملاك الرب وقال له : قم وانطلق نحو التيمن (الجنوب) على الطريق الذي يهبط من اورشليم الى غزّة وهو قفر ، فقام وانطلق وهدى الحبشي الخصي وزير قنداقة ملكة الحبشة فآمن فعمّده — ثم خطفه روح الرب فوُجد في أشدود وبشر جميع المدن حتى جآء الى قيصرية فأقام فيها . ونزل عنده في بيته في قيصرية ، القديس بولس وصحبته في زيارته الاخيرة لاورشليم سنة ٥٨ ثم توفي في مدينته بسلام وكان له اربع بنات عذارى يتنبّأن .

الثامن : سوستانيس ، عدّه اوسابيوس من المبشرين وجآء في قاموس ابن بهلول (القرن العاشر) انه بشر في بلاد البنطس وطُرح في البحر بأمر الحاكم نونا — ويذكر في سفر الاعمال ان سوستانيس كان شيخ الجماعة او قسيسها في قورنثية ، وان اليونانيين أخذوه وضربوه قدام

كرسي غاليون والي اخائيّة الذي كان يتغافل عن ذلك. وهو الذي صدّر مار بولس رسالته الاولى الى اهل قورنثية باسمه ويسميه الاخ تواضعاً منه.

التاسع: حنانياً التلميذ كان يهودياً مشهوداً له من الشعب، بشر في دمشق وعلّم مار بولس اصول الايمان المسيحي وعمّده — وقيل ان الرسل سقّفوه على دمشق وعذّبه الامير لوقيانس — وقيل بل قتله بالاش قائد جيش الملك الحارث الرابع النبطي شهيداً —

العاشر: لعازر من بيت عنيا اخو مريم ومرتا، وهو الذي احياه ربنا يسوع بعد موته بأيام اربعة — ذكر ابن الصليبي في تفسير انجيل يوحنا نقلاً عن مار افرام السرياني ان يوحنا الانجيلي عمّد لعازر هذا وأختيه بعد قيامة ربّنا — وقال ايضاً «انه بشّر بالانجيل في الاسكندرية، فاستشهد على يد نيوديس الحاكم على عهد طيباريوس (سنة ٣٧ +) اما اوسابيوس فقال انه سيم اسقفاً ونادى بالبشارة في احدى جزائر البحر وفيها توفي ودفن» اه قلت ان تاريخ اوسابيوس البيعي صفر من ذكر لعازر، فالأظهر انه نوّه به في بعض مصنفاته. وورد

في بعض الآثار السريانية انه بشّر في جزيرة قبرس . ولعله كان من جملة الذين انطلقوا الى فونيقي وقبرس وانطاكية بعدما شتّتتهم شدة اليهود على اثر استشهاد مار اسطيفانس ، وادركته الوفاة في قبرس قبل قدوم مار بولس ومار برنابا اليها .

الحادي عشر : القديس سمعان ابن قليوفا (كلاوبا) اخي مار يوسف وابن عم الرب يسوع بالجسد . شهد هجسبوس انه كان في جملة من أبصر ربنا . ثم اقامه الرسل القديسون اسقفاً على اورشليم خليفة للقديس يعقوب سنة ٦٨ واستشهد مصلوباً وعمره نحو من مئة وعشرين سنة حوالي سنة ١١٠

الثاني عشر : قليوفا ، بشّر في اللدّ واستشهد .

الثالث عشر : زكى العشار القصير القامة قيل انه صار اول أسقف لمدينة قيصرية فلسطين واستشهد .

الرابع عشر : يوسي اخو يعقوب ويهوذا بشر في درعا واستشهد فيها .

الخامس عشر : طيمون أحد الشمامسة السبعة ، قيل انه بشر في مدينة حلب وقورنثس وصلبه الوثنيون

فيها بتحريض اليهود . وقال بعضهم انه اول من تسقف على مدينة بُصرى .

السادس عشر : سمعان الابرص جلده اليهود في مدينة الرامة .

السابع عشر : كيفا بشر في بعلبك وحمص والرستن وحماه وتوفي في شيزر .

الثامن عشر : يوسف الرامي الشريف الذي تشرف بتجهيز الرب ودفنه ، بشر في الجليل والمدن العشر في شرق الاردن وفاظت روحه في داره .

التاسع عشر : افرام ، وقال بعضهم انه يسمى ايضاً روفس ، بشر وقضى نحبه في بيسان .

الفصل السابع عشر

في اضطهاد اليهود للكنيسة الاولى

ان رؤساء كهنة اليهود ومشائخهم الذين وغرت صدورهم على ربنا يسوع المسيح الذي كان يعلمهم الحق ، وهم يناصبونه لسواد أكبادهم واستمساكهم

بالباطل ، فيعنّفهم لسوء سيرتهم ، وطالما لبسوا الصفاقة فجادلوه فقطع حججهم الواهية بأقوى البيّنات تدعمها بواهر الآيات ، ولم يزل الحسد يستوقد ضلوعهم حتى سفكوا دمه الزكي على الصليب ، عادوا رسله وتلاميذه الاطهار وتنمروا لهم وغلظوا عليهم . وعندما عاينوا اقبال خلق كثير من امتهم على الرسل واعتقادهم بالدين المسيحي ، لاسيما بعدما شفى الرسولان بطرس ويوحنا ، رجلاً أعرج من بطن أمه قد أناف على الاربعين سنة وما استولى على الناس من الدهش ، وثب عليهما الكهنة وقائد جند الهيكل والزنادقة - وقد ساءهم تعليم الرسولين بالقيامة ، وهم يكذّبون بها ، فحبسوهما واجتمعوا في الغد وسألوهما بأيّة قوّة شفيا الرجل ، فأجابهما مار بطرس وهو ممتلئ من روح القدس جواباً سديداً بقوله : انه انما شفي باسم يسوع المصلوب فلا خلاص لأحد بغيره . فأدهشتهما جرأة الرسولين مع كونهما أميّين . وبعد الائتمار في ما بينهم هددوهما وأمروهما الاّ يتكلما باسم يسوع منعاً لشيوع الآية بين الناس . فاجابهم الرسولان : أمن العدل ان نطيعكم اكثر من الطاعة لله سبحانه ؟ ولمّا لم يجد الخصوم لمعاقبتهما

سبيلاً خوفاً من الشعب ، عاد الرسولان فقصّا على اخوتهما ما جرى لهما . فجأروا جميعاً بالدعاء الى الله جلّت قدرته ليتولى دعوتهما بتأييد منه بالمعجزات . وطفقوا يعلنون دعوة الانجيل جهراً فأيّدهم الله بآيات باهرات وكان الشعب يعظمهم تعظيماً ، والمؤمنون بالرب في ازدياد ، وجماهير الناس تقبل عليهم من المدن المصاقبة للمدينة المقدسة يحملون مرضاهم فيحوزون الشفاء . فتلظّت أكباد رئيس كهنة اليهود وأصحابه من الحسد وطاش صوابهم ، فسجنوا الرسل اجمالاً . ولكن ملاك الله فتح لهم باب السجن ليلاً وأطلقهم مشجعاً اياهم على تعليم الناس في الهيكل ففعلوا . وحينما اجتمع محفل الخصوم وأرسلوا في طلبهم ولم يجدوهم في السجن — وكان مقفلاً على غاية التحرّز والحراس قائمون — تحيّروا في أمرهم فاستقدموهم برفق فقال لهم رئيس الكهنة : ألم نوصِكم بتحريج ألاّ تعلّموا بهذا الاسم ؟ فصارحوه ان الله اولى بالطاعة من الناس وانهم لن يكفّوا عن التبشير . فاستشاط القوم غضباً وأرادوا قتلهم لو لم يقنعهم غملائيل معلم التوراة ، وكان جليل القدر عندهم بقوله : دعوا القوم وشأنهم فان كان عملهم من الناس فسوف يُنقَض نقضاً وتذهب

ريحُه ، وان كان من الله فلا حيلة لكم فيه ، والاّ صرتم لله مقاومين — ومن قاوم الله خُذل وساء مصيراً — فاكتفى القوم بجلدهم وتكرير الوصية لهم بالكفّ عن الوعظ باسم يسوع ، فخرجوا من محفلهم بوجوه متهلّلة وهم لا يفتئون يعلّمون كل يوم في الهيكل والبيوت وباسم يسوع المسيح يبشّرون .

ولما ازداد عدد المؤمنين بعد انتخاب الشمامسة السبعة وانضمّ اليهم من الكهنة جمّ غفير ، حاكم مجمع اليهود القديس اسطيفانس محاكمة جائرة ورجموه . واشتدّ اضطهادهم لكنيسة اورشليم فتبدد المؤمنون في اليهودية والسامرة ما عدا الرسل ، وجالوا تلك البلاد مبشرين . من ذلك تبشير مار فيلبس الشماس في السامرة وتأييد الرب اياه بالمعجزات ، وتكلم المؤمنين الجدد بألسنة ، شتى بعدما منحهم مار بطرس ومار يوحنا موهبة روح القدس ، وهداية وزير ملكة سبا على يد مار فيلبس ثم تبشيره في أشدود وما والاها من بلاد الساحل .

وحوالي سنة ٣٧ كانت عاصفة الاضطهاد اليهودي قد هدأت ، فحازت الكنيسة في اليهودية كلها والجليل

والسامرة سلاماً ، وكانت تُبنى وتسير في مخافة الرب سيراً حسناً وتتكاثر بتأييد روح الله تكاثراً . فأخذ بطرس يطوف في كل موضع فافتقد مؤمني مدينتي لُدّ ويافا وعمل فيهما اعجوبتين . وهدى قرنيليوس قائد المئة واهل بيته وعمّدهم بعدما حلّ عليهم روح الله فتكلّموا بلغات ومجّدوا الله تعالى . ثم أقنع اهل الختان في اورشليم بشمول دعوة الانجيل الامم الوثنية شمولها آل اسرائيل بوحي من الله .

وفي سنة ٤٣ ثار الاضطهاد اليهودي ثالثة ، فقتل هيرودس اغريبا الاول ملك فلسطين مار يعقوب ابن زبدى الرسول وسجن مار بطرس ارضاء لليهود ، فأنقذه الله من السجن وأهلك اغريبا الاثيم هلاكاً فظيعاً ، فعادت كلمة الرب تسير في طريق النموّ والنجاح .

وامّا عداء اليهود لمار بولس فكان شديداً . فانهم تشاوروا ليقتلوه في دمشق ثم في اورشليم فلم يفلحوا . وفي برجة بمفيلية حينما رأوا جموع المؤمنين ، دبّت بينهم آكلة الاكباد ، فناصبوه ورفيقه مار برنابا وشاحنوه وحرّضوا الناس على اضطهادهما واخراجهما من تلك الديار .

وهكذا فعلوا بهما في ايقونية ، وبينما كان الله يجري العجائب على ايديهما تآمر الوثنيون واليهود وهجموا عليهما ليرجموهما فالتجأا الى مدينتي لُسطرة ودربة ، فلحق بهما يهود من انطاكية بيسيدية وايقونية وأغروا الجموع فرجموا مار بولس حتى ظنوه قد مات .

وفي تسالونيقي غار اليهود وهيجوا أوباشاً سوقة فتنوا المدينة على مار بولس ورفيقه مار سيلا .

وفى بيرية هيّج الجموع عليهما يهود قدموا من تسالونيقي . وفي قورنثس ثاروا ببولس وشكوه الى الوالي غاليون فلم يصغ اليهم وطردهم ، وفي هلاس كمنوا له . وقد صرّح الرسول لاهل افسس بما كان يهيج عليه من البلايا بمكائد اليهود . وحينما جاء الى اورشليم رابعة عام ٥٨ كادوا يفتكون به ، وتحالف أكثر من اربعين رجلاً وحرموا انفسهم على ان لا يطعموا شيئاً او يقتلوه فوقاه الله شرهم .

فلما يئسوا منه ، نغلت قلوبهم على مار يعقوب اخي الرب أسقف اورشليم فطرحوه من أعلى جناح الهيكل الى اسفل ورجموه واجهزوا عليه بمرزبّة قصّار سنة ٦١ .

هذا ما ورد في الكتاب العزيز . واذا كانوا قد عادَوا عُمُد الرسل والمبشرين بمثل هذه القسوة والفظاعة ، فلا غرو ان ينال البقية منهم كثير من صنوف الشدّة مما رواه التاريخ الكنسي . قال اوسابيوس المؤرخ : اما بقية الرسل فقد نصب لهم اليهود كثيراً من المكائد الخبيثة قصد إتلافهم .

وهذا صراع اليهودية الاخير حين نزاعها ولفظ أنفاسها، حتى حان زمان الانتقام، فأحاطت بها صنوف البلايا ونزلت بها انواع الكوارث كما روى يوسيفوس المؤرخ اليهودي فأدركها الخراب العظيم في اورشليم عام ٧٠ وأخذ الله اليهود أخذ جبّار عزيز ، فذاقوا ما جنت ايديهم ، وكان عقاب الله شديداً أليما !

الفصل الثامن عشر

في المجمع الاول الرسولي سنة ٥١

كان سبب عقد المجمع الاول المعروف بالرسولي ، ن بعض المتنصرين من اليهود حاولوا ان يلزموا المؤمنين

من الامم الوثنية في انطاكية (سورية) باستعمال فريضة الختان والرسوم الموسوية . ولاجل النظر في هذه المسئلة والحكم فيها ، اوفدت كنيسة انطاكية القديسين بولس وبرنابا وأناساً آخرين الى الرسل والقسوس الى اورشليم . فاجتمع ثلاثة من الرسل القديسين وهم بطرس ويوحنا ويعقوب الصغير مع القسوس في اورشليم ، فأخبروا الرسل والمشيخة بالآيات والعجائب التي صنعها الله في الامم على ايدي بولس وبرنابا . فحصلت مباحثة كثيرة وتكلم أولاً بطرس ثم يعقوب ، وحكموا بوجوب امتناع المؤمنين من نجاسات الاصنام والزنا، وأكل المخنوق والدم ، وعدم التقيّد بالرسوم الموسوية . واختاروا رجلين مقدّمين في الاخوة وهما يهوذا الملقب برسابا وسيلا ، وبعثوهما الى انطاكية مع بولس وبرنابا ، وكتبوا رسالة الى الاخوة الذين من الامم في انطاكية والشام وقيليقيّة ضمنوها حكمهم . فلما قرأها المؤمنون طابوا نفساً ووجدوا فيها تعزية ، ووعظ يهوذا وسيلا الاخوة بكلام كثير وثبّتاهم لانهما كانا نبيّين ، وكان ذلك سنة ٥١ م وصار هذا المجمع دستوراً للمجامع التابعة له ومنه تعلمت الكنيسة المسيحية

ان تعقد المجامع اي السنادوسات ، للنظر في قضايا الايمان والشريعة والنظام الذي يصلح لبيعة الله وحلّ مشكلاتها .

الفصل التاسع عشر

في فضائل القديس يعقوب اخي الرب واستشهاده سنة ٦١

كان القديس يعقوب احد ابنآء مار يوسف النجّار البارّ خطّيب السيدة العذرآء من امرأته الاولى مريم وهو اخو سمعان ويوسي ويهوذا الرسول ، على ما اثبته الآباء معلمو الكنيسة الشرقيون — وهو من المبشرين السبعين ولما تفرق الرسل في العالم اقاموه اول اسقف على مدينة اورشليم حوالي سنة ٤٢ وحضر في المجمع الاول الرسولي وتكلم فيه بعد القديس بطرس واستحسن اعضآء المجمع رأيه وعملوا به . وكان متقشفاً متعبّداً متزوراً أكله خشناً عيشُه لم يذق خمراً ولا مسكراً ، ولم يلبس الاّ ردآء غليظاً وجبّة . وقيل انه لم يكن يلبس حذآء ولا يحلق شعر رأسه . يقصد الى الهيكل اثنآء

خلائه يكثر فيه من الصلاة والسجود تخشعاً واستغفاراً عن آثام الشعب ، ولكثرة سجوده ثفنت ركبتاه وشابهتا ركبتي الجمل . وكان متسامياً في القداسة نازلاً من قلوب الناس قاطبةً اجلّ منزلة ومكرماً عند اليهود حتى انه نُعت بالصديق وهو أحد عُمُد الرسل .

ولما توفي فستوس والي اليهودية ، عقد حنانا الصغير عظيم كهنة اليهود مجمعاً كبيراً قبل وصول خليفته الوالي البينوس ، واستدعى اليه القديس يعقوب وقال له : ان الشعب يتخذون يسوع مسيحاً ، فعليك ان تزيل من اذهانهم هذا الضلال . ثم اقاموه على سطح الهيكل ليسمعه جمهورهم . وصاح به الكتبة والفريسيون : بما ان الشعب قد سلك سبيل الضلال باتباعه يسوع المصلوب ، فقُل ايها الصدّيق ما الذي ينبغي علينا ان نرتأيه فاننا بك واثقون . فاجابهم القديس بصوت عالٍ قائلاً : « ان يسوع الذي تسألونني عنه هو المسيح ابن الله وهو الآن جالس عن يمين العزة الالهية وسوف يأتي على سحاب السماء ليدين العالم بأسره » فازداد بهذا ايمان المتنصرين شدّة ويقيناً فهتفوا بحمد الله قائلين : « اوشعنا » اما الفريسيون

الخبثاء فقالوا لقد ضلّ الصدّيق ضلالاً ، فقذفوا به من فوق الى الحضيض فلم يتأذَّ لكنه جثا مصلّياً لاجلهم قائلاً « اللهم اغفر لهم لانهم لا يدرون ما يفعلون » ، ثم انهالوا عليه يرجمونه بحجارة تتساقط كالبَرَد ، وتناول احدهم مطرقة قصّار كبيرة هوى بها على هامة الرسول القديس فأتم استشهاده المجيد . فدفن بقرب الهيكل وذلك سنة ٦١ بعدما رعى كنيسة اورشليم نحواً من عشرين سنة واستشهد معه خلق من المؤمنين . وكتب (مار يعقوب) رسالته الجامعة الى الكنيسة كلها وأثبت فيها وجوب الافعال الصالحة مع الايمان لاجل نوال الخلاص . واليه تنسب الليتورجية الاولى (الخدمة) اي صلوات القدّاس التي أنشئت في قسمها الاساسي باللغة الآرامية السريانية .

الفصل العشرون

في الاضطهاد الاول سنة ٦٤–٦٨ م

الاضطهاد هو معاداة اعداء بيعة الله الوثنيين واليهود ،

للمسيحيين ، بحملهم على ترك دينهم بصنوف الاذى والقتل ، ومنعهم التظاهر به عنفاً وتعسّفاً وقهراً . وقد عانت الكنيسة المقدسة اضطهادات وشدائد كثيرة عامّة وخاصة ، وكان افظعها واشدّها عشرة اضطهادات وقعت في المملكة الرومانية فى القرون الثلاثة الاولى والعقدين الاول والثاني من القرن الرابع . وان كانت قد نزل بها الجور في بقية هذا القرن ايضاً والذي تلاه . فضلاً عن الاضطهادات التي احاقت بها في المملكة الفارسية .

وكان الاضطهاد الاول من قبل نيرون القيصر الروماني الطاغية ، الذي كان اول من تنمّر للمسيحيين وأغلظ عليهم ، وكان رجلاً ذهّاباً في التيه سفّاكاً للدماء اقبح الناس شراً وأفظعهم جوراً ، سقى ربوات كثيرة من الخلق كؤوس الهلاك وقتل أمّه ونساءه وإخوته . وقال اوسابيوس والعلامة ابن العبري انه قتل ايضاً إبنه . وأخوفُ الاحقاد ما كان في أنفُس الملوك .

ففي ١٩ تموز سنة ٦٤ حدث حريق هائل في رومية ، وقيل ان نيرون نفسه افتعله ودام ستة أيام والتهم اكثر من نصف المدينة . فاتّهم الشعب به القيصر نيرون الذي

كانت جرائمه وفظائعه الدموية قد زادت قبل ذلك بثلاث سنوات . فرأى القيصر : وربما كان ذلك بمشورة من احتاط به من اليهود ، ان يتّهم المسيحيين بذلك الحريق . ولما رأى في جمعهم الغفير ما يفضح التُهمة ، اخترع لهم هذه الحجة وهي انهم يجب إعدامهم لكونهم اعداء الجنس البشري اي المدنية الرومانية . وتفنن في التنكيل بهم واصابهم منه أشدّ البلاء ، ومثّل بهم كلّ مُثْلة ، فلّف بعضهم بجلود وحوش ضارية وطُرحوا فريسة للكلاب ، وصَلَب قوماً منهم وطَلَى بالزّفت اجسام فريق منهم وأعملوا فيها النيران فكانت تتّقد كانها شُعَل لتضيء في الليل . وجعل هذه المناظر الفظيعة في حدائقه في الواتكان ، وأقام فيها ملاعب دعا اليهم الرومانيين وكان هو مختلطاً بين العامة وعليه لباس سائق عربة . بل بلغت به القحه انه كان قبل التنكيل بالشهداء يعرّضهم لمساخر (الميثولوجيا) اي عبادة الاوثان فكان يكره الشهداء والشهيدات على بعض الملاعب . وسرى هذا الاضطهاد الى الولايات الرومانية ودام حتى هلاك نيرون سنة ٦٨

وأشهر شهدآء هذا الاضطهاد المريع الرسولان العظيمان القديس بطرس هامة الرسل الذي صُلب منكّساً رأسه ؛ والقديس بولس رسول الامم الذي قُتل بحد السيف سنة ٦٧ على الارجح .

الفصل الحادي والعشرون

في خراب اورشليم سنة ٧٠

حكى المؤرخ العبريّ يوسيفوس وهو شاهد عيان ، قال ، انه « حوالي سنة ٦٢ كان فلاح ساذج يقال له يشوع بن حنّان يطوف شوارع اورشليم ليلاً ونهاراً ، منادياً عليها بالويل والثبور . ولم يزل هذا دأبه لا يبالي بما أصابه من تهديد وتقريع وضرب وجيع ، حتى قُتل بضربة حجر أثنآء حصارها » . ففي سنة ٦٦ هيّج اليهود فيها فتنة ، فذبح الحاكم الروماني جيسّيوس فلورس ثلاثة آلاف نفس منهم ، فثاروا ثورةً عظيمة على الحكم الروماني بعدما خضعوا له زهآء مئة سنة (منذ سنة ٦٩ ق م) ورفعوا لوآء المعصية . فبعث القيصر نيرون سنة ٦٨ القائد

وسبسيان لاخضاع العصاة مهما كلّف الامر . فحاصر اورشليم ولكنه اضطرّ الى العودة الى رومية ليرقى العرش القيصري بعد وفاة القيصر فيتلليوس تاركاً مقاليد الحرب بيد ابنه تيطس . فضيّق هذا عليها الحصار وقطع عنها الارزاق ، فاستحوذ عليها الجوع القتّال ، حتى أكل بعض النسآء اطفالهنّ وأمست المدينة داخلاً وخارجاً عرضةً لأشدّ البلايا واعظم الاهوال . وبعد حرب دامية دامت سبعة أشهر ، دخل تيطس الى المدينة وأطلق عليها النار فالتهمتها حتى هيكلها العظيم ، بالرغم عن حرصه على بقآئه سالماً وأمره بذلك . وعاث الرومانيون فيها قتلاً ونهباً ، وبيع اليهود الذين نجوا من السيوف عبيداً ، وضُربت عليهم الذلة وصاروا الى هلاك عظيم . وحُمل الى رومية حجاب قدس الاقداس والمنارة ذات السرج السبعة وكتاب الناموس ومائدة خبز الوجوه . فنزل باورشليم من هذا الخراب الذي حدث سنة ٧٠ كوارث وحاقت بها مكاره من أفظع ما رواه التاريخ . وقيل أنه هلك في هذه الحرب من اليهود في فلسطين زهآء مليون نفس ، وتشتتت بقيتهم تحت كل كوكب في انحآء المملكة

الرومانية . وتمّ ما تنبأ عنها الانبيآء ولاسيما رب الانبيآء السيد المسيح بقوله « ولن يتركوا فيكِ حجراً على حجر لانكِ لم تعرفي زمان افتقادكِ وخلاصكِ » .

اما المسيحيون القليل عددهم وأسقفهم ، فكانوا قد هجروا اورشليم قبل خرابها بحسب وصية المسيح ولجأوا الى بلدة وثنية يقال لها فلّة (بلاّ) بقرب ضفة الاردنّ اليسرى متبلّغين بما اذخروه من مالٍ نزر وعيش يسير .

الفصل الثاني والعشرون

في القديس مرقس الانجيلي

القديس مرقس الانجيلي من أعوان الرسولين مار بطرس ومار بولس ، وهو يهودي من أهل الختان ، من اقليم بنطابوليس (الخمس مدن الغربية) . قال بعض المؤرخين انه يوحنا المسمى مرقس ابن اخت القديس برنابا الرسول او ابن عمّهِ ، ينتسب الى جنس برنابا الشريف ، وليس ذلك بثبت ، وانما هما اثنان يوحنا مرقس ، ومرقس الانجيلي .

آمن مرقس بالسيد المسيح وتتلمذ لمار بطرس ، قال مار غريغوريوس اللاهوتي (٣٨٩ +) في خطبته ٢٥ ص ٤٨ « مرقس هو غرسة بطرس » وسمّاه الرسول ابنه واستصحبه الى مدينة رومية حيث كان يعاونه في التبشير ويترجم له . ومنه تلقّن الانجيل المقدس فكتبه تحت نظره حسبما سمع منه في تعليمه وعظاته غير مراعٍ فيه ترتيب الزمان ، وذلك إجابةً الى رغائب المؤمنين الرومانيين ، حتى ان بعض الآباء اطلقوا عليه اسم انجيل بطرس . قال مار غريغوريوس اللاهوتي في خطبته ٢٣ ص ٤٧ « لقد كتب مرقس عجائب الله للرومانيين واثقاً ببطرس تلميذ المسيح العظيم »(١) وذلك باللغة اللاتينية (الرومانية) في رأي مفسري السريان او باليونانية بحسب رأي غيرهم . والارجح انه كتبه حوالي سنة ٥٠ .

وذكر بعض المؤرخين وأولهم اوسابيوس في كتاب الظهور الالهي (سفر ٤ فصل ٦) ان مار بطرس أرسل مار مرقس الى الاسكندرية وبلاد مصر ليبشّر اهلها ،

---

(١) الخطب الشعرية بالسريانية طبعة Bollig في بيروت عن نسخة خطت في القرن السابع .

وذلك في حدود سنة ٦١ وقال غيرهم بل انه قدم اليها من نفسه فنادى في اهلها بحقيقة الانجيل المقدس فآمن على يده فئة من الشعب الاسكندري ، فسام احدهم افيانوس الاسكاف أسقفاً . وأقام في مصر مبشّراً ومعلّماً الدين الصحيح نحواً من خمس سنوات فهدى خلقاً كثيراً .

ثم عاد الى رومية وأقام مع مار بطرس ومار بولس حتى استشهادهما . وبعد ذلك انقلب الى الاسكندرية لافتقاد المؤمنين . فلما أحسّ به الوثنيون الحنقون عليه قبضوا وربطوه بأذناب خيل جامحة جرّته في أزقّة المدينة حتى فاضت روحه الطاهرة سنة ٦٨ قال مار سويريوس الانطاكي ٥٣٨ + في المعنيث (الترنيم) ١٨٣ « ان ابن الله بعث مرقس الى ارض مصر بشيراً اي انجيلياً ، ليثبّت بسفك دمه واعماله ما اشتملت عليه بشارته من التعليم والإنذار » والقديس مرقس هو مؤسس الكرسي الاسكندري الرسولي .

الفصل الثالث والعشرون

في القديس لوقا الانجيلي

القديس لوقا الانجيلي يوناني الجنس انطاكي المولد والمنشأ ، تثقف في آداب اليونانية ودرس الفلسفة وعلم الطبّ فصار طبيباً وكان بارعاً في التصوير . واهتدى الى الدين المسيحي على يد مار بولس الرسول وصار له تلميذاً أميناً ولزمَه في تبشيره وعاونه في جهاده منذ بشّر أهل فيلبي حوالي سنة ٥٣ وكان محباً للعلم والعمل كثير الجهاد صبوراً لا يبالي بتعب . وقد رافق الرسول اثناء اعتقاله الاول والثاني في رومية فكان معه دون سائر أعوانه وخدّامه في أشد الايام ضيعاً فقلّده الرسول الاسقفية . وسمع لوقا من السيدة والدة الآله ومن الرسل ولاسيما مار بولس ، سيرة ربنا واعمالَه فكتب قبيل سنة ٥٨ انجيله باللغة اليونانية بترتيب تاريخي وانشاء مليح ، موجّهاً الى ثاوفيلس المؤمن أحد أشراف مدينة الاسكندرية وضمّنه معجزات واخباراً لم يحوِها انجيلا متى ومرقس وكانت

كتابته بمناظرة الاتآء المصطفى واستحسانه . وفي سنة ٦٣ او ٦٤ ألّف كتاب اعمال الرسل (الابركسيس) وبرهن فيه بوحي الروح الالهي عن كيفية تأسيس الكنيسة المسيحية وصدق وعد المخلص لها . ولم يصدّره باسمه تواضعاً .

واختلف المؤرخون في بقية خبر هذا البشير . فمن قائل انه بشّر في الاسكندرية وبلاد الصعيد وليبيا بعد مار مرقس وتوفي فيها او استشهد في الاسكندرية . ومن ذاهب انه بشّر في ايطاليا ودلماطيا ومقدونية وغاليا . وقال قوم انه بشّر مصر قبل مرقس ثم كتب انجيله الى مؤمني الاسكندرية . اما تبشيره في بلاد مصر بقطع النظر عن زمانه فأمر ثابت بشهادة القديس يعقوب السروجي الملفان (٥٢١ +) فقد كتب في بعض رسائله الى رهبان دير مار باسوس قائلاً « ان لوقا خطب البتول المصرية للصليب » (رسالة ١٧ ص ٨٣) وقال ايضاً في ميمر له في سقوط الاصنام « لقد وجد الشيطانُ في مصر لوقا هادماً معبد الآلهة وبانياً في ارض فرعون كنيسة كعامل نشيط » (ج ٣ ص ٣١١) ونُقل عن مار غريغوريوس النزينزي

ان مار لوقا عاش بتولاً وختم حياته بالشهادة .

وقد أحصى الآباء الاولون القديسين مرقس ولوقا بين المبشرين السبعين ، ولو لم يعاينا السيد المسيح بالجسد . والأظهر ان الرسل اقاموهما في مصاف السبعين مكان الذين توفّوا .

الفصل الرابع والعشرون

في معاوني الرسل وتلاميذهم الاولين

ذكر كتاب اعمال الرسل في مقدمة معاوني الرسل ثلاثة قديسين حملوا بشارة الانجيل الى مدينة انطاكية وهم في الرعيل الاول من المؤمنين الذين تتلمذوا للرسل القديسين وكانوا انبياء ومعلّمين اي ينبئون بالاحداث العتيدة ويثقفون المؤمنين الجدد بتعاليمهم وهم :

١ : سمعان الذي يدعى نيجر

٢ : ولوقيوس القريناني

٣ : ومناين او منايل الذي تربى مع هيرودس رئيس الربع .

وكانوا من جملة الذين تبدّدوا من أجل الشدّة التي أثارها اليهود على أثر مقتل مار اسطيفانس عام سنة ٣٤ فدخلوا انطاكية سورية وكلموا اليونانيين الوثنيين وبشّروهم بأمر الرب يسوع . وكانت يده معهم فآمن على أياديهم عدد كثير ورجعوا الى الرب . وأقاموا كذلك حتى انضمّ اليهم برنابا ثم شاول . قال الكتاب الكريم « وفيما هم يخدمون الرب ويصومون قال لهم روح القدس : أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما اليه ، فصاموا وصلّوا ووضعوا عليهما ايديهم -أي ساموهما أسقفين- وأرسلوهما وكان ذلك في حدود سنة ٤٢ .

ولم يرد في الكتاب بعد هذا ذكر هؤلاء المبشّرين القديسين الذين انذروا في انطاكية اكثر من ثماني سنين . وقرأنا في بعض التواريخ القديمة ان مار لوقيوس صار أسقفاً لكنيسة قنخريه ، وعدّه بعضهم من التلاميذ السبعين وروى استشهاده بقوله انه ربط بخيل جامحة فجرّته حتى انسحقت عظامه بأسرها . وان مار منايل رافق مار بولس في التبشير ولازمه نظير طيمثاوس وأرسطس ، وانه استشهد في سلوقية مختنقاً بالدخان على أيدي الوثنيين .

٤ : وذكر كتاب الابركسيس ايضاً القديس اغابس ، وهو نبي نزل من اورشليم الى انطاكية وتنبّأ على المجاعة التي تصيب بلاد فلسطين فكان ذلك في عهد قلوديوس قيصر سنة ٤٢ ثم تنبّأ في قيصرية على وثاق الاناء المصطفى في اورشليم سنة ٥٨ وقد تمّ ذلك في أوانه. وروى بعضهم انه كان من السبعين وشارك الرسل في التبشير ، وطاف بعض البلاد معلماً وهادياً . ثم نكل به اليهود في اورشليم ورجموه في ظاهر المدينة .

الفصل الخامس والعشرون

في مشاهير تلاميذ القديس بولس الرسول

من أشهر تلاميذ رسول الامم الذين منهم من اهتدى الى الدين المسيحي القويم بوعظه ، ومنهم من تفقّه به في علوم النصرانية وأسرارها ، مقتبسين من غزارة علمه ونفحات روحه وحسن شمائله ، هو :

١ : القديس طيمثاوس من مدينة لوسطرا . وكان ابوه يونانياً وثنياً واما والدته أونيقي فكانت يهودية آمنت

بالرب يسوع بعد أمّها لوَيذة . وآمن طيمثاوس ايضاً في مَيعة صباه وتروّض في علم الكتاب العزيز ، وصار تلميذاً فاضلاً شهد له الاخوة الذين في لسطرا وأيقونية .

وحينما خرج الآباء المصطفى الى دُربة ولُسطرا ، اتخذه تلميذاً ورفيقاً له ، وختنه ليأمن فتنة اليهود ولجاجهم . فصحبه طيمثاوس في اعمال الرسالة الانجيلية ، ملتقطاً من بحره لآلىء الحكمة ودُرر القداسة . ورافقه الى فريجية وغلاطية وموسيّة ومقدونية وقورنثس وغيرها .

وكان فتىً شهماً راسخاً في دينه ذكياً بعقله نحيفاً في جسمه حاذقاً بعمله مخلصاً في خدمته للرسول متفانياً في محبته . فنزل من قلبه أجمل منزلة محبة وثقةً وامانةً حتى قال لاهل فيلبي : « انه ليس له احد نظير طيمثاوس بمنزلة نفسه للاهتمام بهم مُخلصاً لهم الولاء » وكان يدعوه ، ابنه الحبيب . ثم اقامه في حداثته اسقفاً على مدينة افسس وكتب اليه سنه ٦٤ و٦٧ رسالتين جليلتين علّمه فيهما كيف يوفّي ما يجب للاسقفية من الحقوق ويسوس بيعة الله . فمضى التلميذ النجيب على ما رسم له الرسول من التحلي بأجمل الفضائل وحسن السيرة في البيعة والرعية

مضطلعاً بمهام الاسقفية وأبلى في الميدان المسيحي بلاءً حسناً امانةً وغيرةً على الايمان وصبراً على المشقات والمكاره ومقتاً لاهل البدع وعاش بتولاً . وقيل انه استشهد مرجوماً في افسس بعد سنة ١٠٠ بقليل او حوالي سنة ١٠٦ وزعم بعضهم انه هو المقصود في (ص٢) من سفر الرؤيا قالوا انه اصابه في شيخوخته بعض الفتور فلما سمع توبيخ الرب وأمره ان يعود سيرته الاولى الممدوحة نهض متشجعاً وقرّع اهل افسس بعبادة ارطاميس فظفر منهم باكليل الشهادة بعدما رعى كنيسته نيّفاً واربعين سنة . وأنكر بعض المفسرين هذا الزعم وقالوا ان الاسقف المقصود كان سواه . ومدّ بعض الكتاب اسقفيته الى أمد اطول .

٢ : ومن تلاميذ مار بولس : القديس تيطس ، وكان وثنياً فاهتدى على يده منذ اول شبيبته فاتخذه الرسول تلميذاً وكاتباً وترجماناً في رسالته وسمّاه ابنه وكان موثوقاً به عنده أميناً ومحبوباً وأقام على البتولية حياته كلها . وحضر معه الى اورشليم عام ٥٠ وشهد معه مجمع اورشليم سنة ٥١ و كثيراً ما عهد اليه ترتيب امور خطيرة

وتدبير مسائل ذات شأن . فبعث به سنة ٥٦ من افسس الى قورنثس ليصلح ما افسده الشقاق الذي نجم بين المسيحيين الجدد . وبشّر اهل مدينة طرواذة (تروُاس) فآمنوا وصاروا من صنف الموعوظين على ما شرح الذهبي الفم . ثم سامه الرسول في حداثته اسقفاً على جزيرة كريت وكانت تشتمل على مدن كثيرة . وكتب اليه سنة ٦٤ رسالة جليلة مختصرة لقّنه فيها طريقة الرتبة الاسقفية وفرائضها وضمّنها وصايا لطبقات المؤمنين . وشخص مار تيطس ايضاً الى دلماطية مبشّراً وهادياً ثم عاد الى كريت ولم يزل دائباً على عمله مقتنصاً بشبكة الانجيل المقدس خلقاً كثيراً حتى نقله الله الى دار كرامته شيخاً كبيراً قد بلغ من العمر نحواً من اربع وتسعين سنة في ما روى بعضهم .

٣ : ومنهم القديس لوقا الانجيلي وقد مرّت ترجمته .

٤ : والقديس ديونيسيوس الاريوفاغي قاضي اثينا ثم اسقفها وسيأتي خبره .

٥-٦ : وياسون الطرسوسي وسوسيبطروس وكانا من يهود بلاد اخائية . هداهما الرسول الى الايمان فتتلمذا

له وكانا معه في قورنثس سنة ٥٧ ودعاهما نسيبَيه اما بالايمان كما ارتأى بعض المفسرين السريانيين او حسب الطبيعة على رأي آخرين . ورتّب اولهما معلماً في طرسوس وثانيهما اسقفاً راعياً لكنيسة ايقونية فأفلحا في سعيهما وصبرا على عذاب شديد نالهما من والي جزيرة كركرة ونصّرا خلقاً كثيراً ثم توفيا بشيخوخة صالحة .

الفصل السادس والعشرون

في رفاق القديس بولس وأعوانه في نشر البشارة الانجيلية

من الانصاف ان يخلّد تاريخ الكنيسة ذكر القديسين الفضلاء اعوان الرسل الذين بعدما آمنوا بالسيد المسيح ايماناً صادقاً ، تجندوا في خدمة انجيله المقدس ولزموا الرسل لاسيما مار بولس في جهادهم العجيب وسجّلوا لانفسهم في الرسالة عملاً جليلاً وذكراً ابدياً جميلاً كما خلّد كتاب الله العزيز اسماءهم الشريفة المكتوبة في سفر الحياة .

١ : فمن أشهرهم : سيلا (شأيلا : مطلوب) كان روماني الراعوية نبيًّا ومقدّماً في الاخوة . وحمّله الرسل ويهوذا برسابا رسالة المجمع الرسولي الى انطاكية والشام وقيليقية . وقد وعظا الاخوة المؤمنين بكلام كثير حتى رسخوا في الايمان ثم أطلقا بسلام الى اورشليم . ولما اختلف بولس وبرنابا ، اختار مار بولس سيلا رفيقاً له . فطافا سوية في بلاد الشام وقيليقية وهما يثبّتان الكنائس وقصدا الى دربة ولسطرا وفيلبي . وصبرا ثم على ضرب كثير وجَلد وحبس وهديا السجّان واهل بيته — وكذلك صحبه الى تسالونيقي وبيرية وأقام فيها مع مار طيمثاوس حتى انضما الى الرسول في قورنثس — وقال بعضهم ان مار سيلا صار أسقفاً على ايقونية .

٢ : يهوذا برسابا : يسميه الكتاب الآلهي نبيًّا ومقدّماً في الاخوة مثل سيلا وحملا رسالة المجمع الرسولي سوية . وحدّث عنه بابيا روايةً عن بنات فيلبس الرسول ، انه شرب السم فلم يضرّه .

٣ : القديس أبفراس من مدينة قولسايس كان خادماً وعبداً أميناً للرب يسوع ، ورفيقاً للرسول بولس وخادماً

له ولاهل قولسايس من اعمال فريجية الواقعة بقرب اللاذقية أوفده اليهم فآمنوا على يده وأزهرت فيهم محبة البؤساء وقلدّه ايضاً تدبير أهل هيرابوليس واللاذقية وشهد له بكثرة ما ناله من الاتعاب في سبيلهم ، وكان شديد الحرص على ايمانهم ويصلي عليهم بعناء عظيم خائفاً ومرتجفاً لاجلهم . وكان قد أقامه أسقفاً على مدينة قولسايس وأثنى على صدق جهاده . وأسر أبفراس مع رسول الامم في سبيل المسيح في حدود سنة ٦٢ .

٤ : القديس ابفروديطس معاون الرسول وشريكه في الاخطار الكثيره ، وكان يثق به ثقتَهُ بنفسه . وهو من أهل مدينة فيلبي وكانوا نازلين من قلب الرسول في أعز منزلة لوداعتهم وسرعة اقبالهم على الايمان . اوفده اهلها برسالة واسعاف الى القديس بولس ليخدمه وهو سجين في رومية (سنة ٦١ – ٦٣) فلما قدم عليه وجد الرسول وحيداً في السجن وقد هرب اصحابه جزعاً من نيرون . فأقدم على خدمته مخاطراً بنفسه غير وجل ولا هياب وأشرف على الموت في سبيل المسيح . ثم مرض مرضاً ادناه من شفير المنيّة واغتم لسماع اهل فيلبي بمرضه .

ثم تولاه الله برحمة منه وشفاه ، ففرح به الرسول وأعاده الى مواطنيه وأوصاهم باكرام مثواه لمكان فضله .

٥ : يوحنا الملّقب مرقس ابن اخت القديس برنابا الرسول او ابن عمّه ، من بيت كريم واسم أمّه مريم التي كان بيتها في اورشليم . وفيه كان التلاميذ مجتمعين وهم يصلّون واليه جاء هامة الرسل متفقّدهما عندما اخرجه ملاك الرب من السجن ليلاً . وفي سنة ٤٢ استصحب مار برنابا ومار بولس : يوحنا هذا الى انطاكية ثم الى سلوقية فجزيرة قبرس . ولما أقبلا الى برجَة بمفولية فارقهما يوحنا ورجع الى اورشليم — وبعد سنة ٥٢ لما اراد الرسولان افتقاد الاخوة في كل مدينة ناديا فيها بكلمة الرب ، أراد برنابا ان يأخذا معهما ايضاً يوحنا مرقس فأبى بولس ذلك ، فأخذه برنابا وسارا الى قبرس — ويذكره الرسول بولس في رسالته الى قولسايس وقد كتبها من سجنه الاول من رومية حوالي سنة ٦٢ ويوصي اهلها به ويثني عليه أذ جعله من جملة اعوانه في ملكوت الله .

٦ : اقولا او اقولاس (اكيلا) النبطي المولد القورنثي المسكن . وكان هو وزوجته الفاضلة فرسقلّة

يهوديين آمنا بيسوع واقاما زماناً في مدينة رومية . وخرجا منها في جملة اليهود حينما طردهم القيصر قلوديوس فسكنا في مدينة قورنثس ، وعندما نزل الرسول وكان يعمل معهما في صناعتهما وهي نسج الخيام . وقد اثنى عليهما ودعاهما معاونين له بيسوع المسيح وعرّضا نفسيهما لمخاطر كبيرة في سبيل المحاماة عنه والمحافظة عليه ، واهتمّا بهداية الامم الى الايمان واجتهدا بنشر الانجيل . ولما رجعا الى رومية جعلا بيتهما كنيسة لاجتماع المؤمنين . وجاء في مجموعة القوانين البيعية السريانية في نسخة عتيقة أن اقولاس وفريسقيلا لزما مار بولس حتى وفاته .

٧ : أفلّو (أبلّوس) اليهودي الاسكندري الوطن ، كان بصيراً في الكتب أديباً بليغاً فصيحاً في الكلام كما شهد له الكتاب الالهي . وانتهى به الامر الى مدينة افسس فبشّر رهطاً من اهلها باسم المسيح لكنه عمدهم معمودية يوحنا التي هي معمودية التوبة . فجاءه أقولا وفرسقلّة فأرشداه الى صحة التعليم المسيحي . ولما مضى الى اخائية اي قورنثس وكان الاخوة قد كتبوا الى التلاميذ ليقبلوه ، نفع الذين آمنوا نفعاً جزيلاً ، بما أوتي

من النعمة ذلك انه كان يفحم اليهود جهراً ويحجّهم حجًّا بليغاً مبيناً من الكتب ان يسوع هو المسيح . وشهد مار بولس بفضيلته وسمّاه « الاخ والمزكّى في المسيح » وذكر الذهبي الفم انه بعد استشهاد الرسول سرت غيرته برمّتها الى تيطس وأفلّو وطيمثاوس وسائر تلاميذه .

٨ : ارسطرخس التسالونيقي ، كان يهودياً من أهل الختان آمن على يد الاناء المصطفى وصار من أعوانه ورافقه الى افسس ثم صحبه في وثاقه من اورشليم الى رومية سنة ٦١ وأُسر معه فيها وكان يحتمل الضيقات في سبيل الله . فنعتهُ الرسول « بالمأسور معه » وقيل انه تسقف على تسالونيقي واستشهد في شدّة نيرون .

٩ : يشوع المسمى باللاتينية يُسطس جرياً على عادة اليهود في استبدال اسمائهم في البلاد الاجنبية ، ويظن انه من مدينة قورنثس . كان يهودياً من أهل الختان وصار من أعوان الرسول الذين وجد فيهم عزآء اذ نادوا بالانجيل مشتركين بالضيقات وملكوت الله وقد نوّه بجلالة اقدارهم وفضلهم وهم يشوع هذا وارسطرخس ومرقس .

١٠ : أرباُنس الروماني معاون الرسول في المسيح

وفلح حقل الانجيل باهتمام وأثنى عليه سنة ٥٧ .

الفصل السابع والعشرون

في تتمة اخبار معاوني مار بولس وغيرهم

١١و١٢ : اندرونيقس ويونيا نسيبا مار بولس من اليهود قال فيهما « انهما تقدماه في الايمان بالمسيح واشتركا معه في الضيقات والاخطار وأُسرا معه وهما معروفان بين الرسل » .

١٣ : أَرِسْطُس من لُوسطرة وخازن مدينة قورنثس آمن بالرب منذ سنة ٥٧ وكان يخدم الرسول مع طيمثاوس . ووجههما الى مقدونية وذكره سنة ٦٧ وقال انه تخلّف بقورنثس وذكر بعضهم انه صار أسقفاً على مدينة فيلبي واستشهد .

١٤ : أرخيفُس (أرخبُس) ذكره الرسول سنة ٦١ وقال فيه : المتجنّد معنا ، ويوصيه ان يحتفظ بالخدمة التي اخذها من الرب في قولسايس وان يكمّلها . وقيل انه كان كاهناً او شماساً في قولسايس .

١٥ : طوخيقس من أهل آسيا كان خادماً اميناً ورفيقاً لمار بولس واحتمل معه الضيقات وفي سنة ٦١ حمّله رسالته الى افسس وبعث به ايضاً من رومية الى قولسايس ليعرف احوال اهلها ويعزّي قلوبهم ويخبرهم عن جميع احواله . وذكره ايضاً سنة ٦٦ . وفي السنة التالية وجهه الى افسس ثانية وسمّاه : الاخ الحبيب الخادم الامين بالرب .

١٦ : انيسيمُس كان عبداً وثنياً لفيليمون المؤمن الشريف من أهل قولسايس وأبق منه وقيل بل سرق منه ذهباً ثم أبق . ولجأ الى مار بولس وهو سجين في رومية فقبله برفق وتلمذه في الايمان وعمّده وأعاده الى فيليمون بكتاب توصية وتلطّف فسمّاه ابناً بل اخاً حبيباً خاصاً وفي تلك السنة وهي سنة ٦١ بعثه ايضاً الى اهل قولسايس مع طوخيقس ونعته بالاخ المؤمن الحبيب . وصار انيسيمس تقياً ورعاً ، وجاء في بعض التواريخ انه خلف القديس طيمثاوس في كرسي افسس ومات شهيداً .

١٧ : فيليمون ، شريف وثني من مدينة قولسايس آمن بالرب على يد القديس أبفرا تلميذ مار بولس وكان

غنياً مشهوراً بالتقوى والورع واعمال الرحمة وكان المؤمنون يجتمعون في بيته ويتناولون الاوخرستيا . وكان بيته ايضاً منزلاً لأسقف قولسايس بل صار كنيسة استمرت اجيالاً كما نقل تاودريطس المؤرخ - واليه كتب الاناء المصطفى رسالته الرقيقة شافعاً في عبده انيسيمس .

١٨ : لوقيوس ، سماه الرسول نسيبه وذلك بالايمان او بحسب الطبيعة وكان في قورنثس سنة ٥٧ .

١٩ : مناسون القبرسي كان تلميذاً للرب من القدماء استصحبه بعض تلاميذ قيصرية الى اورشليم ليضيف القديس بولس وصحبه في منزله سنة ٥٨ او ٥٩ .

٢٠-٢٢ : اسطيفانس وفرتوناتس واخائيقس : بعث معهم مار بولس رسالته الاولى الى أهل قورنثية سنة ٥٧ وأثنى عليهم بقوله انهم أراحوا روحه وسدّوا ما أخلّ به القورنثيون ، فشخصوا من قورنثية الى افسس بقصد زيارته .

٢٣ : طروفيمس الافسسي كان وثنياً فآمن ورافق مار بولس من مقدونية حتى آسيا الصغرى ، ثم الى اورشليم وخلّفه مريضاً بمدينة ميلاطس القريبة من افسس سنة ٦٧

٢٤ : روفس المنتَخَب في الرب أثنى الرسول على أمّه التي انزلها منزلة والدته ، وقال يشوعداد المروزي (٨٥٠ +) انه ابن سمعان القرياني .

٢٥ : غايوس ، يظن من أهل قورنثس عمّده بولس ومدحه لمحبته لاهل البؤس اذ كان يضيّفه ويضيّف البيعة كلها وذلك سنة ٥٧ .

٢٦ : غايوس من مدينة دربي . سمّاه القديس يوحنا الرسول حبيباً وكتب اليه رسالته الثالثة لاجل فضيلته وقبوله الغرباء واستعصامه بالايمان ، وشهد له الاخوة بصدقه وسعيه في الحق ومحبته أمام الكنيسة .

٢٧ : زيناس كان كاتباً ناموسيًّا خبيراً بناموس اليهود وهو من مرافقي القديس بولس ذكره سنة ٦٦ .

٢٨ : سلوانس ، نعته القديس بطرس بالاخ الامين وعلى يده بعث رسالته العامة الاولى ، ودوّن مار بولس اسمه في رسالته الى أهل ثسالونيقي حوالي سنة ٦٣ .

٢٩ : القديس اقليميس (اكليمنضوس) الروماني من أعوان الرسول مار بولس الذين اسماؤهم في سفر الحياة ذكره في رسالته الى اهل فيلبي حوالي سنة ٦٢

وهو الذي صار أسقفاً على رومية .

٣٠ : القديس ليـنُس الروماني . ذكره في رسالته الثانية الى طيمثاوس سنة ٦٧ وهو الذي صار اسقفاً على رومية خلفاً لهامة الرسل .

٣١ : هيروديون ، يسميه الرسول بولس نسيباً له .

٣٢ : اونيسيفورس ، مؤمن خدم القديس بولس في افسوس وأراحه مراراً كثيرة ، ولما حُبس الرسول في رومية وجاء اليها أنيسيفورس ، طلبه باجتهاد كثير حتى وجده ولم يستحي من سلاسله وأظهر مزيد الغيرة في خدمته والانفاق عليه في حاجاته ، فدعا له الرسول خيراً وكرر الدعاء اشعاراً بصدق محبته وثناء على فضله ومحاسنته .

٣٣ : قرسفُس رئيس مجمع قورنثس . آمن بالرب هو وأهل بيته وعمّده مار بولس وبعث به الى غلاطية سنة ٦٧ .

٣٤ : نُمفاس من لاذقية . كان في بيته جماعة من المؤمنين او كنيسة ذُكر سنة ٦١ وقيل انه كان من الاعيان .

٣٥ : أوبولس ، الأظهر انه كان من اشراف المؤمنين .

٣٦ : قوارطوس الاخ من مدينة قورنثس ذكر سنة ٥٧ .

٣٧ : ديمتريوس ، شهد له الرسول يوحنا والحق نفسه والجميع ، بالفضل والمحبة للمؤمنين ولمن انزعجوا عن الاوطان

٣٨-٤٠ : أهل بيت اسطيفانس هم باكورة بلاد اخائية في الايمان بالمسيح ويظن بعض المفسرين ان أفَيْنِطُس الذي ذكره الرسول في رسالته الى رومية سنة ٥٧ هو ابن اسطيفانس - ويضاف الى هذه الاسرة المسيحية الكريمة اهل بيت ارسطبولس واهل بيت نرقيسُس الرومانيين .

اما اهل بيت قيصر فهم نسبآء القيصر نيرون الذين آمنوا بالسيد المسيح قبل سنة ٦١ .

٤١ : بوديس ، احد المسيحيين في رومية ذكره الرسول بولس سنة ٦٧ وزعم بعض شرّاح الكتاب العزيز انه كان من ارباب الديوان في رومية ، وعنده نزل القديسان بطرس وبولس وفي بيته قرّب مار بطرس القربان

الآلهي ، فكانت اول كنيسة في رومية وسمّيت كنيسة الراعي .

٤٢ : سَقَنْدُس ، رافق مار بولس من مقدونية الى آسيا .

٤٣ : ارطيماس ، حمّله الرسول رسالته الى تيطوس سنة ٦٦ .

٤٤ : ترطيوس ، كتب رسالة مار بولس الى رومية.

٤٥ : سمعان الدبّاغ ، من اهل يافا الذين آمنوا بالرب وكان بيته على شط البحر وعنده نزل مار بطرس وأقام أياماً كثيرة قبل احيائه طابيثا التلميذة وبعد ذلك حينما استدعاه قرنيليوس قائد المئة وذلك في حدود سنة ٤٠

الفصل الثامن والعشرون

في فضليات النسآء القديسات في العهد الرسولي

شآءت رحمة الله العظيمة التي شملت الانسانية بتأسيس بيعته المقدسة ، ان يكون للنساء نصيبهن في هذه النعمة والشرف الوسيم بما يليق بهن من الخِدَم .

وقد ذكر الانجيل المقدس بعض نسآء تقيات يترجّين عزآء اسرائيل كحنة النبيّة ابنة فنوئيل ، التي ترمّلت اربعاً وثمانين سنة وعبدت الله في الهيكل في قنوت وصلاة وصيام ، وهشّت ليسوع الطفل وكانت تتكلم في حقه عند كل من يترجى الخلاص في اورشليم .

ومريم ومرتا اختي لعازر اللتين كانتا تخدمان الرب يسوع ، وشهد لمريم انها اختارت لها نصيباً صالحاً لا يُنتزع منها .

ونسوة كنّ قد شُفين من الارواح الشريرة والامراض . منهن مريم المجدلية التي اخرج منها سبعة شياطين ، ويوحان امرأة خوزي خازن هيرودس ، ومريم ام يعقوب ويوسي ويهوذا . وهؤلآء الثلاث حملن الحنوط وأسرعن الى القبر المقدس سحَراً ليطيبن الجسد الطاهر . وسوسنة وأخريات كثيرات كنّ يخدمنه بأموالهن . وسالومي ام الرسولين مار يعقوب الكبير ومار يوحنا الانجيلي ابني زبدي ومريم امرأة كلاوبا . وهؤلآء كنّ مع سيدتنا المغبوطة مريم العذرآء والدة الآله ، يشاركن الرسل القديسين في الاعتكاف في الصلاة ، في الايام التي

كانوا ينتظرون فيها حلول الروح الفارقليط.

وحفظ كتاب اعمال الرسل اسماء مريم ام يوحنا مرقس التي صار بيتها منزلاً للتلاميذ ، وقيل انها كانت اخت القديس برنابا الرسول . وبنات فيلبس المبشّر وكن اربع عذارى يتنبأن . ولودية المرأة التقية بياعة الارجوان من مدينة ثياطيرة ، وهي التي آمنت واهل بيتها بتبشير القديس بولس وأضافته . وداَمريس الاثينوية التي اهتدت هي ايضاً على يده . وغيرهما من شريفات النسآء الاميّات اللواتي آمنّ على يدي القديسين بولس وسيلا في ثسالونيقي وبيرية .

ونوّه رسول الامم في رسائله باثنتي عشرة امرأة فاضلة وهنّ :

١ : فيبي (فوبي) شمّاسة كنيسة قُنخرية القريبة من مدينة قورنثس ، التي حمّلها الرسول رسالته الى رومية سنة ٥٧ ويعدّها مع القديسين ويكرمها باسم اختنا . وكانت من نسآء فواضل كنّ يخدمن المؤمنات المريضات ويلتمسن صدقة للفقيرات ، وكانت تعلّم النسآء وتخدمهنّ في المعمودية وتضيف الغرباء ، وتحافظ على

الذين ينزلون عندها خوفاً من المضطهدين . وقد أضافت الرسول وأكرمت مثواه . فأوصى اهل رومية باكرامها والاهتمام بامرها وقضاء حاجها .

٢و٣ : افودية (او هودية) وسنطاخي (سونطيخا) وكانتا سيدتين تقيّتين ، جاهدتا في التبشير مع القديس بولس بتعليم النساء في كنيسة فيلبي . لكنهما بعد ذلك تنازعتا رئاسة أرامل الكنيسة جرياً مع الضعف البشري . فأوصاهما الرسول بوحدة الرأي وأوصى رفيقه المخلص القديس برنابا او مار ابفراديطس ان يعينهما ويصالحهما .

٤ : فرسقِلّة زوجة اقولاس (اكيلا) من مدينة قورنثس ، كانت مؤمنة في غاية التقوى والورع وجادت وزوجها باموالهما لاجل كنائس الامم ، وجعلا بيتهما كنيسة وكلاهما ساعد الرسول مستهيناً بالموت من اجله .

٥ : مريم الرومانية التي تعبت مثل الرسل في تبشير اهل رومية وخدمتهم .

٦ : برسيس الرومانية التي تعبت كثيراً في الرب لاجل مار بولس .

٧و٨ : طروفينة وطروفوسة الرومانيتان اللتان

احتملتا العناء في خدمة المؤمنين ، وأنفقتا عليهم من مالهما. وكان تعب هذه الفواضل قائماً في تعليم النساء وضيافة الغرباء وغير ذلك .

٩ و١٠ : لوديسي (لوئيس) جدّة القديس طيمثاوس وأونيقي أمّه وكانتا قد سبقتاه في الايمان الصادق الذي قرّظه الرسول وثقّفتا طيمثاوس فيه .

١١ : ابفية (افّية) زوجة فليمون من قولسايس ، على رأي الذهبي الفم او أخته على رأي غيره وسمّاها الرسول : الاخت المحبوبة .

١٢ : قلودية الرومانية المؤمنة ، زوجة بوديس من ارباب الديوان الروماني .

وذكر اوسابيوس القيسري ثلاث بنات للقديس فيلبس الرسول تزوجت احداهن وعاشت الاخريان في البتولية وكانتا تساعدان اباهما في نشر كلمة الرب في مدينة هيرابليس في اقليم فريجية وعاشتا كثيراً وروى عنهما مار بابيا الاسقف بعض اخبار الرسل ومعجزاتهم غير المدوّنة وتوفيتا ودفنتا في هيرابليس .

الفصل التاسع والعشرون

في القديسة تقلا أولى الشهيدات

ومن اشهر تلميذات مار بولس القديسة تقلا البتول أولى الشهيدات . وُلدت تقلا في ما روى القديس متوديوس ، في اقليم ليقاونيا او ايسوريا ، في مدينة قونية من أسرة وثنية وكانت لبيبة فصيحة ، ورسخت في درس الادب والشعر والفلسفة وأصابت من جودة الخط حظاً . ولما ورد القديس بولس قونية ، اسعدها الحظ بسماع تبشيره فاستنار قلبها بنور الايمان الحقيقي واخذت عنه اصوله ، وذلك في زهرة عمرها حوالي سنة ٤٥ وذكر القديس امبروسيوس المديولاني انها كانت فتاة حسناء. فخطبها رجل وثني شريف لكنها لما آمنت بالمسيح فضّلت التبتّل على الزواج . فتواطأ خطيبها وأمها فوشيا بها الى الحاكم انها مسيحية ، فجُلدت تقلا جلداً كثيراً وهي عارية ، ثم أُطلق عليها لبؤة فبسطت القديسة يديها على مثال صليب ولما دنت منها اللبؤة رَبعت ساكنة هادئة . ثم أمر

بطرحها في موقدة نار مضطرمة . فأقبلت فرحة وبسطت ايضاً يديها على مثال صليب فلم يحترق منها شعرة . وأخمد الله النار بقوّته العظيمة كما نوّه القديس غريغوريوس النزينزي بهذا في الجزء الثاني من خطبه الشعرية السريانية ص ٤٦ و٥٥ وقد مرّ بك ذكرها (١) فتركت الفتاة الشهيدة عندئذٍ وشأنها . فانطلقت تفتش على القديس بولس لتسمع ارشاده . ثم اخذت تبشّر باسم السيد المسيح فهدت خلقاً كثيراً الى الدين المسيحي الصحيح محتملة في سبيله صنوف المخاطر . ثم انفردت في مدينة سلوقية في اقليم ايسورية وقضت ثم حياتها عاكفة على الصلاة والقنوت وقلبها بذكر الله معمور ، آخذة نفسها بصحبة التقى والفضائل العالية ، معتصمة من الرجاء بربّها بحبل متين حتى انتقلت الى جواره في سنّ عالية وقيل انها قاربت التسعين سنة . وقد زار القديس النزينزي ضريحها قال : « قدمت سلوقية هارباً لاجئاً الى معبد عذارى تقلا الفتاة الذائعة الصيت » ج ٢ ص ٤٢ .

---

(١) واياونيس مطران دارا السرياني اللاهوتي (في اواسط القرن التاسع) في الفصل ٦ من المقالة السادسة في وجود الصليب .

وعدّ الآباء القديسون هذه القديسة أُولى الشهيدات لصدق جهادها وسماها بعضهم : نجيّة بولس ورفيقة اسفاره ، وعديلة اسطيفانس في جهاده . وماثلها القديس ابيفانيوس القبرسي بايليا النبي ومار يوحنا الانجيلي . ونعتها مار سويريوس الانطاكي بأولى الشهيدات والاستاذة الحكيمة والمبشّرة الرسولية القديسة وأنشد فيها ترنيماً لطيفاً هو المعنيث ١٦٠

وقد اخطأ من شكّ من كتبة الغرب المعاصرين في صحة وجود القديسة تقلا وعجيب سيرتها ، وزعمهم ان سيرتها من أوضاع بعض اصحاب البدع في اوائل المئة الثالثة ! بعدما اجمع على ما دوّناه من شأنها جهابذة علماء البيعة ، وهم هم رسوخاً في العلم وتبحّراً في تاريخ النصرانية ، وحرصاً على تراثها الثمين منذ فجرها . وناهيك بالقديس متوديوس أسقف اوليمبية عالماً قديماً وقد استشهد عام ٣١١ ولعلّه وُلد عام ٢٤٠ او ٢٥٠ فكيف يصدَّق انه اغترّ بأمرها اذا كان اهل البدع انتحلوا خبرها قبل مولده بسنين قليلة في ما زعموا ؟

الفصل الثلاثون

في الاخوة الكَذَبة الذين قاوموا الرسل القديسين وتعليمهم الصحيح

أنبأنا الانجيل المقدس ، ان ربنا يسوع زرع في حقله العظيم زرعاً جيداً ولكن الزؤان نبت معه . فبعد ظهور زؤان يهوذا الاسخريوطي الرسول الخائن الهالك : وُجد في العهد الرسولي ايضاً اخوة وانبياء كَذَبة وعصاة وكفرة ومُضلّون ، جحدوا الايمان وحسن النية فانكسرت سفينتهم وتحطّمت تحطيماً وباءوا بفشل وخزي عظيم . اولئك نفرٌ أضلّوا العقول ، قالوا باطلاً وعلّموا ضلالاً ، فمنهم من أنكر حقيقة مجيء ربنا يسوع المسيح في الجسد ، ومنهم من احبّ تبديل انجيله محوّلاً نعمته الى الفساد ، وفيهم من نادى بالنصرانية واليهودية معاً بنفوس في قبيح الربح مشغوفة وهمة الى الامور السفلية مصروفة . وقد انبأنا بذلك صراحةً الرسل القديسون بولس ويوحنا ويهوذا وحذّروا الكنيسة منهم تحذيراً .

وذكر الرسول مار بولس خمسة منهم في رسالته الثانية الى مار طيمثاوس وكلهم من بلاد آسيا ولعلهم من مدينة افسس وهم :

فوجليس (فيجيلّس) وهرموجنيس اللذان زاغا عن الايمان وارتدّا عن الرسول إمّا خوفاً من نيرون أو ميلاً مع وساوس اليهود . كتب عنهما الرسول الى طيمثاوس حوالي سنة ٦٢ إمّا ليعظهما اذا عادا الى افسس أو ليكون منهما على حذر . واومينيوس (هُمنايس) وفيليطوس اللذان بعدما كانا من المؤمنين ، أنكرا قيامة الموتى ذاهبَين في تفسيرها مذاهب سيّئة لاحقَين بسيمون الساحر الذي كان ينكرها . وقال فيهما الرسول « ان كلمتهما ترعى رعيَ الآكلة » .

على ان اعظمهم شرًّا هو الكسندروس الحدّاد (وفي بعض الترجمات العربية : النحّاس) كان هذا حدّاداً خاملاً آمن ثم زاغ عن الايمان ، ودبّر بخبثه مكائد على مار بولس وأعاق اعمال التبشير . فطرده الرسول واومينيوس رفيقَه من البيعة ، مانعاً عنهما النعمة لكي يتأدّبا باعمال التوبة ويكفّا عن الافتراء والتجديف .

لكن الكسندروس أخذ يقاوم تعليم الرسول مقاومة شديدة ، وأظهر له شروراً كثيرة . فتنبّأ عنه الرسول القديس ان الله سيجزيه بعذاب أليم وقد تمّ ذلك بالفعل في ما نقله يشوعداد المروزي (٨٥٠ +) والعلامة ابن العبري . وذلك انه صنع لنفسه على طريقة اليونانيين ، تمثالاً يمثّل رجلاً حاملاً بيده مرزبّة تتحرك بآلة متقنة لطرق الحديد الذي يعالجه فحدث في بعض الايام انه تحرّك التمثال فجأةً وطرقت المرزبّة رأس الكسندر بشدّة وهو غارق في النوم فهلك .

اما ديما (ديماس) الذي كان مرافقاً للقديس بولس ومعيناً له ، وقد خدمه في رومية سنة ٦٢ قال عنه الرسول سنة ٦٧ « انه احبّ هذا العالم وعاد الى ثسالونيقي » اي الى وطنه . واختلف المفسّرون في شأنه . فمنهم من ذهب انه رجع الى مصاحبة اهل الختان وارتأى بعضهم انه تزوج وملك بيتاً وانهمك في امور الدنيا مؤثراً الراحة على اتعاب الرسالة . وذكر ابن الصليبي في تفسير الرسالة الى فيليمون : انه ارعوى بعد تأديب شديد ناله فطفق يحتمل صعاب الضيقات بنفس طيّبة . وزعم القديس ابيفانيوس

انه جحد الايمان لاحقاً بالملحدَين قورنثس وأبيون .

ومن الذين اساءوا السيرة : ديوطرافيس الذي عنّفه القديس يوحنا الرسول وقال عنه « انه لم يكن يقبله بل يهذي عليه بأقاويل خبيثة ولا يقبل الاخوة الغرباء ، ويمنع ايضاً الذين يريدون قبولهم ويطردهم من الكنيسة » قيل انه كان رئيساً في كنيسة قورنثس او أسقفاً من الامم ممن ارتدّ الى الايمان ولم يكن يقبل عنده احداً لا من الرسل ولا من غيرهم لاسيما المتنصرين من اليهود ، اعجاباً منه بنفسه .

الفصل الحادي والثلاثون

في كنيسة اورشليم وانتشار النصرانية في فلسطين

لقد علمت آنفاً ان الدين المسيحي المقدس ، خفقت اعلامه في اول أمره فوق اورشليم ، مدينة السلام ومهبط الوحي فكانت ارجاء تلك المدينة الجالسة في جنات الانبياء ، اول من ردّد صدى صوت فادينا يسوع

عزّ وجلّ ، ذلك الصوت الآلهي العذب اللطيف ، وهو يصدح بالحق ويهدي الى طريق الحياة . وهي اولى المدن التي ذاقت حلاوة المسيح قبل العالم بأسره ، وطوّقت جيدها بقلادة البشرى الانجيلية النفيسة ، ورعت في مروج الخلاص بين ورود الشارون وسوسن الاودية (١) وصعدت مع الفادي على جبل الاطياب والى حديقة ايمانها نزل حبيب النفوس ، ولهذا بحقّ دُعيت صهيون أمّ الكنائس ، وعند ابوابها كل النفائس ، لان منها طلعت الشريعة وانبثقت كلمة الرب .

وهي التي شهدت حلول الروح القدس وسمعت خطب الرسل الاطهار معاينةً تلك الاعاجيب البواهر التي اجترحوها بفضل من الله سبحانه ، تأييداً لحقه ونصرة لبيعته ، فنقشت على قلبها ذكرى آيات النصرانية العجيبة واسرارها السامية . وفيها عرض الحواريون درر الخلاص الغوالي فصادفت تجّاراً يعدّون بالالوف تهافتوا على شرائها بأغلى الاثمان وأنفس الأعلاق ، حتى بذلوا

---

(١) نشيد الانشاد ٢ : ١ والشارون سهل بين يافا وقيصرية في فلسطين مشهور بخصبه ووروده .

دونها المُهج والاعناق . وفيها أُسست الكنيسة الاولى لملكوت يسوع المسيح الخالد ، فاستوى على كرسيها الرسولي ذلك الصدّيق المنفرد بقداسته والمكلل بدم شهادته ماريعقوب اخو الرب ، وقد اشتدّ حرص المؤمنين الاتقياء على حفظ عرشه الجليل الذي كان يجلس عليه ، حتى اواخر القرن الثالث في ما شهد به اوسابيوس القيسري ونقل عنه العلامة ابن العبري .

فاعظم بها مدينة قدسية فازت من السعادة بأوفى نصيب . ولاجل ذلك طوّبتها الامم قاطبة وأقبل اليها ملوك الارض بتيجانهم وهداياهم وحجّت اليها شعوب المعمور بقرابينها . وأكرم بترابها النقي الذي تطهر بالدم الآلهي المهراق في سبيل خلاص البريّة ، وتبرّك بدماء ابكار شهداء الحمل الآلهي ، اسطيفانس ويعقوب الكبير ويعقوب اخي الرب وسمعان ابن قليوفا .

فأفقهْ ايها المسيحي هذا واعرف قدر مدينة الصليب ومفخرة النصرانية التي استهوت قلوب كل من آمن بابن الله المتجسد ، وأسرت افئدة سائر من اعتصم بانجيله واستمسك من دينه الصحيح بالعروة الوثقى . حامداً من

شرّفها بمهده الكريم وضريحه المقدس وموطن صعوده العجيب الى السماء ، وليهف قلبك في أثر معالمها النبوية ومواطنها الرسولية وليكن لها ابداً من نفسك موضع خطير ومن قلبك مكان فسيح .

وانتشرت النصرانية في انحاء اليهودية والجليل بانذار الرسل بطرس ويعقوب الكبير ويوحنا وتوما ومتى ويعقوب بن حلفى وماتيّاس ويعقوب اخي الرب والشماسين اسطيفانس وفيلبس وغيرهم من المبشرين . فنشأت جماعات المؤمنين والبيع في السامرة وهي سبسطية ولُدّ وشارون ويافا وقيسرية وصور وصيدا وعكا والرامة وغزّة واشدود وسائر البلاد التي على ساحل البحر وصرّح اوسابيوس في كتاب الظهور الآلهي : ان اهل قيسرية فلسطين يذكرون ان مار بطرس انشأ بيعتها وما اتصل بها من الكنائس (سفر ٤ ف ٦) وكان معظم المتنصرين من بني اسرائيل . وخرج من قيصرية وصور وصيدا وبيروت مبشرون الى البلاد العليا الشمالية . وكان اساقفة اورشليم الاولون من اهل الختان وفي سنة ١٣٥ بدأت سلسلة الاساقفة الذين نشأوا من الامم .

واول الاساقفة الذين حفظ التاريخ اسماءهم بعد اساقفة المدينة المقدسة هم ثاوفيلس اسقف قيسارية وقاسيوس اسقف صور وكلاروس اسقف عكا سنة ١٩٠

الفصل الثاني والثلاثون

في نشأة كنيسة انطاكية

ان كنيسة انطاكية هي اولى الكنائس المسيحية واقدمها واشهرها بعد كنيسة اورشليم . ولها الفخر بكونها المصدر الاول للاسم المسيحي الشريف والمهد الحقيقي للنصرانية في الشرق . واول من آمن فيها اليهود ثم الوثنيون اليونانيون .

وذلك انه حينما اضطهد اليهود كنيسة اورشليم حوالي سنة ٣٤ وتبدد المؤمنون في بلاد اليهودية والسامرة ما خلا الرسل ، توجه بعض التلاميذ المبشرين الى فينيقية وقبرس وانطاكية (سورية) يدعون اليهود فقط الى الايمان . وكان منهم تلاميذ قبرسيون وقيريانيون (من مدينة القيروان في افريقيا الشمالية) فدخلوا مدينة انطاكية

وبشّروا اليونانيين لاختلاطهم بهم ومعرفتهم طباعهم ، وكانت يد الرب معهم فآمن به خلق كثير. ولما بلغ خبرهم الى كنيسة اورشليم أرسل اليهم القديس برنابا المبشر احد السبعين ، ففرح بهم ووعظهم في الثبات على الايمان فآمن بالرب جمع غفير ايضاً . ثم توجه الى طرسوس وجاء بصديقه شاول (القديس بولس) علماً منه بتوقّد غيرته وتمام عزيمته وسعة علمه ونفاذ بصيرته ، ومكثا سنة كاملة في تلك الكنيسة الانطاكية التي تعدّ الكنيسة الاولى للامم وعلّما جمعاً كثيراً . وبعثت هذه الكنيسة على ايديهما صدقة الى فقراء بيعة اورشليم ، وهي اول من فعل ذلك . ولما عادا اليها استصحبا يوحنا الملقب مرقس . وحينئذ أوحى روح القدس الى المبشرين القديسين الانبياء والمعلمين سمعان نيجر ولوقيوس القيرواني ومناين ، فميّزوا برنابا وشاول لعمل التبشير الذي دعاهما اليه روح الرب فصاموا وصلّوا ووضعوا عليهما ايديهم اي ساموهما أسقفين وذلك سنة ٤٢

وزار القديس بطرس هامة الرسل انطاكية ووعظ اهلها وهدى فيها خلقاً وعمّدهم ، واسس فيها كرسيه

الرسولي وهو اول الكراسي الرسولية العظمى . وقد أجمع على هـذه الحقيقة التاريخية الراهنة والتقليد القديم نخبة من جلّة العلماء الاقدمين وجمهور المفسرين والمؤرخين السريانيين المدققين منهم : العلامة اوريجانس (٢٥٤ +) في الخطبة السادسة من شرحه لانجيل مارلوقا ، واوسابيوس القيسري ابو التاريخ الكنائسي (٣٤٠ +) بقوله في الخرونيقون « في السنة الرابعة بعد الصعود نادى بطرس بكلمة الرب في انطاكية العاصمة الكبرى وصار اول اساقفتها (ج ١ ك ٢ ص ١٥٢ طبعة شون Schone في برلين سنة ١٨٦٦) وقال في تاريخه البيعي « واغناطيوس الذائع الصيت حتى اليوم عند كثيرين صار في بيعة انطاكية أسقفاً خليفة لبطرس » اي بعد افوديوس (ك ٣ ف ٣٦) وقال في كتابه : الظهور الآلهي « وشواهد ما سلّمه شمعون (سمعان) حينئذ هي البيع الظاهرة حتى اليوم الملآنة اسماكاً ناطقة اكثر من تلك السفن ، كهذه البيعة التي في قيسرية فلسطين وهذه البيعة التي في انطاكية سورية وهذه التي في مدينة رومية . فان (اهلها) يذكرون ان شمعون انشأ هذه البيع وجميع الكنائس التي في نواحيها

(سفر ٤ ف ٦) والقديس افرام السرياني الملفان (٣٧٣ +) بقوله في اخبار الرسل ص ٢١ « شمعون الصفا زعيم الرسل من بيت صيدا بعدما عمّد قرنيليوس واهل بيته ، دخل الى انطاكية سورية وبشّر فيها بالانجيل وتلمذ وعمّد خلقاً كثيراً ، وهو اول من بنى فيهـا بيعة وجلس على العرش الرسولي وصار فيها الاسقف الاول (البطريرك) وتلمذ فيها سنة وهي الاولى لملك قلوديوس » وصاحب التاريخ الفصحي المؤلّف حوالي سنة ٣٧٥ بقوله « ان بطرس كان اول اساقفة انطاكية » والقديس الذهبي الفم (٤٠٧ +) بقوله في حق مار اغناطيوس النوراني خطبة ٤٥ « انه تسقّف ليشغل المكان الذي تركه بطرس » وفي خطبة تلاها على اهل انطاكية « لقد امتازت مدينتنا بحصولها منذ البدء على هامة الرسل معلّماً » وذكر هـذا ايضاً المعلم هيرونيمس اللاتيني (٤٢٠ +) في تفسير رسالة غلاطية وفي العدد الاول من كتابه : الرجال المشاهير في ترجمة مار بطرس .

وجاء في رسالة يوحنا الانطاكي ومجمعه وقد كتبت حوالي سنة ٤٤٠ « ان الشهيد الكبير اغناطيوس وهو

الثاني بعد بطرس هامة الرسل ، سامه الرسل أولاً لكرسي انطاكية » وتجد العبارة نفسها في بعض كتب اوريجانس . وقال أساقفة المجمع الانطاكي الذي عُقد فيها سنة ٥١٢ في رسالتهم الى يوحنا الثاني بطريرك الاسكندرية « لقد استعاد عرش بطرس ما اختصّ به من القوة » .

وقال مار سويريوس الانطاكي (٥٣٨ +) في خطبته الحادية والستين ص ٢٦١ « اذ كانت انطاكية اولى الكنائس المقدسة التي تأسست في سائر جهات العالم (بعد اورشليم) وهي الاولى التي اتخذت لها راعياً وبعلاً (روحياً) ومؤسّساً ، ذلك الذي سمع (قول الرب) انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي وابواب الجحيم لن تقهرها ، والذي تناول مفاتيح ملكوت السماء . فاتبعته راعياً وساكنته بعفّة بعلاً روحياً ناسجة في سلوكها على منواله ، وخزنت في كنوزها الاساس الذي وضعه بانياً » وقال فى خطبة ٥٦ ص ٧٧ « البيعة الرسولية المبنية في مدينة انطيوخس تتوجه الى عمانوئيل هاتفةً مع بطرس » وسمّاها في خطبة ٦١ « الشريفة والجليلة ام الكنائس » وقال في رسالته الى الاسقف ديدومس وهي

الرسالة ٥٧ ص ١٩٣ « واغناطيوس ايضاً ذلك الاسقف العظيم الشهيد الذي رعى بيعة الانطاكيين بعد بطرس رئيس مصاف الرسل » وفي رسالته الى الشماسة انسطاسية وهي ٦٩ ص٩٧ « وقد ذكر في رسالته الى اهل مغنيسيا ، الحامل الآله ، اغناطيوس الذي زيّن الكرسي الانطاكي ، الكرسي الاول لبطرس رئيس الرسل وأحرز اكليل الشهادة » وفي خطبه ٥٣ و٨١ و٨٧ ورسالته ٩٩ وردّه على يوليان ج ١ ص ١٤٠ نعت مار بطرس بالرئيس وهامة الرسل وزعيمهم ورئيس طغمتهم ومقدّم مصافّهم . كما سبق مار افرام في بعض اناشيده المعروفة بالسريانية بالمداريش فقال « طوبى لك يا شمعون كيفا لصيرورتك بمثابة رأس ولسان لجسم اخوتك (مداريش البتولية واسرار الرب ١٥ - ٧) ومار يعقوب السروجي الملفان (٥٢٣ +) بقوله في ميمر : سقوط الاصنام « لقد ولول الشيطان في انطاكية متأوّهاً من شمعون اساس البيعة » وفي ميمر : توما الرسول « قام شمعون كيفا رئيس التلاميذ مقام زعيم » ج ٣ ص ٨١٢ و٧٣١) .

وانما اختلف المؤرخون في تعيين تاريخ قدوم مار

بطرس الى انطاكية ، ففريق يرى انه زارها مفتقداً اليهود الذين آمنوا فيها على ايدي المبشرين الاولين القبرسيين والقيريانيين ، وعلى هذا تُخرَّج رواية اوسابيوس انه توجه اليها حوالي سنة ٣٦ او ٣٧ ثم شخص اليها برنابا فبولس فزادا عدد المؤمنين في الكنيسة التي استحدثت من الامم — ويرجّح فريق ان زيارته الاولى لها كانت في حدود عام ٤٣ ثم زارها ثانية حوالي سنة ٥٣ وماربولس فيها ، وقد شهد بذلك في رسالته الى اهل غلاطية ٢ : ١١ — واجترحا جملةً اعجوبة احياء ميت حوّل بيته بيعة كما مرّ بك آنفاً . وكان الرسولان بولس وبرنابا قد وافيا اليها وأقاما فيها زماناً غير يسير سنة ٥٠ وحينما قامت فيها المنازعة بسبب الرسوم الموسوية انطلقا الى اورشليم ، ورفعا القضية الى مجمع الرسل والقسوس وعادا اليها مع مار يهوذا برسابا ومار سيلا النبيين المعلمين اللذين حملا حكم المجمع اليها والى الشام وقيليقية . وقيل ان القديس يوحنا الرسول ايضاً افتقد بيعة انطاكية .

واختلفوا ايضاً في المدة التي قضاها هامة الرسل في انطاكية ، فقال قوم انها سنة وزعم اخرون انها سبع

سنوات ولعل هذه تشمل الزيارتين .

ودانت لكرسيها الرسولي ، بلاد الشام وفلسطين وقيليقية وبعض من بلاد آسيا الصغرى ، وما بين النهرين وبلاد فارس بأسرها . واستعملت الكنيسة الانطاكية اقدم الليتورجيات اي صلوات القداس التي وضعها القديس يعقوب اخو الرب باللغة السريانية (١)

---

(١) اعلم ان المصادر السريانية التي استندنا اليها وردت في نسخ عريقة في القدم واكثرها لا تجد له مثيلاً في عتائق مخطوطات النصرانية . فتاريخ كتاب الظهور الالهي لاوسابيوس سنة ٤١١ للميلاد وتاريخه البيعي كتب سنة ٤٦٢ م واخبار الرسل لمار افرام ولم يحفظ فيها سوى سيرة مار بطرس ، وقعنا عليها في كتاب القوانين البيعية في باسبرينه من قرى طور عبدين في نسخة اسطرنجيلية نفيسة خطت في اواسط القرن التاسع وقد نشرناها في تاريخ مختصر قديم عام ١٩١٤ (Cor. SCR. C. O.) وكذلك رسالة المجمع الانطاكي عام ٥١٢ لكنها لم تنشر ، ومداريشه في البتولية محفوظة في نسخة انجزت سنة ٥٢٢ وقد نشرت . وميامر مار يعقوب السروجي محفوظة في مجلدات نفيسة في خزانتنا القدسية المرقسية نظنها من القرن التاسع والعاشر وقد اشرنا الى المطبوع منها . وخطب مار سويريوس التي نشرتها جمعية فرنسية باسم Patro. or. منقولة الى الفرنسية خطت احدى نسختيها عام ٨٦٨ والثانية هي اقدم منها . ورسائله التي نشرها المستشرق

الفصل الثالث والثلاثون

في نصرانية بلاد الشام

ان بلاد الشام من بواكير البلاد التي تشرفت وسعدت بالدين المسيحي. فقد أخبرنا كتاب اعمال الرسل: ان القديس حنانيا التلميذ المبشر (وهو من السبعين) كان قد أُرسل الى مدينة دمشق قبل استشهاد مار اسطيفانس الذي حدث سنة ٣٤ وصار فيها تلاميذ يؤمنون بالرب يسوع. وهو الذي اوحى له السيد المسيح فعلّم مار بولس اصول الايمان وعمّده، ولوقته اخذ بولس ينادي بيسوع في المجامع ان هذا هو ابن الله ويبرهن

بروكس في اربعة مجلدات ونقل اثنين منها الى الانكليزية، تتراوح نسخها بين القرن السادس والعاشر. وترانيمه البيعية اي المعانيث حفظت في نسخة مستطرفة تحمل تصحيح العلامة مار يعقوب الرهاوي بخطه عام ٦٧٥ وهي مطبوعة. فتأمل هذه الطُرَف السريانية النادرة التي صبرت على ممرّ العصور وجاءتنا بانصع الشواهد فعزّزت تاريخ النصرانية واعتبر بما لعلماء السريان فيها من ايادٍ بيضاء.

لليهود انه المسيح المنتظر . وبعدما توجه الى بلاد العرب عاد الى دمشق ايضاً بشيراً بالانجيل ونذيراً فائتمر اليهود على قتله وحادثوا والي المدينة بامره وكانت دمشق يومئذ قد خضعت لسلطة الحارث الرابع ملك الانباط . فدلّى التلاميذ الرسول من كوّة في زنبيل من السور . وأنبأنا التقليد التاريخي القديم ان القديس حنانيا قضى في دمشق او بعض ضواحيها شهيداً .

وأخبرنا كتاب الاعمال نفسه ان بعض التلاميذ الذين شتتتهم شدّة اليهود على أثر استشهاد مار اسطيفانس بشّروا بالايمان في فينيقية . واعلمنا مار بولس في رسالته الى اهل غلاطية انه بعدما غادر اورشليم حوالي سنة ٣٧ — ٣٨ أتى الى بلاد سورية وقيليقية وكانت كنائس اليهود المتنصّرين وقد سمعت انه يبشّر بالايمان الذي كان له ناقضاً في ما مضى تمجّد الله بسببه . وقد مرّ بك ان حكم المجمع الرسولي عام ٥١ وجّه الى الاخوة الذين في الشام فضلاً عن اهل انطاكية وقيليقية . وقبيل ذلك اجتاز وفد الكنيسة الانطاكية وفيهم بولس وبرنابا ، في فونيقيّة وهم يخبرون الاخوة بتوبة الامم الوثنية واقبالها

الى النصرانية فسُرّوا سروراً عظيماً . وفي سنة ٥٣ طاف بولس وسيلا بلاد الشام وثبتا الكنائس وحوالي سنة ٥٨ حينما بارح رسول الامم مدينة افسس للمرة الاخيرة اقبل الى الشام اي سورية فاجتمع بالتلاميذ في مدينة صور واقام معهم سبعة ايام ثم جآء عكّا فسلّم على الاخوة ونزل عندهم يوماً واحداً ثم مكث في قيصرية فلسطين اياماً كثيرة .

وجآء في التقاليد والاخبار الكنسية القدمى : ان بشارة الانجيل المقدس في سورية سُمعت ايضاً بألسنة الرسل مار سمعان الغيور ومار يهوذا (تدّاوس) ومار ماتيّاس . وان مار سمعان بشّر في منبج وحلب كما بشّر فيها ايضاً طيمون احد الشمامسة السبعة . وان مار يهوذا دعا الى الايمان اهل جزيرة ارواد وبيروت ، واستشهد في احداهما . وان كيفا المبشر احد السبعين نادى بالانجيل في بعلبك وحمص والرستن وحماه وتوفي في مدينة شيزر . فضلاً عن طواف مار بطرس في طرابلس وجزيرة ارواد وغيرهما من بلاد الشام وأسس الكنائس التي في نواحي انطاكية كما رأيت اعلاه وصرّح مار سويريوس في خطبة ٦١

بالأصل الرسولي الذي تتحدّر منه بالتسلسل كنائس المدن اللائذة بالكرسي الانطاكي . ومن مدينة حمص نشأ انيقطس اسقف رومية (١٥٥ – ١٦٦ +) وبشّر يوسي في درعا وطيمون في بصرى . وحسبك بهذا حجة ثابتة على قِدم انتشار الدين المسيحي القويم في بلاد الشام ونشأتها الرسولية منذ فجر النصرانية .

الفصل الرابع والثلاثون

في الاضطهاد الثاني سنة ٩٥ – ٩٦

كانت الكنيسة المقدسة بعد هلاك نيرون قد استراحت نحواً من سبع وعشرين سنة . لكن الحقد والخوف والطمع دفع القيصر دومطيانس ابن وسبسيانس وشقيق تيطس الى اثارة الاضطهاد عليها في اواخر ايّامه . وبعدما كان في اول امره ممدوحاً ومغبوطاً بحسن سياسته ، انقلب وانغمس في المظالم وجدّد الجزية على اليهود على أثر نزول الضائقة بخزانة دولته ، لاموال جليلة انفقها على العمارات الكبيرة وسواها .

في سنة ٩٥ أمر بقتل ابن عمه القنصل فلافيوس قليميس ونفى زوجته فلافيا دومتيلاّ نسيبة (القيصر) الى جزيرة فنداتاريا . وذلك من اجل انضمامها الى النصرانية اذ ساء ظنه فيها ورأى في اعتناق فلافيوس الدين المسيحي هدفاً سياسياً . وكان قد تبنّى ولديه واعتنى بتهذيبهما وترشيحهما للملك بعده : لكنه انقلب ايضاً عليهما فقتلا - ونفى ايضاً دومتيلاّ الثانية ابنة اخت الشهيد فلافيوس قليميس الى جزيرة فونتيا ، وعُوقب كثيرون غيرهم اما بالموت او مصادرة الاموال لقبولهم العادات اليهودية ، واستشهد كثيرون من المسيحيين . ومن اشهر ضحايا هذا الاضطهاد القديس ديونيسيوس الاريوفاغي أسقف اثينا ، والقديس انتيباس اسقف برغامس الذي نوّه به صاحب الرؤيا بقوله « ولم تجحد ايماني حتى في الايام التي فيها كان انتيباس شهيدي الامين المقتول عندكم » فانه كان يبشر علانية بالمسيح في برغامس التي كان اهلها منعكفين على عبادة الاصنام أشدّ من اهل آسيا كلهم . واضطر الشياطين الى الاقرار بانها تخرج من الناس بواسطة دعائه باسم يسوع . فقبض الوالي عليه

وانزل فيه عقاباً شديداً وساقه الى هيكل ارطاميس وسجنه فكتب اليه القديس يوحنا الانجيلي يعزّيه ويقرّظه ويشجّعه — ثم عمد الوالي الى ثور من نحاس اوقد تحته النار وقوداً شديداً حتى كاد يتّقد ، وجعل الشهيد فيه . فكان وهو داخله يسبّح الله ويشكره لانه اهّله للاستشهاد حتى فاظت نفسه النقّية فرمى الكفّار بجسده الطاهر فأخذه المؤمنون ووضعوه في البيعة — وامتدت الشدّة الى ازمير وانطاكية . وكان القديس اغناطيوس النوراني في اثناء هذه العاصفة يدفع بعزيمته خطر ضعف الايمان عن مسيحيي انطاكية . وجاهد في هذه الشدة ايضاً القديس يوحنا الرسول .

وكان اضطهاد دومطيان قصير الأمد . فانه حينما داخلهُ الخوف على عرشه وقد حاوطته الشوائع عن مُلك السيد المسيح ، استقدم الى رومية على ما نقل هجسيبُس : ابنين ليهوذا اخي الرب بحسب الجسد ، وسألهما عن نسبتهما الى داود الملك وعن مملكة يسوع . فأجاباه ان الرب يسوع من سلالة داود ، ولكن مملكته ليست من هذا العالم وانها سوف تكمل في انقضاء الازمان . واخبراه انهما يعيشان

من تعب ايديهما التي كانت بادية عليها آثار الخشونة والعمل. فهان امرهما عنده واطلق سبيلهما وكفّ عن الاضطهاد. فلما عادا الى اورشليم شرعا بافتقاد الكنائس التي انزلتهما منزلة المعترفين بالايمان.

الفصل الخامس والثلاثون

في القديس ديونيسيوس الاريوفاغي سنة ٩٥

حينما كان رسول الامم يبرهن لاهل اثينا على ان الآله الذي يعبدونه وهم يجهلونه، هو الآله الحقيقي الذي به يبشّر الرسول، حركت نعمة الله قلوب اناس منهم لزموه فآمنوا. وكان احدهم ديونيسيوس قاضي قضاة العلماء في محفل آريوس فاغوس. وتتلمذ للرسول الذي أرشده وعلّمه اسرار الديانة السامية، فرسخ في معرفة قواعد الايمان والتعليم الانجيلي، حتى استحق ان يُسام اسقفاً على اثينا مدينة العلم والفلسفة. وشهد القديس ديونيسيوس اسقف قورنثية في رسالته الثانية التي بعثها الى اهل اثينا مع رسائله السبع الجامعة انه كان اول اسقف

جلس على سدة مدينتهم .

وكان القديس ديونيسيوس احد الرجال الرسوليين الشائع صيتهم ، نظراً الى قداسته وغيرته وعلومه وتآليفه . وشاهد والدة الآله الطوباوية في حياتها مرّة . وبعدما احسن الجهاد ختم حياته بالاستشهاد المجيد في اضطهاد دومطيانس سنة ٩٥ وذكر استشهاده ارستيد في احتجاجه الذي صنّفه سنة ١٢٥ — وقد صنف القديس المترجم كتاباً جليلاً فسّر فيه الاسماء الالهية ونظام رئاسة الكهنوت وغير ذلك بانشآء عالٍ صار موضوعاً للجدل من حيث صحة نسبته اليه وليس هنا مكان تفصيل ذلك .

الفصل السادس والثلاثون

في جهاد القديس يوحنا الانجيلي وبعض فضائله

لمّا اضطهد دومطيان المسيحيين استقدم الى رومية القديس يوحنا الرسول الانجيلي وغطّسه في خِلْقين مملوء زيتاً مغلياً . فخرج منه الرسول بنعمة الله بلا أذى ، فنفاه الى جزيرة بطمس . وفيها كان يسمع اخبار التنكيل

الذي نزل بالمسيحيين وهناك كتب سفر الرؤيا بوحي آلهي تشجيعاً للمؤمنين وأشار فيه الى هذا البلاء . وحكى عنه اقليميس الاسكندري انه بعد هلاك دومطيانس ، رجع الى افسس وكان ينطلق الى بلاد الامم اجابةً الى سؤال المؤمنين ، تارة لكي يبني كنائس وحيناً ليقيم فيها أساقفة ، وطوراً ليمنح بوضع يديه بالهام من روح القدس مَن بهم الجدارة بعض رتب البيعة . ومن ذلك انه جاء مدينة تبعد قليلاً عن افسس وأتمّ رغائب الاخوة كلها . ورأى ثمّ شاباً قوي الجسم وسيماً فسلّمه الى عهدة اسقفها وأوصاه بالعناية به . فأخذه الاسقف الى بيته واعتنى بـه وعلّمه اصول الايمـان وعمّده ، ثم تركه لشأنه معتبراً ان ختم العماد يحرسه . على ان الفتى سقط في مفاسد شبان من اهل البطالة والدعارة فانضم اليهم واصبح معهم رئيس عصابة لصوص — وبعد مدة من الزمان رجع الرسول الى تلك المدينة لافتقادها بدعوة من اهلها ، ولما انتهى من عمله سأل الاسقف عن تلك الوديعة فبكى الاسقف وقال له ان الشاب قد مات . فلما استوضح منه جليّة الخبر وعلم انـه يقصد الموت الادبي لا الطبيعي لابتعاد الشاب عن

طريق الله بعوده الى سيرته الاولى ، هتف الرسول قائلاً : عليّ بفرس ودليل ثم ركب ومضى يبحث عنه في المغاور والجبال . فلما قرب الرسول منه وعرفه الشاب هرب فأخذ الرسول يصيح به راكضاً : قف يابنيّ ولا تعنّ شيخوختي . فوقف الشاب مكانه خجلاً . فعانقه القديس ولاطفه وقال له لا تخف يابنيّ فان لك رجآء في الخلاص وانا اجاوب المسيح عنك ، واذا اقتضى الامر فاني اموت من اجلك فرحاً مثلما مات المسيح من اجلنا . فقم وكفّ عمّا انت فيه وصدّقني ان المسيح ارسلني اليك . وعاد به وارشده الى طريق التوبة وكان يعزّيه ويقوي قلبه بالصلوات الدائمة التي كان يرفعها من اجله ، والاصوام التي يُعني بها معه وانواع المحادثة اللائقة به . ولم يبرح المدينة حتى سلّمه الى الكنيسة وقد قدّم برهاناً ثابتاً على صحة توبته .

ولما رأى بعد عودته الى افسس سوء أثر الفلسفة الاسكندرية في الشعب المسيحي ، بما اذاعه فيها مبتدع مصري يهودي الاصل اسمه قيرنثس كان ينكر لاهوت السيد المسيح ، سأله اساقفة آسيا ان يكتب انجيله فأجاب

الى طلبتهم بعد ما كتب رسالته الاولى وصرّح فيه بلاهوت المسيح ودوّن فيه اعمال فادينا قبل تسليم مار يوحنا المعمدان مما لم تذكره الاناجيل الثلاثة السابقة . ولاجل سموّ افكاره سمي النسر اللاهوتي وكان تأليف انجيله على الارجح سنة ٩٨

قال اوسابيوس القيسري : كان القديس يوحنا الحبر المكلّل باكليل القُدس شديد الكراهة للهراطقة . فقد حدّث عنه مار ايرناوس نقلاً عن تلميذه مار بوليقربوس ، انه دخل يوماً حمّاماً ليستحمّ ولما عرف ان قيرنثس المبتدع فيها ، نهض عن مكانه وأسرع الى الباب هارباً ولم يحتمل ان يكون تحت السقف الذي يظله وقال « لنهرب لئلاّ يسقط الحمّام الذي فيه قورنثس عدوّ الحق » وكان عمله هذ مقنعاً لصحبته لنبذ معاشرة اهل البدع .

وروى افولونيوس الكاتب الكنائسي ، ان القديس يوحنا أحيا ميتاً في مدينة افسس . ولم يزل دائباً في الرسالة الانجيلية حتى نقله الله الى فردوسه السموي ، وذلك في مدينة افسس حيث دُفن جسده المقدس في عهد الملك طريانس بين سنة ١٠٠ - ١٠٤ وقد أربى عمره على التسعين

وقضى منها ثلاثاً وسبعين سنة في الخدمة الرسولية . وكثيراً ما كان يعظ الشعب ويحثهم على فضيلة المحبة لله وللقريب حتى سُمّي رسول المحبة . ومن اشهر تلاميذه القديسان اغناطيوس النوراني بطريرك انطاكية وبوليقربوس اسقف ازمير . ويوحنا القسيس المعروف بالشيخ وضريحه في مدينة افسس ، وقد سمع منه بابياس اسقف هيرابليس وروى عنه كما روى عن اريسطون القسيس . والاظهر انه اريسطون الفلّي الفلسطيني صاحب المحاورة بين ياسون وبابسقوس ، وستقف عليه بين اصحاب الاحتجاج عن النصرانية .

الفصل السابع والثلاثون

في القديس اقليميس الروماني سنة ١٠١ ومعالجة الخِلف في كنيسة قورنثس

القديس اقليميس (كلينظوس) الروماني هو من اعظم الاحبار الرسوليين في صدر النصرانية . قال بعض المؤرخين انه روماني المولد والمنشأ ، وذهب غيرهم انه

كان هو او ابوه مولىً (اي عبداً) لأسرة فلافيا فعُتق . وقال بعضهم انه كان وثنياً وظنه قوم يهودياً ، فاسعده الحظ وفاز بنعمة الله بالاهتداء الى الدين المسيحي المبين على يدي الرسولين المعظمين مار بطرس ومار بولس فعاشرهما واخذ عنهما واقتبس منهما روح الصلاح والقداسة والغيرة الرسولية . ولم يبرح من ذاكرته ، حياتَه كلها ، صدى اقوالهما الخالدة ، لاسيما تعاليم مار بطرس الذي أقام معه زماناً مديداً على ما صرّح به ابن العبري ويشوعداد المروَزي . وذهب اوريجانس ، وتابَعَه بعض قدماء المؤرخين ، انه اقليميس الذي جاهد في التبشير مع مار بولس في مدينة فيلبي ، فجعله الرسول من جملة أعوانه الذين اسماؤهم في سفر الحياة . وذكر يشوعداد ، انه جادل سيمون الساحر جدالاً عنيفاً .

ولما استوفى الاسقف اناقليطس (قليطس) حياته اختير مار اقليميس ليخلفه في رئاسة الكرسي الروماني حوالي سنة ٩٠ او ٩٢ فدبره تدبيراً رسولياً زهاء تسع سنوات واستوفى حياته سنة ٩٨ او سنة ١٠١ وكان حبراً قديساً مشهوراً باذلاً قصارى جهده في نشر البشارة

الانجيلية وارشاد المؤمنين . وسار له في الكنيسة ذكر عاطر ، وقال بعضهم انه ختم حياته بالاستشهاد . وكتب باسم كنيسة رومية رسالة الى كنيسة قورنثس وهي جليلة مطولة تحوي خمسة وستين فصلاً وبعث بها مع ثلاثة رجال .

وذلك ان شقاقاً حدث في كنيستها بين سنة ٩٥-٩٨ من قِبل بعض المضلّين الذين قاوموا القسوس ذوي السيرة الصالحة ، بحِيَل وتهم باطلة حتى عزلوهم من وظائفهم . فكتب اليهم مار اقليميس ودعاهم الى السلام وحثهم على المحبة والتوبة والطاعة والتواضع والايمان . وبرهن في رسالته عن صحة القيامة . وذكر ان السيد المسيح هو الذي رتّب الرسل ، وان الرسل هم الذين اقاموا الاساقفة والشمامسة ، وهؤلاء انتخبوا خلفاءهم . فاذاً الله نفسه هو واضع نظام الرتبة الكنائسية فيجب الخضوع والطاعة لهؤلاء المنتخبَين . وختم رسالته محرّضاً اياهم على الاتحاد ونوّه بذكر الاضطهادين اللذين اصابا الكنيسة وما ابداه الشهداء الرومانيون من الرجال والنساء من صدق الشهادة ، ويذكر الرسولين بطرس وبولس اللذين استشهدا .

وهذه الرسالة النفيسة هي اقدم شاهد ابوي للنظام الكنائسي وحقوقه الالهية . وقد حلّت لدى الكنيسة اجلّ محلّ من الاعتبار ، فكانت تُقرأ في الكنائس حتى القرن الرابع . وُينسب الى القديس اقليميس رسالة ثانية الى اهل قورنثس انفسهم ، كما نُسب اليه رسالتان مسهبتان في آداب النسك وخطب اخرى وقد ثبت انها أُلفت وُنحلت اسمه في اواخر القرن الثاني واوائل الثالث . وقيل انه نقل رسالة مار بولس الى العبرانيين من العبرانية الى اليونانية .

الفصل الثامن والثلاثون

في كتاب العهد الجديد وكتب النصرانية الاولى

يشتمل كتاب العهد الجديد المقدس على سبعة وعشرين سفراً ، هي الاناجيل الاربعة : انجيل متى وانجيل مرقس وانجيل لوقا وانجيل يوحنا ، واعمال الرسل « او قصص الرسل » (الابركسيس) والرسائل البولسية ، ورسائل ماريعقوب ومار بطرس ومار يوحنا ومار يهوذا

ورؤيا مار يوحنا اللاهوتي .

اما الانجيل المقدس ، فقد كتبه بوحي الروح القدس اثنان من الرسل وهما : مار متى الذي كتبه باللغة العبرانية وهي السريانية الفلسطينية سنة ٤٣ وقيل سنة ٣٩ ومار يوحنا الذي كتبه باللغة اليونانية بين سنة ٩٦—٩٨ واثنان من المبشرين وهما مار مرقس وألّفه باليونانية حوالي سنة ٥٠ ومار لوقا وكتبه باليونانية نحو سنة ٥٨ وسفر اعمال الرسل كتبه مار لوقا سنة ٦٢ او ٦٣ وضمنه شيئاً من احوال الكنيسة الاولى ومعظم اعمال مار بولس بنوع خاص .

واما رسائل القديس بولس الرسول فهي اربع عشرة رسالة كتبها باليونانية والاخيرة وهي رسالته الى العبرانيين نُقلت الى العبرانية في زمانه . ورسائل الرسل المعروفة بالقاثوليقية او الجامعة ، هي سبع : اثنتان لمار بطرس وثلاث لمار يوحنا ، ورسالة لمار يعقوب الصغير اخي الرب ورسالة لمار يهوذا الرسول . وسفر الرؤيا ألفه القديس يوحنا الرسول سنة ٩٥

واما كتب النصرانية الاولى فهي رسالتان للقديس اقليميس اسقف رومية الى اهل قورنثية ، وكانتا ولاسيما

الرسالة الاولى تقرآن في الكنيسة مع الكتاب المقدس في القرون الاولى .

وسبع رسائل للقديس اغناطيوس النوراني اسقف انطاكية بعث بها قبيل استشهاده حوالي سنة ١٠٧ الى اهل افسس ومغنيسية وترلاّ ورومية وفيلادلفية وازمير والى اسقفها القديس فوليقرفس وهي رسائل جليلة جداً ذات عبْقة رسولية .

وتعليم الاثني عشر رسولاً وهو نبذة ثمينة تشتمل على عشر صفحات مقسمة الى ١٦ فصلاً لكاتب مجهول من رهط اليهود المتنصرين - حفظة الرسوم الموسوية بعد التنصّر - وضعه في انطاكية او مصر بين سنة ٧٠ - ١٠٠ في رأي بعض المعاصرين او بين سنة ٥٠-١٦٠ على رأي سواهم يشرح فيه الحياة المسيحية وفيه صدى التقاليد السابقة زمانه .

والرسالة المنسوبة الى القديس برنابا التى كتبت سنة ٩٦ او ٩٨ او بين سنة ٩٦-١٣١ ألّفها على الاصح في مصر وثنيون متنصرون ناقضوا فيها اليهود المتنصرين في محاولتهم ممارسة الشريعة القديمة واظهروا فيها الغاء تلك

الرسوم وبحثوا طريقتي الفضيلة والرذيلة او النور والظلام .

وماعدا هذه الكتب المقبولة كان الشعب المسيحي الساذج يقرأ ايضاً كتباً صحيحة النص لكنها مشبوهة الاسناد تُعزى الى مؤلف ضعيف . وقد تغاضت الكنيسة الاولى عنها حتى في اجتماعات العبادة ، مجاراة لسذاجة الشعب المسيحي القليل عدده الشديد الرغبة في المسائل الدينية . من ذلك اناجيل مزوّرة وقصص موضوعة ، منها اعمال مار بولس التي وضعها قسيس اسيوي في حدود سنة ١٦٦ حطّ فيها من رتبة الرسول وفرّط في حفظ الآداب . ومنها اعمال يوحنا وبطرس واندراوس وتوما ، وكلها من اوضاع الهراطقة . ويظهر انها كانت رائجة منذ القرن الثالث ثم اندثرت شيئاً فشيئاً .

الباب الثاني

في تاريخ الكنيسة في القرن الثاني

الفصل الاول

في الاضطهاد الثالث

لما هلك دومطيانس سنة ٩٦ خلفه ابنه القيصر نيرون الصغير (نيرفا) وكان عهده القصير الأمد صلاحاً وسلاماً فازداد انتشار الانجيل المقدس في بلاد اسيا الصغرى على يد مار يوحنا الانجيلي .

ولما خلفه طريانس (٩٨ – ١١٧) وكان ابن اثنتين واربعين سنة قليل الثقافة ذا سلطة في الكلام ودقّة في التعبير عن فكره ، اوجس منه المسيحيون خوفاً .

وحدث ان سيقوندس بيلينوس الصغير حاكم بيثينية ، طالعه بأمر المسيحيين مبيّناً صعوبة موقفه ازآء انتشار النصرانية العظيم وطالباً قانوناً يسير بموجبه . ذلك ان

النصرانية كانت تمتد في ولايات آسيا الصغرى بصورة خارقة العادة حتى أقفرت هياكل الوثنية من اهلها .

وشهد بيلينوس ان المسيحيين يجتمعون في ايام معلومة ، قبل طلوع الشمس لينشدوا للمسيح الآله نشيداً ؛ ويتحالفون على ان لا يسرقوا او يلصّوا او يزنوا او يخنثوا في أيمانهم ولا ينكروا وديعة مطلوبة منهم . فأجابه القيصر ان لا يجدّ في أذى المسيحيين ولكن اذا شكُوا بالتفوّه بسبّ الآلهة فليعاقبهم ، فاذا لجأوا الى الآلهة متوسلين فليعفَ عنهم . ومنعه من قبول القصص والعرائض المُغْفَلَة . هذا ما رواه ترتليانس . وكان هذا الامر الشاذ مخالفاً للمنطق مع ان هذا القيصر فرّح رومية باصداره أمراً الى المشيخة الاّ يُقتل رجل صالح . ولكنه أسرّ في نفسه معاقبة المسيحيين لاعتبارهم رعية متمردة على القانون مزعجة للنفوس . ولا غرو فان الرومانيين من عهد نيرون الطاغية ، كانوا يعتبرون المسيحي عدوّاً للتمدن الروماني الوثني ، فهو نازل عندهم منزلة الضغينة للجنس البشري .

وعلى هذه الصورة تتبع طريانس أئمّة النصرانية

بالقتل فاستشهد الحبران القديسان رئيسا كنيستي اورشليم وانطاكية مار سمعان ومار اغناطيوس ، وضمّ اليهما بعض المؤرخين القديس اقليميس الروماني ، والقديس فوقا اسقف سينوب في بلاد البنطس الذي انزل فيه الملك الغاشم صنوف العذابات ، ثم علّقه على خشبة الصليب ثم انزله وسجنه ثم ادخله حماماً شديد الحرارة فاضت فيه نفسه الطاهرة سنة ١٠٤ ودروسيس الفتاة ابنة القيصر دومطيانس رافقت اباها في بعض اسفاره الى انطاكية وآمنت بالرب وتبتلت وعاشرت العذارى المتنسكات ومضت تحمل مع المسيحيين اجساد الشهداء ليلاً ولما أبت انكار المسيح استشهدت امام ابيها وقد قرظها مار سويريوس الانطاكي في خطبته المئة وأنشد فيها ترنيماً .

ومار شربيل كاهن الاصنام في الرها اهتدى الى النصرانية فنكّل به لوسيانا الحاكم ونشره بمنشار وقتل اخته بيبي سنة ١٠٥

واتخذ اضطهاد المسيحيين منذ عهده شكلاً مزمناً نظير حمّى بطيئة تخفّ تارة وتشتد اخرى .

الفصل الثاني

في استشهاد مار سمعان اسقف اورشليم سنة ١٠٦

كان القديس سمعان (شمعون) ابن قليوفا ابن عم القديس يعقوب اخي الرب ، يهودي الجنس من اهل الختان ومن تلاميذ الرب السبعين . ولما استشهد ابن عمه سنة ٦١ اجتمع الرسل القديسون وانتخبوه وساموه مكانه اسقفاً على كرسي اورشليم حوالي سنة ٦٨ فرعى الكنيسة الاورشليمية ثماني وثلاثين سنة بغاية الطهارة ، حتى تكللت حياته المديدة بالاستشهاد - وروى هجسيبوس ان مار شمعون كان من جملة الشهود الذين عاينوا الرب وسمعوه ، بدليل حياته المديدة وبتذكار الانجيل لامّه مريم امرأة كلاوبا (قليوفا) وقد عاش حتى هذا الزمان انسباء ليهوذا احد الذين يُسمّون باخوة الرب ، بعدما أدّوا شهادة الايمان المسيحي في عهد دومطيانس . ثم صاروا ادلاّء لكل كنيسة بصفة شهداء واقارب الرب بالجسد .

وحدث ان بعض الهراطقة شكوا سمعان انه من سلالة داود وانه مسيحي . فلما استدعاه القاضي اليه واستجوبه اعترف بايمانه . فعذبوه اياماً كثيرة فاحتمل ذلك بصبر عجيب . وقدم عن ايمانه شهادة اذهلت العالم كله وُدهش اطيقوس الحاكم لمرآه شيخاً بالغاً من العمر نحواً من مئة وعشرين سنة يحتمل العذاب بمثل هذا الصبر ، وحكم عليه بالصلب ففاضت نفسه على الصليب سنة ١٠٦

الفصل الثالث

في القديس اغناطيوس النوراني سنة ١٠٧

من اشهر احبار العصر الاول المسيحي وأجلّ الرجال الرسوليين واقدسهم سيرة هو القديس اغناطيوس ثاوفورس (اي حامل الآله) النوراني بطريرك انطاكية الثالث . وهو سرياني المحتد على الارجح في رأي (تيلمون) . ومن خبره انه تتلمذ للقديس بطرس ثم ليوحنا الرسول وسامه الرسولان بطرس وبولس اسقفاً على كرسي انطاكية . وخلف القديس افوديوس فيه حوالي سنة ٦٨ فدبّر

الكنيسة الانطاكية نحواً من اربعين سنة ناهجاً مناهج الرسل القديسين ، ومعلماً تعاليم فيها نفحتهم وروحهم كما يتضح من رسائله . واشتهر بنشر البشارة الانجيلية في سوريا ، واثبت هذا مار يعقوب السروجي في ميمره « سقوط الاصنام » (ج ٣ ص ٨١٢) . وخلص البيعة الانطاكية من مغبة شدة دومطيانس وذلك بصلواته وصيامه وبأيد الله سبحانه . وكان مع رسوخه في العلم الديني يتلالأ في نفسه الصافية نور الفضائل السامية ، ويفوح من اردانه شذا الشمائل الكريمة والمكارم الساحرة .

وفي سنة ١٠٧ قدم انطاكية القيصر دومطيانس ، وساءه انتشار النصرانية بمساعي هذا الحبر الرسولي . فحكم عليه ان يساق الى رومية ويطرح في المرسح الروماني (الامفيتآتر) فريسةً للوحوش الضارية . فهش القديس لهذا الحكم وانطلق في طريق البر مصفداً في الاغلال بخفارة عشرة جنود قساة ، ماراً ببلاد آسيا الصغرى . وهرعت اساقفة مغنيزيا وافسس وفيلادلفيا في وفود كنائسها لاستقباله والتبرك به ، والتقاط درر تعاليمه في جميع البلاد التي اجتاز بها . فاغترفوا من بحر علمه الواسع

ومواعظه البالغة ، ونقعوا غليل قلوبهم بزلال تعليمه الرسولي. وواجه القديس فوليقرفوس اسقف ازمير ، وكتب سبع رسائل الى كنائس افسس ومغنيزيا وترّلس ورومية وفيلدلفية وازمير والى اسقفها ، بحث فيها وجوب الثبات على الايمان والابتعاد من الهراطقة والخضوع للاسقف والاتحاد معه ومع القسوس والشمامسة . واثبت ان ذلك امرٌ جوهري لوحدة الايمان والتعليم القويم . وقد تجلّت في رسائله روحه الرسولية . فلا يتمالك قارئها من الشعور في كل فقرة منها ان روح الله يتكلم بلسان هذا القديس العظيم . ومن ابلغها رسالته البديعة الى اهل رومية وهي اجمل جوهرة في قلادة العلوم المسيحية الاصلية ، ناشد فيها الرومانيين الا يحولوا دونه وطريق الاستشهاد . لانه كان مشغوفاً بالمضي الى يسوع الفادي قصارى بغيته ومحطّ سعادته واقصى غايته . وقد انزلت البيعة المسيحية رسائله هذه في المنزلة الثانية بعد رسائل الرسل القديسين .

ولما انتهى الى رومية طُرح الى السباع فمزّقت جسده الطاهر والتهمته ، عدا العظام الخشنة التي جمعها المؤمنون ولفّوها بمناديل فاخرة ، وبعثوا بها الى انطاكية كنزاً

نفيساً . واستشهد معه رفيقاه القديسان زوسيمس وروفس ، وذلك في اليوم ١٧ من شهر تشرين الثاني وقيل بل في ١٨ من كانون الاول سنة ١٠٧ ثم بنيت كنيسة ضمت رفاته الطاهر . قال مار سويريوس الانطاكي في رسالته ٦٩ الى الشماسة انسطاسية ص ٩٧ « اغناطيوس الحامل الآله الذي زيّن الكرسي الانطاكي والعرش الاول لبطرس هامة الرسل » وقال في رسالته ٥٧ الى الاسقف ديدوموس ص ١٩٣ « اغناطيوس الاسقف العظيم والشهيد الذي رعى بيعة انطاكية ، بعد بطرس رئيس مصاف الرسل » وقال في حقه القديس الذهبي الفم « اغناطيوس مسكن الآله وخدره » والقديس اغناطيوس هو الذي علّم الكنيسة الترنيم بالتداول بين فوجين أسوة بالملائكة . ونعتهُ الذهبي الفم بمسكن الآله .

الفصل الرابع

شذور نفيسة من رسائل القديسين اقليميس الروماني واغناطيوس النوراني وفوليقرفوس

لما كان لرسالة القديس اقليميس الى اهل قورنثية

المرتبة الاولى بعد كتاب الله ، ولرسائل القديس اغناطيوس المنزلة العظمى ، وناهيك فان القديس فوليقرفوس جمعها من ساعتها وبعث بنسخة منها الى اهل فيلبي اجابةً الى رغبتهم ، فضلاً عن رسالته اليهم ، وكلها تعبق منها نفحة رسولية عطرة . رأينا ان نقتطف منها نُخَباً من شأنها ان ترين تاريخ الكنيسة وتنير قلوب قرائه .

قال مار اقليميس في رسالته التي حث فيها المؤمنين على الهرب من الخِلف والتنازع ، وعلى التمسك باهداب المحبة والدعة والنظام البيعي والطاعة لرعاة الكنيسة الشرعيين :

« ان الحسد والخلاف دمّرا مدناً عظيمة وأبادا أمماً قويّة . فلتتأمل في الجنود الذين يخدمون تحت ولاية رؤسائنا (ملوكنا) بأي نظام وبأية وداعة وخضوع ينجزون الاوامر . فليسوا كلهم رؤساء ولا قضاة يصونون الحقوق ولا قوات مئات وخماسين وما دون ذلك . بل ان كلا منهم برتبته يقوم باوامر القيصر او رؤسائه ... فياايها الاخوة يجب على كل منا في رتبته ان يرضي الله بضمير نقي غير مخلٍّ بالقوانين المفروضة على وظيفته سالكاً

برصانة ... من كان فيكم كريماً شفيقاً مفعماً محبة فليقل هذا « ان اكن سبباً لفتنة او منازعة او انقسام ، فاني ادع مقري وامضي الى حيث يُراد ذهابي فاعلًا ما يقرّره الجمهور . وانما اتوخّى ان يعيش قطيع المسيح بسلام مع القسوس المرتّبين . فمن سلك على هذه الطريقة فاز بمجد عظيم في المسيح ووجد في كل ارض ينزلها ترحيباً » !

وقال القديس اغناطيوس في رسالته الى اهل افسس :

« لا ينبغي ان يكون لكم واسقفكم الا فكر واحد بعينه . فان كنت انا في مدة وجيزة تأكّدت بيني وبين اسقفكم (اونيسيموس) عقدة إخلاص داخلي هذا شأنهُ ليس فيه شيء عالمي لكنه روحي كله ، فكيف لا تغبطون انتم المتحدون معه بقلوبكم كاتحاد البيعة بيسوع المسيح ويسوع المسيح بابيه ... فلنحذر مقاومة الاسقف اذا اردنا ان نظل خاضعين لله .

يوجد قوم فظيع رياؤهم ينتشرون في كل وجه يتطاولون باسم الله وهم باعمالهم اياه يهينون . فاهربوا منهم هروبكم من وحوش ضارية . انهم كلاب كلبة قيامهم خيانة . فاهربوا منهم ، ذلك ان شفاءهم لعسير .

انتهى اليّ انه مرّ بافسس قوم جاءوا من هناك قد تشرّبوا تعليماً مفسداً ، على اني اعلم انكم لم تدَعوهم ينشرونه بينكم ، وسددتم آذانكم لئلا تقبلوا الزرع الردي الذي يزرعون ... لا تحبّوا شيئاً آخر غير المسيح فانني لاجله أُسيَّر بسلاسلي التي هي دُرري الروحية ، عسى ان أُبعثَ بها يوم الدين بجاه ادعيتكم . انتم طريق العبور للذين يمضون الى الله بالاستشهاد . انتم أَنْجيَةُ تجلّيات بولس ذلك الرجل الذي صدقت وذاعت قداسته ، ذلك الطوباوي الذي كنت اودّ لو تحدّيت آثاره عند بلوغي الى الله » .

وقال في رسالته الى اهل مغنيزيا ، وقد وفد عليه اسقفها داماس والقسيسان باسوس وابولونيوس والشماس زوديتون :

« لا ينبغي ان يتخذ من حداثة اسقفكم حجّة للافراط في الدالة عليه . فان هذه الاسقفية هي نفس سلطة الله الآب ، التي يلزمكم توقيرها توقيراً تاماً . وانا اعلم ان هذه هي طريقة قسوسكم الاطهار انهم لم يخرقوا ابداً حرمة حداثته الظاهرة . لكنهم باستشعارهم حكمة

الله ، له يخضعون . او بالحري ليس خضوعهم متوجهاً اليه ولكن لابي يسوع المسيح الاسقف العام ... فكونوا اذاً مسيحيين لا بالاسم وحسب بل بالفعل . ولا تتشبهوا باولئك القوم الذين يُجزلون على رئيسهم اسم الإسقفية ولكنهم يعملون كل شيء بدونه . فقد تبيّن لي ان ضمير هؤلاء القوم ليس مستقيماً ، لانهم يعقدون اجتماعات منافية للشرع خلافاً لامر المسيح .

ان الذين كانوا يعيشون تحت نظام الاشياء القديمة اعتنقوا الرجاء الجديد . فلا يحفظون السبت ابداً ، لكن يوم الاحد اليوم الذي فيه طلع نجم حياتنا بفضل الرب وموته . هذا السرّ الذي ينكره كثيرون وهو ينبوع ايماننا ... اعتنوا بضبط نفوسكم متمسكين باحكام الرب بعزم فتنجحوا في كل ما تفعلون ، بالاتحاد مع اسقفكم الوقور وحلقة قسوسكم الروحية الثمينة وشمامستكم الاطهار » .

وكتب الى اهل ترلس : « إنّا يعوزنا عدة اشياء حتى نصير اهلاً لله . فأناشدكم او بالحري تناشدكم محبة يسوع المسيح التي ترجوكم لا أنا . ان لا تستعملوا الاّ

القوت المسيحي وامتنعوا عن كل نبات غريب ، وانما اتكلم عن الهرطقة . ان الهراطقة يخلطون يسوع المسيح باضاليلهم لكي يختلسوا الثقة . وهم اشبه بالقوم الذين يسكبون سماً قاتلاً في مزيج خمر وعسل . فالانسان الذي لم يفطن للامر يستسيغ الموت بلذة بتلذذه بتلك الحلاوات المسمومة ... اصغوا الى الارشاد الذي توجهه اليكم هذه الاغلال التي احملها في كل مكان في سبيل يسوع المسيح طالباً البلوغ الى الله . اثبتوا في الاتحاد وصلاة الجماعة لان هذا فرض على كل منكم ولاسيما القسوس ، لتُعَزُّوا الاسقف بمجد الاب ويسوع المسيح والرسل » .

الفصل الخامس

في بقية رسائل القديس النوراني

وكتب من مدينة ازمير الى اهل رومية :

« اكتفوا بطلبكم لي القوة الباطنة والظاهرة ، لكي اصير مسيحياً لا بالفم فحسب بل بالقلب ، لا بالاسم فقط بل بالفعل . ذلك لاني اذا صرت مسيحياً بالفعل

حقّ لي هذا الاسم ايضاً . وحينما ادع هذا العالم يظهر ايماني بضياء افضل . لا صالح من كل ما يُرى . ان آلهنا يسوع المسيح لم يظهر افضل الاّ حين عودته الى حضن ابيه . واذا استهدفت النصرانية للحقد العالمي ، لن تصير موضع اقتناع بشري لكن صنع القدرة الآلهية !

دعوني اصير مرعىً للوحوش لاني بواسطتها سيتمّ لي الوصول الى الله . انا حنطة الله فأطحَن باضراس الوحوش لاصير للمسيح خبزاً منزّهاً عن العيب . لست اصدر اليكم أمراً كبطرس وبولس فانهما رسولان واما انا فلست سوى محكوم عليه... فلا تحاولن خليقة منظورة او غير منظورة ان تسلبني امتلاك يسوع المسيح . اذاً فلتعرض علي افدح عذابات ابليس ، النار والصلب ، وليصطدم جسمي باجسام الوحوش الضواري ليتناوله التمزيق والانفصال وانخلاع العظام وانبتار الاعضاء وانسحاق الهيكل بجملته . على شرط ان ينتهي بي الامر الى مُلك يسوع المسيح . ألا ان الموت لاجل المسيح يسوع لاعزّ عندي وامجد من مُلك الدنيا من اقاصيها الى اقاصيها . والذي اطلبه هو خبز الله هذا الخبز الذي هو جسد يسوع المسيح ابن داود .

واما الشراب فاريد دمه وان هو الاّ المحبة الباقية على الدهر . ليس الجسد يُملي علي هذه الرسالة بل روح الله . الوداع ولنتشجع حتى النهاية للتألم من اجل يسوع المسيح » .

وكتب الى اهل فيلادلفيا : « لا تُخدعوا يا اخوتي ، ان كل من يتبع فاعل شقاق ، فهو محروم من ميراث ملكوت الله . وكل من استفزّته تعاليم غريبة فليس له ادنى نصيب في آلام يسوع المسيح . ان ملجأي هو الانجيل الذي هو عندي يسوع نفسه بالجسد (المتجسد) والرسل الذين هم في نظري شيوخ البيعة : في برهة مقامي عندكم صرّحت بصوت عالٍ بصوت كأنه صوت الله نفسه قائلاً « اضبطوا نفوسكم متحدين اتحاداً قلبياً مع اسقفكم والمشايخ (القسوس) والشمامسة » .

وقال في رسالته الى اهل ازمير « اني ابعث اليكم ايها الاحباّء هذه النصائح وانا اعلم ان هذه هي طريقتكم . ومقصدي ان احذركم من الوحوش ذوات الصور البشرية التي لا يجب فقط الاقتصار على عدم قبولها ، بل ينبغي لكم الابتعاد عن الاجتماع بها ان امكن ، مرتضين الصلاة لاجل

هدايتها . وما حاجتي الى تقاريظ من يجدف على ربي تجديفاً بانكاره تجسُّده ؟ ان عدم الاعتراف بهذه الحقيقة انما هو نكران تامّ للمسيح . وهو عبارة عن كون الناكر حامل نعش . تعلّموا لتعرفوا هؤلاء الاشخاص الذين يعلّمون الضلال في نعمة يسوع المسيح التي جاءت الينا . ومقدار مناقضة سلوكهم لروح الله . ذلك انهم لا همّ لهم بمحبة فعل الخير ولا بالارملة ولا اليتيم ولا السجين ولا المعتَق من العبودية ومن عضّه الجوع وبرّح به العطش . انهم يمتنعون من الاوخريستيا والصلاة ، ذلك انهم لا يريدون ان يعرفوا في الاوخريستيا جسد يسوع المسيح فادينا هذا الجسد الذي تألّم لاجل خطايانا ... اهربوا ايضاً من الانقسامات كينبوع للشرور قاطبة . لا تفعلوا البتّة شيئاً مما له صِلة بالكنيسة بدون الاسقف . مَن يُجلّ الاسقفَ يكرمه الله . ان التصرّف بمعزل عن علم الاسقف هو خدمة للشيطان » .

وكتب القديس فوليقرفوس اسقف ازمير الى اهل فيلبي :

« والقسوس ايضاً يجب ان يكونوا من اهل الشفقة

والرحمة للجميع . وليهدوا الضالين ويزوروا المرضى ولا يهملوا امر الارملة ولا اليتيم ولا البائس . وليكن همّهم الدائم فعل المعروف امام الله والناس . وليبتعدوا باهتمام من الغضب والتحزّب والاحكام الجائرة متجنبين الطمع . ولا يصدّقوا نَبأَ السوء بسهولة ولا يكونوا قساةً في قضائهم ، متذكرين اننا كلنا ركبتنا ديون الخطية . فاذا كنا نصلي الى الرب ليغفر لنا لزمَنا نحن ايضاً ان يغفر أحدنا لصاحبه .

لنكن ذوي غيرة على الخير ، ولنتجنّب الفخاخ والاخوة الكذبة اولئك المرائين الذين باسم الرب يتقنّعون ليكونوا مُضلّين للنفوس التي تهوى الاباطيل ... من فسّر كلمات الرب بحسب معنى رغائبه الخبيثة وأنكر البعث والدينونة ، فان هذا هو بكر الشيطان . فلنودّع اباطيل الجمهور والتعاليم الكاذبة لنعود الى التعليم الذي أُعطي لنا منذ البدء » !

الفصل السادس

في الاضطهاد الرابع

تبنّى القيصر طريانس حفيد اخيه هدريانس فخلفه على العرش سنة ١١٧ ودبّر المملكة الرومانية حتى سنة ١٣٨ متفوّقاً على سلفه في سياسته . فترك الفتوحات الاسيوية جانباً صارفاً همّته الى الادارة بدقة ونشاط . فنظّم بنفسه الامور المالية والعدلية والعسكرية والداخلية . وكان ولوعاً بالاسفار نقّاقاً يستهويه البحث في كل حدَث جديد . على ان عهده وزمان خلفه لم يخلوا من تنغيص عيش المسيحيين ونَيلهم بالاذى واهراق دمائهم . فالفترة التي تتراوح بين سنة ١٢٤ – ١٦١ التي وقعت فيها الشدة على النصرانية ، هي التي اطلقنا عليها اسم الاضطهاد الرابع الذي لم يكن عامًّا لكنه فرديّ او مكانيّ .

وذلك انه سنة ١٢٤ شكا لوسينيوس غرانياس قنصل آسيا الى هدريانس ، ما تسوق اليه فتن الشعب الروماني من اعدام بعض الناس بسبب انتمائهم الى دينهم

ليس الاّ . فأجابه القيصر جواباً مترجرجاً منع فيه القِصص والضجّات لكنه لم يُفصح فيه هل ان الدين المسيحي يعدّ جريمة تستوجب العقاب وقال « ليعاقب الذين يُشكَون وليعذّب من ثبت انتهاكه لاحدى الشرائع »

فلم يكن هذا الامر اقلّ سوءاً للمسيحيين من أمر سالفه طريانس . فاستشهد بهذه الشكاوى عدة شهدآء منهم فوستان ورفاقه الكسندر وهرمس و كيرينوس وايفنتيوس وثيودول (عبد الله) . وجيتوليوس ورفاقه الثلاثة بقرب مدينة تيبور في ايطاليا لتنصيرهم بلد السابين الواقع في طريق رومية . والقديسات صوفية (الحكمة) وبناتها الثلاث بستيس (الايمان) وإلبيس (الرجآء) واغابيا (المحبة) استشهدن في رومية . ومريم الفتاة المسيحية المولد ، وكانت أمةً في بيت وثني شريف من قوّاد العشرة اسمه تيرتلّس ، حافظت على صيامها واستمسكت بدينها فأُحرقت حيّةً . والقديسة سامفوروزة ارملة الشهيد جيتوليوس التي هدّدها القيصر وبنيها بالموت ، إن لم تقرّب للاوثان ، فأجابته بقولها : « ان صيرورتي وبنيّ قرباناً لله لمن اعظم اسباب السعادة عندي »

فتفنن في التنكيل بها ثم اغرقها في بحيرة آنيو . وفي الغد قتل اولادها السبعة بعدما أذاقهم من العذاب ألواناً وذلك سنة ١٣٥ — والقديس تيلسفورس اسقف رومية اليوناني الاصل الذي استشهد سنة ١٣٦ على ما ورد في تاريخ سرياني قديم وصرّح به مار ايرناوس .

وزاد هدريانس بعد ظفره بشرذمة اليهود التي حاربته في اورشليم ، بقيادة الثائر بركوكب مدة ثلاث سنوات ، فدمّر مافضل من المدينة وبناها وسمّاها : ايليا كابيتولينا . وأمر سنة ١٣٤ او ١٣٥ باقامة هيكل للمشتري على انقاض هيكل سليمان ، وبنآء هيكل لآدونيس بجوار مغارة بيت لحم . وغطّى مدخل القبر الخلاصي المقدس بالتراب وغمر الجلجلة وأنشأ ثمّ هيكلاً للزُّهرة .

ولما خلفه انطونينس بيوس (التقي) سنة ١٣٨ حتى ١٦١ وهو احسن قياصرة رومية إدارة وعمراناً ، تذوّقت الكنيسة المسيحية في عهده طعم السلام . بيد انه كان سلاماً منغّصاً بشيء من المكاره المكانية او الفرديّة . كانت نتائج شكاوى مدبّرة او فتن شعبية يتغاضى الحكام عنها او يحرّضون الاهلين عليها . ومن اشهر شهدآء هذه

الحقبة : القديس فوليقرفوس اسقف ازمير ، وأحد عشر شهيداً من فيلادلفيا سنة ١٥٥ وبطولمايس ولوقيوس وشهيد آخر مغمور الاسم ، قُتلوا في رومية حوالي سنة ١٦٠ كما جاء في احتجاج مار يسطينس وشهداء كثيرون في غلاطية ، على ما ورد في تاريخ سرياني قديم .

الفصل السابع

في هرما الراعي والقديس بابيا سنة ١٦٢

اختلف المؤلفون الكنائسيون في حق هرما صاحب الكتاب المعنون بالراعي . فارتأى المعلّم اوريجانس ، انه هرما الذي ذكره القديس بولس في رسالته الى اهل رومية . وذهب غيره انه كان معاصراً للقديس اقليميس الروماني . والاظهر انه هرما اخو بيوس الاول اسقف رومية (١٤٠ - ١٥٥) ومن امره انه كان عبداً مسيحياً بيع في رومية لسيدة مسيحية اسمها رودة اطلقت سبيله . فعانى الزراعة والتجارة وأثرى . وأغفل أمر عائلته فانهمك اولاده في المعاصي . ولما حدث الاضطهاد اعترف هرما

وزوجته بالايمان امـا اولاده فانكروه . وأضاع ثروته وتحمّس في دينه وألّف كتابه « الراعي » ليدعو الخطأة الى التوبة مبيّناً فيه ضرورتها وتأثيرها وشروطها . وقد أُعتبر كتابه في اول العصور لكنه بعد ذلك عـدّ بين الكتب الموضوعة (المزوّرة) . على اننا اذا استثنينا ما تخلّله من سذاجة في بعض امثاله عُدّ كتاباً ادبيّاً معتدلاً .

اما القديس بابيا (بابيوس) فكان تلميذاً للقديس يوحنا الانجيلي ورفيقاً للقديس فوليقرفوس وقد صحب يوحنا الشيخ او القسيس وسمع منه . وصار أسقفاً لجالية مدينة هيرابوليس (فريجية) وذاع امره حوالي سنة ١١٠ وهو اول من عمد الى جمع التقاليد المسيحية اي التعاليم الشفاهية ، تلقاها من افواه قسوس او مشايخ كانت صدورهم خزائن وعت احاديث الرسل او تلاميذهم ، وعاشوا في الحقبة الـتي بين سنة ٧٠ - ١٥٠ للتجسّد . ووضع كتاباً ذا خمس مقالات في تفسير حكم ربّنا ووصاياه قال فيه « انني تلقيّت كلمات الايمـان من الذين عاصروا الرسل كما تعلمت من القسوس الشيوخ . ولست افرح بمن يقولون اشياء كثيرة بل بمن يعلّمون الحق .

وقد حرصت على معرفة ما قاله اندراوس او بطرس او فيليبس او توما او يعقوب او يوحنا او احد تلاميذ ربنا . او اريسطون او يوحنا الشيخ . ولا اظن اني استطيع الاستفادة من كتبهم كالانتفاع بالصوت الحي الثابت والاستفادة من بنات القديس فيلبس الرسول » ونقل لنا عن البشير مرقس كيف كتب الانجيل مثلما وعاه من الرسول بطرس وقد كان ترجمانه . و كتب ايضاً اموراً اخرى تقليدية ، تشوبها امثال غريبة ، يظهر منها ان مداركه عجزت عن ادراك حقيقة معاني الرسل ، فمال الى الزلل والزيغ ، حتى توهم انه سيكون للمسيح مملكة على الارض الف سنة . وهي بدعة شجبتها الكنيسة وانما اعلن بها بسذاجة فلم تؤاخذه بها . وحكى بعضهم ان حياة ماربابيا اختتمت بالاستشهاد حوالي سنة ١٦٢ او في الاضطهاد الخامس .

الفصل الثامن

في القديس فوليقرفوس اسقف ازمير سنة ١٥٥ +

وُلد القديس فوليقرفوس من أُسرة وثنيّة غنيّة في

مدينة ازمير نحو سنة ٦٩ او ٧٠م وتنصّر وتتلمذ للقديس يوحنا الانجيلي وأخذ عنه وحادث الذين عاينوا ربّنا يسوع. وسامه الرسول في شبابه اسقفاً على جالية ازمير فرعاها رعاية رسولية وكان قديساً في سيرته محباً للتعليم الصحيح والتقليد الثابت وقابل القديس اغناطيوس النوراني اثناء مروره بازمير حينما كان منطلقاً في طريق الشهادة سنة ١٠٧

وفي سنة ١٥٤ توجه الى رومية وجادل البابا انيقطوس الحمصي في قضية عيد الفصح ، وبقي كل منهما على عادة بلاده واشتركا في خدمة الاسرار الآلهية ، وارجع كثيراً من الهراطقة في رومية الى المحجة المستقيمة. وعند عودته الى مدينته ثارت شدة على المسيحيين واراده والي ازمير على جحود السيد المسيح . فاجابه القديس فوليقرفوس ان لي ستاً وثمانين سنة وانا اخدمه فلم أرَ منه الاّ خيراً فكيف انكره ؟ فأمر الوالي بحرقه فدنا من النار ثبْتاً جَنانُه. ولما لم تؤثر فيه النار باعجوبة ، حمل اليهود الوالي فأمر فطعن بخنجر ففاض من دمه ما اطفأ النار ثم قطع رأسه وكان ذلك سنة ١٥٥ وقيل ١٥٦ في عهد القيصر انطونينس بيوس . وقد كتب هذا القديس عدة رسائل

اخصّها رسالة جليلة الى اهل فيلبي ذكرناها آنفاً وخلفه الاسقف بابيريوس .

الفصل التاسع

في المبشرين الذين خلفوا الرسل وجهادهم ونشاطهم في نشر كلام الله

بعدما استوعب اوسابيوس القيسري اخبار القديسين اغناطيوس وفوليقرفوس وبابيا قال :

« من جملة الذين ذاع صيتهم في زمن هولآء ، كان قودراطس وبنات فيلبس اللواتي قيل انهن كن يُحرزن موهبة النبوّة ، وآخرون كثيرون كانوا معروفين في ايام هولآء . وكانوا في الرعيل الاول من سلسلة الرسل . وهكذا كان اولئك اللائقون بخدمة الله يبنون على الأسس التي وضعها الرسل في كل مكان ، ويؤيدون البشارة الانجيلية ويكثرون من زرع بذار ملكوت السماء الحي في العالم كله .

وكان كثير من تلاميذ ذلك العصر وقد بلغ من

حبهم لحكمة المسيح انهم تفرّغوا لكلام الله ونشره ، فطفقوا يوزعون اموالهم على اهل الفاقة ، ثم يطوّفون البلاد ويضطلعون باعمال المبشرين عند الذين لم يسمعوا بعد بخبر البشارة ، وهم مجدّون بالدعوة الى الدين ، وكانوا يسلّمون اليهم الاناجيل المقدسة . فهولاء كانوا يؤسسون الايمان في البلاد القاصية ، ويقيمون لهم رعاةً يندبونهم لخدمة الذين تتلمذوا حديثاً . ثم يتوجهون الى بلاد وأمم اخرى بنعمة الله وعونه . لان روح الله كان في ذلك الزمان ايضاً يفعل معجزات على ايديهم . حتى أن معظم الناس كانوا يهشّون الى اقتبال عبادة الله ورسوخها في قلوبهم فرحين، منذ سماعهم بدء البشرى .

واذ لم يكن من السهل احصاء اسماء جميع الذين قبلوا تقليد الرسل وسلسلتهم اي جدولهم الاول ، اعني الذين صاروا رعاةً ومبشرين في سائر الكنائس الكائنة في العالم كله ، اقتصرنا هنا على ذكر الذين اتصل بنا التقليد الرسولي عن طريق مصنفاتهم وهو عندنا حتى اليوم ، كاغناطيوس في رسائله التي احصيناها » اهـ .

الفصل العاشر

في الاضطهاد الخامس سنة ١٦٢ — ١٧٧

حدث هـذا الاضطهاد في عهد القيصر مرقس اوراليوس الفيلسوف . وذلك انـه اصغى الى وشايات اعـدآء المسيحيين لاسيما سعايات الفلاسفة اصحابه فسمح باضطهادهم ، فاجتمع المكرَة والظلَمة على هلاكهم . وبـدأ هذا الجور سنة ١٦٢ واول ضحاياه الشهيدة سعادة (فيليسيته) واولادها السبعة في رومية . وكانت سعادة قد ترملت وعكفت على التعبد والصلاة ليل نهـار واصبحت خير مِثال للثناء على الاسم المسيحي وذكره بالجميل . فشكاها كهّان الاصنام الى القيصر فقالوا : انها واولادها يمتهنون آلهتهم ويغضبونها . فبعث القيصر الى حاكم المدينة ليكرهها واولادها على التوثّن . فلم يفعل في السيدة التقية لا وعده ولا وعيده شيئاً لاعتصامها بروح القدس . لكنها خاطبت اولادها فقالت لهم « ارفعوا انظاركم يابنيّ الى العلى ، انظروا الى السمآء فان يسوع

المسيح ينتظركم فيها مع قديسيه » وصبروا جميعاً على الاعذبة وصابروا حتى تمّ استشهادهم ، بعض بجزّ رؤوسهم ، وبعض بتهشيم اعضائهم واحدهم بطرحه في نهر التيبر فكانوا من الفائزين .

واشتد الاضطهاد سنة ١٦٦ وكان وقعه في بلاد آسيا الصغرى شديداً ، فمُزق بالسياط عدد غفير من المسيحيين في ازمير حتى انكشفت عروقهم . ومن الشهداء من كانوا يعرّونه ويمدّدونه على سحيق الحجارة والحصى الحادّ . فاستشهد في ازمير ثراسآس (ثرسوس) اسقف اومينية (فريجية) على ما نقل بوليقراتوس اسقف افسس ، وفي اللاذقية (فريجية) الاسقف ساجاريس في زمان قنصلية سرجيوس بولس في آسيا ، وقد ذكره مار ميليتون اسقف سرده . واستشهد بوبليوس اسقف اثينا ، وجرمانيقوس وكان شاباً يافعاً اراد الوالي انقاذه من افتراس الوحوش ان كفر فأجابه بقوله « لان اموت الف مرّة أحبّ اليّ من ان احيا آثماً كفورا » ثم اندفع ببسالة الى أسد كان مقبلاً اليه فمزّقه السبع تمزيقاً . واستشهد في رومية ايضاً القديس يوسطينس النابلسي الفيلسوف المشهور سنة ١٦٧

وفي سنة ١٧٧ جاهد شهداء ليون في فرنسا يتقدمهم الشيخ القديس فوتينس الاسيوي المحتد واول اساقفة ليون . وكان قد جاوز التسعين سنة وأنحلت الشيخوخة والامراض جسمه ، فبعدما ساموه هواناً وضرباً ورفساً استوفى أجله في السجن الموبوء ليومين من اعتقاله . ومن اشهرهم الكسندر الطبيب الشهم الفريجي الاصل ، واطّالس عضد الكنيسة وبنتيقس الفتى ابن خمس عشرة سنة ، والفتاة الخادمة بلندينا التي اظهرت من التجلد على الاعذبة الفادحة ونطقت بأبلغ كلام شهادة بدين المسيح الصحيح ، ما أذهل السامعين حتى الوثنيين ، ذلك ان محبة الله كانت قد ملكت شواعرها . وبلغ الحنق والغيظ بالكفرة أن احرقوا اجساد الشهداء وذرّوا رمادها في نهر الرون .

وبين سنة ١٧٧ — ١٨٠ استشهدت القديسة سيسيلية وهي فتاة رومانية نبيلة من جنس شريف تزوجت بطريقا اسمه فالريان واتفقت معه على التبتّل ونصّرته فعمده اوربانيوس الاسقف . ثم نصّر كلاهما اخاه تيبورس . وانتهى بهم الامر وبالاسقف الى الشهادة في سبيل الدين .

الفصل الحادي عشر

في القديس يوسطينس الفيلسوف سنة ١٦٧ +

وُلد القديس فلافيا يوسطينس وثنياً في مدينة نابلس بفلسطين حوالي سنة ١٠٠ او ١٠١ م وتعلّم فى صباه في مدارس الفلاسفة وتبع مذهب افلاطون وكان فطِناً ملتهب الذكاء يمعن في البحث عن الحق . وبينما كان ذات يوم يسير على شاطىء البحر في مدينة افسس ، وهو ذاهب القلب مشتت الفكر على حَيرة من أمره ، اذا بشيخ جليل يخاطبه ويحاوره حتى برهن له عمّا تشتمل عليه مبادي فلسفة افلاطون من الاضطراب ، وارشده الى ينبوع الحق وهو الكتاب الآلهي العزيز . فأقبل يوسطينس على درس الاسفار المقدسة ليلًا ونهاراً وعاشر المسيحيين ، فهفا قلبه اليهم لما شاهده من طهر سيرتهم . فسطع له من خلال درسه فجر الحقيقة ، وحسن موقع النصرانية من قلبه فآمن واعتمد وقد وقف على ابواب الثلاثين من عمره .

ثم اخذ يجادل الوثنيين واليهود ، فجذب منهم الى النصرانية جمًّا غفيراً . وانطلق الى رومية مرتين وسيم قسًّا واختير للوعظ والارشاد . وانشأ في رومية مدرسة نالت قسطاً من النجاح . وأصلتَ قلمَهُ في الانتصار للدين المسيحي . وتفرّغ لوضع كتاب جليل برّأ فيه ساحة المسيحيين من تُهم اعدائهم ، وسماهم « كرماً غرستهُ يد الله » وتقدم بالكتاب الى القيصرين انطونينس بيوس ومرقس اوراليوس . وألّف كتاباً آخر في الموضوع عينه قدّمه الى مجلس المشيخة والشعب الروماني . وقد اجاد المؤرخ اوسابيوس بنعته باسم « محب الحكمة الحقيقية » ثم الخم فيلسوفاً وثنياً اسمه قريسقوس . فوشى به الى الوالي فاعترف القديس بايمانه جهراً ، وأبى ان يكون لدينه ناكراً . فاستشهد وستة رفاق له في رومية بين سنة ١٦٣ — ١٦٧ وسنذكر بقية كتبه بعد هذا .

الفصل الثاني عشر

في القديس ديونيسيوس القورنثي سنة ١٧٠

اشتهر القديس ديونيسيوس اسقف قورنثية سنة ١٧٠ م

وكان من افضل احبار البيعة واشدهم غيرة ، مجتهداً في تعميم التعليم الآلهي . فلم يقتصر على إنارة الخاضعين لرئاسته ، لكن همّته سمت به ايضاً الى نفع البلاد البعيدة عنه . وذلك بما كتب من الرسائل الجليلة الى كنائس عديدة . وقد ذكر له اوسابيوس ثماني رسائل وهي :

رسالة الى اهل لقدمونية ، في التبشير بالايمان الحقيقي والسلام والإلفة .

ورسالة الى اهل اثينا ، في يقظة الايمان والسيرة الانجيلية . ويوبّخهم فيها ليأسهم اذ كادت نفوسهم تجنح الى النكول عن البشارة . ويذكر أن عناية اسقفهم الجديد قوادراطس جمعتهم فانتبهوا لأمر ايمانهم .

ورسالة الى اهل نيقومدية : فنّد فيها هرطقة مرقيون وثبت التعليم الصحيح .

ورسالة الى بيعة غورطينا وسائر كنائس جزيرة كريت : يثني فيها على اسقفها فيلبس ويذكّره بما للكنيسة التي يترأسها من المزايا الكثيرة ، ويوصيه بالحذر من بحث الهراطقة .

ورسائل الى بيعة امسترين وكنائس اخرى في بلاد

البنطس : تشتمل على تفاسير من الكتب الآلهية ، ويذكر فيها اسقفهم بلماس . ويعلمهم حقائق كثيرة عن الزواج والطهارة ، ويوصيهم بقبول التائبين عن الزلات والهفوات او عن ضلال البدع .

ورسالة الى اهل قنوُسس : يطلب فيها من اسقفهم فينيطس ان لا يضع نير القداسة الثقيل في اعناق الاخوة عند الضرورة ، بل فليتأمل في مرض كثيرين . فأجابه الاسقف وقرّظه وأعجب به ورغب اليه ان يغذي شعبه حيناً فحيناً بالطعام القوي من الكتب المتينة . لكي لا يظلوا يتعودون غذآء الحليب فيشيخوا باعمال طفولة مديدة . ومن هذا الجواب يُعرف صحة ايمان الاسقف فينيطس ، وعنايته بمنفعة رعيته وفصاحته وحِذقُه في مخافة الله .

وله رسالة الى اهل رومية : كتبها الى سوطير اسقفهم فيها يثني على عادتهم التي حافظوا عليها حتى زمان الاضطهاد الذي نشأ في زمانه . جآء فيها قوله : « انكم منذ البدء اعتدتم ان تنفحوا الاخوة بصنوف المساعدات ، وتبعثوا الأزواد للبِيَع العديدة التي في كل مكان فتآسون البؤسآء في زمن فاقتهم . وتكفون حاجات الاخوة الذين

يشتغلون في المعادن بما تبعثون لهم من المؤن جرياً على عادتكم . والرومانيون يحافظون على هذه العادة سُنّة وتقليداً من آبائهم واسقفكم الطوباوي سوطير لم يراعها مراعاةً فقط ، لكنه زاد في العطية زيادةً . وكان بكلمات طيّبة يعزّي الاخوة الذين يتوجهون الى هنالك شأن أبٍ يعزّي ابناءه ... انّا احتفلنا اليوم بنهار الاحد المقدس ، وقرأنا رسالتكم التي يجب ان نتأدب بها كالرسالة الاولى التي كتبها لنا اقليميس » .

وكتب لهم ايضاً قائلاً « انتم الغرسة التي غرسها بطرس وبولس كلاهما في رومية وقورنثس ، فهما معاً غرسا في قورنثس ، وعلّما سوية في ايطاليا وفي وقت واحد استشهدا »

وقال ايضاً : « قد سألني بعض الاخوة ان اكتب اليهم رسائل فأجبت الى سؤلهم . ولكن رسل الشيطان دسّوا فيها زؤاناً بما حذفوا منها واضافوا اليها ، والويل محفوظ لهم . على انه إن كان بعضهم قد حرّفوا تعاليم ربنا ، فلا عجب في هذا الامر ان يحرّفوا الرسائل التي ليست نظير تلك » وكتب رسالة اخرى الى الاخت المؤمنة كريسوفورية .

اما سنة رقاد هذا القديس فهي مجهولة ، وخلفه الاسقف بوكيلوس وهو من الآباء الذين بحثوا قضية عيد الفصح حوالي سنة ١٩٧

الفصل الثالث عشر

في الكتيبة البرّاقة سنة ١٧٤

كان خمود نار الاضطهاد الخامس بمعجزة جرت على يد كتيبة عسكرية تسمى بالبرّاقة ، كانت مؤلفة من جيش مسيحي من اهل مدينة ملطيّة في ارمينية الكبرى. وذلك ان القيصر مرقس اوراليوس اثناء محاربته بلاد جرمانيا ، دخل عسكره جبال بوهيميا القاحلة في شدّة القيظ فبرّح العطش الشديد بالجند حتى كادوا يهلكون ، فصلى العسكر المسيحي الى الله واستسقوا فأُمطروا في ناحية الجيش الروماني ، بعد بروق ورعود وغيوم فشربوا وسقوا خيلهم ، واما الاعداء فاصيبوا ببَرد حطّمهم تحطيماً . فلما رأى القيصر هذه الآية ابطل الاضطهاد ونقشت اخبار هذه الحادثة على عمود رخام نُصب في

احدى ساحات رومية وكان ذلك سنة ١٧٤

على ان مرقس اوراليوس تناسى هذه المعجزة بعد زمان يسير وسمح ثانيةً بالشدة في بلاد غاليا (فرنسا) فاستشهد في مدينة ليون جمّ غفير مع اسقفهم الشيخ القديس بوتينس الآسيوي المحتد وقد أناف عمره على التسعين وذلك سنة ١٧٧

الفصل الرابع عشر

في النصرانية في الرُّها وبلاد المشرق

كانت مدينة الرُّها عاصمة مملكة صغيرة جميلة خاضعة لقياصرة الرومانيين يُعرف ملوكها بالاباجرة ، بل كانت تُعتبر قاعدة بلاد مابين النهرين ، ولغتها السريانية الفُصحى . وفي اواسط القرن الاول حمل اليها مصباح الانجيل الساطع ، القديس ادّى الرسول احد السبعين ، خلافاً لمزاعم بعض المستشرقين المعاصرين الواهية وقد وقفت على هذا آنفاً . وشهد اوسابيوس ان عدة اساقفة في بلاد الرها عقدوا حوالي سنة ١٩٧ مجمعاً للنظر في مسئلة عيد الفصح .

وجاء في تواريخنا السريانية ، ان اهل منبج وسروج والرقة من البلاد الفراتية وقرقسيون (بُصيرة) وغيرها من بلاد الجزيرة المجاورة سمعت صوت البشارة الانجيلية من افواه الرسل مار سمعان القناني ومار يعقوب ابن حلفى ومار يهوذا (تدّاوس) .

وشهد عامة المؤرخين الشرقيين ان مار ادّى الرسول بعدما انار اهل الرّها بنور الايمان ، بشّر مع تلميذه اجّى بلاد ما بين النهرين ، آمد (ديار بكر) وارزون وبازبدي ، وحدياب (اربيل) وباجرمي وكشكر والأهواز وغيرها من البلاد المجاورة لها .

واثبتت الادلة التاريخية الراهنة ، ان لواء النصرانية رُفع على هذه البلاد في القرن الاول . بل نقل بعضهم ان القديس توما الرسول عندما توجه الى بلاد الهند اجتاز ببلاد العراق فبشّر اهلها ، وهدى قوماً من سائر القبائل التي صادفها في طريقه . فضلاً عن ان يهوداً من سكان ما بين النهرين وبلاد آلين وعيلام والفرثيين ، حضروا في اورشليم عيد العنصرة وعاينوا حلول الروح القدس وسمعوا خطبة هامة الرسل ، ونقلوا هذه الانباء المدهشة الى بلادهم .

وشهد برديصان (سنة ١٩٦) وترتليانس ومار ديونيسيوس الاسكندري ، ان الفرثيّين والماديّين (اهل بلاد مادي) والعيلاميين آمنوا بالمسيح ونشأ في بلاد ما بين النهرين عدة كنائس مسيحية . وعدّ مار غريغوريوس النوسي (٣٩٤ +) في خطبته في القديس اسطيفانس بكر الشهداء ، بلاد الفرات وما بين النهرين من جملة البلاد التي دخل اليها الدين المسيحي بعد استشهاده .

ومن اشهر المدن التي آمنت بالمسيح وحُفظ فيها ثبْت اساقفتها بعد مدينة الرها : كانت مدينة اربيل وكان فيها بقية يهود من زمن الجلاء فتنصّروا . وذكر المؤرخ مشيحا زخا (في القرن السادس) ستة من اساقفة حدياب التي كانت قصبتها اربيل : وهم فقيدا وشمشون الشهيد واسحق وابرهيم الاول ونوح وهابيل من سنة ١٠٤ الى سنة ١٩٠ – وقال ان شمشون تقلد الاسقفية سنة ١٢٠ بوضع يد مزرا أسقف بيت زبدى . ومن هنا نستدل ان بازبدى تنصّرت في اواخر القرن الاول . ومنها ايضاً مدينة كرخ سلوخ (كركوك) وكان اسم اسقفها الاول قريطي . وفي صدر القرن الثالث بلغت ابرشيات بلاد

المشرق سبعة عشرة اخصّها كشكر وحلوان والاهواز وكركوك واربيل وفرات ميشان (البصرة) وسنجار وبازبدي .

وشهد برديصان في كتاب شرائع البلدان الذي صنفه بالسريانية حوالي سنة ١٩٠ — ٢٠٠ على وجود النصرانية في بلاد بقطريانة وسُغديانة وهما كورتان متجاورتان في بلاد تركستان يسقيهما نهر جيحون او اوكسُس ويسميها جغرافيو العرب بلاد ما وراء النهر .

الفصل الخامس عشر

في النصرانية في آسيا الصغرى وبلاد اليونان

مرّ بك آنفاً ان القديس بولس ومار برنابا وسيلا وابفراس ، بشروا بلاد آسيا الصغرى وكذلك طيمثاوس . ثم بشر القديس يوحنا الرسول اهل افسس خاصةً وازمير وما جاورها . والقديس فيلبس الرسول حمل مصباح الهدى الى مدينه هيرابليس في فريجية . ونادى القديس بولس بالانجيل في مقدونية وأشهر المدن اليونانية واكثرها

حضارة . وانشأ فيها الكنائس كما نادى به القديس بطرس بين جوالي اليهود في بلاد البنطس وغلاطية وقفدوقية وآسيا الصغرى . وكلاهما غرسا الايمان المقدس في قلوب اهل قورنثس .

وفي سنة ٩٥ كثر المسيحيون في بيثينية وبلاد البنطس التي على ساحل البحر الاسود ، وصارت مدينة سينوب كرسياً اسقفياً . وقام فيها الاسقف القديس فوقا الذي استشهد حوالي سنة ١٠٤ وذكر مار يوحنا اللاهوتي في سفر الرؤيا سبع اسقفيات في آسيا وهي ازمير وبرغامس واستشهد اسقفها الامين انتيباس سنة ٩٥ وسارده وفيلادلفيا وثياتيرة ومغنيسيا وترالس . وكتب مار اغناطيوس النوراني الانطاكي رسائل الى معظم هذه الكنائس .

واليك اسماء اشهر اساقفة هذه البلاد في صدر النصرانية : وهم في افسس القديس طيمثاوس واونيسيموس الذي زار مار اغناطيوس سنة ١٠٧ وغايوس الاول وغايوس الثاني وفيلولوغس ولوقيوس وابولونيوس وبوليقراتوس الشهير الذي كان سنة ١٩٠ وذكر ان اسلافه

السبعة نشأوا من أسرته. وفي اثينا ، القديس ديونيسيوس الاريوفاغي (٥٢ - ٩٥) وبوبليوس الشهيد وقوادراطوس الذي عاد برعيته الى السراط القويم بعد ان كادت ترتد الى عَمَه الوثنية . واريستيد صاحب الاحتجاج .

وفي ازمير القديس فوليقرفوس الشهيد سنة ١٥٦ وخلفه بابيروس .

وفي قورنثية بريموس وخليفته القديس ديونيسيوس الكاتب المشهور سنة ١٧٠

وبوبليوس سنة ١٩٧ - وفي مدينة سارده القديس ميليطون البتول صاحب التآليف الفلسفية والدينية وقد اعتبرت الكنيسة روحه النبوية (١٨٠ - ١٩٠) .

وفي مغنيزيا الاسقف داماس سنه ١٠٧ وفي هيرابليس (فريجية) القديس بابياس (١١٠ - ١٦٢) وابولیناریوس سنة ١٧٢ وابرقيوس الذي زار رومية في عهد مرقس اوراليوس . وفي قيسارية قبادوقية مار الكسندروس المعترف سنة ٢٠٠ وانتقل الى كرسي اورشليم ، وفرمليانوس الذي نبت في مَنبِت الحسَب (٢٣٢ ٢٦٨+) وكان في مدينة اماسترين الاسقف بلماس سنة ١٧٠ وفي

مدينة اماصيا ، الاسقف فيديموس حوالي سنة ٢٤٠ وهو الذي قلد الاسقفية الاخوين الشريفين مار غريغوريوس العجائبي اسقف قيسارية الجديدة واثينودورس . وفي كوماناً : مار الكسندروس الفحّام .

وبشر اهل جزيرة قبرس مار لعازر في رواية بعضهم والرسولان بولس وبرنابا ثم انفرد بهـا مار برنابا حتى انجز هدايتها وكان القديس بولس اول من رفع لوآء المسيح على رؤوس اهل جزيرة كريت . ثم ولّى تلميذه الحبيب مار تيطس اسقفيتها . وعُرف فيها سنة ١٧٠ اسقفان جليلان وهما فيلبس اسقف غورتينة وفينيطس اسقف قنوسُس وكان من اهل الورَع وارباب الفصاحة .

الفصل السادس عشر

في النصرانية في بلاد ايطاليا وفرنسا واسبانيا

لا يُعرف بتأكيد اسمآء حملة مصباح الانجيل الاولين الى مدينة رومية عاصمة المملكة الرومانية . وانما نعلم انه كان فيها سنة ٥٨ كنيسة مسيحية زاهرة مؤلفة من

اليهود والوثنيين الرومانيين ، كما يتضح من رسالة القديس بولس اليها . فانه ذكر من اصدقائه الفضلاء اربعة وعشرين رجلاً وامرأة من المسيحيين ، مع انه لم يكن بعد قد رأى رومية .

واثبت المؤرخون والمؤلفون القدماء الثقات في صدر النصرانية ، وشهدت التقاليد القديمة ، وأجمع مفسّرو الكتاب الالهي ولاسيما السريان قاطبةً ، ان القديس بطرس هامة الرسل ، هو أول رسول زار رومية وبشّر فيها بدين المسيح ، لوجود اليهود اهل الختان فيها . وانما انقسم المؤرخون واهل البحث والنقد المعاصرون في ذلك ، فارتأى فريق منهم انه زارها مرّتين وفريق انه شخص اليها مرةً في اواخر حياته . اما الفريق الاول فقال انه قصد اليها بعد مكثه مدة في انطاكية وطوافه في بعض البلاد ، فيكون قدومه اليها حوالي سنة ٤٨ على الارجح . وانه غادرها مع اليهود الذي جلاهم القيصر قلوديوس منها في حدود سنة ٥٠ ثم عادوا اليها بعد مدة من الزمن غير مديدة . واتفق مع الفريق الثاني في شخوصه اليها ثانيةً بنوع ثابت وأكيد عام ٦٣ وتأسيسه فيها الكرسي الرسولي . وفي السنة عينها وصل اليها ايضاً

القديس بولس رسول الامم بعد سفر شاقّ محفوف بالمخاطر، وشارك مار بطرس في التبشير فيها وبنيان المؤمنين الاولين وتثقيفهم. وكان مار بطرس يبارحها الى بعض بلاد ايطاليا وما جاورها على ما ذكر اوسابيوس في كتابه الظهور الآلهي حتى استشهد فيها سنة ٦٧ بعدما اقام القديس لينس احد رفقاء مار بولس اسقفاً عليها وكانت سيامته بالاشتراك مع رسول الامم.

وقد أيّد هذه الحقيقة تسعة من جلّة ائمتنا وعلمائنا الاقدمين وهم: مار اقليميس الروماني (سنة ١٠١ +) ومار اغناطيوس النوراني (١٠٧ +) وقد مرّت بك شهادتهما اما الاول ففي رسالته الى اهل قورنثس، واما الثاني ففي رسالته الى اهل رومية. ومار بابيا اسقف هيرابليس (١٦٢ +) الذي حاكت شهادته شهادة اقليميس الاسكندري على ما قال اوسابيوس (باب ٢ فصل ١٥) ومار ديونيسيوس القورنثي (١٧٠ + ؟) وقد سبقت شهادته في رسالته الى اهل رومية. والقس غايوس الروماني (٢٠٢ +) الذي كان في مجادلته مع فرقلس التابع البدعة المونطانيّة، يومئ بيده الى ضريحي الرسولين بطرس

وبولس في رومية . ومار ايرناوس اسقف ليون (٢٠٢ +) بقوله في كتاب دحض الهرطقات « ان بطرس وبولس بشّرا بالمسيح في رومية » واقليميس الاسكندري (٢١١ +) بقوله في كتاب : الاوصاف الزاهرة « كان بطرس يبشّر علناً في رومية بكلام الله ويعرض الانجيل بتأييد الروح الآلهي ، فالذين كانوا يحضرون مواعظه وهم جمهور ، حرّضوا مرقس ليدوّن بالكتابة ما كان قد وعاه من اقواله » (اوسابيوس ٦ - ١٤) وترتليانس القرطاجني بقوله في كتابه : في الحكم على الهراطقة وقد ألّفه عام ٢٠٠ « جولوا في الكنائس الرسولية حيث عروش الرسل عينها قائمة بعد في مكانها ، حيث تُقرأ رسائلهم الثابتة مردّدة صدى صوتهم جاعلةً صورة كل منهم نصب العيون » فاذا كنتم قريباً من اخائية فعندكم قورنثس او غير بعيدين من مقدونية فأمامكم فيلبي وتسالونيقي . وان استطعتم المضيّ الى جهة آسيا الصغرى فلديكم افسس وان كنتم على حدود ايطاليا فأمامكم رومية التي نستند نحن ايضاً على سلطتها (ذلك لان كنيسة قرطاجنة كانت مرتبطة بكرسي رومية) يالها كنيسة سعيدة ، ان الرسل سكبوا فيها كل

تعليمهم مع دمهم . فبطرس كابد فيها عذاباً مماثلاً لعذاب الرب ، وبولس كُلّل فيها بموت يشابه موت يوحنا المعمدان . ويوحنا الرسول غُطّس فيها في زيت مغليّ وخرج منه سالماً ورأى نفسه منفياً في جزيرة » (عدد ٣٦ ص ٧٩) والعلامة اوريجانس بقوله في الكتاب الثالث من تفسير سفر التكوين « اما بطرس فصار الى البنطس وغلاطية وبيثينية وقفادوقية وآسيا . وكان يبشّر اليهود اهل الختان . وفي آخر الامر توجه الى رومية وصُلب منكّساً ، وهو الذي سأل ان يؤلّم على هذه الطريقة » (اوسابيوس ٣-١) (١)

---

(١) ذكر اوسابيوس في تاريخه البيعي ك ٢ ف ١٧ ان فيلون الحكيم العبري الاسكندري شخص ثانية الى رومية في عهد قلوديوس وشاهد ثم بطرس الرسول وحادثه . وعنه نقل ابن العبري بقوله في تاريخه المدني السرياني ص ٦٩ ان فيلون واجه بطرس وهو يبشر في رومية ، على ان بعض المستشرقين يضعّفون هذه الرواية . اما فيلون الذي ولد حوالي سنة ٢٠٠ ق.م فكان فيلسوفاً ذكياً اوفده اليهود الى رومية شفيعاً فيهم لدى القيصر غايوس سنة ٣٩ او ٤٠ وله بعض المصنّفات .

وشهد مار ديونيسيوس القورنثي ايضاً ان الرسولين العظيمين علّما بلاد ايطاليا حقائق ديننا المسيحي المُبين .

ومن اقدم كنائسها بعد كنيسة رومية ، كنيسة مدينة بُطيولي التي وجد فيها القديس بولس اخوة مؤمنين مكث عندهم سبعة ايام حوالي سنة ٦٣ وتليها مدينة رافنّا وميلان واكيلا .

وكان في مدينتي مرسيليا وليون في بلاد فرنسا المسماة قديماً غاليا ، جالية سورية كبيرة دأبها التجارة . وكان يقدم اليها خلق كثير من اهل آسيا الصغرى . وهم الذين زرعوا في تربتها بذار الايمان المسيحي ، فنشأ منذ اواسط القرن الثاني جماعة مسيحية اشتهرت بحماستها الدينية ، وذلك في مدينتي ليون وفينّا . واول اسقف قام في ليون هو القديس بوتينس الاسيوي المحتد الذي استشهد مع عدة شهداء فرنسيين وعمره تسعون سنة . وخلفه سنة ١٧٧ القديس ايرناوس الاسيوي المشهور الذي ذكر وجود بعض كنائس في بلاد جرمانيا ايضاً .

واما اسبانيا فيظن بعض المؤرخين ومفسري الكتاب الآلهي ، ان الرسول مار بولس اذاق اهلها حلاوة الايمان

وثنياً في احدى مدن سورية المجاورة لما بين النهرين المسماة سورية الفرات . وتبحّر في العلوم اليونانية واستقرى دقائقها . ويظن انه كان له المام بالعبرانية ايضاً . فلما كملت سنّه ، قرأ كتب الانبيآء فرسخت في نفسه صحة حقائق الدين المسيحي ، لاسيما قيامة الموتى التي كان يرتاب منها . فتنصّر عن عقيدة صادقة وقد أشرق نور اليقين في نفسه . ثم اختاره الله سبحانه لاسقفية انطاكية خلفاً للاسقف قورنيليوس سنة ١٦٩ فأخذ يقابل بين كمال الدين المسيحي وقداسته وبين جهالات الوثنية ومناقضاتها وسقوطها الادبي ، واصبح بمثابة احد رؤسآء الجيش المسيحي الذين يحاربون ضلال الهراطقة . فصنّف رداً على مرقيون كتاباً دلّ على شجاعته . وكتاباً دحض فيه بدعة هرموجين ، وكتاباً آخر في أصل الانسان بحسب تعليم التوراة واساطير الوثنية (ميثولوجيا) وبعض رسائل لتعليم المؤمنين وتهذيبهم وبنآء الكنيسة ، وضعها بغاية الدقة والجودة ولم يبق من تآليفه هذه كلها سوى نُتف .

واما مُصنّفه الباقي الى اليوم فهو الذي طواه على ثلاثة كتب وجعله جواباً الى اوتوليكوس ، وكان هذا

حاكماً وثنياً مثقفاً يؤلف كتباً يسخر فيها من الدين المسيحي ويفتري عليه ، مستنداً على سخافات العامّة . ولما كان انشاؤه سلساً وكلامه مأنوساً يسترق الافهام ، أقبل قوم على مطالعة كتبه . وكان يلوم مار ثاوفيلس لاعتناقه النصرانية مظهراً اعجابه بآلهة الوثنيين وموجهاً اليه ثلاثة اسئلة ليريه آلهه .

فبحث مار ثاوفيلس في الكتاب الاول طبيعة الله والقيامة ورفعة شأن المسيحيين . وكرّر في الثاني الموضوع نفسه مبيناً عجز التعاليم الوثنية معارضاً اياها بتعاليم الكتب المقدسة في اصل العالم والعبادة والآداب ، واثبت له من تواريخ الوثنيين انفسهم سخافة الدين الوثني . وبرهن له في الكتاب الثالث على قِدَم الكتاب المقدس ردّاً على اعتراضه على حداثة الدين المسيحي . ودحض التهم التي ألصقها الوثنيون بالمسيحيين وآدابهم وقال له من الجملة « تقول لي أرِني آلهك وانا اقول لك أَرِني اي رجل انت فأريك آلهي . أَرِني عينَي نفسك اذا كانتا صافيتين . أَرني أُذُني قلبك اذا كانتا مقتدرتين على الاصغاء . انك تسيء الحكم على الله لانك لا تمارس عبادته . وقد كنت

انا ايضاً كذلك ارفض الايمان به ، ولكنني بعدما اعملت الفكر اصبحت مؤمناً ، وعندي في الله ما يضمنني ، فاذا صحّ عزمك سهلت عليك طاعة الله » .

وكان القديس ثاوفيلس من صدور العلماء المحققين في علم العقائد ، ضليعاً في التاريخ العلمي . ومصنفاته جدّ مقدسة وهو دون مار يوسطينس واثناغورس في التبحّر الفلسفي ، لكنه أعلى كعباً منهما في صناعة الادب . وانشاؤه محكم السبك منمّق العبارة ناصع البيان عليه رونق الفصاحة وهو موشّى بالبدائع والمحاسن . ومما يؤثر عنه انه اول من استعمل لفظة التثليث في الثالوث الاقدس . وبعدما احسن رعاية الكرسي الرسولي بطهر وقداسة زهاء ثلاث عشرة سنة نقله الله الى دار كرامته سنة ١٨١ وقيل ١٨٢

الفصل الثاني والعشرون

في مسئلة عيد الفصح سنة ١٩٧

اختلف المسيحيون في تعيين يوم عيد الفصح المقدس ففي كنائس آسيا الصغرى كانوا يُفصحون في

اليوم الرابع عشر من شهر نيسان العبري القمري في اي يوم اتفق من الاسبوع . واما في كنائس رومية وغيرها فكانوا يعيّدون في يوم الاحد التالي لذلك اليوم . وكان كل منهم ينسب رأيه الى الرسل الاطهار . ولذلك حدث انقسام في كنيسة اللاذقية في فريجية سنة ١٦٧ وكان القديس بوليقرفوس اسقف ازمير قد حاور انيقطس اسقف رومية في هذا الشأن سنة ١٥٥ ولم يتمكن احدهما من اقناع صاحبه فبقيت كنائس آسيا على عادتها .

وفي سنة ١٩٠ اراد فكتور اسقف رومية ان ينهي المسئلة فطلب الى بوليقراتوس اسقف افسس ان يجمع الاساقفة ويذاكرهم في الامر . فلما اجتمعوا قرّروا البقاء على عادتهم . فكتب بوليقراتوس الى فكتور مصوّباً عادة بلاده ، ومنوّهاً بمشاهير كنائس آسيا الذين جروا عليها بدءاً من الرسولين فيلبس ويوحنا . وكان بوليقراتوس شيخاً من أسرة تقيّة نشأ منها سبعة اساقفة ، وقد تثقف بكتاب الله متصلاً بأفاضل معاصريه .

وعُقد مجامع اخرى في ما ذكره المؤرخ اوسابيوس القيسري ، قررت ان يكون العيد يوم الاحد . منها مجمع

في فلسطين ومجمع في بلاد البنطس وآخر في ولاية الرها . اما فكتور فاراد ان يفصل كنائس آسيا من الشركة ولكنها لم تعبأ برسائله وقاومه الاساقفة مقاومة شديدة .

الفصل الثالث والعشرون

في القديس ايوناوس سنة ١٤٠—٢٠٢ +

كان ابناء البيعة المسيحية في النصف الثاني من القرن الثاني ، قد أيقظوا رأيهم لاربعة مطالب كبيرة ، والغرباء عنها يستقرون أطوارها ، وهي المطلب الادبي والفلسفي والعقائدي والاحتجاجي . وعُني بها وصرّف فيها أعنة الفكر على التوالي : هرما ومار يوسطينس ومار ايرناوس وترتليانس ، وقد مرّ بك خبر الاوّلين . وسيأتيك خبر الرابع . اما ايرناوس فوُلد مسيحياً في بعض بلاد آسيا الصغرى بين سنة ١٣٥ — ١٤٠ وتتلمذ في صباه لمار فوليقرفوس اسقف ازمير ومار بابيا اسقف هيرابوليس وغيرهما من الشيوخ الرسوليين الذين أخذ عنهم . ثم اقام في رومية زمناً مديداً وقرأ على مار يوسطينس

الفيلسوف . ثم رحل الى مدينة ليون في فرنسا وألقى فيها العصا ، فسامه اسقفها فوتينس قسيساً . وفي سنة ١٧٧ او ١٧٨ ثارت شدة مرقس اوراليوس على كنيسة ليون الزاهرة ، فأخبر أهلها اخوتهم المؤمنين في آسيا وفريجية بأمرهم . وذكروا استشهاد اسقفهم الشيخ القديس فوتينس ، وكان كاتب هذه الرسالة الجليلة ايرناوس وحمّلوه ايضاً رسالةً الى البابا الوثاروس . ثم خلف ايرناوس فوتينس في كرسي الاسقفية ودبّر رعيّته نيفاً وعشرين سنة بنشاط عظيم ، وبعث رسلاً كثيرين لتبشير بلاد فرنسا . وتداخل في مسئلة عيد الفصح بفطنة وفنّد بدع الغنوستيين . وانتقل الى جوار ربّه شهيداً في شدة سبتيمس سويرس حوالي سنة ٢٠٢ او ٢٠٣ وقال المعلم هيرونيمس انه بني كنيسة على اسمه .

وكان القديس ايرناوس قد اخذ نفسه بصحبة الفضائل ، وهو من اعيان العلماء . ذكر اوسابيوس بعض رسائله ومن اخص تصانيفه كتاب بيان الحق الانجيلي ، وكتاب دحض فيه الهرطقات وفنّد الغنوستية بالبراهين المنطقية وكلام الله والتقليد الكنائسي . وكان ثاقب العقل

شريف النفس سهل الاسلوب في انشائه واضح الطريقة. وقال فيه مار ابيفانيوس انه كان علاّمة فصيحاً قد أفاض عليه الروح القدس ينابيع مواهبه. وقال آخر : انه أنار بلاد فرنسا الغربية . وانما هفا باتباعه رأي بابيا في ملك المسيح الارضي الف سنة فعل هذا بدون تروٍّ . ومن خلفائه الاقربين فوستينس اسقف ليون في اواسط القرن الثالث .

الفصل الرابع والعشرون

في القديس سرافيون الانطاكي ١٨٩—٢١١ +

بعد وفاة القديس ثاوفياس الانطاكي قام مكانه الاسقف مكسيمينس ، ورقد بالرب حوالي سنة ١٨٩ او ١٩٠ فخلفه مار سرافيون وهو التاسع في عدد الاحبار الانطاكيين . وبعدما رئس الكرسي الرسولي احدى وعشرين سنة مضى الى ربّه في حدود سنة ٢١١ وقيل ٢١٢ وكان حبراً شديد الغيرة على جوهرة الارثذكسية الثمينة ، وكاتباً فصيحاً خلف عدة مصنفات جليلة ،

عرف منها اوسابيوس مجموعة رسائل تدلّ على علمه وفضله؛ منها رسالة الى الاكليريكيّين قاريقوس وبنطيوس، امضاها معه عدة اساقفة برهن فيها على ان الكنيسة باجمعها شجبت هرطقة المنطانيين. ورسالة الى دمنوس الذي كان مسيحياً وارتد عن الايمان، ساقطاً في خُرافة اليهود مدة اضطهاد القيصر سبتيموس سويرس. ورسائل اخرى مختصرة تطابق سيرته المقدسة والقشِفة.

واشهر تآليفه مصنف وضعه ضد الانجيل الموضوع الذي نحله قومٌ بطرس الرسول. وذلك انه زار في بعض الايام مدينة روسس الواقعة على خليج ايسوس في قيليقية، فرأى المؤمنين وقد اختلفت كلمتهم في امر هذا الانجيل. ولم يكن سرافيون قد طالع الكتاب وظن انّهم كلهم ارثد كسيو المعتقد ففكر ان يأذن لهم بقرائته تهدئةً للخصام. لكنه عندما عرف سوء مقصد من استأذنه، وان قراءته توقع كثيرين منهم في مهاوي الهرطقة، استعاره من بعض الهراطقة واضعيه وطالعه مليًّا. فتبين له انه مع جودته يحوي نقاطاً عديدة تخالف الحق وتوافق البدعة. فألف كتاباً ضمنه ما حواه ذلك الانجيل المزوّر

المسيحي ، وذلك في اواخر حياته بين سنتي ٦٤ و ٦٥ استناداً الى اشارته في بعض رسائله الى رغبته في زيارة البلاد الاسبانية . ومن الثابت انه وجدت جماعة مسيحية في مدينة قاديس منذ اواسط القرن الثاني .

الفصل السابع عشر

في النصرانية في مصر وافريقية

كانت مصر مأهولة بجماهير كثيرة من اليونانيين واليهود . وكانت جماعة من اليهود قد اتخذت طريقة الزهد والتعبّد وعرفت باسم الآسينيين وذلك قبيل العصر المسيحي . وكان من جملة اليهود الذين حضروا عيد العنصرة في اورشليم ، قوم من مصر وبلاد ليبيّة القريبة من القَيْرَوان . واما بشرى الانجيل السعيدة فقد حملها الى مصر اكثر من رسول ومنهم مار لوقا الانجيلي . ولكن البشير الذي هدى المصريين الى النصرانية بنوع خاص هو القديس مرقس الانجيلي . فقد وافى الاسكندرية في حدود سنة ٦١ ونصّر فيها فئةً من اهلها منهم انيانوس الاسكاف الذي اقامه اسقفاً عليها . وبعد ان توجه الى

افسس ورومية عاد الى افتقادها سنة ٦٧ مستأنفاً عمل التبشير بملكوت الله . فقبض عليه الوثنيون الحنِقون عليه وعذّبوه حتى اسلم روحه الطاهرة سنة ٦٨ وعُدَّ مؤسساً للكرسي الاسكندري . ثم انتشرت النصرانية في انحاء البلاد المصرية انتشاراً عظيماً حتى بلغ عدد اساقفتها زهاء مئة في اواخر القرن الثالث .

اما افريقية الشمالية اي بلاد طرابلس الغرب والجزائر ومراكش وتونس ، فلا يُعلم تماماً من نصّرها . انما قَيْرَوان وهي احدى الخمس مدن الغربية قصبة ليبيّة الواقعة في الجانب الشرقي من طرابلس الغرب ، كان ربع اهاليها يهوداً وحضر بعضهم في اورشليم يوم الخمسين . ومنها كان سمعان الذي حمل صليب السيد المسيح ومنها نشأ بعض مبشرين دخلوا انطاكية وبشّروا اليونانيين باسم يسوع . اشهرهم لوقيوس القيرواني احد المعلمين والانبياء الاطهار — وقال بعضهم ان القديس مرقس الانجيلي بشر ايضاً في هذه المدن الخمس . والأظهر ان النصرانية دخلت الى مدينة قرطاجنة عاصمة تلك البلاد ، في صدر القرن الثاني ومنها انتشرت الى البلاد الداخلية .

وفي سنة ١٨٠ وجدت جماعة مسيحية في مدينه سلّلي البعيدة عن العاصمة . واول اسقف معروف قام في قرطاجنة هو اغريبينوس الذي عقد في سنة ١٩٧ مجمعاً مؤلفاً من سبعين اسقفاً .

ومن هذه البلاد نشأ فكتور اسقف رومية (١٨٩ — ١٩٩) ونبغ القس ترتليانس الكاتب المشهور سنة ١٩٧

الفصل الثامن عشر

في النصرانية في بلاد العرب

قد اثبت العلامة مار يعقوب الرهاوي في رسالته الى يوحنا الأثاربي الناسك العمودي ، ان الخصي الذي اخبرنا بامره سفر الابركسيس وآمن بالرب يسوع وعمّده القديس فيلبس المبشّر ، كان وزيراً لقنداقة ملكة سبأ ، لا ملكة الحبشة . لان مملكة الحبشة التي يقال لها ايضاً ايتيوبيا لم يملك فيها امرأة في قديم الزمان ، بخلاف مملكة سبأ التي تملكت فيها بعض النساء . وقد جرت العادة ان يطلق على جميع

الشعوب السود لوناً اسم الاحباش او الكوشيين . وقد سبقه بهذا الرأي القديس افرام الملفان السرياني المشهور في نشيده الموسوم بالجوهرة وقال : ان ذلك الخصيّ حمل نور الدين المسيحي ، الى بلاده التي هي مملكة سبأ فاستنارت به .

وبلاد سبأ هي بلاد اليمن التي عرفت ايضاً باسم بلاد الحِمْيَريين . ويرجّح ان الرسول مار برثلماوس ايضاً بشرهم بالانجيل المقدس ، وانذرهم بعد ذلك القس بنتانوس استاذ المدرسة الاسكندرية في سنة ١٨٩ وأنشى في اليمن بعض اسقفيات .

ونعلم ايضاً ان بعض الرسل بشروا في بادية الشام وبرّية طور سينا وبلاد الحجاز . واخبرنا سفر اعمال الرسل ان عرباً كانوا في اورشليم في عيد الخمسين — واعلمنا مار بولس نفسه انه في اول امره توجه الى بلاد العرب ويراد بها برّية سوريا . وقد انتشر الايمان المسيحي في حوران في جنوبي الشام منذ القرن الثاني وكان لها اسقف يقيم في مدينة بُصرى .

وفي سنة ٢١٤ زارها العلامة اوريجانس واصلح

اخطأ اسقفها بيرللوس الذي كان قد حاد عن محجة العقيدة القويمة — ثم حضر اوريجانس في مجمع عُقد فيها لتصحيح الاعتقاد بالقيامة وخلود النفس وذلك حوالي سنة ٢٤٠

الفصل التاسع عشر

في النصرانية في بلاد الهند

ان بلاد الهند الاصلية العظيمة المعروفة اليوم بهذا الاسم ، وهي البلاد الواسعة المشهورة الواقعة غربي مملكة الصين وجنوبي بلاد الافغان والعجم وشرقي الاوقيانوس الهندي ، استنارت بنور السيد المسيح وسمعت بشرى دينه الصحيح بلسان القديس توما الرسول ، احد الحواريين الاثني عشر الذي اصابته القرعة للتبشير فيها . فباع نفسه لتاجر هندي اسمه حبان بصفة صانع ماهر يبني القصور . ولما اتصل بملك الهند وتناول منه مالاً جليلاً برسم البناء ، وزّعه على اهل البؤس والفاقة وقال للملك انه بنى له به قصراً في السماء . فلما أوقع الملك به ثم عرف صحة قوله بحلم ظهر لأخيه ، استنار لبه بالنعمة

الآلهية فآمن بالسيد المسيح هو وجمهور من رجال دولته وبني قومه ، بعدما عاينوا بواهر المعجزات التي فعلها الله على يد رسوله المجاهد الامين . وبعدما نشر مار توما الرسالة الانجيلية في بلاد كثيرة وسام بها اسقفاً واكليروساً ، عذّبه كهّان الاصنام انتقاماً منه ، وسلخوا جلده وهو حيّ ثم طعنوه بالرماح في جنبه ففاظت نفسه الزكية في مدينة مليابور على الارجح . وروى العلاّمة ابن العبري ان استشهاده تمّ في مدينة قامينة . ثم نقل رفاته الطاهر الى مدينة الرُها في عهد اسقفها قورا سنة ٣٩٤ وبُنيت باسمه كنيسة فاخرة ، وأيّد هذا القديس يوحنا الذهبي الفم في بعض خُطبه .

وصرّح القديس افرام الملفان وتلميذه قورلّونا في اواخر القرن الرابع في بعض ميامرهما (قصائدهما) ان الهند اقتبلت البشارة المسيحية بلسان مار توما الرسول . اما القديس يعقوب السروجي الملفان في اوائل القرن السادس ، فبعدما قرر ان بطرس بشر في رومية ويوحنا في افسس وتوما في الهند نظم قصيدتين مطوّلتين بديعتين وصف فيهما هذه الحقيقة التاريخية باسهاب .

واثبت صاحب كتاب تعليم الرسل خبر تبشير القديس توما الرسول للبلاد الهندية ، واستفاض ذلك على ألسنة المؤرخين قاطبة فدوّنوه ، وأطلق على نصارى الهند اسم نصارى مار توما . ومهما حاول بعض المستشرقين المتطرفين انكار هذه الحقيقة فانهم لا محالة فاشلون .

الفصل العشرون

في هجسيبُس حوالي سنة ١٨٠

كان هجسيبُس على الارجح عبرانياً فلسطينياً ، او من فرقة الناصريين على رأي بعضهم . وولد حوالي سنة ١١٠ وتنصّر في حدود سنة ١٥٠ ثم حمل نفسه على الطواف في البلاد المسيحية في عهد البابا انيقطس (١٥٥ — ١٦٦ +) وصحب الاساقفة سنين عديدة وسمع منهم . وزار مدينة قورنثس في زمان اسقفها برِيموس ثم استمرّ في رومية زمناً مديداً حيث صرف همّه الى توحيد التعاليم الكنائسية وضبط جدول اساقفتها . ولما عاد الى وطنه صنف حوالي سنة ١٨٠ كتاباً باليونانية في خمس

مقالات اسماه الخواطر وقد ضاع أكثره . وانما نقل اوسابيوس منه فصولاً مفيدة عن استشهاد مار يعقوب اخي الرب وخليفته مار سمعان ابن كلاوبا وعن الرسل ، ودحض الهراطقة ولاسيما الادريّة ، بعدما عارضها بتقليد الكنائس الصحيح الذي بحثه في مكانه ، واثبت اتفاقه واتصاله ببشارة الرسل . واثبت جدول الاساقفة للكراسي الرسولية الاربعة ليبرهن ان في كل كنيسة اتصالاً وثيقاً بين تعليم الرسل المؤسسين وتعليم الاساقفة المعاصرين . وكان قصده في تأليفه هذا ، الذبّ عن الدين المسيحي . وشهد ان ضريح مار يعقوب الصغير لم يزل معروفاً بكتابة اسمه عليه . اما انشاؤه ولو كان ساذجاً لعدم اضطلاعه باللغة اليونانية ، لكنه كان نبيه الفكر لطيف الاشارة دقيقاً في استنتاجه صادق الرواية وكان يعرف العبرية والسريانية .

الفصل الحادي والعشرون

في القديس ثاوفيلس الانطاكي ١٦٩—١٨١ +

القديس ثاوفيلس هو سابع بطاركة انطاكية . وُلد

من التعاليم الفاسدة ونقضها . وفنّد فيه ايضاً مبتدعاً اسمه مرقيانس وبعث بالكتاب الى اهل روسس وأنبأهم بقرب زيارته لهم .

الفصل الخامس والعشرون

في اعمال اساقفة حدياب (اربيل)
من سنة ١٠٤ حتى سنة ٢١٦

لما كانت اخبار اساقفة ولاية حدياب في بلاد ما بين النهرين السفلى في صدر النصرانية ، هي الوحيدة التي حفظها التاريخ ووصلت الينا ، ومنها تُعرف حالة الدين المسيحي في تلك الاصقاع من جهة انتشاره وما ألمّ به من المكاره رأينا ان نفرد لها فصلاً فنقول :

حينما دعا القديس ادّى الرسول وتلاميذه اهل تلك البلاد الى الدين الصحيح وهدى قوماً منهم ، سام احد تلاميذه رجلاً فقيراً اسمه فقيدا اسقفاً لبلاد حدياب حوالي سنة ١٠٤ م (١) فأقام عشر سنين ونصّر خلقاً كثيرين بما

(١) جاء في تاريخ مشيحا زخا ان مار ادّى سام فقيدا والارجح انه سيم بيد بعض اعوانه فانه يستبعد أن يكون الرسول قد عاش حتى سنة ١٠٤

فعله الله سبحانه على يده من الخوارق . وخلفهُ خادمه شمشون في الاسقفية في حدود سنة ١٢٠ . وعمّد خلقاً من المجوس فقتلوه شهيداً سنة ١٢٣ وخلا الكرسي زهاء اثنتي عشرة سنة . ثم قام مقامه الاسقف اسحق ثلاث عشرة سنة ، وكان غيوراً وعفيفاً . ومن خبره انه هدى وجيهاً غنيًّا اسمه رقبخت كان الملك ولغش قد أقامه عاملًا له في تلك الناحية ، فانتشرت البشارة الانجيلية بعنايته . ثم قُتل رقبخت اثناء دفاعه عن المملكة . وفي سنة ١٤٨ قام مكان الاسقف اسحق ابراهيم الاول الملفان واحسن تدبير كرسيّه بحلم وصدر رحب وجناح مخفوض . واقام زمناً مديداً في الجبال العليا مبشّراً . وفي زمانه اوقع المجوس الاذى بالنصارى وانتهبوا اموالهم . فأوقف أذاهم عن الرعية بحكمته وعجائبه ونزل الى مدينة قسطفون وادركته منيّته في الوبآء — فخلفه تلميذه الاسقف نوح حوالي سنة ١٦٣ وارتاض بالعبادة . وفعل الله على يده معجزات وثارت الشدّة فحُبس مراراً وجُلد . وابرأ ولداً لرئيس قرية واقعة على نهر الزاب يقال له زرشاه فآمن هو واهل بيته . ثم نصّر القرية كلها وغيرها من القرى . وقام بعده الاسقف

هابيل سنة ١٨٣ وكان منذ صباه كريم الخليقة محمود الشمائل حسن السيرة . وفي عهده ثار الفرثيّون على نرسي ملك حدياب وخربوا البلاد . وخلفه الاسقف عبد المسيح الإربلي سنة ١٩٠ ومدته زهاء خمس وعشرين سنة على الارجح ودعا الى النصرانية ، وملك السلام في زمانه وكثرت البيع والصوامع .

الفصل السادس والعشرون

في مدرسة الاسكندرية وبنطينس واقليميس الاسكندري

قال أوسابيوس : « اشتهرت كنيسة الاسكندرية من عهد قديم ، بدار تعليم للعلوم القدسية كان يتولى امرها رجال عُرفوا بقوة العارضة ، وتميّزوا بالاجتهاد فى الصلاح والحثّ على التقوى . وكان اطولهم باعاً بنطينس النابغة في ادب الحكمة » .

وهذه الدار هي التي سميت ديدسقاليون (اي التعليم) وكان فيها اساتذة مسيحيون تصدّروا لشرح عقائد الكنيسة المسيحية للطالبين ، وتفوقت على مدرسة

مار يسطينس الفيلسوف في رومية . وكان المؤمنين رأوا تأسيس مدرسة هذا شأنها امراً ضرورياً ، بجانب المدارس الفلسفية التي تفاوتت نظرياتها بين علوم الوثنيين واليهود ، واقدم اساتذتها المعروفين ، بنطينس .

كان بنطينس في اول امره متحزباً لمبادىء فلسفة زينون ولما تحدث الى بعض القسوس من التلاميذ الذين عاشروا الرسل وأخذوا عنهم ، وقعت النصرانية من قلبه احسن موقع فاعتنقها ، وصرف همته الى النظر في كتاب الله متحمساً حتى علا صيتُه ، ونبغ في التفسير والفلسفة والعلم اللاهوتي . ونهج مناهج المبشرين بكلام الله وكانوا كثيراً عديدهم لذلك العهد الزاهر . فتوجه الى بلاد اليمن مبشراً فوجد عندهم من انجيل مار متى نسخة عبرانية الخطّ كان مار برتلماوس الرسول قد تركها عندهم . ثم ترأس مدرسة الاسكندرية . وكفاه فخراً انه انجب تلميذاً نظير اقليميس الذي قال في حق استاذه « بنطينس نحلة حقيقية من جزيرة صقليّة تطوف المروج وتمتص ازاهير النبيّين والحواريين ، لتكسب نفوس سامعيها ثراءً من العلم نقياً » قيل انه رئس المدرسة نحو سنة ١٨٠

حتى ١٩٠ وتوفي في حدود سنة ٢٠٠ وله تآليف مفقودة .

اما القس اقليميس المعروف بالاسكندري ، فهو تيطس فلافيوس قليميس ولد على الارجح في اثينا وثنياً حوالي منتصف القرن الثاني ، وتميز في الفلسفة وطاف بلاداً كثيرة حتى ألقى عصاه في الاسكندرية فنُسب اليها . وكان يفتش عن الحق مجتهداً وهو يطالع الكتب القديمة ويسائل الاساتذة ، فلم يجد ضالّته الاّ في النصرانية . فاستسلم اليها مؤمناً ولازم بنطينس واخذ عنه ، وخلفه في ادارة الديدسقاليون نحو سنة ١٩٠ وكان يجتمع حول منبره طبقات الناس من علماء الاسكندرية عشاق الفلسفة ، واغنياء ومتفرغين من العمل ليملأ وافراغ اوقاتهم وهم اطقة ينشدون الحق . وسامه اسقف الاسكندرية قساً فتصدر لتعليم الحكمة المسيحية مدة ثلاث عشرة سنة . وكان استاذاً غيوراً يحرّض الوثنيين على هجر خرافاتهم ، ساخراً من آلهتهم الكاذبة لاهياً باسرارهم ، مبتهلاً الى الله ليهديهم الى محجة التعليم الالهي . وكان يعلّم المهتدين الارتياض بالسيرة المسيحية بحكمة واقتصاد ، مجتهداً في ترقية نفوسهم الى الاقتداء بمثال المسيح رويداً رويداً . ثم ينتقل

بهم الى القسم العقائدي فيخرّج تلاميذه بعلم كامل وبالخضوع لتعاليم الكنيسة .

ولما أثار القيصر سويرس الاضطهاد سنة ٢٠٢ او ٢٠٣ أُغلقت المدرسة فلجأ قليميس الى بلاد قفادوقية واقام عند تلميذه القديم مار الكسندروس اسقف قيسرية . فعندما طُرح الاسقف في السجن لشدة الاضطهاد ، ناب القس قليميس منابه في تدبير البيعة فشدّد عزائم المؤمنين وهدى قوماً الى الدين المسيحي .

وفي سنة ٢١١ او ٢١٢ أوفده الكسندروس برسالة الى اهل انطاكية وكانوا يعرفونه ، نعتَه فيها « بالقس القديس المعتبر الفاضل الذي عضد بنشاطه العلم الالهي وأغنى كنيسة الرب » وسار الى جوار ربه بعد ذلك بزمن قليل بين سنة ٢١١ — ٢١٥

وقال مار الكسندروس في حق بنطينس وقليميس في رسالة كتبها الى اوريجانس حوالي سنة ٢١٥ « لقد كانت هذه بلا ريب ارادة الله ان تبقى مودتنا كما تعلم ، منذ زمان اجدادنا ثابتة وثيقة العُرى وهي تزداد حسناً وخلوصاً بحيث امست اشدّ واقوى . اننا نعرف

ذانك الابوين الطيبي الذكر اللذين سبقانا في الطريق ونحن عمّا قليل في اثرهما سائرون ، بانطينس الاستاذ المغبوط في الحقيقة ، واقليميس الجليل الذي صار استاذي وانجدني (ونشّطني) وغيرهما اذا كان لهما (مثيل) هما عرّفاني بك انت البارع في كل علم ياسيدي واخي » .

وكتب قليميس مصنفات كثيرة اخصّها لهداية الوثنيين ، اشهرها كتاب « ارشاد اليونانيين » بحث فيه عبث الدين الوثني وعظمة النصرانية . وكتاب «المعلّم» وهو ادبي علمي في واجبات الحياة اليومية . وكتاب «الوشآء»(١) ويسميه بعضهم كتاب «التقارير» (سترومات) وهو اكبر مصنفاته واكثرها إشكالاً . ألّفه في شيخوخته جامعاً فيه كل ما أخذه عن شيوخه ، ونوّه فيه بميليطون وايرناوس . وهو مجموعة آداب علمية وتأملات متنوعة خاصة بالكاملين ، وتفسير رمزي لعدة نبذ من التوراة ، وهذا الكتاب ضعيف الترتيب والتنسيق باقرار مصنفه . ومقالة عنوانها : ايّ من الاغنياء يفوز بالخلاص ؟

وكان اقليميس محدّثاً جميل المحاضرة كثير المحفوظ

---

(١) الوشآء جمع الوشي وهو نقش الثوب ويكون من كل نوع .

من شعر ونثر ، يمزج في حديثه وروايته الجدّ بالهزل بكلام سهل رشيق ، وقد غلبت هذه المزايا على مؤلفاته التي كانت فوائدها معيناً لا ينضب واشتملت على ثقافة هي الغاية في التهذيب . وانشآؤه الذي يتخلله الاسهاب لا يدعو الى الملل لطلاوته . وكان يرى ان الفلسفة انما اعطيت الى اليونانيين سبيلاً الى الفلسفة المسيحية . ومع احاطته بالاسفار المقدسة والموضوعة ، وتبحّره في الفلسفة والادب المسيحي واليوناني ، وبراعته في علم التفسير والادب الاجتماعي اللذين تميّز بهما ، فقد هفا في آراء مستغربة في العلم اللاهوتي وتهوّر في بعض مذاهب ضعيفة بل فاسدة في مانقل عنه فوتيوس . على ان في تعابيره اخطآء في الالفاظ دون المعاني ترجع الى نقص الاصطلاح اللاهوتي عصرئذ - وقد كان في طريق الانشآء - فضلاً عن ميل المؤلف الى الطريقة الرمزية في تفسير الكتاب الالهي .

الفصل السابع والعشرون

في الاحتجاج عن النصرانية

لما كانت الحكومة الرومامية الوثنيّة تعتبر الديانة

المسيحية ديانة غير شرعية ، وأتباعها اعداء للدولة ورسومها الاساسية ، وكان بعض الشعب الوثني يرمي المسيحيين بأشنع التهم وافظعها . وبعضهم يقرفهم بالجمود والتقصير في محبتهم الوطنية ، وكان اليهود ايضاً يفترون عليهم ويذكرونهم بالسوء بسائق الحقد والاوهام ، نهض علماء المسيحيين اصحاب الاحتجاج ينفون عنهم هذه التهم الباطلة وينالون لهم حق الوجود . وانتقلوا من هذا الوجه السلبي الى الوجه الايجابي فبرهنوا على حقيقة الدين المسيحي وشرفه وسموّه . وفي دفاعهم هذا هاجموا الوثنية الفاسدة ، وارادوا اقناع اليهود بحقيقة رسالة السيد المسيح الآلهية .

وكان اصحاب الاحتجاج يقصدون إما الوثنيين وإما اليهود . فمنهم من وجّه كتابه الى القيصر ورجال المشيخة كقياصرة آل انطونينس وكانوا فلاسفة عدولاً ومعتدلين . ولهذا كان مار يوسطينس واثناغورس يؤملان ان يصغي اولئك الملوك اليهما . ومنهم من وجّه احتجاجه الى الجمهور او الى بعض الخاصة كما فعل القديس ثاوفيلس في كتبه الثلاثة الى اوتوليكوس . ومن الاحتجاجات على اليهود المحاورة مع تريفون اليهودي تصنيف القديس يُسطينس .

والعلماء المناضلون عن الدين المبين المنتصرون له والذابون عنه في القرن الثاني هم عشرة ، وقد غالت يد الدهر تآليف خمسة منهم وهم :

الاول : قوادراطوس تلميذ الرسل في آسيا الصغرى ، كتب احتجاجاً الى القيصر ادريانس سنة ١٢٥ او ١٢٩

الثاني : اريستون المولود في مدينة فلّة بقرب اورشليم ، وهو اول من كتب مدافعة قيّمة ضد اليهود على طريقة المحاورة نحو سنة ١٣٥ وجعل المحاورة بين ياسون وبابسكوس وجادل المسيحيُّ اليهودي طبقاً للكتب اليهودية ، مبرهناً ان النبوات على المسيح تمت في يسوع . وعنه نقل اوسابيوس اخبار الثورة اليهودية الفاشلة التي قام بها ابن كوكبا الاثيم .

الثالث : ميلتياد الاسيوي كان في حدود سنة ١٠٥-١٩٣ وله ثلاث مدافعات .

الرابع : قلوديوس ابوليناريوس اسقف هيرابليس في فريجية ، ازهر في عهد القيصر مرقس اوراليوس (١٦١-١٨٠) وهو اول اسقف كتب احتجاجاً عن الدين المسيحي قدمه الى هذا القيصر حوالي سنة ١٧٢

وصنف خمس مقالات ضد الوثنيين ومقالتين رداً على اليهود بين سنة ١٦٩-١٧٦ ومقالات في بدعة المنطانيين التي نشأت قبل زمانه بقليل وقد طالعها اوسابيوس .

الخامس : القديس ميليطون اسقف بيعة سرديس ، و كتب احتجاجاً بعثه الى مرقس انطونينس اوراليوس . وصنف كتاباً آخر في الحقيقة وتوفي حوالي سنة ١٧٠ او بين سنة ١٧٥ - ١٨٠ على رأي بعضهم .

اما الذين وصلت الينا احتجاجاتهم فهم :

الاول : اريستيد فيلسوف اثينا ، الذي رفع احتجاجه الى القيصر انطونينس بيوس في حدود سنة ١٤٠ وقد وجدت نسخته باللغة السريانية في خزانة كتب دير طور سينا .

الثاني : القديس يوسطينس النابلسي الفيلسوف وقد سبقت ترجمته ، كان مبشّراً وقديساً نبيلاً خُلُقه ، مشغوفاً بصنع المعروف الى سامعيه حَمِساً في خطابه متّسماً بالصدق في كلامه . وهو اول من بحث روابط العقل والايمان وادخل الالفاظ الفلسفية في تعليمه ، وضع تسعة مصنفات وقيل عشرة . وذكر له اوسابيوس دفاعين خطاباً الى الوثنيين وتفنيداً لليهود ومحاورة مع تريفون المعلم اليهودي المثقّف ،

الذي جادله مار يوسطينس في افسس وقرَعهُ بالحق حوالي سنة ١٣٢–١٣٥ وقد ذكرنا آنفاً كتابين له تقدم بهما الى القيصرين انطونينس واوراليوس وديوان الاعيان والشعب الروماني، ضمّنهما حججاً قواطع وبيّنات نواصع. وكتب ايضاً في حرب الثائر اليهودي ابن كوكبا في حدود سنة ١٥٥–١٦١

الثالث: ططيانس الاثوري وستأتي ترجمته كتب حوالي سنة ١٦٥ خطاباً نـدّد فيها باليونانيين ووثنيتهم وفلسفتهم ولغتهم وفنّهم وانتصر للنصرانية.

الرابع: اثيناغورس الآثيني كان معلم فلسفة وثنياً، تنصّر بدرسه الكتاب الآلهي وألف محاماةً عنوانها «التماس لاجل النصارى» موجهة الى القيصرين مرقس اوراليوس ولوقيوس اوراليوس قومود، وضعها في اثينا بين سنة ١٧٦–١٧٨ بانشآء واضح متين وتأليف مرتّب لكن تعوزه قوّة الحجة. وله ايضاً مقال في قيامة الاجساد كتبه نحو سنة ١٧٨ دفع فيه قول المعترض على إمكان البعث وبرهن عليه من الوجه الايجابي.

الخامس: القديس ثاوفيلس الانطاكي (١٦٩–١٨١)

وقد مرّت بك ترجمته وتصنيفه كتاباً دحض فيه مزاعم اوتوليكوس الوثني وبرّأ ساحة المسيحيين من التهم التي رماهم بها الوثنيون .

الفصل الثامن والعشرون

في الهرطقات الاولى التي ظهرت في الكنيسة في القرنين الاول والثاني

ظهرت البدع في صدر النصرانية منذ عصر الرسل الاطهار ، فلم ينمُ زرع الحق النقي حتى نبت الى جانبه زؤان الضلال . ذلك ان اليهود والوثنيين الذين تنصروا خلطوا حقائق الدين المسيحي بأديانهم القديمة وتعاليم الفلسفة التي كانت متشعبة الى مذاهب مختلفة ، وتورّطوا في مذاهب غريبة . فنشأت من العقل اليهودي الخامل وفكره المحدود بامور عيانية والمقيّد بحدود جنسية وآمال زمنيّة ، الهرطقات الابيونية والناصرية والآسينية والكسائية . وطلعت من الوثنية ، البدعة الغنوستية او الادريّة التي ارادت ان تمزج الفلسفة الشرقية واليونانية بالنصرانية ،

او كانت بمثابة مصالحة هائلة بل فاشلة بين الحقائق المسيحية الجميلة الراهنة والاضاليل الوثنية الفاضحة . فهفا كثير من الهراطقة في مزالق تعاليم فلسفية غريبة ومضلّلة سخيفة . واضف الى هذا مصدراً ثالثاً للاضطرابات التي انتابت البيعة وهو الافراط في العصبية الفردية والطموح الى الاستقلال المنافي نظام البيعة . وقد نشأ هذا الخاطر من زمان سيمون الساحر وامتدّ حتى زمان نوباطيان وملاطيوس الاسيوطي . وولّد عصياناً وشقاقات خفية وظاهرة اعقبت احزاباً خالفت العقيدة القويمة ونكّبت عن طاعة الرتبة البيعية .

واول المبتدعين ومقدامهم هو سيمون الساحر السامري الذي تنصّر واعتمد في اوائل بشارة الرسل ، وحينما اراد ان يشتري الموهبة السموية بالمال زجره القديس بطرس وطرده لفساد ايمانه ، فظهر دَغله ومكره واصطحب زانية وانطلق الى رومية وتاه في شعاب الباطل ، واغوى الرومانيين الوثنيين بسحره فأقاموا له تمثالاً وضمّوه الى آلهتهم الكاذبة . وحينما توجه هامة الرسل الى رومية بكّته واظهر افتراءه ونفاقه وانه عدو الله وابن

الشيطان ، ومحق ضلاله محقاً واشترك مع القديس بولس الرسول في الدعآء ، فسقط الملحد من الجوّ الذي تراقى اليه بسحره وتحطّم جنباه وبآء بخزي عظيم فكان من الهالكين . وقد ذكر هذا الحدث الاخير ، الذهبي الفم في مقالته في الانبيآء الكذبة والهراطقة الضالّين ، وكذلك ابيفانيوس القبرسي مقتصراً على ذكر مار بطرس . فقام بعده تلميذه مانندروس الجاحد والساحر الخبيث السامري الذي اطغى بسحره قوماً في انطاكية ، وزعم انه مخلّص وغالى في باطله واغرق في جنونه وعلّل اشياعه بالخلود . وقال مار يسطينس الفيلسوف انه كان في زمانه رهط من شيعته .

والمبتدع الثالث هو قيرنثوس وقيل انه مصري الاصل يهودي وظهر في اواخر المئة الاولى . وكان خابط جهالات كافراً بلاهوت المسيح ، يعتقد بالملك والتمتع بالشهوات على الارض الف سنة ويضاد الكتب المقدسة وجآء الى افسس يبثّ ضلاله . وقد أجاد القديس يوحنا الانجيلي بتسميته اياه « عدوّ الحق » ثم ظهر الابيونيون الهائمون في اودية الضلال الذين كانوا يعتقدون ، والعياذ بالله ،

ان سيدنا يسوع المسيح انسان محض وكان بدء امرهم في اوائل عهد طريانس .

ثم قام ساطرنينس في انطاكية بين سنة ١٠٠ - ١٢٠ وعميت عليه وجوه الرُشد فزعم ان سبعة ملائكة خلقت العالم ، وانكر طهارة الزواج . وتلاه باسيليدس رئيس عبدَة الحيَّات ، وكان معاصراً للقيصر ادريان (١١٧-١٣٨) وعلّم في الاسكندرية وانطفأت بدعته في آخر القرن الثاني - ثم والنطينس المصري الافلاطوني وعلّم في الاسكندرية ثم في قبرس فرومية سنة ١٣٨-١٦١ وغلا في جهالته بزعمه ان السيد المسيح جآء بجسده من السما . معوجاً بذلك معاني الكتاب العزيز .

وقيردون السوري معلم مرقيون وشخص الى رومية عام ١٣٠ وكان يهذي ببدع عديدة ويكذّب بالبعث وقيامة الاجساد . وكربوكراتوس ، وركب متن الغرور بزعمه ان السيد المسيح انسان محض . لكنه اسمى من البشر بقداسته وكان في اواسط المئة الثانية .

ومرقيون ابن اسقف سينوب في اقليم البنطس ، طرده ابوه لفساد سيرته فتوجه الى رومية حوالي سنة ١٤٠-١٥٠

ونفح كنيستها بهبة جليلة زهاء الفي ليرة ذهباً . وكان متحمساً لفلسفة زينون ملحداً لجّ في غوايته واوغل في عمايته . فطردته البيعة مرّتين واطّرحت هبتَه . فزعم مجدّفاً ان السيد المسيح ليس هو ابن الله ولا ابن مريم وارتاب في التجسد والآلام الخلاصية . وقال بثلاثة مبادىء : الصالح والعادل والمادة التي هي الشر ، وكذّب بالقيامة والمجازاة الابدية . ولم يقبل سوى انجيل مار لوقا وحده ، وقد نعته ترتليانس بالجرذ البنطي الذي قرض الاناجيل . وحكى ايضاً انه نـدم وارتضى بما اشترطته الكنيسة عليه لقبوله ، ولكن نزل به حِمامه فلم يفعل شيئاً . وعاشت شيعته دهراً ، وكان منها بقية غير قليلة في المائة الرابعة . واشهر تلاميذه اثنان : هرموجنيس وكان في مدينة قرطاجنة وغلا في هذيانه ففنّده القديس ثاوفيلس الانطاكي والمعلم ترتليانس . وثانيهما أبلّيس الذي سقط في شرك امرأة في الاسكندرية ولما عاد الى الى رومية علق بفخ فتاة يقال لها فيلومينة ، ملكت عليه مشاعره بتأثيرها الشيطاني وأملت عليه من سفاسفها ما ضمنّه كتاب (اذاعاته) وانتهى بها الامر الى التهور في

هوّة الخلاعة . وذكر ابن النديم انه كان من المرقيونية كثير في خراسان وذلك في آخر المائة العاشرة (١)

الفصل التاسع والعشرون

في البدعة المونطانية سنة ١٦٠

كان منطانس كاهناً وثنيًّا ثم تنصر ، وانضم اليه امرأتان يقال لهما بريسقيلة ومكسيميلية ، ادّعتا النبوة الكاذبة وزعمتا ان مونطانس هو الفارقليط وكان هو يقول برجوع السيد المسيح الى الارض وظهور اورشليم السماوية . فتبعهم جمهور من الناس خاضوا في باطلهم وتخلوا عن شؤونهم الدنيوية وزهدوا في الوطن والاهل والأُسرة والزواج ، واشتركوا في المقتنى وانصرفوا الى اشدّ اعمال النسك وأخشنها واوغلوا في غوايتهم . فقاومهم ابوليناريوس اسقف هيرابليس ثم القديس هيبوليطس الاسقف الروماني ، فلم تتوقف ضلالتهم لكنها انتشرت في آسيا الصغرى

(١) وذكر المرقيونية ايضاً البيروني وابن حزم في اواسط المئة الحادية عشرة .

وزرعت فيها الخِلف والشقاق . ولما يئسوا من اورشليم السموية حوّلوا انظارهم الى اورشليم الارضية ، وجعلوا بلدة (بوبوز) بمقام اورشليم وبدّلوا سيرتهم ، واضطرّهم الامر الى ترتيب فئة للنظر في مصالح اشياعهم . فتسربت الرّيبة الى النفوس في طريقة عيشهم الناعم . ثم هلك مونطانس وبريسقيلة ثم لحقت بهما مكسيميلة ، وترآى لبعض أتباعهم الارتفاع الى السماء فهوى فهلك . وكان ظهور هذه البدعة النكراء حوالي سنة ١٦٠ . وانقسمت بسببها كنيسة انقرة شطرين فقاومها وجاهد أشياعها ، مار سرافيون بطريرك انطاكية . وفي سنة ١٧٧ كتب عنها معترفو مدينة ليون الى الاخوة الذين في آسيا وفريجية والى الوثاروس اسقف رومية وقرّفوا اصحابها ، فنبذها اهل رومية . وحوالي سنة ٢٠٥ او ٢١٣ مال الى هذه البدعة السخيفة ، القس ترتليانس القرطاجني فاتخذه منطانيو افريقية رئيساً وتسمّوا باسمه . وكان للمونطانيين في ولاية فريجية مواسم واساقفة وائمّة ، وقلّدوا نسوة منهم قسوسيتهم واسقفيتهم الموهومة ، وكانوا يُفصحون في اليوم السادس من شهر نيسان .

الفصل الثلاثون

في ططيانس سنة ١٨٠

نبغ في المئة الثانية رجلان مشهوران أحكما لغتنا السريانية واللسان اليوناني وتمهّرا في العلوم الفلسفية وذهبت لهما في توقد الذهن ونباهة الخاطر وجودة القريحة شهرة طائلة امتدت الى آفاق النصرانية فحفل علماؤها ومؤرخوها بذكرهما واطرآء نبوغهما ، ولكنهما لم يثبتا في جادّة الارثذكسية وتطرّفا وخرجا الى البدعة ، ذلك لعدم رسوخهما في اصول النصرانية ، وهما ططيانس وبرديصان الفيلسوف .

ولد ططيانس في ولاية آثور (حديابين) من أسرة نبيلة موسرة حوالي سنة ١١٠ وتربى في الوثنية ، ودرس اللغتين السريانية واليونانية وعلومها والخطابة والتاريخ ونال من الادب والفلسفة حظًّا وافراً . وطاف البلاد رغبةً في بحث المسائل الدينية وأقام في بلاد يونان مدةً من الزمان . ثم انتهى الى رومية وتبحّر في اديان اليونان

والرومان فلم يجد فيها الاّ ضلالاً وباطلاً وفساداً . ولما طالع كتاب العهد العتيق المقدس راقت له سذاجته وتجلّى له صدقه فأثبت قِدَمه وفضّله على كتب الفلاسفة وحسن عنده تعليمه بوحدانية الله ، فاعتنق الدين المسيحي ولزم مار يوسطينس الفيلسوف وأخذ عنه ، وشرع ينتصر للنصرانية ويذبّ عنها في خطبه ومصنّفاته ، من ذلك خطابه الذي وجهه الى اليونان (الوثنيين) وكتبه باليونانية وقد وصل الينا ، عرض فيه المعتقد المسيحي مبيّناً سموّه على طرائق يونان والرومان الوثنية وتفوّق كتبه في القِدَم على سائر الكتب ، واوضح من النصرانية الناحية الادبية العملية اي صلاح المسيحيين وصدقهم وحشمة المسيحيات ونشاطهن . وانثنى على الوثنية بالملام الشديد وعذلها عذلاً أليماً مشدّداً عليها النكير ولقي فلاسفتها بما يكرهون . وقال اوسابيوس انه برهن في مقالاته العديدة على جودة قريحته . وبعد استشهاد استاذه عام ١٦٧ انشأ في رومية مدرسة تصدّر فيها للتعليم وشرح الاسفار المقدسة لمن اهتدى حديثاً ، ونبغ من تلاميذه رودون وصنّف كتباً ناقض في احدها الهرطقة المرقيونية .

وكأن الغرور بالنفس ساق ططيانس الى الانحراف عن جادة الارثد كسية فطردته البيعة فانكفأ الى بلاد ما بين النهرين في حدود سنة ١٧٢ واقام على الارجح في الرّها . وفيها ألّف الكتاب المشهور الذي نمّ عن حسن ذوق وبراعة جمع فيه الاناجيل الاربعة اي سيرة ربنا يسوع المسيح وتعاليمه الآلهية في كتاب واحد يتضمن خمسة وخمسين فصلاً ، وانما اغفل نسب المسيح . وضعه اولاً بالسريانية نحو سنة ١٧٢ واسماه دياطسّرون بلفظ يوناني معناه « من خلال الاربعة » يريد الاناجيل الاربعة وسمّاه السريانيون كتاب الاناجيل المختلطة ، ثم نقله الى اليونانية . وشرحه القديس افرام الملفان وكان يُتلى في كنائس الرّها واقليم الفرات خاصةً زماناً مديداً حتى ابطله مار رابولا مطران الرُّها (٤٣٥ +) واستبدله بالاناجيل الاربعة المنفصلة المألوفة . واعدمت نسخ الدياطسّرون فلم يبق منها بالسريانية واليونانية سوى شذرات زهيدة لا تغني فتيلا ، ولكن له ترجمة عربية نقلت من السريانية الى العربية في النصف الاول من المئة الحادية عشرة بقلم الراهب القس ابي الفرج ابن الطيّب ووسمها بالرياعي وقد

نُشرت مرتين .

وكان عصر ئذ قد ظهر قوم عُرفوا باسم «الانكراتيت» او غُلاة الأعِفّة نسجوا على بعض منوال المرقيونية واستهواهم الافراط في الزّهادة فحرّموا اكل اللحم وكل ذي نفس والخمر والزواج وانكروا خلاص آدم . وشكا القديس ايرناوس ، ططيانس باتباعه طريقتهم واختراعه عناصر غير منظورة على شاكلة عناصر والنطينس بل قيل انه انكر جسد المسيح الحقيقي ، ورأى قوم انه كان صاحب هذه الفرقة او استاذها ، وذهب بعض النقاد المعاصرين انه لم يكن كذلك وانما جرت على يراعه عبارات خاطئة خطرة دفعته اليها مشاكل الكتاب الآلهي والغيرة المفرطة على الزهادة . واستنادهم في ذلك ان كتابه الوحيد الباقي وهو خطابه المذكور اعلاه صفرٌ من هذه الآراء ؟ واثبت ابن العبري ماحكاه مار ايرناوس واوسابيوس عن ططيانس انه غلا في الجهالة حتى رأى في التزويج فجوراً وحرّف رسائل الحواريين . ويظن انه لقي حتفه حوالي سنة ١٨٠ اما الانكراتيت فذكر مار ابيفانيوس القبرصي انه كانت منهم جماعة في رومية وانطاكية وآسيا الصغرى في القرن الرابع

الفصل الحادي والثلاثون

في برديصان سنة ٢٢٢ +

كان اصل برديصان من بلاد حدياب (اربل) من اهل بيت شريف واسم ابيه نوحاما (لفظ سرياني معناه البعث) هاجر والداه الى الرّها فوُلد في ١١ تموز سنة ١٥٤ على نهر ديصان فوق مدينة الرّها فسمي باسمه (ابن ديصان) وربي في قصر ملكها معنو الثامن مع ولي عهده ابجر التاسع ودرس آداب اللغتين السريانية واليونانية وأحكمها لاسيما السريانية التي يُعدّ من ائمّتها المبرّزين ، وقرأ العلوم الفلسفية فظهر فيلسوفاً بعيد الصيت واديباً نقّاداً وشاعراً مفلقاً . وكان قد تفقّه في الوثنية على يد احد كهّان منبج ثم اهتدى الى النصرانية بارشاد اشتاسب اسقف الرها واعتمد وسيم شماساً وقيل انه رسم ايضاً قسّاً . وانبرى ينتصر للدين المسيحي بما أُنزل على لسانه من الفصاحة والبلاغة وحبّر عدة مقالات ردّاً على بعض البدع . ولكنه زاغ بعد ذلك عن طريق الايمان

الارثدكسي وتورّط في اضاليل الوالنطيّة وزاد عليها وصار إدريًا (غنوستيًا) واشتغل بالتنجيم .

وروى اوسابيوس القيسري انه كان من شيعة والنطينس ثم نزل هذا عنده منزلة قبيحة فقرّع خرافاته العديدة وارتأى ان يصير الى مذهب افضل ولكن الذي علق به من تلك البدعة ورّطه في غيرها . وأنشأ شيعة الديصانية فوعظه عقّي اسقف الرها ولما لم يجدِ وعظه فيه حرمه . وحلت وفاته عام ٢٢٢

واختلف المؤرخون في حقيقة بدعته فقال بعضهم انه اعتقد بكثرة الذوات الخالقة وحكى مار افرام الملفان انه قال بسبعة كائنات ونقل مار ميخائيل الكبير وابن العبري انه قال بثلاث ذوات او طبائع كبار واربعة كائنات صارت ٣٦٦ عالما وكائناً ، وان الله لم يكلّم موسى والانبيآء وانما هو رئيس الملائكة وان مريم لم تلد جسداً قابلاً الموت لكن نفساً نيّرة اتخذت شكلاً جسدياً ، وكذّب بالقيامة وخلط في امر تكوّن العالم وغير ذلك . وقال بعضهم انه كان ثنويًا يقول بأصلين اصل للخير وهو النور واصل للشر وهو الظلام وهذا على الارجح رأي

اصحابه الذين زادوا كثيراً على بدعته . كما ارتأى بعض النقّاد المعاصرون وانهم انكروا البعث وقالوا انه خرج من خواطره العلمية والفلسفية الى آراء سخيفة ومذاهب فاسدة تخالف المعتقد المسيحي . واخبرنا مار افرام ان برديصان كان من اهل الزهو تيّاهاً في نفسه مشغوفاً بالأبّهة وانه دسّ اضاليله في مئة وخمسين نشيداً نظمها على نسق المزامير واخترع لها الالحان فافتتن بانشادها الشبّان والفتيات . وقد ناقضها الملفان القديس بأناشيد ارثذكسية لقّنها الفتية الرهاوية .

ووضع برديصان في ما روى اوسابيوس مقالات كثيرة بلغته السريانية نقلها اصحابه الى اليونانية منها مقالة في الفلك و كتاب صغير في القدَر او شرائع البلدان يجيء في ٣٢ صفحة أملاه قبل ضلاله على تلميذه فيلبس مصرّحاً فيه بوحدانية الله وهو الكتاب الوحيد الذي وقع الينا . ونسب اليه بعضهم مزامير سليمان وهي اثنان واربعون مزموراً موجودة عندنا ذات معانٍ جميلة محبّرة بانشاء سرياني عالٍ واسلوب شائق ولا أثر للبدعة فيها . ولم يكن برديصان ابا الشعر السرياني وصانع أوزانه كما ارتأى

المعاصرون لنا ، فان السريان قرضوا الشعر قبل زمانه بعهد عهيد على ما اثبته العلامة الراهب انطون التكريتي (اواسط القرن التاسع) في كتاب معرفة الفصاحة وانما توسّع في اوزانه .

وتبع الشيعة الديصانية طبقة من الموسرين المثقّفين في الرّها استهوتهم الحان صاحبها الشجّية ورقّة اسلوبه ، وفي الربع الاول من المائة الخامسة هدى مار رابولا مطران الرها المذكور آنفاً اكثر اصحابها الى المعتقد القويم بطريقة الاقناع وهدم دار اجتماعهم وانما فضل منهم بقيّة خلافاً لما روى مترجم مار رابولا . فان مار يعقوب الرهاوي ذكر منهم في كتاب الايام الستة الذي صنّفه في العقد الاول من القرن الثامن (في مقالة ٢ ص ٦١) رجلاً منطقياً يقال له ولغش الرهاوي كان ينقض القول بالقدَر وتأثير الكواكب السبعة في احداث العالم ردّاً على بعض علماء حرّان . وحكى ابن النديم في اواخر المئة العاشرة انهم كانوا قديماً بنواحي بطائح العراق وبقي منهم شرذمة متفرقة بخراسان والصين . وذكرهم البيروني والشهرستاني في اواسط المئة الحادية عشرة والثانية عشرة وهذا آخر العهد بهم .

الباب الثالث

في اخبار الكنيسة منذ بدء المئة الثالثة
الى سنة ٢٧٥

الفصل الاول

في الاضطهاد السادس سنة ٢٠٢—٢١١

ان القيصر سبتيموس سويرس كان في بادىء امره يحمي المسيحيين وكان منهم رهط في بلاطه ، اذا استثنينا شدّة اصابت بعض نصارى افريقيا حوالي سنة ١٩٧ ولكنه في سنة ٢٠٢ لما رأى نموّهم وازديادهم السريع من سائر الطبقات ، وانشآء املاكهم الكنسيّة وما اتخذوه لانفسهم من نظام يجمع شملهم ويحفظ جامعتهم ، انقلب عليهم واصدر مرسوماً الا يترك احد دين آبائه فيتهوّد او يتنصر .

ثم طفق يعتسف المسيحيين بالسجود للاصنام والاكل

من ذبائح الكفرة ويمعن في اضطهادهم ويفتك بهم . وسار الى فلسطين وبلاد العرب والاسكندرية فقتل في هذه المدينة النصارى وهدم بيعَهم وشرّدهم كل مشرَّد . وبسبب هذه الشدة تضعضعت المدرسة اللاهوتية ردحاً من الزمان ، ذلك ان فلاسفة الوثنيين وحكّامهم غصّوا بها فثارت الضغائن في قلوبهم . واستشهد حرقاً بالنار اثينوغينس من رجال العلم وقد نوّه بـه القديس باسيليوس القيسري في كتابه في الروح القدس ، وبوتامينا العذراء وأمّها مارسيلا وباسيليدس الجندي الشهم وليونيدس ابو العلامة اوريجانس وستة تلاميذ له . وامتدت نيران الشدة الى افريقيا الشمالية فاستشهد في مدينة قرطاجنة خلق كثير منهم برباتوه (عائشة) امّ طفل رضيع ، وسعدى وهما سيدتان جليلتان من صنف الموعوظات . وقد كتبت عائشة قصة جهادهما ذاكرة كيف ذهبت توسلات والدها الوثني النبيل ودموعه ادراج الرياح ، حينما اراد ان يثنيها عن عزمها . واستمسكت بدينها فعُرضت ورفيقتها في المرسح يوم الملاعب الوحشية ، فافترست السباع الرجال الشهداء ومنهم اخوها ساتور (ساطرنينس) وبطشت بها وبرفيقتها

بقرة هائجة فهشمتهما ثم تكلتا بالسيف . وقد ذكر الكلندار السرياني القديم المؤرخ عام ٤١١ عائشة وساطرنينس وكان جهادهم سنة ٢٠٢ او ٢٠٣ وسرى الاضطهاد الى بلاد آسيا الصغرى ، فكان من ضحاياه غايوس والكسندر من اومينية (فريجية) بعدما حبسا في افامية ، واعتُقل القديس الكسندروس اسقف قيسرية قبادوقية سنين طوالاً . ووصل الى بلاد فرنسا فاستشهد فيه على الارجح بين جمّ من اهل ليون ، اسقفها القديس ايرناوس الملفان سنة ٢٠٢ او ٢٠٣ وفي رواية ضعيفة عام ٢٠٨ ودامت هذه الشدة تسع سنين حتى هلك القيصر الطاغي سنة ٢١١ وفي اول ايام ابنه كاراكلا استشهد مار الكسندر اسقف قرية تبعد عشرين ميلاً عن رومية يقال لها بكّانو سنة ٢١٢ وكان المؤمنون الرومانيون في تلك الازمنة العصبية يصلّون في الدياميس وهي سراديب تحت الارض ، في جنح الظلام ليلاً .

الفصل الثاني

في القديس نرقيسوس الاورشليمي ١٨٥—٢١٦ +

كان اليهود وقد غلت في صدورهم مراجل الحقد واليأس ، اوقدوا نار الثورة سنة ١٣٢ حتى سنة ١٣٥ وتمكنوا من الاستيلاء على خرائب اورشليم بقيادة زعيم متمرّد شقي يقال له سمعان ابن كوكبا ، زعم انه المسيح ومسحه كاهنهم عقيبا ملكاً ، وفي مدته القصيرة امر بشدة التنكيل بالمسيحيين اذا لم يجحدوا يسوع المسيح ولم يعاونوا اليهود في ثورتهم . فاستشهد مسيحيون كثيرون لعصيانهم أمر هذا الفاجر . على ان الرومانيين شتتوا شمل اليهود بقيادة يوليوس سويرس القائد الباسل ، وبلغوا في التنكيل بهم منتهى القسوة وباعوهم بيعَ الأنعام ، ومحوا اثر هيكلهم وقضوا على ثورتهم قضاءً مبرماً لم تقم لهم بعده قائمة . وبنوا على انقاض اورشليم القديمة مدينة رومانية وثنية سموها : ايليا كابيتولينا ، وسماها العرب ايله ولم يكن يؤذن لليهود من الدنوّ منها .

وكان اساقفة اورشليم ينتخبون من الجنس العبراني ، وقد قام منهم خمسة عشر أسقفاً ، فلما قضى الرومانيون على الثورة اليهودية الاخيرة التي تجلّى فيها الحِقد اليهودي ، اخذت الكنيسة تختار للكرسي الاورشليمي اساقفة من الامم ما عدا العبرانيين وكان الاسقف الاول منهم اسمه مرقس .

وفي سنة ١٨٥ سيم القديس نرقيسوس اسقفاً وهو الثلاثون منذ العهد الرسولي ، ويُعدّ بفضائله من الطبقة الثانية من الرجال الرسوليين . وكان مولده حوالي سنة ١٠٠ وفي زمانه كان البحث عن موعد عيد الفصح . فعقد هو وثاوفيلس القيسري واساقفة فلسطين مجمعاً في قيسارية سنة ١٩٧ أيّدوا فيه التقليد الرسولي ، الذي ساروا عليه ، وقالوا انهم واهل الاسكندرية يُفصحون في يوم واحد .

وكان نرقيسوس ناسكاً قديساً شرّفه الله بفعل المعجزات ، واخبرنا اوسابيوس ان مسيحيي اورشليم يتداولون ذكر عجائب كثيرة فعلها نرقيسوس . منها ان الزيت اعوز الشمامسة ليلة الفصح فاشتدّ قلق الشعب ، فأمر نرقيسوس مرتّبي السرج ليستقوا ماءً ويأتوه به ،

وبعدما صلّى على الماء بايمان صادق أمر بسكبه في السرج فاستحال الماء زيتاً بقوّة آلهية عجيبة . وحفظ كثير من المؤمنين شيئاً منه حتى زمان اوسابيوس (سنة ٣٢٣) ذكراً للاعجوبة .

ومنها ان ثلاثة اشخاص اراذل استثقلوا من القديس استقامته وشدّته وخشونة عيشه ، فاستدركوا امرهم خوفاً من عقاب ينزله بهم اذا أخذوا بجرائمهم علماً منهم بكثرتها . وزوّروا عليه تهمة ذميمة بمكر وخبث فظيع . ولكي يضمنوا للسامعين تصديق وشايتهم استشهدوا عليهم بيمين مغلّظة رضوا لانفسهم عقوبة كذبها ، بهلاك احدهم حرقاً بالنار واصابة جسم الثاني بمرض عضال وفقدان الثالث بصره . ولكن المؤمنين لم يصدّقوا قولهم رغماً عن حلفانهم ، لما كان عليه نرقيسوس من الصلاح والحشمة والفضيلة والمنزلة العظمى في نفوسهم . على ان القديس لم يتحمّل خبث تلك الوشايات ، فهجر رعيته هجراً باتاً واختفى في القفار المجهولة ، واقام فيها سنين عديدة لشدة رغبته في الحياة الرهبانية التي كان يحبها منذ زمن مديد . اما العدل الآلهي فلم يهمل معاقبة اولئك الكفرة عاجلاً

طبقاً لرغائبهم . فأصابت دار الاول منهم شرارة ليلا فحرقته واياه ، ونزل بالثاني فجأة المرض الذي حكم به على نفسه فغشيَهُ من فَرْقِهِ الى قَدَمه . ولما عاين الثالث مانزل بصاحبيه ارتجف فَرَقاً من عدل الله وعينه التي ترى كل شيء ، فاعترف للناس قاطبة بما كان قد تواطأ عليه وصاحباه من المكر والبهتان اللذين دبّروهما بدسيسة ، واستسلم الى التنهّد والعويل حتى عميت عيناه وكان الله للمناققين بالمرصاد .

ولما مضى نرقيسوس لشأنه ولم يهتدَ الى محلّه بوجه من الوجوه ، ارتأى رؤساء الكنائس المجاورة ان يولّوا مكانه اسقفاً اسمه دِيُوس اقام مدة يسيرة وخلفه جرمانيون ثم غوريوس . وفي عهد هذا ظهر نرقيسوس فجأةً كأنه قد بُعث من الموت فدعاه الاخوة الى كرسي الرئاسة ، وذُهل الشعب به ذهولاً عظيماً لرياضته وخلوته وسيرته النسكية ولاسيما لانتقام الله له . ولما لم يعد يستطيع القيام باعباء وظيفته لشيخوخته وعلوّ سنِّهِ دعت عناية الله الكسندروس اسقف قيسارية قفادوقية ليقاسمه الحبرية سنة ٢١١ وقد ذكره الكسندروس في رسالته الى اهل

انصنا بقوله « يسلم عليكم نرقيسوس الذي دبّر كنيسة هـذه المدينة قبلي ، وهو يتصرف الآن في الاسقفية بصلواته متفقاً معي ، وقد أتمّ السنة المئة والسادسة عشرة من عمره وهو يحرّضكم معي على الاتحاد » ومضى القديس نرقيسوس الى ربّه بعد سنة ٢١٦

الفصل الثالث

في القديس اسقلفياديس الانطاكي المعترف

سنة ٢١١ — ٢١٧ او ٢٢٠ +

جلس القديس اسقلفياديس على الكرسي الانطاكي خلفاً لمار سرافيون ، في حدود سنة ٢١١ وهو البطريرك العاشر في عدد اسلافه . وكان قبل ذلك قد فاز بمجد اثيل بجهاده لاجل الايمان في اضطهاد الكسندر سويرس . ولما بلغ نبأ انتخابه الى القديس الكسندرس اسقف قيسرية قبادوقية المعترف ، الذي كان الايمان بالمسيح قد أذاقه عذاب السجون كتب الى كنيسة انطاكية رسالة لطيفة بعث بها مع القس قليميس الاسكندري المشهور ،

أعرب فيها عن اغتباطه بهذا النبأ ، واثنى ثناءً عاطراً على مار اسقلفياديس واقليميس وهي : « من الكسندر خادم يسوع المسيح وأسيره الى كنيسة انطاكية المغبوطة سلام بالرب : لقد جعل الرب أصفادي محتملة وخفيفة حينما بلغني وانا سجين ، ان اسقلفياديس الكريم الاخلاق المحمودة شمائله المحبوب من اجل فضائل ايمانه ، اقتبل بعناية الله درجة الاسقفية على كنيستكم الانطاكية المقدسة . واني ابعث لكم برسالتي هذه ياسادتي واخوتي ، على يد قليميس القسيس القديس والرجل الفاضل المعتبر الذي تعرفونه وستعرفونه . لقد كان حضوره عندنا بحسب عناية الله وصرف من همّته ما دعم كنيسة الفادي وزادها نموّاً » .

وبعدما دبّر هذا الحبر الشهم الكنيسة الانطاكية ستّاً او تسعاً من السنين نقله الله الى دار كرامته في سنة ٢١٧ وفي رواية ثانية ٢٢٠ ونسب اليه بعضهم الشهادة لكن ذلك ليس بثبت . وخلفه البطريرك فيليتس .

الفصل الرابع

في الاضطهاد السابع سنة ٢٣٥—٢٣٨

ان كنيسة الله المقدسة بعد عذاب الاضطهاد السادس، استراحت مدة ثلاث وعشرين سنة (سنة ٢١٢ — ٢٣٥) وكان هذا الملك الفتى ابن ماماً (ماميّة) ابنة اخت جوليا دومنة الامبراطورة الحمصية . وماماً هذه ان لم تكن مسيحية حقيقةً كما كتب بعض المؤرخين ، فانها كانت تعتبر النصرانية وتجلّها . واستقدمت العلامة اوريجانس الى انطاكية فمكث عندها برهة من الزمان يشرح لها اسرار النصرانية ، وكان منها معونة كثيرة للمؤمنين . فنشأ ابنها القيصر اسكندر وديعاً فاضلاً ، وكان يكرم السيد المسيح اكرامه لاحد آلهته ويحبّ المسيحيين فكانوا معه في سعة من امرهم .

فلما اغتال مكسميانس الغوثي الاصل الشرس ، هذا القيصر الفتى وقام مكانه عام ٢٣٥ وشرّد ذويه واصحابه تحت كل كوكب ، ساقه البغض له الى الحكم بالنفي

والموت على رؤساء البيعة وائمتها ومعلميها ، لاسيما اصحاب اسكندر سويرس . وبالرغم عن شمول الأمر الرؤساء فقط ، فقد امتدت قسوة الكفرة الى الكل فاحرقوا بعض البيع . ومن اشهر من نالته هذه المحنة ، المعترفان القديس بونتيانوس اسقف رومية والاسقف القديس هيبوليطس الروماني الملفان المشهور . فانهما نُفيا في السنة نفسها الى جزيرة سردينية الموبوءة ، وثم استقال بونتيانس من رتبته الحبرية حرصاً منه على مصالح الكنيسة ليقوم مقامه رئيس يحميها ازاء الحكومة . فاختير مكانه مار انتاريوس الذي قيل انه توفي شهيداً بسبب جمعه اخبار الشهداء لستة اسابيع من توليته في اوائل سنة ٢٣٦ وبعد ايام يسيرة مضى بونتيانس ايضاً الى جوار ربه بعدما كابد الهوان والجلد والعذاب .

وفي شهر نيسان سنة ٢٣٧ نهض على مكسميان خصومه غورديان الثاني وبوبيان وباليان . فخفت وطأة الشدة عن المسيحيين ، وحال اشتغال الطاغي بنفسه دون نصب فخاخ المحنة في انحاء المملكة ومن اجل هذا كانت ضحاياها قليلة .

على ان الوثنيين اللئام في آسيا الصغرى ، عندما نُكبت ولاية قبادوقية بالزلازل العنيفة ، وقام اصحاب البدعة المونطانية بتمثيل سخافاتهم ، صبّ الكفرة أجوام حنقهم على المسيحيين اجمالاً غير مميّزين الارثدكسيين من الهراطقة فثاروا عليهم . وكان المعلم اوريجانس حينئذ في قيسارية لاجئاً ، فشهد بأمّ العين ثورة العامة على النصرانية . فكتب في شرح انجيل متى ما خلاصته « ان الذين تشجيهم المحن الشِّداد يودّون البحث في اسبابها فيزعمون ان سبب الحروب الكبرى والمجاعات والاوبئة ، هو غضب الآلهة على النصارى وكذلك الزلازل وما اعقبته من دمار . ولهذا كابدت الكنائس الاضطهاد فردموها بالنار » وقال فرمليانس اسقف قيسرية « لقد بدا سيربنيانس والي قبادوقية في هذه المحنة مضطهداً عنيفاً قاسياً » .

وممن يذكر من اشهر معترفي هذه الشدة امبروسيوس ، وكان رجلاً رفيع المنزلة سريًّا من اهل الثراء . وكان قد استوطن الاسكندرية وتنصر فيها تابعاً بدعة الوالنطيين . ولكن اوريجانس هداه الى محجّة الارثدكسية حوالي

سنة ٢١٢ فشُغف به وأغدق الاموال على نشر مصنفاته وسيم شماساً ولحق باستاذه الى قيصرية فلسطين ، وهناك ادركه المضطهدون فأوقف في جماعة من المسيحيين أخصهم القس بروتوقتيتس وكان متميّزاً بالعلم . فصودرت اموالهم وسيقوا الى بنّونيا لمقابله القيصر ، ولا يعلم ما جرى لهم انما نعلم ان امبروسيوس نجا من هذه الورطة وكان حياً حوالي سنة ٢٤٧ و ٢٤٩ ولما انتهى خبر توقيفه الى اوريجانس وضع رسالته في التحريض على الاستشهاد منوّهاً به .

وفي شهر آذار سنة ٢٣٨ قتل مكسميانس الفظّ الذي شبهه المؤرخون بوحش ضارٍ . وتمتع المسيحيون بالسلام في زمانه خلفَيه غورديان الثاني والثالث حاشا احداثاً مكانية تعزى الى تعصب الوثنيين اصحاب النفوذ .

الفصل الخامس

في مار هيبوليطس الاسقف الروماني المعترف سنة ٢٣٥ +

كان هيبوليطس (ايبوليطس) رومانياً ، وتخرّج

بمطالعة مصنّفات مار ايرناوس وسيم قسًّا للبيعة الرومانية وصار معلّماً حوالي سنة ٢١٢ في عهد البابا زفرينوس وصاحب رأيه كالستوس ، وكان هيبوليطس مخالفاً لهما في طريقة حلّ المشاكل العقائدية . وفي سنة ٢١٧ لما جلس كالستوس على الكرسي الروماني ، انفصل هيبوليطس من الكنيسة وانشأ كنيسة صار لها اسقفاً . ودام معه الحال على هذا المنوال ثماني عشرة سنة حتى حدث اضطهاد مكسميانوس ، فقُبض عليه وعلى البابا الشرعي بونتيانوس ونُفيا الى جزيرة سردينيا حيث لقيا حتفهما سنة ٢٣٥ و ٢٣٦ وقبيل رقاده شعر هيبوليطس بغلطه ، فأوصى اتباعه بالرجوع الى حظيرة الكنيسة ومن ثم اعتُبر بمنزلة شهيد او معترف قانوني .

وكان القديس هيبوليطس قد انار عقله بصنوف علوم دينية ، من تفسير واحتجاج وعقائد وأدب وتاريخ وجغرافية . ولكنه برّز خاصة في تفسير الكتاب العزيز ورسخ فيه . فلم يَفُقْهُ في مضماره سوى العلامة اوريجانس . وقاوم مع ترتليانس الغنوستيين والسابليين . وكان خطيباً فسيح الباع سَمْح القريحة تتدفق البلاغة على لسان

مواعظه وخطبه . ووصفه الذهبي الفم بالشهي الحلاوة اللوذعي وهو آخر عالم لاتيني ألّف باللغة اليونانية ولمصنفاته اليونانية الكثيرة منزلة جليلة . ونُقل شيء منها الى السريانية وذُكر له زهاء خمسة وثلاثين مصنّفاً منها :

خطب في تفسير نُخَب من الكتاب المقدس — وتفسير اسفار بتمامها كنبوّة دانيال وقد شرحها سنة ٢٠٤ وسفر الرؤيا وقد عدّه بعضهم اقدم مفسّر للكتاب ، ولم يبقَ من شروحه سوى شذرات — وكتابان ضد هراطقة زمانه فنّد في اولهما اثنتين وثلاثين بدعة ، وبسط في الثاني بترتيب بديع جميع طرائق الفلاسفة القدماء والحكمة اليونانية . وأوضح اساليب الهراطقة واستقاءهم اضاليلهم من الفلاسفة — وكتاب في المسيح الدجال ألّفه عام ٢٠٠ — واحتجاج على اليونان . وكتاب في الجغرافية والتاريخ المدني والمقدس — وكتاب في حساب عيد الفصح — ومصنّف في هل يجب الصيام يوم السبت ومقال عنوانه هل يجب تناول الاسرار الآلهية يومياً . وخطاب في القيامة صنفه للامبراطورة ماميا .

الفصل السادس

في ترتليانس سنة ٢٦٠ — ٢٤٠ +

ولد ترتليانس في مدينة قرطاجنّة من أب روماني وثني ضابط حوالي سنة ١٦٠ واتقن اللغتين اللاتينية واليونانية تكلّماً وكتابةً وحصّل جميع علوم عصره واستوعب خاصةً اصول العلوم الطبية والطبيعية والحقوقية ثم تزوّج . وحوالي سنة ١٩٣ تنصّر وسيم قسّاً سنة ٢٠٠ وباشر الوعظ . وكان يشجع المؤمنين الذين تناولهم الاضطهاد السادس بحَيفِهِ ، مبيّناً للوثنيين ظلم الشرائع التي تسوّغ اضطهاد المسيحيين . وكان يبرهن لليهود على تحقيق النبوات عن ربنا يسوع المسيح . وفنّد بدع والنطينس وهرموجين ومرقيون وابلّيس وسلق اصحابها بلسان حادّ . وكانت المشاكل الادبية تصيب من اهتمامه قسطاً وافياً فيجد لكل منها حلاً ، ويؤثر الكلام على العماد والصلاة والصبر والتوبة وخطر الزواج الثاني والملاعب . وقد قام بوظيفته احسن قيام عشر سنين من

سنة ١٩٦ حتى سنة ٢٠٦ . ثم تبدّل حاله وأخذ منه الغيظ والحنَق شيئاً فشيئاً حتى تضاعف حِقده وتنقّص المسيحيين والوثنيين ، والاظهر انّ ما فُطر عليه من العِداء للوَسط العادل ، وشدة افراطه وعجلته ساقته الى افظع الشطط . وكلما شاخ كلما ازداد تشاؤماً . ولما لم يجد على زعمه ما كان ينشده من السلام في الكنيسة طفق يندّد بها وبترتيبها وتسامحها . وزعم انه وقع على الفضائل المفقودة عند قوم يسمّون « تلاميذ الروح » وكانوا كثيراً في قرطاجنة ، وهم اتباع النبوة الجديدة الكاذبة اي اشياع منطانس الهرطوقي . فوقعت بعض وساوسهم من ترتليان موقعاً حسناً فتوهّم فيها الخلاص ! وأقام على هذه الحالة من سنة ٢٠٦ حتى سنة ٢١٣ ثم آل به الامر الى هجر تلك الشيعة وانشاء شرذمة جديدة اتخذت اسمه وعاشت زماناً ، حتى اعاد العلامة اوغسطينس بقاياها الى حظيرة البيعة في صدر القرن الخامس ومات ترتليان شيخاً كبيراً وقد نسيه مواطنوه بين سنة ٢٤٠–٢٥٠

كان ترتليانس محامياً مجادلاً ولاهوتياً ومن نخبة الكتّاب المجيدين في اللاتينية ، حائزاً محاسن الخطباء ضارباً

في الادبين المسيحي والعالمي بالسهام الفائزة ، راسخاً متبحراً في علم الحقوق . واذا قرأت له احد كتبه بقي في نفسك أثر الاعجاب به زمناً طويلاً ، وذلك شأن اصحاب القرائح الوقّادة . وله واحد وثلاثون مصنفاً منها : احتجاجه الفريد الذي كتبه سنة ١٩٧ ودمغ فيه شريعة الاضطهاد بحجج شرعية وقدح في الوثنية ودافع عن طهارة الاخلاق المسيحية ، وبعض صفحاته هي طُرفة الفصاحة . ومنها كتاب الحكم على الهراطقة ألفه حوالي سنة ٢٠٠ وبرهن فيه بقواطع الحجج على تأسيس الكنيسة المتين على التعاليم الرسولية وقرّع الخوارج اهل البدع تقريعاً ، وقد نشر بنصه اللاتيني وترجمته الفرنسية .

ومنها وصية النفس كتبها سنة ٢٠٠ ومقالات في التعليم المسيحي الادبي ، فيها يذكّر المؤمنين بوصايا البيعة . ومؤلف صغير برهن فيه ان الكتاب الالهي خاص بالكنيسة الجامعة دون غيرها ، فلا يحق للهراطقة الاستشهاد به . ومصنف ضخم لتفنيد الوالنطينيين وناكري جسد المسيح وقيامة الاجساد . ومقال في العفاف وآخر في التوبة وقد نشرا ، وآخر في تحذير الهرب من الاضطهاد

وترتليانس هو اول من ادخل اصطلاحات لاهوتية في اللغة اللاتينية . وان رجلاً مثله ، هذا مبلغ علمه ومصنفاته ، لحقيق بالتأسف على شذوذه ومروقه من حظيرة البيعة .

الفصل السابع

في يوليوس الافريقي (١٧٠ — ٢٤٠)

وُلد يوليوس في ليبيا حوالي سنة ١٧٠ واشتهر باسم الافريقي او افريقيانوس . وبهذا الاسم يعرفه اوسابيوس ومؤرخو السريان . وفي سنة ١٩٥ رافق جيوش القيصر سبتيموس سويرس الى ولاية الرُها فصادق ملكها ابجر التاسع . وسافر الى مصر وحضر دروس هيراكلا رئيس المدرسة اللاهوتية الذي تسقّف بعد ذلك على الكرسي الاسكندري . وتوجه ايضاً الى ارمنية وفريجية ورومية . وسمع من اوريجانس في فلسطين وهو يجادل رجلا اسمه باسوس عن النبي دانيال . ثم كتب اليه رسالة سنة ٢٣٨ يسأله عن قصة سوسان التي كان يرتاب فيها . فأجابه اوريجانس بما يثبت صحتها . وبعد هذه الرحلات اقام في

مدينة عماوس (نيقوبليس) وظنّه بعضهم اسقفاً لها وليس ذلك بثبت . وانما كان طبيباً غنياً تنصّر ولكن نصرانيته بقيت مشوبة بخرافة كثيرة ، وكان ذا عقل غريب يتداخل في بحث كل المواضيع بكلتا يديه دون ان يعمّق فيه النظر ، وادركته الوفاة بين سنة ٢٤٠ — ٢٥٠

وألّف مجموعاً وسمه باسم التطريزات او الوشآء في اربعين وعشرين كتاباً اشتملت على مسائل طبية وزراعية وعسكرية وعلم التنجيم ، ولا يخلو من السحر مما يستغرب ان تجري فيه يراعة مسيحي . وله رسالة الى اوريجانس وهي المذكورة اعلاه ، ورسالة الى اريستيد حلّ فيها مشكل نسبة مار يوسف خطيب السيدة العذراء في انجيلي مار متى ومار لوقا .

واشهر تآليفه مصنّف في التاريخ في خمسة كتب ، خصّه بالقيصر اسكندر سويرس . بدأ فيه منذ الخليقة حتى سنة ٢٢١ م واسسه على صحة ما روته التوراة عن أحداث الزمان ، مطبّقاً فيه تاريخ العالم على التاريخ المقدس ليبرهن على قِدَم موسى النبي . وجعله بشكل تتجلى فيه حقيقة الدين المسيحي . وعلّق فيه أحداث عدة

شعوب معروفة فهو من هذا القبيل أول مؤرخ . ونقل منه اوسابيوس في تاريخه البيعي وفي كتابيه الاستعداد الانجيلي والبيان الانجيلي ، ورأى فيه الدقّة لاسيما في علم التاريخ (كرنولوجيا) وكذلك فعل هيرونيمس وغيره من المؤرخين . وقال فيه فوتيوس انه مؤلف مختصر اما مار ميخائيل الكبير فلا يذكره الاّ عَرَضاً . على ان يد الدهر اغتالت هذا الكتاب ولم يبقَ منه الاّ ما نُقل منه .

الفصل الثامن

في الاضطهاد الثامن ٢٥٠ — ٢٥١

سنة ٢٥٠ تولى القيصر داقيوس مملكة الرومان ، وكان غشوماً كافراً فعادى المسيحيين وشدّد عليهم لبغضه فيلبس قيصر المحسن اليهم . وأبرز امراً بسفك دمائهم فذاقوا صنوف العذاب بالحبوس والجلد والنار ، والزفت المغلي والشمع المذاب والاوتاد المروّسة وافتراس السباع الضارية . وكان هذا الاضطهاد على قصر مدته ، من افظع

الشدائد واعظمها هولاً وعمّ ايطاليا وفرنسا واسبانيا وافريقيا ومصر وبلاد اليونان وآسيا الصغرى وبيثينية وقبادوقية والبنطس . واستشهد فيه كثيرون بصبر مدهش . من اشهرهم القديس فابيانوس بطريرك رومية ، والشيخ الجليل القديس الكسندروس اسقف اورشليم والقديس بابولا (بابيلا) بطريرك انطاكية المشهور بقداسته وغيرته الرسولية ومعه ثلاثة فتيان . وابيون قسيس ازمير الذي حُكم عليه بعد اغراء وتهديد كثير ان يُحرق حياً ، فعلّقوه على خشبة وأضرموا النار حوله ، وبعدما فاظت روحه الطاهرة وُجد جسده صحيحاً سليماً شعره ولحيته الجميلة من كل أذى . فتثبت المؤمنون بايمانهم وارتعب الكفرة وفرّوا هاربين . والقديس نسطر اسقف ماجيدس فى ولاية بمفيليه . والقديس قورلس اسقف غورتينا في جزيرة كريت وكان عمره اربعاً وثمانين سنة . واستشهد معه عشرة من المؤمنين ولعلهم كانوا تلاميذه . ومار خرسطفورس في ولاية ليقية . والقديسة اغاثا في جزيرة صقلية . والشريفان فارتين وقالوسير من أسرة القنصل اميليانوس الذي توفي مسيحياً . والاَخوان

الفارسيان النبيلان عبدون وسينون . وباسوس الذي يظن اسقف نيقوميدية . وقارفوس اسقف برغاما وكان شريف الاصل ممتازاً في ادارته ، مُزّق بكلاليب حديد هو والشماس بابليوس واستشهدت معهما اغاثونيقي . وتريفن وريسبيقوس شابان من افامية بيثينية وكان لهما من فضيلتهما صيت ذائع . حوكما في نيقية ونُكّل بهما بفظاعة في الشتآء القارس وحبسا ثم قطع رأساهما . وبوليكتوس الضابط في جيش ملطية استشهد بحدّ السيف ووضع جسده في مدينته . وايسيدورس في جزيرة شيو (صاقز) ونقينوس (نيقن) ورفاقه الذين ذُبحوا في مسّينة (جزيرة صقلية) واغاثي (صالحة) من مدينة بنورما (صقلية) نكّل بها الحاكم الوثني اللئيم كونتيانس لرفضها عشقه فقضت في السجن . وفكتورينس وفكتور اللذان ماتا جوعاً في قرطاجنة مع احد عشر شهيداً .

واعترف بالايمان القديس اقاق اسقف انطاكية بيسيدية ، وأبدى من العزم والفصاحة في دفاعه عن حقيقة الدين المبين ، ما دعا داقيوس الى العفو عنه . وفي هذا الاضطهاد نُكّل بمار ديونيسيوس بطريرك الاسكندرية

الملفان المشهور . واعتقل العلامة القس اوريجانس . وهرب اصحاب الكهف من اهل افسس واسم أولهم مكسيمليانس . أووا الى كهف في جبل قريب من المدينة فرفع خبرهم الى القيصر فأمر بسدّ بابه عليهم . فألقى الله سبحانه عليهم سباتاً مئة وثماني وثمانين سنة باعجوبة باهرة الى يوم انبعاثهم من رقادهم في عهد الملك ثاودوسيوس الصغير كما سترى .

اما شهدآء الاسكندرية ومصر فستقف على خبرهم في الفصل التالي . وقيل انه تعذّر احصآء شهدآء هذه الشدّة لكثرتهم . وقد بالغ الولاة في فنون الاغتصاب والاغرآء حتى فرّ بعض المسيحيين الى البراري وتاهوا في القفار وهم هائمون على وجوههم . وممن لجأ الى البريّة منقطعاً عن العالم مار بولس الثيبي الاسقيطي المولد فصار اوّل النسّاك . وجحد الايمان خلق كثير ثم تابوا فقُبل منهم .

الفصل التاسع

في شهدآء الاسكندرية ومصر

حكى القديس ديونوسيوس بطريرك الاسكندرية

المعترف اخبار شهداء مصر والاسكندرية في رسالتين ، بعثهما الى الاسقف جرمانوس وفابيانوس بطريرك انطاكية ، قال ما خلاصته على ما نقل عنه اوسابيوس القيسري : « بدأ الاضطهاد في مصر حوالي سنة ٢٤٩ قبل صدور امر داقيوس بسنة كاملة ، بسبب حنق الوثنيين . فرجموا في الاسكندرية شيخاً اسمه ميطرا بعدما عذّبوه بقصب حادّ لإبائه التفوّه بالفاظ كفرية . وعذّبوا امرأة اسمها كينتا ورجموها ، وانتهبوا دور المسيحيين ، وحرقوا بتولاً عجوزاً فاضلة اسمها ابولونيه وقطعوا رأس سرافيون .

ولما صدر الامر القيصري بالاضطهاد ، جحد الايمانَ بعض اصحاب الوظائف حرصاً عليها ، وانصاع بعضهم الى الكفر بتأثير بطانتهم . ولكنهم كانوا كامدي اللون كاسفي البال غمًّا وحزناً . وغيرهم كانوا يسرعون الى مذابح الاصنام ينكرون نصرانيّتهم بوقاحة ، وبعضهم لجأ الى الهروب وفيهم من عُذّب بالاصفاد والحبوس فكفروا قبل المثول امام الحكام .

ولكن الاقوياء واعمدة الرب المقدسة الذين شدّدهم ، وكان لهم من ايمانهم الثابت شرف وبأس ، صاروا خير

شهداء للملكوته . اولهم يوليان الشيخ الذي كان مصاباً بداء النقطة ، و كرونيون اللذان اعترفا بالرب وطيف بهما في المدينة ثم أُحرقا بكلس حارّ . وبيساس الجندي الشجاع الذي قطع رأسه . ومقار الليبي وأُحرق حيّاً . وافيماك والكسندروس عُذبا بامشاط حديدية واسواط ثم أُحرقا بكلس حارّ . واربع نساء قُتلن بضرب الحديد وهنّ امموناريون العذراء القديسة . ومرقوريا العجوز المسنّة ، وديونوسية امّ اولاد كثيرين . وهيرون وآتير وايسيدورس المصريون الذين هشّم الحاكم اجسادهم بطريقة وحشية وأحرقهم . وديوسقورس الفتى وعمره خمس عشرة سنة قابل الاسئلة التي وجهها اليها الحاكم بجواب سديد . فأمهله لصغر سنه ليفكّر في امره وهو الآن معنا يتوقّع جهاداً اطول ونيميسيون المصري الذي جُلد جلد اللصوص وحُرق معهم ظلماً . واربعة جنود : امّون وزينون وبطولمايس وآنجينس والشيخ ثاوفيلس الذين اعترفوا بالايمان واظهروا استعدادهم للعذابات ، وبارحوا المحكمة وقد فازوا بشرف الظفر — وهشّم الوثنيون كثيرين في المدن والارياف ، اذكر منهم واحداً على سبيل المثال وهو ايسكيريون

ناظر مال احد الحكام ، أبى الذبح للاصنام فبُعج بطنه بعصا .

وماذا اقول في حق الجمهور الذي كان يهيم على وجهه في القفار والجبال ، ويهلك جوعاً وعطشاً وبرداً وأمسى فريسة للامراض واللصوص والوحوش والبدو . ومن جملتهم شيريمون اسقف مدينة النيل ، وهو شيخ مسنّ هرب وزوجته الى جبل في بلاد العرب ولم يعُد ولم يُوجد . وكثيرٌ أسرهم الاعراب في هذا الجبل ولم ينجوا الاّ بمال وافر وغيرهم لم ينقذوا حتى اليوم » .

الفصل العاشر

في القديس فابيانس بطريرك رومية

+ ٢٣٦ — ٢٥٠ +

في ١٠ كانون الثاني سنة ٢٣٦ خلف فابيانوس القديسَ انتاريوسَ في كرسي رومية . وحكى اوسابيوس ان انتخابه كان بطريقة عجائبية . وذلك ان فابيانوس وكان علمانياً قدم من البرّية مع غيره واقام في رومية بعد

وفاة انتاريوس . وهناك انتُخب بطريقة مدهشة جداً بتوسط النعمة الالهية السموية . فكان جميع الاخوة مجتمعين لانتخاب اسقف ، وفكّر كثيرون بعدة رجال ممتازين ولم يخطر اسم فابيانس على بال احد منهم . ومع هذا يقال ان حمامةً نزلت من السماء حالاً ووقفت على رأسه . فأعاد ذلك ذكرى حلول الروح القدس على فادينا الكريم بشكل حمامة . ولذلك امتلأ الشعب حماسةً وحركهم روح الله فصرخوا بجملتهم بنفس واحدة : انه اهلٌ للرتبة . وأسرعوا بالقبض عليه وترقيته الى العرش الاسقفي - فرعى الكنيسة الرومانية المقدسة اربع عشرة سنة ودبّرها تدبيراً صالحاً جليلاً . فرتب ادارة خورنة رومية موزّعاً نواحي الاحياء على سبعة شمامسة ، وزادهم سبعة افوذياقونين ليعاونوا الكتاب الكنائسيين السبعة في تأليف سير الشهداء الصحيحة — وفي عهده انتظمت الاملاك الكنائسية ، وانتشر الايمان حتى نفذ الى عليّة الناس من الرومانيين . واعتنى بالمضي الى جزيرة سردينيا ومعه اكليروسه لنقل جثمان سلفه الاسبق القديس بونتيان ، ودفنه وجسد انتاريوس في مدفن كالستوس .

وفي ٢٠ كانون الثاني سنة ٢٥٠ استشهد هذا الاسقف القديس بامر داقيوس الطاغية . وكتب مار قبريانس الى اكليروس رومية قائلاً « لقد تناولت رسالتكم وفيها انبأتمونا بتفاصيل وفاة الرجل الجليل ونهايته الحميدة ، فقد اشتملتم منها على فخر جزيل وتقوّى بها جأشنا على الرسوخ في الايمان والفضيلة » .

وكان داقيوس يهاجم سلطة فابيانس الحبرية اكثر من شخصه . والدليل على ذلك انه ما دام داقيوس في رومية مدة خمسة عشر شهراً ، فقد فاز بمنع انتخاب خلف له بما فعله من الحيل والتخويفات والمشاغبات . فلما خرج الى محاربة القوط في صيف سنة ٢٥١ انتُخب خلفه قرنيليوس . وفي سنة ٢٥٠ عينها حُبس القس موسى والقس مكسيموس والشماسان روفينس ونيقوسترات . وبقوا سنة في آخرها توفي المعترف القس موسى وقُتل ساتورنينس اسقف تولوز في فرنسا . وفي سنة ٢٥١ خلف داقيوسَ القائد غالوسُ ، ثم اصدر امراً يُلزم النصارى بالذبح للاوثان وأوقف البابا قرنيليوس ونفاه الى (سانتو مسلا) حيث توفي في حزيران سنة ٢٥٣ وخلفه لوقيوس فنني ولما قتل غالوس وقام فالريان

مكانه اعيد مار لوقيوس واقام بضعة اسابيع وتوفي في ٥ آذار سنة ٢٥٤ وكلاهما من المعترفين .

الفصل الحادي عشر

في القديس الكسندروس الاورشليمي سنة ٢٥١ +

وُلد مار الكسندروس في بعض بلاد آسيا الصغرى على رأي بعض المؤرخين حوالي سنة ١٦٠ او ١٧٠ وقرأ على الاستاذين الشهيرين بانتينس وقليميس الاسكندري في المدرسة الاسكندرية اللاهوتية ، وسيم اسقفاً لقيسرية قبادوقية في حدود سنة ٢٠٠ . ولما اضطهد سبتيموس سويرس النصرانية سنة ٢٠٢ أبدى الكسندروس بسالة وتميّز في ما قدّمه للسيد المسيح من صدق الشهادة . وحُبس وصُفّد بالاغلال في سبيل الفادي الكريم . وبعث من سجنه برسالته الى كنيسة انطاكية مع استاذه اقليميس سنة ٢١١ كما مرّ بك آنفاً . وشاءت العناية الربانية انقاذه من شرّ هذه الشدّة وحفظه لايام عصيبة اخرى نفعاً للكنيسة . وفي تلك السنة الهمه الله سبحانه فتوجه الى

اورشليم ليزور اماكنها المقدسة . وعند دنوّه منها سمع فضلاء المسيحيين فيها ليلاً صوتاً واضحاً يقول لهم : يجب ان تتوجهوا الى خارج ابواب المدينة وتستقبلوا الاسقف الذي اختاره الله لكم . فخرج المؤمنون واستقبلوه بغاية الترحاب ، ثم اتفقوا مع اساقفة المدن المجاورة وألزموه بالقوة على المكث عندهم . فشارك القديس نرقيسوس الشيخ في رعاية الكرسي الاورشليمي مثلما كتب في ذلك الى اهل انصنا سنة ٢١٦ على ما ذكرنا اعلاه .

ولما قدم العلامة اوريجانس الى فلسطين نزل من نفس هذا القديس منزلة جليلة ثقةً واعجاباً ، فأذن له بالوعظ في كنيسته مع كونه علمانياً ثم اشترك وثاوقتستس اسقف قيسارية بسيامته قسيساً ، وفوّض اليه التعليم البيعي وشرح الكتب المقدسة .

وأنشأ مار الكسندروس في اورشليم خزانة كتب مسيحية كانت الاولى في العالم المسيحي . ولم يزل مثابراً على تدبير بيعتها بحماسة وقداسة اربعين سنة . ولما اثار داقيوس اضطهاده على البيعة المسيحية مثل امام محكمة قيسارية ، واعترف بالايمان جهراً شأنه في الاضطهاد فحكم عليه

بالسجن ، ومنه طارت روحه النقية الى الخدور العُلوية سنه ٢٥١ وقرّظه مار ديونيسيوس الاسكندري بقوله « اما الكسندر العجيبة فضائله الذي كان في السجن فقد رقد فيه رقاد القديسين » وخلف للكنيسه رسائل ، وتولى بعده الاسقف مازابانس .

الفصل الثاني عشر

في القديس بابولا البطريرك الانطاكي الشهيد سنة ٢٥١

جلس القديس بابولا على الكرسي الانطاكي خلفاً للبطريرك زبينا حوالي سنة ٢٣٧ أو ٢٣٨ واستشهد سنة ٢٥١ بعدما دبّر سفينة البيعة ثلاث عشرة سنة بين العواصف والامواج العنيفة ، بحكمة وفطنة وشجاعة وحريّة . وليست بطولته دون بطولة ايليا النبي وماريوحنا المعمدان . ذلك انه حوالي نصف نيسان سنة ٢٤٤ يوم السبت المقدس والمسيحيون يحتفلون بعيد الفصح ليلاً برئاسته ، جاء انطاكية في طريقه الى رومية الامير فيليب العربي الحوراني الاصل المنتَخَب قيصراً ، ومعه زوجته

ليحضرا الصلاة . وكان هذا الامير على الارجح قد ولد مسيحياً وانخرط في سلك الجندية ، ولكنه بمعاشرته للوثنيين تسرّبت اليه بعض الجرائم . ثم تقدّم حتى صار ضابطاً كبيراً في الحرب التي نهض بها غورديان الثالث على الفرس سنة ٢٢٤ وكانوا قد استولوا على نصيبين وحرّان واوشكت انطاكية ان تصير مصيرهما ، فاسترجع القيصر المدينتين . وفي تلك الاثناء مات قائد الجيش فرُتّب فيليب مكانه وانتصر الجيش بقيادته . وسعى الجند في اشراكه في السلطنة فرضخ غورديان لرغبتهم مُكرَهاً وكان فتى لا يتجاوز عمره تسع عشرة سنة . ولما استثقل ظلّ فيلبس واراد التخلص منه دبر فيلبس فتنة قُتل فيها القيصر ، واشاع انه مات حتف أنفه . فاختاره الجند للعرش القيصري وهم على نهر الفرات ، وأقرّه مجلس المشيخة . واشرك معه في الامر ابنه فيلبس وعمره سنتان ، واسرع بمصالحة الفرس وتأهب للشخوص الى رومية . فبلغ انطاكية في بدء شهر نيسان وأراد ان يشترك مع المؤمنين في صلاة الفصح .

فلما ابصره مار بابولا لم تذهله عظمته وقدرته ، ولم

يتمثّل ساعتئذ سوى جلالة الله وانه حبرُه . فتقدم ووضع يده على صدر القيصر واوقفه على عتبة البيعة قائلاً له : بما انك ارتكبت جريمة القتل بمواطأتك في مقتل سلفك القيصر غورديان ، فلن تستطيع الدخول الى بيعة الله حتى تنتهي عن المحارم ، ولا تستطيع الكنيسة ان تقبلك الاّ في صفّ التائبين . واخرجه من البيعة . فرضخ القيصر المذنب للامر ومضى مخفوض الجناح ، وكان يقف خارج البيعة مع الذين أَلِفُوا الدين ولم يكملوا فيه بعد .

وبهذه الطريقة أفاد القديس بابولا القيصر ، وأراهُ البَوْن العظيم بين النصرانية والوثنية الكاذبة التي يتملق كهانها الملوك . وبرهن هذا الحبر العظيم على ان احبار الدين المسيحي ليسوا عبيداً لاحد كائناً من كان . وهذا المثال عينه حطّم كبرياء الوثنيين وزاد تقوى المؤمنين ، فعلّمتهم سيرة راعيهم ، ان عظائم الدنيا باسرها ليست امام الله شيئاً مذكوراً !

ولما ملك داقيوس الطاغية وكان نوماريوس القائد يشتدّ بأمره على المسيحيين بقسوة عظيمة ، قضى على

مار بابولا بالجلد والسجن موثقاً بأصفاد في عنقه وقيود في رجليه ، لانه أبى تقدمة الذبيحة للاصنام ، وجاهر بصحة الدين المسيحي المُبين . وحبس معه ثلاثة اخوة صغار عمر اصغرهم سبع سنين ، كان البطريرك يلقّنهم اصول الدين المسيحي . وقال بعضهم انه حُزّ رأسه مع الفتيان الثلاثة ، وحكى آخرون ان نفسه التقيّة فاظت في السجن وذلك سنة ٢٥٠ او ٢٥١ وأوصى بدفن الاصفاد والقيود التي كان موثقاً بها معه ، ملمّحاً الى سلاسل الرسول بولس العظيم .

قال القديس الذهبي الفم « ان من شأن هذه الاغلال ان ترشد احبار البيعة قاطبة ، ان احتمال الحبوس والموت والوان العذاب بفرح وشهامة ، أولى من خيانة الانجيل والكنيسة التي عهد امرها الينا أدنى خيانة » !

وبني على اسم مار بابولا كنيسة حوت ضريحه الشريف ، وضم اليه شهداء عدّة . وفي سنة ٣٥١ نقل الملك غالوس ذخائره المقدسة الى دفنة بجوار هيكل ابولون الوثني . وشيدت كنيسة على اسمه ومن ذلك الحين صار ذلك الصنم اخرس بعدما كان ابليس ينطق احياناً بلسانه خُدعةً

لإغرار الوثنيين . ولذلك امر يليانس المنافق اخو غالوس بنقل رفاته الى المدينة . فأعاده الشعب المسيحي الى مكانه الاول بموكب عظيم وهم ينشدون آية المزمور « ليخزَ الذين يعبدون الاصنام » وفي تلك الليلة سقطت صاعقة على هيكل ابولون واحرقته وردمته وذلك سنة ٣٦١ — ثم بنى له القديس ملاطيوس الانطاكي ورآء نهر العاصي كنيسة عظيمة شاهقة فاخرة ، وكان يعمل في بنائها بيده احياناً ونقل اليها رفاته الثمين . وقرّظه مار سويريوس الانطاكي بنشيدين اثبت فيهما المعجزات التي ظهرت بعد وفاته وانه كان لدى استشهاده شيخاً كبيراً قد أحنت ظهره السنون . ولكنه هش الى ميدان الشهادة بثبات جَنانه ، وهكذا اصفياء الله يكونون .

الفصل الثالث عشر

في العلاّمة اوريجانس سنة ٢٥٤ +

ولد اوريجانس في مصر في بيت مسيحي كريم سنة ١٨٥ او ١٨٦ فهو قبطي الجنس وتلقى مبادىء علومه

عن ابيه ليونيدس وأخذ عن قليميس الاسكندري . ولما استشهد ابوه سنه ٢٠٢ او ٢٠٣ وصودرت امواله ، لم يكن لأسرته الكبيرة سند سوى اوريجانس وهو ابن سبع عشرة سنة . وكان فتى نجيباً عبقرياً نابغة نادر المثال ، بوفور عقله وجودة قريحته وطيب شمائله ونجابة مخايله . فقيّض الله له سيدة مسيحية هزّت اليه أعطاف كرَمها ، فدرس العلوم الفلسفية واضطلع بالعلوم الدينية بفضلها . ورتّبه ديمتريوس اسقف الاسكندرية مدرّساً للموعوظين في المدرسة الاسكندرية الشهيرة وسنُّهُ لم تتجاوز الثماني عشرة سنة . فكان في وقت واحد يُعلّم ويصرف قُصارى جُهده في الدرس . ولما اتى عليه خمس وعشرون سنة انجز علومه الفلسفية في مدرسة امّونيوس سقّاص الفيلسوف الافلاطوني . وتبحّر في الكتب المقدسة وتعلم اللغة العبرانية دون ان يبلغ منها الغاية . وادخل الى مدرسة الاسكندرية العلم الرياضي والطبيعي والفلكي ، وأنجب تلامذة كثيرين مشهورين ، ونبه ذكره وعلا صيته في الآفاق . وفي سنة ٢١٢ شخص الى رومية ليشاهد البيعة العريقة في القِدم . وفي سنة ٢١٤ دعاه المندوب القيصري

الى بلاد العرب الواقعة بين نهر الاردن والبرّية ، ليفاوضه في قضايا لاهوتية . وفي سنة ٢١٥ او ٢١٦ لجأ الى فلسطين بسبب الشدة التي انزلها القيصر كاراكلا بالمسيحيين . فعهد اليه اسقفا قيسرية واورشليم شرح الكتاب الكريم للشعب وكان بعد عالمياً ، واقبل عليه فرمليانوس اسقف قيسرية قبادوقية وهو من مشاهير احبار عصره ، يستقي منه العلوم المقدسة . واوفدت اليه ماميا والدة القيصر الكسندر سويرس حرّاساً ملكيين ، واستقدمته الى انطاكية لتسمع منه شروح بعض المسائل الدينية ، فمضى وأقام عندها مدة من الزمن . ودعاه البطريرك ديمتريوس الى الاسكندرية ليستأنف التدريس . ففعل واقام على ذلك حتى سنة ٢٣٠ وكانت تلك المدة أسعد ايامه وأشهر سني حياته . وفي اثنائها زار بلاد اخائية لقضاء مهامّ دينية ، ومرّ بقيسارية فلسطين فاحتفل اسقفها والكسندروس اسقف اورشليم بسيامته قساً . فغاظ ذلك اسقفه ديمتريوس فأسقطه من وظيفة التعليم لنيله الكهنوت من اسقفين غريبين عن ابرشيته ، ولانه كان قد جبّ نفسه في عنفوان شبابه اثناء تدريسه الفتيات دفعاً للريبة وكان بذلك

مخطئاً . لكن حرمان ديمتريوس اياه ، وقد تخلّله شيء من شائبة الحسد مع انه غمّهُ ، لم يؤثّر على سمعته فلم تزل الكنيسة باجمعها يومئذ تعتبره لسيرته الفاضلة وعلومه الباهرة . ومن ثم اقام في قيسارية فلسطين واسس فيها مدرسة لاهوتية . فقرأ عليه نخبة من الطلاب اشهرهم غريغوريوس العجائبي واخوه اثينودورس وكلاهما تسقفا . وزار اثينا سنة ٢٤٠ وبلاد العرب سنه ٢٤٤ وجادل بيرللّس اسقف بُصرى والخمه وردّه من بدعة وقع فيها . ثم زار تلك البلاد ثالثةً حوالي سنة ٢٤٨ او ٢٤٩ حيث عُقد مجمع اقنع فيه المرتابين بخلود النفس والرجوع الى المعتقد القويم . ولما اثار داقيوس اضطهاده سنة ٢٥٠ سجن اوريجانس وأذاقه اعترافه بالايمان عذاباً أليماً طويلاً أنهك قواه ، فنزل به حِمامه في السجن في مدينة صُور سنة ٢٥٤ او ٢٥٥ بالغاً من العمر تسعاً وستين سنة ، صرف منها خمسين عاماً في التعليم والتصنيف . واخرست منه المنية لساناً كان ينثر درر الفوائد ، واوقفت في يمينه قلماً كان يخطّ الروائع الخوالد ، ولم يكن له معه عهد بالسكون . فمضى محموداً سعيُه مذكوراً بلسان الدهر

علمه الاّ في ما نحن ذاكروه .

وكان هذا العلامة فتى من اشهر نوابغ النصرانية وأندرهم ، أقام في بنآء صروح العلم خمسين سنة . وكان زين المنابر حين يعلوها خطيباً ، ويشبع الآيات الكتابية ايضاحاً وتفسيراً ، مجتهداً بطاعة الله ، فخراً للمدارس والناس حول حلقته يلتقطون باسماعهم جواهر خطبه وشروحه ، مثلوجةً افئدتهم مرَهفَة اسماعهم مستنيرةً انفسهم . وانجب طبقة صالحة من فضلآء التلاميذ . وكان ذا عقل لا يعرف من لذّة العلم شبعاً . وقد سمت به همته سمواً عجيباً ، احاط بالعلم الفلسفي والكتابي واللاهوتي ، فكان في ذلك كله إمام زمانه وحجّة عصره وفخر مصره . واستوعب الادب القديم بجملته عدا كتب الملحدين التي تحاشاها . بنى تعليمه على اجتهاده الخاص وظهر علمه اللاهوتي في شرح الكتاب العزيز بدراً تماماً ، فأحرز الرتبة الاولى بين لاهوتيي القرون الثلاثة الاولى . على ان هذا التعليم لم يخلُ واسفاه من هنات واخطآء ومذاهب فاسدة جلبت لهذا الرجل العظيم المعاكسة واوجبت القضآء الكنسي عليه .

فقد اعتقد بسبق خلق النفوس البشرية قبل الاجساد ونهاية العذاب الابدي وشمول العفو في الآخرة للخاطئين حتى الشياطين ، ونُسب اليه الاعتقاد بالتناسخ اي تقمّص النفوس وهو مذهب فاسد وخيم ، ينكره الدين والعلم الصحيح والعقل الراجح . وقال ايضاً بالتطهير بالنار في الآخرة . وورد في تفاسيره ما يدل على الارتياب في حقيقة جسد المسيح ودمه ، وغير ذلك مما اوقعه فيه تعمقه في تفسير مواضيع وقضايا غامضة غويصة لا سند ظاهر عليها ، ساقهُ اليها اجتهاده وغلوّه في معاني الكتب المقدسة الرمزية . ولو وقفت به همته عند بعض المشكلات ، ولو حظيت مصنفاته بتمحيص وفحص قانوني كما قال العلامة ابن العبري ، لنجا ذِكرُه ونجت معه البيعة من أخطاء ومهاوي كثيرة ومجادلات عنيفة .

وكيفما كان الحال فليس من العدل ان يعدّ اوريجانس من طبقة المبتدعين ، الذين توخّوا تعليم الضلال عمداً ، وأبوا الاّ الرسوخ في خطأته غروراً وعناداً . ولم تكن اخطاؤه سوى آراء ومذاهب متطرّفة عثر بها بعض الدارسين . ولهذا انشطر علماء البيعة دهراً له وعليه . ولم

يدحض احد ارآءه في حياته ، واوّل من فنّد ما شذّ به هو مار بطرس الاسكندري الشهيد (٣١١+) كما سترى .

الفصل الرابع عشر

في مصنفات العلامة اوريجانس

كان القس اوريجانس اعجوبة عصره ونسيج وحده في كثرة التصنيف ، فهو اوفر علمآء النصرانية واوسعهم تأليفاً في العصور الاولى على الاطلاق . وكان له جماعة من النساخ دأبهم نسخ كتبه . وذكر مار ابيفانيوس القبرسي ان مصنفاته بلغت زهآء ستة آلاف كتاب وذلك غلوّ ظاهر ولو اراد بها خطباً ومقالات ! والتي اثبتها اوسابيوس لم تبلغ الألفين بين مطول ومختصر ، وهذا ايضاً كثير . وليس بنا ان نحقق مبلغ عدد كتبه وقد عصف بها الزمان واعاصير الخِلاف ، فلم تبقِ منها الاّ وَشلاً من محيط .

واجلّ هذه المصنفات واعجبها « الهكسبلة » اي ذو الاعمدة الستة . وهو مجلد ضخم فريد في عدة مجلدات

يشتمل على ست ترجمات مختلفة للعهد العتيق في ستة اعمدة متقابلة ، عدا سفر المزامير فانه جمع له ثماني ترجمات اسماها « او كتابلة » اي ذو الاعمدة الثمانية . وكان اوريجانس يفضّل النقل السبعيني على سائر النقول . والاظهر انه لم يكتب من هذه المجموعة المدهشة سوى النسخة الاصلية ، التي حفظت في خزانة كتب قيسارية فلسطين زماناً ، ومنها استفاد هيرونيمس . ولم يكن اوريجانس موفّقاً ومسدّداً في مصنف مثله في هذا الكتاب النفيس ، الذي استفرغ فيه عقله واعمل فكره ، ولم يأتِ علماء الكتاب الآلهي مجتمعين بمثل ما أتى به اوريجانس وهو وحيد . وقد عني بنقله الى السريانية العلامة مار بولس اسقف تلاّ السرياني ، نازلاً على مقترَح اثناسيوس الاول بطريرك انطاكية في اوائل القرن السابع . وكان من نقله نسخة في خزانة دير مار متى في ولاية الموصل في القرن التاسع .

ومن تأليفه شروح وميامر وتفاسير لاسفار العهدين ، وكان قد وضع فيها نحواً من خمسمائة خطبة . وفي هذا الكتاب شروح علمية ومعاني رمزيّة وفي آرائه الغثّ والسمين . وكتاب ضد قلسوس الفيلسوف الوثني الخبيث ،

الذي قدح في النصرانية فانبرى له اوريجانس مفنّداً ومؤيّداً صحة النصرانية بالحجج القواطع والبيّنات النواصع . وفيه تتجلى ثقافة المؤلف العجيبة . وهذا الكتاب موجود بترجمته اللاتينية لا بأصله ، ومطالعته تترك في نفوس القرآء اثراً بعيداً لاستمساك كاتبه بعرى الايمان . و كتاب في المبادىء وهو خلاصة لاهوتية ويُعدّ اهم كتبه في هذا الباب . و كتابان في القيامة . و كتاب في الصلاة وآخر في التحريض على الاستشهاد وكلاهما سديد المنهج جمّ الفوائد وقد نقلا الى الفرنسية حديثاً ونُشرا . ورسائل عديدة عرف القدمآء منها مجموعات كبيرة منها رسائله وبعضها الاجوبة التي كتبت اليه . وجمع اوسابيوس القيسري مجموعة منها لنفسه اشتملت على مئة رسالة ونيّف .

وبما ان معظم هذه الكتب مفقودة ، فليس من السهل بحث آراء اوريجانس لمن شآء ذلك . وناهيك من شكواه من الذي حرّفوا مصنفاته ونسبوا اليه اضاليل لم يكن هو صاحبها . وصفوة القول ان هذا العلامة احب الحقيقة المسيحية حبًّا صادقاً ، واوقف عليها حياته

وقريحته وقواه باسرها فصحّة دينه ورسوخ تقواه تعدِلان سموّ علمه ، بالرغم عمّا هفا فيه من السقطات التعليمية .

الفصل الخامس عشر

في الاضطهاد التاسع سنة ٢٥٧ — ٢٥٩

كان القيصر فالريان شيخاً حنّكته الايام معتدلاً حليماً لا خصم سياسي له ، واحسن في اول امره معاملة المسيحيين الذين كان منهم في بلاطه رهط كبير ، فلم يزل به صاحب رأيه مكريان الطماع حتى صار لكلامه عنده اسوأ الاثر وذلك بسائق السياسة والطمع وتأثير الخرافات على عقله ، فأمر باضطهادهم وأصدر سنة ٢٥٧ و٢٥٨ مرسومين حذّر عليهم في اولهما ، الاجتماع في المقابر حيث كان لهم معابد في سراديب تحت الارض وحجزها ، وفرض على رجال الدين التضحية للاصنام فان ابوا أرسلوا الى المنافي . وأمر في المرسوم الثاني بمصادرة رجال البلاط منهم اموالهم وإذلالهم ومعاقبة

رؤساء الدين بالقتل . ولم يتعرض للعامة وهماً منه انهم اذا اعدموا رؤساءهم واملاكهم الدينية واموالهم ، تضعضع شملهم وامسوا غنيمة باردة للوثنية في مازعم !

ففي سنة ٢٥٧ بناء على المرسوم الاول ، نفي مار قبريانس مطران قرطاجنة الى مدينة كوروب ولم يُضيَّق عليه ، وحُكم بالاشغال الشاقة في معادن سيكوس على تسعة اساقفة افريقيين من نوميدية وهم المعترفون داتيفوس ونيميسيانس ويوليانس وفكتور وفيلكس (سعيد) وجدير وليتئوس ولوسيوس وفيلكس آخر . وقسوس وشمامسة وعالميين شيوخ وفتيان . فوُسموا بالحديد في جباههم وجُزّ نصف شعورهم علامةً لهم اذا هربوا ، وكانوا يجلدونهم قبل العمل ويقاسون البرد والظلام الحالك ويعاملون أسوأ المعاملات وافظعها . فكتب اليهم مار قبريانس مقوّياً عزائمهم وبسط لهم كفّ الاريحية بنوال واسع . ونُفي مار ديونيسيوس الاسكندري والقس مكسيموس وثلاثة شمامسة الى كِفرو في ليبية ، فطفق يبشر اهلها بالانجيل وأنس من بعضهم ميلاً الى النصرانية فلما انتهى ذلك الى الحاكم نقله الى بلدة ماريوت .

وقُبض في رومية على أُسرة ثريّة يونانية الاصل استوطنت العاصمة من عهد قريب وتنصرت ، واسم الرجل هدريانس وزوجته بولينة ، وهما من ارباب الاريحيّة والعطآء الواسع ، فاطلقا ايديهما بالجود على اعمال البرّ . واستشهدا واولادهما والقسوس الذين نصّروهم ولم تفز الحكومة من ثروتهما بطائل . واجتمع ذات يوم جماعة للصلاة في سراديب عند ضريح بعض الشهدآء ، فاقبل الجند وسدّوا عليهم الباب بحجارة ورمل فقضوا مكانهم جميعاً .

وكان القديس سكستوس (كسوسطس) الثاني بطريرك رومية ، قد خشي امتهان الكفرة لجسدي هامتي الرسل فنقلهما الى مكان اخفاهما فيه ، وانطلق الى المعبد يعظ المؤمنين . فباغته المضطهدون وجآءوا به واربعة من شمامسته الى الحاكم ، فقضى عليه بالقتل مستوياً على كرسيه حيث كان يعظ فأُعيد الى مكانه وقطع رأسه الكريم وحزّت رؤوس شمامسته ، وقُتل في اليوم عينه الشماسان فيليسيسيم واغابيطس وذلك في ٦ آب عام ٢٥٨ وبعد استشهاد الاسقف القديس صادر الحاكم اشراف

المسيحيين وأقطابهم وسيداتهم ذوات الحسَب الناصع ، فملأوا صندوق الدولة باموال جليلة . وأرادوا مصادرة الاموال الكنسيّة المنقولة فاستشهد مار لورنتيوس الشماس الشهم بعدَ ايام ثلاثة . وذلك ان مار سكتوس كان قد ولّى لورنتيوس توزيع اموال البيعة على اهل البؤس والفاقة لئلا يسلبها الكافرون ، فلما اجاب الشماس الواليَ ان الاموال التي تحت حوزته انما هي جماعة البائسين غاظه الامر فأمر فمزّقوا جلد الشهيد بالسياط ووضعوه على مشواة وطفقوا يشوونه فدعا لرومية وفاظ . ثم بنى القيصر قسطنطين الكبير كنيسة جميلة على اسمه . واستشهد في رومية في تلك السنة ايضاً القس سويرس والفتاتان النبيلتان باسيلاّ واوجينية وشهيدتان تسمّيان روفينة وسكوندة .

وفي قرطاجنة ، مار قبريانس الاسقف المشهور ، وسوقيسّوس اسقف ابّيرجرمانيا في ولاية افريقيا القنصلية الذي كتب اليه مار قبريانس رسالة عن الاستشهاد وشهيد اسمه بولس .

وأحرق حيًّا مار فروكتئوس اسقف طرّاغونة في

اسبانيا وكان قد أشرب المسيحيون والوثنيون محبّته وصار مصيره الشماسان اولوغيوس واوكوديوس في ٢١ من كانون الثاني سنة ٢٥٩

واستشهد في نوميدية (افريقيا) ستة اكليريكيين يسمى احدهم مونطانس والثاني لوقيوس ومعهما موعوظان، نكّل بهم وسُجنوا وكادوا يهلكون جوعاً وعطشاً فمات نصفهم وبعد ثمانية اشهر حزّت رؤوس الاربعة الباقين منهم . والشماس يعقوب ورفاقه ، وثلاثة مسيحيين مرّوا بنوميدية واقاموا في مزرعة قرب سيرتا ، واجتاز بهما الاسقفان اغابيوس وسكوندينس قادمين من المنفى فتكللوا جميعاً بالشهادة سنة ٢٥٩ وفي قيسيرية فلسطين أُلقي امام الوحوش ثلاثة فلاحين شبان وهم بريسقوس وملكوس والكسندر وغيرهم . وفي قيسرية قبادوقية قورلس الصبي القيصري الذي اعترف بالايمان ببسالة تفوق سنّه . وفي باتارا من اقليم ليقية ، الشهيدان نيقوفورس وليون الشيخ الناسك . وذكر بعضهم ان اوسابيوس اسقف سيباليس في ايطاليا استشهد في هذه الشدة او في اضطهاد اورليان .

اما فالريان فقد انتقم منه الله جلّ شأنه شر انتقام . فتوالت في اواخر ايامه التعسة الحروب والكوارث على كثير من انحاء المملكة ، وغزاه شابور الاول ملك الفرس فانكسر جيشه بخيانة صاحبه الماكر مكريان ، وأسره شابور وأحدره الى بابل وسجنه ثم قدم به الى انطاكية واستولى عليها وعلى طرطوس وقيصرية قبادوقية . واعاده معه الى بلاده في قوم من الاسرى في اواسط سنة ٢٦٠ واقام كذلك حتى هلك عام ٢٦١ او ٢٦٢ فعُلّق جلده مصبوغاً بالاحمر في بعض هياكله .

وخلفه ابنه غاليان وازال الاضطهاد عن المسيحيين خوفاً مما نزل بأبيه من العقاب . وكانت زوجته الامبراطورة سالونين فاضلة تميل الى الفلاسفة مرتاحة الى نواديهم وتعطف على المسيحيين ، فأقنعت القيصر بالرفق بهم . فاعاد اليهم معائدهم ومقابرهم واموالهم المصادَرة ، ولكن مرسومه هذا لم ينفذ الاّ في جانب من المملكة . فعاد الاساقفة المعترفون الى كراسيهم ومنهم فيلكس اسقف نول (فرنسا) الذي صودرت املاكه الواسعة وأبى المطالبة بها فعاش فقيراً زاهداً . ولما ناهض غاليان بعضُ قواده

واستبدوا بالامر دونه في بعض البلاد استشهد في قيسرية فلسطين مارينوس حوالي سنة ٢٦٦ وتطوّع بحمل جثمانه استيريوس من رجال المشيخة وكان مسيحياً كريم المحتد طيّب الاعراق متوقّلاً في معارج الفضائل .

وفي زمان خلفه قلوديوس الثاني الغوثي الدلماطي المولد ، استشهد مائتان وخمسون على طريق سالاريا عام ٢٦٦ ثم ستة واربعون جندياً وثمانية شهداء من اهل رومية ، والخورفسقفوس انتوكونيوس ويظن من اهل سبطية حوالي سنة ٢٦٩ وماري الشريف الفارسي وزوجته مرتا وابناه وذلك في رومية سنة ٢٧٠ والشهيدان كومون وابنه من بلاد لقاونية اللذان نشرت ايديهما بمنشار خشب وغُطّسا في مرجل مملوء زيتاً مغلياً حتى فاظا .

وتولى الأمر بعده اخوه القيصر اورليان من سنة ٢٧٠ حتى ٢٧٥ وكان شيخاً . واستشهد في زمانه بريسكوس وكوتوس وغيرهما ، والاسقف ريفيريان في اوتون (وسط فرنسا) والقس بولس ورفاقه ، وجوليا وصواحبها ، سابينا سنة ٢٧٣ او ٢٧٤ وعدّ بعضهم من جملة الشهداء ماما الراعي الذي كان عائشاً عيش النساك ، ودفن جثمانه بقرب

نازينزة وبُنيت على اسمه كنيسة ، وقد ذكر القديسان النزينزي وباسيليوس عجائبه بعد وفاته .

ولما همّ اورليان بالتضييق على المسيحيين برسوم يصدره ، مات مصعوقاً بالبرق وقيل بل ذُبح بين هرقلية وبيزنطية في آذار سنة ٢٧٥

الفصل السادس عشر

في استشهاد مار قورلس الصبي

كان هذا الفتى من مدينة قيسرية قبادوقية مسيحياً دون ابيه ، وشغف بمحبة ربنا يسوع المسيح وكلما نطق باسمه شعر بقوة تذهله عن اي تأثر يبدو له من الوعد والوعيد . فكان يوعب قلوب المؤمنين غبطة ودهشاً . ولما عجز ابوه عن اكراهه على الاستغاثة بالآلهة طرده من بيته . فعلم بامره قاضي المدينة فدعاه واخذ يلاطفه بقوله « انني اريد ان اعفو عنك لحداثة سنّك فالزم طاعة ابيك والنعم في خيراته » فأجابه الفتى قائلاً « انني قرير النفس مثلوج الفؤاد لطرد أبي لي من بيته لأسكن داراً أوسع

منه واجمل ، فاني ازهد طوعاً في جميع الخيرات الزمنية لاصير في السمآء غنيًّا . ولست اخشى الموت لانّ بعدَه حياةً فُضلى » فطفق القاضي يتوعّده بالقتل إرعاباً وتخويفاً وأمر بتصفيده كانه يساق الى العذاب . اما الفتى الشجاع فازداد ثباتاً واستسلم الى ايدي الظالمين فأضرموا ناراً وتوعّدوه ان يطرحوه فيها . غير انه لم ينثنِ عن عزمه . فعادوا به الى القاضي فقال له « لقد عاينتَ النار وشاهدت السيف افتتأدّب وتذعن لامري ؟ فأجابه الصبي بقوله « لست اخاف النار ولا السيف لكنني متلهّف للمضيّ الى دار اجمل من دار ابي فاسرع في قتلي لكي اسير الى الله عاجلًا » ! وكان الحضور يبكون عند سماعهم كلام الفتى النجيب . فلما وقعت عينه عليهم قال لهم « كان الاولى بكم ان تفرحوا بدلاً من البكآء وان تشجّعوني لا ان تخلعوا فؤادي جُبْناً ببكائكم » ! وعلى هذه الطريقة قُتل قورلس الصغير حبًّا لالاهه سنة ٢٥٧ وتجلّت نعمة العون الآلهي في سنّ يلازمها الجبن والخوف والتقلّب طبعاً . فسبحان الله القدير على كل شيء الذي يولي الضعفآء والجهّال أيَدا وحكمة تأييداً للحق ونصرة للدين . وقد كتب تاريخ

شهادته مار فرمليانس النبيل اسقف قيصرية المشهور .

وقد سبق لاطفال وصبيان مسيحيين فازوا باكاليل الاستشهاد ، في عهد طريانس في الاضطهاد الثالث وفي عهد هدريانس ، وهم اولاد الشهيدة سومفوروزة . وفي الاضطهاد الخامس اولاد القديسة سعدى القرطاجينية وبونتيقوس فى مدينة ليون . وفي الاضطهاد الثامن الفتيان الاخوة الثلاثة تلامذة القديس بابولا الانطاكي . وفي هذا الاضطهاد التاسع : القديس فنكراس في رومية وتوأمان استشهدا مع والدتهما في مدينة لمبير في افريقيا . وسنذكر القديس قرياقس الشهيد في الاضطهاد العاشر .

فليتّخذ الصبيان من هؤلاء الشهدآء الابطال الصغار امثلة ليحبّوا ربنا يسوع الفادي الحبيب من كل قلوبهم .

الفصل السابع عشر

في القديس قبريانس اسقف قرطاجنة سنة ٢٥٨

ولد قبريانوس في مدينة قرطاجنة في بيت وثني كريم ، ودرس البيان والفلسفة . وعلّم البيان في قرطاجنة وعلا

صيته . وبعد بحث وإمعانٍ في التفكير والتدقيق ، تنصّر على يد صديقه القس كيكليانوس واستبدل سيرته حتى ازهرت فضائله . فسيم قساً بعد عماده بمدة قليلة في حدود سنة ٢٤٥ ولما توفي دوناطس اسقف قرطاجنة ولي مكانه عام ٢٤٩ فقاومه خمسة قسوس وكان اسم اشهرهم نوباطس . وفي اثناء غيابه عن كرسيه بسبب شدة داقيوس ، اتخذوا من تشدّده في قبول توبة الساقطين في الاضطهاد حجّة ، فصيّروا فيلسيسيم شماساً وكان من اصحاب الثراء والنفوذ . فلما عاد قبريانس الى كرسيه سنة ٢٥١ وحضر مجمع الاساقفة ، قرّروا قبول توبة من جحد بلسانه ولم يضحِّ للاصنام ، ووضعوا قانوناً على الذين اشتروا شهادة الحاكم بتضحيتهم للاوثان ولم يضحّوا . لان هذه الشهادات كانت تشترى بالمال ، وقضوا على فيلسيسيم وحزبه وحطّوا فرتوناتس الذي قلّده المشاقون الاسقفية مكان قبريانوس . ولما كانت الاكثرية في جانب قبريانوس لم يثبت المشاقون أمداً طويلاً وانتثر عقدهم وذهبت ريحهم في القرن الرابع .

وقام مار قبريانس بتدبير رعيته رغماً عن مصاعب زمانه ، كالمشاكل التي سبق بيانها وشدّة داقيوس والوبآء

الذي فتك بشعبه شهوراً عديدة ، والمنازعة على المعمودية التي سيأتي ذكرها وكان يدافع عن تقاليد ابرشيته القديمة فيها .

ولما ثار اضطهاد فاليان سنة ٢٥٧ نفي ولم يضيّق عليه في اول الامر وبعد ذلك قاسى صنوف الشدائد ، وكان الاضطهاد قد اصاب كثيرين من اساقفة افريقية وقسوسها فتناولهم تعذيباً وتشريداً فعزّاهم قبريانس بكتاب في منتهى الرقة . وبعد سنة امر القيصر بعودة هذا القديس الى قرطاجنة ، وقضى عليه بالموت بحد السيف . فصلّى بين جمهور غفير صلاة خشوعية ، وامر باعطاء السيّاف خمسة وعشرين ديناراً وقطع رأسه وهو راكع مكتوفة يداه على صدره . فتناول المؤمنون دمه الطاهر في مناديل وذلك في الـ ١٤ من شهر ايلول سنة ٢٥٨

وكان مار قبريانس من الراسخين في العلم ، قوي الذاكرة قد ارتسمت التوراة على لوح قلبه يستحضر شواهد منها فوراً ، ويستقري بالحفظ كتب ترتليانس الذي غلب عليه أثره ، ولا يعرف من كتب النصرانية سوى هذين المصدرين . ولم يؤلف شيئا مدفوعاً بلذة

التصنيف ، ذلك ان زمانه لم يكن مساعداً لاقتطاف زهور الفصاحة . فاوّل تآليفه كتابٌ الى دوناط حكى فيه تأثير النعمة الالهية في نفسه ، بما اصابه من الانقلاب في سير حياته . وثلاثة كتب جمع فيها اهم نقاط العهدين العتيق والجديد لتفنيد الوثنية واليهودية . وكتاب الى فورتناتس يتضمن الادلة الكتابية على الطريق التي يجب السلوك فيها ابّان الشدّة . ومقال في نفي الالوهية عن الاصنام . ومقالتان في الكافرين اثناء الاضطهاد وفي وحدة الكنيسة الجامعة ، وقد تُليتا في مجمع عُقد سنة ٢٥٦ . ومجموعة شذرات نقل معظمها عن ترتليانس ومينوسيوس فيلكس . وتعاليم رعوية لتهذيب المؤمنين وتقوية ايمانهم في الصلاة الربانية ، وزينة العذارى والصبر وصالح الاعمال والصدقة والغيرة والحسد وقد أخذها عن ترتليان . ومجموعة رسائل جليلة عددها خمس وستون رسالة ، طالعنا بعضاً منها فاذا هي تنمّ عن غيرته وحماسته وحنوّه ، وحكمه وحكمته وفطنته وسلطته من قبل الله . وفيها تتجلى نفسه الصافية . وهو اول من جمع إضبارة الرسائل واجوبتها .

الفصل الثامن عشر

في المنازعة لاجل المعمودية سنة ٢٥٣ — ٢٥٦

في اواسط هذا القرن ، حدث خلف بين المسيحيين لاجل المعمودية وصحّتها . وذلك ان بعض الكنائس الشرقية ومعظم كنائس افريقيا وفي مقدّمتها كنيسة قرطاجنة ، اعتبرت معمودية الهراطقة فاسدة فكانت تعيد معمودية الهراطقة والمشاقين المرتدّين الى احضان البيعة الارثوذكسية . اما كنيستا رومية والاسكندرية فاعتبرتا صحة كل معمودية تتمّ باسم الاب والابن والروح القدس . ولما سيم البابا اسطيفانس (٢٥٤ - ٢٥٧ +) كتب الى الكنائس الشرقية والافريقية يهددها بقطع الشركة معها اذا كانت تعيد معمودية الهراطقة . فاشتدّ في محاجته ومقاومته فرمليانوس اسقف قيسارية قبادوقية والقديس قبريانس اسقف قرطاجنة ، وكلاهما من جلّة احبار عصرهما واشهرهم . ولم يعرفا له سلطة ادّعاها . وعُقد لاجل هذه القضية مجمع في آسيا الصغرى سنة ٢٥٣ وثلاثة مجامع في

قرطاجنة سنة ٢٥٥ و٢٥٦ . فسكت اسطيفانس عن المسئلة بمشورة ديونيسيوس اسقف ليون حبًّا لسلام الكنائس .

الفصل التاسع عشر

في مار ديونيسيوس بطريرك الاسكندرية

سنة ١٩٠ — ٢٦٥ +

ولد ديونيسيوس في مصر من اسرة وثنية حوالي سنة ١٩٠ وتنصّر على اثر مطالعاته وتعمّقه في التأمل والتفكير ، وسمع العلامة اوريجانس وقرأ عليه في المدرسة اللاهوتية وخلفه في رئاستها سنة ٢٣١ . ولما بلغ قمّة الشرف فضيلةً وعلماً وعلت في القلوب منزلته ، اختير وسيم بطريركاً للاسكندرية سنة ٢٤٨ او ٢٤٩ فقضى حياته في تدبير البيعة مجاهداً خير جهاد ، صابراً على مضض الاضطهاد ، متوغلًا في المشاكل التي اعترضت الكنيسة الجامعة في زمانه . فأوقفه الحكام مرّتين في عهد داقيوس ووالريانس ونُفي الى ليبية والى مريوط . ولما عاد الى كرسيه

في عهد القيصر غاليانس ، وعقد مجمعاً حرم فيه سابليوس ، زادت همومه عند مشاهدته المؤمنين عرضة للحرب والمجاعة والوبآء ففاضت نفسه الطاهرة عام ٢٦٥

وكان حبراً قديساً شريف الخلق راجح الحلم بعيد الأناة سموحاً ، سامي النظر ذا عقل حصيف حسن الإدارة منصرفاً بكليته الى تدبير شعبه ، نازلاً من نفوس ائمة الدين معاصريه منزلة جليلة . والكنيسة الشرقية تكرمه اكرام الشهدآء المعترفين . وكان فضلاً عن ذلك من العلمآء المحققين وجلّة المؤلفين وقد وضع مصنفات عدّة منها :

كتاب في الطبيعة موضوعه : نقض نظريّة آتوميستيك في خلق العالم واثبات المذهب المسيحي فيه . وكتاب في المحن والاضطهادات الخارجية ، وشرح للفصول الاولى من سفر الجامعة . وكتاب في المواعيد الآلهية ، نقض فيه الاعتقاد بالملك الف سنة دحضاً لمزاعم نيبوس اسقف ارسينيوا في مصر .

واربعة كتب في التبرئة والاحتجاج عن عبارات استعملها في مراسلاته لاساقفة المدن الخمس ، في بدعة السابليين المصرية حيث بدرت منه عبارات عليها مسحة

الشبهة ، في وحدانية الثالوث ولاهوت الابن الازلي ، فتبسط في إزالة غوامضها .

اما رسائله النفيسة فقد تناولت احداث الكنيسة في عصره . وذكر منها اوسابيوس اثنتي عشرة رسالة في البدعة النوباطية ، وسبعاً في المجادلة عن المعمودية . ورسالة في مجمع انطاكية الذي عُقد لشجب بولس السمسياطي . ورسائل الاعياد ورسالة قانونية لباسلياد الاسقف في مدة الصيام الكبير ، وطهارة الجسد قبل مناولة الاسرار الالهية . ورسالة جليلة في قرآءة كتب الهراطقة تنمّ عن علم زاخر وفنّ نادر . ورسالة الى العلامة اوريجانس اثناء اعتقاله في سجن مدينة صور . ورسالة الى ثاوتقنس اسقف قيسارية فلسطين في تقريظ اوريجانس بعد وفاته . ورسالة الى مسيحيي بلاد ارمنية الكبرى . وقد اقتطف اوسابيوس نخباً من تآليفه البديعة هي الغاية في النفاسة والاهمية وزين بها تاريخه . فحفظت وبلغت الينا مع نتفٍ غيرها بعدما اغتال الدهر غالب ثمرات يراعته . فالقديس ديونيسيوس يُعد مفسّراً فيلسوفاً ، لكنه يخالف استاذه اوريجانس . فقد كان نظيره في الطريقة الرمزية في تفسير

كتاب الله ، اما فلسفته فيخالطها علم الاحتجاج والارشاد الكنائسي ، وهو ومار اثناسيوس الاسكندري متكافئان في هذا المضمار ، لانه مارس هذا العلم في ما يتعلق بحياة الكنيسة قياماً بوظيفته الاسقفية . واذا كان يحكي مار قبريانس علماً واخلاقاً ، فانه يفوقه حماسةً ووضوح انشاء ، وقد نعته القديس الذهبي الفم بالبلبل السموي .

الفصل العشرون

في بولس السميساطي وبدعته سنة ٢٦٨

من دواعي الاسف الشديد ، ان نجد في جدول بطاركة انطاكية الابرار الذين زيّنوا الكرسي الرسولي ، رجلاً شانَ هذا الكرسي بسيرة ذميمة وبدعة فاسدة ونعني به بولس السميساطي .

نشأ بولس في مدينة سميساط الواقعة على الفرات خامل الذكر فقيراً ، وحصل شطراً من العلم وصار في ما يظن محامياً . وفي سنة ٢٦٠ في ظروف واحوال نجهلها ، خلف الطوباوي ديمتريانوس في الكرسي الانطاكي ، فعبث

بسلطة التقليد الكنسي واحدث بدعة فاسدة ، زاعماً ان الآب والابن وروح القدس ليسوا سوى اقنوم واحد ، وان ربنا يسوع المسيح لم يكن ابن الله حقيقة ، لكن انساناً حلّ فيه اللاهوت . وبهذه البدعة الشنيعة تقرّب الى زينوبيا ملكة تدمر المشهورة ، وكانت تميل الى اليهودية او تحبّذها . وتاه بنفسه وتكبّر وكان يسير بابّهة الحكام وفخفختهم ، ويأذن لاصحابه في تقريظه في البيعة بما ينشد عند تسبيح السيد المسيح ، وأطلق لسانه في انتقاد اباء البيعة الاولين .

فلما شاع خبره عُقد مجمع لاستجوابه برئاسة فرمليانس اسقف قيسرية قبادوقية سنة ٢٦٤ ولكنه برّأ نفسه بمكر ودهاء . ولما عاد سيرته الاولى واستوحش الناس من ناحيته ، وخامرهم الشك فيه لمعاشرته فتيات ، وداخلهم ايضاً الرّيب من سلوك بطانته فضلاً عن جبايته اموال الدولة ومقاضاته عنها مبلغاً طائلاً ، انعقد المجمع ثانية سنة ٢٦٨ وفيه سبعون او ثمانون اسقفاً ، وتثبت من خبثه و كشْفِ خداعه بواسطة القس ملكيون رئيس مدرسة انطاكية اليونانية . فحينما افتضح امره وأصرّ

على غوايته حطّه الآباء عن رتبته ، وحرموه وسقّفوا مكانه حبراً فاضلاً اسمه دومنوس . ولكن بولس اللئيم ابى الخروج من قلاّية الاسقفية معتضداً بزينوبيا . وكانت يومئذ قد عصت على الرومانيين وهي تناوشهم الحرب . واقام على ذلك حتى ظفر القيصر اورليانس بها سنة ٢٧١ وحكم باخراجه من الدار الاسقفية وتسليمها الى دومنس الاسقف الشرعي .

وألّب بولس لنفسه شيعة اتخذت اسمه ، وحاول عضدها بكتب مختلفة قبل حرمه او بعده . وكانت تجتمع في كنيسة صغيرة وعاشت بعده زماناً حتى اواسط القرن الخامس .

الفصل الحادي والعشرون

في القديس غريغوريوس العجائبي سنة ٢٧٠ + ؟

ولد القديس غريغوريوس حوالي سنة ٢١٣ في مدينة قيسارية الجديدة في ولاية البنطس ، من اسرة نبيلة ثرّية وسمي ثاودورس ، وكان له أخ اسمه اثنادورس . ولما ناهزت

سنة العشرين سنة . قصد وأخاه بلاد الشام في طلب العلم ، وقدما قيسرية فلسطين فصادفا فيها الاستاذ اوريجانس يلقي دروسه ، فقرأا عليه العلم الفلسفي واللاهوتي خمس سنوات . وقبل مغادرة المدرسة لفظ ثاودورس خطبة نفيسة في تقريظ استاذه والشكر له . ولما عاد الى وطنه تجلّت فيه الفضائل بابهى مجاليها . فسامه القديس فيديمس اسقف اماسيا اسقفاً لقيسرية الجديدة وسمي غريغوريوس بعد سنة ٢٣٨ وهو في زهرة عمره وكان في هذه المدينة سبعة عشر نفساً من المؤمنين ، فصرف قصارى همته الى ارشاد اهلها وتعليمهم اصول الدين المسيحي . ومنحه الله سبحانه موهبة فعل المعجزات فجذب خلقاً كثيراً الى الايمان ، ونعتته الكنيسة بالقديس العجائبي . ولم يزل يجاهد في هذا المضمار المقدس خير الجهاد نيّفاً وثلاثين سنة . وعمر كنيسة في وسط المدينة وكثرت البيع لعهده . ولما نقله الله الى جواره حوالي سنة ٢٧٠ او ٢٧٥ لم يبقَ في قيسارية من الكفرة سوى سبعة عشر نفساً .

ومن لطيف ما يؤثر عنه ان مدينة كوماناً في ولاية البنطس ، تشعّب رأيها في انتخاب اسقف لها . فاختار

لهم هذا القديس رجلاً فقير الزيّ يرتدي ثياباً خلقة ، قد سوّد غبار الفحم وجهه ويديه ، ذلك ان الله كشف له حقيقة حال ذلك الرجل فقد كان كريم النبعة تقياً فاضلاً من ذوي العلم الثاقب ، واصحاب المكارم والمناقب ، تستّر بزيّ فحّام إخفاء لنور فضيلته وتوقّياً من الغرور وعثرات الظهور . ولما سقّفه وانجلت للعيون فضائله وظهر للملأ نبوغه ، لمح الناس في هذا الامر اصبع الله العلي . وهذا القديس هو الكسندر المعروف بالفحّام الذي استشهد في بعض الاضطهادات التي تلت شدة داقيوس .

والقديس العجائبي من طبقة ملافنة الكنيسة اللاهوتيين . وكان ملافنة بلاد قبادوقية يتخذونه حجّة . اما مصنفاته فهي قليلة وقد حرّف بعضها اصحاب التزوير منها : بيان الايمان . وحكى القديس غريغوريوس النوسي ان القديس تلقّاه برؤيا سماوية ظهرت له فيها السيدة العذراء الطاهرة ومار يوحنا الرسول ، وان نسخته بخطّ يده الكريمة كانت مصونة في كنيسة نيوقيسارية حتى ذلك الزمان .

الفصل الثاني والعشرون

في اصحاب الاحتجاج عن النصرانية في القرن الثالث

من اصحاب الاحتجاج عن النصرانية ، مرقس مينوقيوس فيلكس مصنّف كتاب (او كتافيوس) وكان محامياً مشهوراً افريقي الاصل على الارجح مقيماً في رومية ، منتقلاً من مذهب الرواقيين الى النصرانية . واراد أن يقدم الى الوثنيين المثقّفين ، دفاعاً عن النصرانية يحسن وقعه في نفوسهم فاختار له انشآء وشكلاً معتبرين عندهم ، ووضعه على لسان صديق له اسمه او كتافيوس كان قد نصّر رجلاً وثنياً يقال له سيسيليوس ناثاليس ، وضمّنه اعتراض هذا على النصرانية وتفنيد او كتافيوس له حتى اقتنع وآمن . والكتاب في اربعة اجزآء وواحد واربعين فصلاً . وقد اقتبس المؤلف من مقالة شيشرون في الطبيعة الالهية وفي الالوهية ، ومن مقالتي سنيكا في العناية والخرافة ، بلوغاً الى مقصده . وهو كتاب انيق الانشآء مفرغ في قالب الفصاحة فخم الاساليب يشهد

ببراعة كاتبه . وكان هذا الكاتب عائشاً في اواخر القرن الثاني او في صدر الثالث .

وممن انتصر للنصرانية مؤلف رسالة الى ديوجنيت ويرجح انها كتبت في القرن الثالث . وهي من انفس الشذور التي وصلت الينا من الادب المسيحي القديم وتنطوي على عشرة فصول . ومؤلفها واسع المدارك غزير التهذيب ، وهو أكتب من مار يوسطينس الفيلسوف ، فمن متانة في الاصل الى سموّ في الافكار ووضوح وتنسيق في الاسلوب وسبك في احسن القوالب .

وللشهيد لقيانس القس الانطاكي احتجاج عن الدين المسيحي ، تلاه امام مكسميانس قبيل استشهاده سنة ٣١٢

الفصل الثالث والعشرون

في هراطقة القرن الثالث

اشهر هراطقة هذا القرن ، ثاودوطس وارطيمون ونويطس وسابلّيوس ونيبوس ونوباطيان وبولس السميساطي وقد مرّ خبره ، وماني .

ان ثاودوطس ولو انه اظهر بدعته في العقد الاخير من القرن الثاني لكننا ارجأنا بحثها الى هذا القرن لظهور نتائجها وفروعها فيه . ومن خبر صاحبها انه كان مسيحياً من مدينة بيزنطية ويُعرف بثاودوطس الدبّاغ ، وقد اثرى من صناعته وتوفر حظّه من الثقافة . وفي اثناء الاضطهاد جحد الايمان ثم صار الى رومية اخفاءً لامره في عهد الاسقف فكتور (١٩٠ — ١٩٩) وزعم ان ربنا يسوع انسان محض حاشا ميلاده العجيب ، وانما بلغ قمة القداسة وحلّ عليه المسيح بشكل حمامة فقويَ على فعل المعجزات ، واعتقد بعض اتباعه انه عُرف الآهاً بعد قيامته . فحرم البابا فكتور هذه البدعة وصاحبها ثاودوطس ولكن هذا اقام على غوايته وكثر اشياعُه حتى فكّر في ترتيب كنيسة . ومن اخص اتباعه ثاودوطس الصرّاف الذي استنبط مذهب ملكيصادق ، ومعلم في رومية اسمه ارطيمون او ارطيماس ظهر حوالي سنة ٢٣٠ وامتدّ أجلُه وبَعُدَ في الشيعة الخبيثة أثره . وكان ينكر الوهية السيد المسيح ويُعد أباً لبدعة بولس السميساطي وعاش حتى ايّامه . واجلّ اصحابُ هذه البدعة شأن ارسطو وغيره من

الفلاسفة وحرّفوا بعض اسفار التوراة . وردّ مار هيبوليطس في بعض كتبه على ارطيمون . وظل الشاودوطيون حتى نهاية القرن الرابع ثم ذهبت ريحهم .

اما نويطس فهو رجل يوناني ظهر في ازمير في اواخر القرن الثاني ، واعتقد بآله واحد وُلد وتألّم ومات ، فحرمته الكنيسة . وانشأ بعض تلاميذه مدرسة في رومية قعد للتعليم فيها ، وخلفه فيها سابلّيوس . وكانت هذه الشرذمة تطعن في المدرسة الشاودوطية وخفيت حقيقة حالها على المؤمنين في اول الامر فاعتبروها حتى البابا زفرينوس ، وكان ساذجاً لا يفقه دقائق العلم اللاهوتي ، وهمُّه إقرار السلام البيعي . ولما خلفه كاليستوس صاحب رأيه وانفصل مار هيبوليطس من الكنيسة ، واشتدّ اللغط حرم كاليستوسُ سابلّيوسَ الذي كان يهذي بزعمه ان الله اقنوم واحد اعطى الناموس لبني اسرائل بصفته الآب ، وصار انساناً في العهد الجديد بصفته الابن ، وحلّ على الرسل بصفته الروح القدس . وارتأى المحققون الغربيون ان زفرينوس وكاليستوس حاولا تلطيف هذه البدعة ارادة اصلاحها ، ولكن ضعف الاصطلاح العلمي عصرئذٍ

والخوف على سلامة التوحيد الآلهي ، ساقاهما الى عبارات تحتمل الانتقاد . وانتشرت هذه البدعة التي نحلها سابلّيوس اسمَه : في آسيا الصغرى وقرطاجنة والقيروان وفنّدها مار ديونيسيوس الاسكندري .

وفي اواسط القرن الثالث ظهر في مصر نيبوس اسقف ارسينوا (كيمان فارس) وكان رجلًا تقياً غيوراً واسع الاطلاع في الكتب المقدسة وشاعراً مطبوعاً ونظم اناشيد كان المؤمنون يترنمون بهـا . وصنف كتاباً اسماه « تفنيد شرّاح الكتاب بمعناه الرمزي » يقصد به الطعن في طريقة المعلم اوريجانس ، ولكنه صرّح فيه بمُلك المسيح على الارض الف سنة ثم توفّي ، وغوي قوم بهذه الضلالة . فلما كثر الهرج بين الشعب توجه مار ديونوسيوس بطريرك الاسكندرية الى ارسينوا سنة ٢٥٥ وعقد مجلساً شهده قسوس ومعلمون من قرى مختلفة ، وبعد فحص كتاب نيبوس والمباحثة اياماً ثلاثة اقنع البطريرك اتباع الضلالة بخطأهم والرجوع الى الحق . ونشر على الاثر كتابين في المواعيد » وفيهما بحث سفر الرؤيا مثبتاً انه من كتب الوحي ولكنه ارتأى ان مؤلفه

يوحنا هو غير مار يوحنا الرسول .

الفصل الرابع والعشرون

في نوباطيان

ولد نوباطيان في رومية وحاز من الثقافة نصيباً وافراً ، وجوّد في الخطابة وَجرَت البلاغة بين لسانه وفؤاده وتعبّد لله متقشفاً ، وسامه الاسقف فابيانس قسّاً . وفي مدة فراغ الكرسي الروماني بعد استشهاد القديس فابيانس . اصاب نوباطيان منزلة سنيّة وفوّض اليه رفاقهُ فخبّر رسالتين دقيقتين الى القديس قبريانس اسقف قرطاجنة ، بياناً لرأي الكنيسة الرومانية في الساقطين اي الجاحدين في الاضطهاد ، وكان اثناء ذلك يطمح الى الكرسي الروماني . فلما انتخب قرنيليوس اعتزل عنه وانضم اليه دوناط القرطاجني ، ووجدوا له ثلاثة اساقفة جهلاء اقاموه اسقفاً دخيلاً على رومية . والتف حوله حزبٌ احتجّ بحفظ الطهارة الاصلية في الكنيسة ، وانتحلوا لانفسهم اسم القاثريّين اي الاطهار ، وعُرفوا بتشديد امر التوبة

على الخطأة اعتباطاً . لان نوباطيان زعم ان التوبة لا تغسل الحوبة . واما الآباء فنظروا في كفة العفو عند التوبة . واذ لم تظفر حكمة بعلاج نفس تحصنت في معقل من العناد ، طردت الكنيسة نوباطيان ومن لف لفه ، واحدثت هذه الشيعة قلاقل كثيرة في الكنيسة دامت زماناً . وكتب نوباطيان الى فابيوس بطريرك انطاكية ليعطفه اليه ، فبعث اليه البابا قرنيليوس رسالة شرح له فيها حقيقة الحال اما مار ديونيسيوس بطريرك الاسكندرية فاجاب نوباطيان برسالة ملؤها الحزم والحكمة ، وحرضه فيها على الرضوخ لامر الكنيسة ، مصرحاً له ان الشقاق شر من الهرطقة !

ونسب اليه العلامة هيرونيمس مصنفات عدة : في الفصح والسبت والختانة والكاهن والصلاة والاطعمة اليهودية تفنيداً لعقائد اليهود ، ومقالاً في الاضطهاد . وقد اضاع الزمان هذه الكتب وبقي كتابه الكبير في الثالوث الاقدس . والاظهر انه وضعه بانشآء متين قبل الشقاق وسنده فيه الكتاب المقدس وميول فلسفية على طريقة المدرسة الرواقية ، ورأى فيه بعضهم مسحة من الضلالة الاريوسية .

الفصل الخامس والعشرون

في بدعة ماني الثنوي ٢٧٥ +

اختلف المؤرخون في ماني . فحكى عنه الشرقيون انه ولد في مدينة السوس سنة ٢٤٠ وتنصّر وسامه اسقفها كاهناً نحو سنة ٢٦٨ ثم مرق من النصرانية لخبث طينتِهِ وسلك سبيل الغواية وقال بالآهين آله الخير وآله الشرّ ، الاول خلق النفس والثاني خلق الجسد . واسترسل في الضلالة وزعم انه الفارقليط واتخذ له اثني عشر تلميذاً على مثال الرسل وطاف بهم البلاد ناشراً مذهبه الجديد ! وزاد مار ميخائيل الكبير بقوله : انه انتقل الى مدينة بيت لافط وبعث تلميذاً له اسمه ادّى الى بلاد آرام ، وآخر يقال له توما الى الهند . فلما عادا اليه بالفشل اغتاظ وترك الدين المسيحي وخبط في الجهالات ، وزعم ان ربنا ظهر بنوع خيالي وسمى نفسه والعياذ بالله : مسيحاً وروح قدس ، وكذّب بالبعث وقال بالتقمّص ورفض الزواج . وانتهى به الامر ان قتله الملك بهرام الاول الفارسي

وسلخ جلده وحنّطه وحشاه تبناً وعلقه من باب مدينة جنديسابور سنة ٢٧٥

وقال المؤرخون الغربيون المعاصرون ولعلهم نقلوه عن البيروني من نهر كوثي الاعلى انه ولد في قرية مرديتو في جنوبي قسطفون حوالي سنة ٢١٥ او ٢١٦ وتربى في شيعة المغتسلة التي اندمج فيها ابوه . ثم ابتدع بدعة خاصة اساسها القول بالآهين او مبدأين يعني مملكتي النور للخير الطبيعي والظلام للشرّ . وسمى نفسه الدليل وسفير النور والبارقليط ! وحرّم كل لذّة حسيّة وامر بصلوات متواترة موقوتة في اليوم وغسول . وقسم اشياعه الى منتخبين وسامعين . وشرع سنة ٢٤٢ يبث سموم ضلالته في بابل وفارس وتركستان حتى الهند . وشغب عليه المجوس فحزّ بهرام الاول رأسه حوالي سنة ٢٧٦ او ٢٧٧

والّف ماني بالآرامية كتباً عدّة انتقض فيها سائر الانبياء ووسمها باسماء الاسرار والفصول والانجيل والكنز والاساس . وقيل انه نحلها لنفسه وهي من تلفيق سواه .

وانتشرت شيعته الخبيثة في ما وراء النهر وصار لها روساء ، وهم في ما حكاه العلامة اوغسطينس اثنا عشر

استاذاً يترأسهم احدهم ثم المدبّرون او ابناء العلم وعددهم سبعون ثم الشيوخ . وكانت عبادتهم في بدء امرها ساذجة ، وهي عبارة عن صلوات وانشيد ، لا مذبح لهم ولا هيكل ويحتفلون بعيد العرش ، ثم اتخذوا من النصرانية بعض الاعياد ثم امعنوا في الفساد .

وكانت المانويّة عند صاحبها : شيعة وثنيّة ثم تلبّست بظواهر مسيحية ودخلت المملكة الرومانية في سنة ٢٨٠ وعشّشت في افريقيا واصابت عند اهلها حظّاً ، وولجت ارمنية وقبادوقية في القرن الرابع والخامس . وتغلغلت في اسبانيا وفرنسا ورومية ، ثم عادت الى بلاد الفرس وبغداد حوالي ٦٦١ وكانت امامتهم ببابل ثم انكفأت الى سمرقند وسغديانة في المئة العاشرة وكان صاحبهم فيها عصرئذ ونفذت الى تيبت والهند والصين ، وكل ذلك في شراذم متشرّدة حتى استأصلها الدهر وتطهرت الارض من فسادها .

وممن فنّد هذه البدعة المنكَرة مار ارخلاوس اسقف كشكر سنة ٢٧٧ وطيطس مطران بُصرى (٣٧٤ +) واغسطينس اسقف هبّو (٤٣٠ +) الذي

ردّ عليهم في زهاء اثني عشر مصنّفاً بعدما تبع اصحابها في حداثته تسع سنين ، ثم راجعَهُ رُشدُه فرجع الى الطريقة المُثلى .

الفصل السادس والعشرون

في الكتب الموضوعة المزورة

لم يترك اصحاب البدع واهل الضلالات الذين قاوموا بيعة الله ، ذريعةً لم يتذرعوا بها منذ العصر الرسولي ، ضرباً بسهامهم الطائشة وتوصّلاً الى مقاصدهم السافلة . فلم يتورّعوا من تلفيق كتب موضوعة وترويق رسائل مدخولة وترويز اقاصيص مختلقة ، لخداع المؤمنين واصطيادهم في شرَكِ الباطل .

فلفّقوا اناجيل موضوعة (مزوّرة) لا يقل عددها عن اثني عشر انجيلاً ، نحلوا اكثرها اسماء الرسل الاطهار ، وهم براء منها ، وتركوا بعضها مغفلاً منها انجيل بطرس ويُظنّ انه لُفّق في انطاكية في اواسط القرن الاول ، وانجيل العبرانيين الذي كُتب بالآرامية في آخر المئة

الاولى وكان يقرأه اليهود المتنصّرون ، وقع منه المعلم هيرونيمس على نسخة آرامية عند ناصريّة حلب فنقله الى اليونانية واللاتينية . وانجيل المصريين وقد وُضع في مصر في اوائل المئة الثانية او اواسطها . وانجيل الابيونيّين باليونانية في آخر القرن الثاني او صدر الثالث وكان يقرأه اليهود المتنصّرون والهراطقة . وانجيل ماتيّا واخترع في الزمان عينه واستعمله غنوستيّو مصر . وانجيل فيلبس وانجيل توما وهما من اوضاع الغنوستيين في صدر المئة الثالثة او اواسطها . وانجيل يعقوب ويتضمن قصّة مسهبة عن العذراء الطاهرة وغير ذلك . واناجيل برنابا وبرثلماوس وثدى ونيقوديمس وانجيل الطفولية .

واختلقوا ايضاً رسائل ورؤى واعمال رسل مكذوبة ، وسرّجوا سيَراً مدخولة كرسالة الرسل ورسالتي مار بولس الى اهل اللاذقية والاسكندرية . ورسالة ثالثة له الى اهل قورنثية واربع عشرة رسالة لاتينية تبادلها سينيكا والرسول في ما زعموا . ورؤى بطرس وبولس وتوما واسطيفانس وزكريا ، واختطاف بولس الى السماء الثالثة . وانذار بطرس وبولس ، واعمال بطرس وبولس واندراوس

وتوما ويوحنا وماتيًا ومتى ، وسيرة يوسف وقصة انتقال العذراء. وقد زُرّف فيها بزيادات موضوعة زائفة . وكلّها من تلفيقات المئة الثالثة حتى الثامنة . وقد حرّمت الكنيسة المقدسة معظمها كالاناجيل والرسائل والرؤى . ونبذ علماؤها المحققون من البقية كالاعمال والقصص ، كل ما اشتمل على البدعة وتلبّس بالزور .

الباب الرابع

في بقية اخبار القرن الثالث حتى تنصر قسطنطين

من سنة ٢٧٥ الى سنة ٣١٣

الفصل الاول

في حالة النصرانية في اواخر القرن الثالث

ظهر في القرن الثالث في بلاد الفرس عبادة وثنيّة جديدة يقال لها عبادة ميثرا الذي زعموا انه آله النور ، نقلها الجيش الروماني الى بلاده فنزلت عند بعض الوثنيين منزلاً رحباً ، فاحلوها محلّ عبادة الآلهة المتعددة التي كان العالم الوثني الغربي قد ملّها ، وعضد القيصر اورليان (٢٧٠ — ٢٧٥) هذه العبادة ولعلّه توخى بها معارضة امتداد النصرانية . اما المسيحيون فسخروا من هذه العبادة السخيفة ولو اصابت عند الوثنية شيئاً من النجاح ، وصدّت بعض الراغبين عن الوصول الى محجّة الدين

المسيحي . وانما انبرت هذه الوثنية الجديدة فضلاً عن القديمة التي شاخت ، وانضمّتا الى الفلسفة الافلاطونية الجديدة وغيرها من مذاهب الفلسفة الحديثة ، واليهودية التي تطوّرت بعض التطوّر بالتلمود وغيره ، فناصبت النصرانية العِداء في هذه الحِقبة غيظاً وحسداً ، وناهيك من عداء الدولة الرومانية التي ابتلتها بصنوف الشدائد واذاقتها شتّى المكاره .

على ان عِداء الدولة خفّت وطأته منذ سنة ٢٦٠ حتى سنة ٣٠٣ فلم يعكّر سلام النصرانية سوى شدائد مكانيّة قصيرة الأمد ، حدثت أولاها في مصر في زمان الوالي مكريان . والثانية سنة ٢٦٩ في عهد القيصر قلوديوس الثاني الغوثي ، والثالثة في زمن اورليانس كما مرّ بك والرابعة في ايّام فروبس فاستشهد القديسون تروفيمس وسبّاتيوس ودوريمادون رئيس مشيخة سنّادا في فريجية سنة ٢٨١ والخامسة في زمان نومريان فاستشهد في اجاس (هجين) بقيليقية ، ثلالاوس الطبيب ابن الاسقف بروكوبيوس ورفيقاه استير والكسندر سنة ٢٨٤ وقرّظهم مار سويريوس الانطاكي في خطبته المئة

والعاشرة . وروى بعضهم انه في السنة نفسها استشهد في مديولان مار سبسطيان قائد الجيش في رومية وروى غيرهم سنة ٢٨٨ وستقف على شهداء بلاد الفرات والرّها سنة ٢٩٧

ولما استتبّ الملك للقيصر ديوقلطيانس في شهر ايلول عام ٢٨٤ أصاب المسيحيون عنده في بدء ملكه حظاً ورعاية ، وكانت زوجته الملكة بريسقا وابنته الاميرة فالريا من صنف الموعوظات ، اي من اللواتي يتهيّأن للتنصّر . واخبرنا اوسابيوس بقوله : « انه قلّد المسيحيين أعماله في البلاد لحسن نظره الى ديننا القويم ، وأعفاهم من تقدمة ذبائح الاصنام . وكان اعضاء الأسرة المالكة وعظماء الدولة يبيحون لرجال بطانتهم وعيالهم وعبيدهم المسيحيين ، القيام بفروض دينهم بحرّية ويثقون بهم ويفضلونهم على سائر الخدم . وان الاساقفة كانوا يحظون بالاكرام عند الحكام والولاة قاطبة .

وكانت بيوت العبادة والبيَع تضيق بجماهير المؤمنين المصلين . فاضطروا الى توسيعها وبنوا كنائس كبيرة في كل مدينة ، وما دامت يد الله تظلّل شعبه وتحرسه

فان الاعمال سارت على قدم النجاح ، لا يصدّها حقد حاقد ولا يعتورها خبث العدّو المارد . على ان هذا الأَمْن الزائد حَدَا بالمسيحيين وأسفاه الى السلوك في سبيل الشرور كالتحاسد والتنافس والتباغض ، وحب الرئاسة والمخاصمات والرياء والرّبى فجاء قضاء الله على شعبه » .

ويُستفاد من قوانين مجمع غرناطة (البيرا) اول مجامع بلاد اسبانيا الذي عُقد سنة ٣٠٠ الوقوف على ما سرى بين بعض الشعب المسيحي الغربي ، من خبيث العادات والاعمال « كقبول بعضهم اسم كاهن وثني بلَدي Flamine ولو لم يشهد ذبائح القوم . والانفاق على ألعاب عامة وثنية معيبة . وهجر النساء ازواجهن والرجال نساءهم . وعقد الزواج مع بنات الهراطقة واليهود والوثنيين . واستعمال النساء السحر والشعوذة ومعاطاة القسوس الربى » وقد سنّ المجمع قوانين شديدة على المخالفين .

اما اسباب انقلاب القيصر ديوقلطيانس على النصرانية بعد رِفقه بها ، فهي ان هذا القيصر كان نبيهَ الخاطر واراد ضبط امور مملكته العظيمة المترامية الاطراف ، حرصاً على الدفاع الوطني . فقسم مملكته قسمين يتولى

كلا منهما امبراطور بلقب اوغسطس يعاونه وليّ عهد بلقب قيصر . وقلد صهره مكسميانس هرقل وقوسطنس خلورس بلاد الغرب . واحتفظ لنفسه ببلاد الشرق واشرك معه القيصر غلاريوس وجعل مقامه في مدينة ازميد (نيقوميدية) وكان ذلك سنة ٢٩٢

وكان غلاريوس قائداً بربري الجنس بارعاً شجاعاً ومحتالاً وفظًّا ، وكان يبغض النصرانية ، تزيد في بغضه هذا امّ له عجوز من غُلاة الوثنية ، تغار من امبرات البلاط المائلات الى الدين المسيحي . فلم يزل يحرّض ديوقلطيان على الايقاع بالمسيحيين ، حتى نال منه مرسوماً باعادة فرض الذبائح الوثنية على الجيش ، ومن أبى طُرد من وظيفته او قُتل وذلك سنة ٢٦٥ ونهج مكسميان نهجه فاستشهد مار سرجيس ومار باخوس سنة ٢٩٧ والقديسان مارسيل وقسيان سنة ٢٩٨

ثم صدرت المراسيم الفظيعة الجائرة التي تعسّفت النصرانية وانزلت بها اشدّ الاهوال . وكان هذا التقسيم الاداري المدني وبالاً على المملكة ومن هنا كان للسياسة ضلع في هذا الانقلاب .

الفصل الثاني

في تأسيس المدرسة الانطاكية سنة ٢٩٠

كان في انطاكية في اواخر القرن الثالث مدرسة يُعلَّم فيها المنطق وسائر العلوم اليونانية ، يرئسها القس ملكيون وهو من جِلّة العلماء وصدور البلغاء . وفي سنة ٢٩٠ وضع القسيسان الجليلان لوقيانس ودورثاوس اساس المدرسة اللاهوتية ، وذلك انهما اتفقا وجماعة من من الاساقفة والقسوس من ذوي الاذهان المتوقدة والعلم الواسع ، فجعلوا دارهم الكهنوتية بمثابة مجمع علمي ، عكفوا فيه على كتاب الله يفسّرونه بطريقة لُغويّة وتاريخية ، خلافاً لطريقة تفسيره بمعناه الرمزي ، التي غلا فيها المعلمان الشهيران اقليميس الاسكندري واوريجانس في المدرسة الاسكندرية اللاهوتية . وقد كان اوريجانس يقصد هداية الوثنيين الى محجة النصرانية فتوخّى تمهيد الطريق لهم ، بالاخذ بطريقتهم في التفسير .

وكان لوقيانس ودورثاوس مضطلعَين من علم

الكتاب الالهي ، متبحّرين في اللغة اليونانية بصيرَين باللغة العبريّة . ومن خبر لوقيانس الذي ترأس على المدرسة انه كان سميساطي الاصل تلميذاً وصديقاً لبولس السميساطي اسقف انطاكية المبتدع ، ويظهر انه تشرّب بعض ضلاله فاصابه حكم المجمع الذي حرم بولس بشراره ، وأبعده خلفاؤه الثلاثة من الكنيسة حتى ثاب اليه رشده ورجع الى الحق عند جلوس البطريرك قورلس على الكرسي الرسولي فردّه الى درجته . وبرّز في تصحيح نقل الكتاب المقدس السبعيني بحسب النقل العبري ، فعمّ استعمال ترجمته في الكنائس الشرقية . وقيل ايضاً انه ضبط نص النقل السداسي اي هكسبلا اوريجانس . واشتغل بكتاب العهد الجديد .

وكان القس لوقيانس من العلماء المحققين وقرأ عليه وانتفع به خلق كثير . وفي سنة ٣١٢ استشهد ورفيقه القس دورثاوس في نيقوميدية (ازميد) ونبغ من هذه المدرسة تلامذة كثيرون على ما سيذكر في محلّه .

الفصل الثالث

في بعض شهدآء بلاد الفرات والرها سنة ٢٩٧

سنة ٢٩٧ باشر مكسميان غاليريوس الاضطهاد العسكري قاصداً تحويل الجنود لاسيما خدمة البلاط عن ديانتهم المسيحية . ومن اعتصم منهم بدينه كان ينزع عنه شرف الرتبة والخدمة الجندية او يمتهنه باهانات شتى او يقتله . وكان انتصاره على الفُرس بضبطه منهم خمس ولايات يغريه بالانفراد بهذه الشدّة . اما جنود السيد المسيح الابطال فكثير منهم آثروا بلا تردّد الاعتراف باسمه ، على المجد والمنافع الدنيوية ، وبعضهم ضحّى برتبته وحياته في هذا السبيل .

منهم القديس اندراوس ورفاقه الجنود الكثير عددهم الذين ذُبحوا في التاسع من شهر آب . والشهيدان القديسان سرجيس وباخوس وكان اولهما من فرقة البرابرة المساعدين والثاني قائداً ثانياً للفرقة نفسها . امتهنهما الحاكم وألبسهما ثياب نساء سُخرة وهزوءاً . واستشهد اولاً باخوس في

مدينة بربالیس (بالش الواقعة بين حلب والرقة ويقال لها اليوم مسكنة) ثم قُتل سرجيس في مدينة الرصافة من ولاية الفرات ، بعدما قاسى عذاب مسامير حديدية مسنّنة محماة بالنار سُمّرت في حذائه وأُكره على المشي بها مسافات طويلة ، وذلك في السابع من شهر تشرين الاول . وفي سنة ٣٥٤ بنيت كنيسة جليلة فاخرة على اسميهما وكان العرب المسيحيون يحجّون اليها عصوراً مديدة ، وظهرت من زيارة ضريحهما الشريف كرامات ومعجزات . ثم أُطلق على مدينة الرصافة اسم سرجيوبوليس تيمُّناً باسم الشهيد السعيد وذلك في القرن الخامس . وفي سنة ٥٩٣ اهدى الملك كسرى ابرويز الفارسي المجوسي الى كنيسة هذين الشهيدين صليباً ذهبياً كبيراً مرصّعاً بالجواهر لاعجوبة رآها منهما كما روى اوغريوس المؤرخ .

ومنهم الناسكان الشيخان الجليلان مار كوريا ومار شامونا الرهاويان السريانيان اللذان نكل بهما انطونيوس حاكم الرها ، اذ علقهما في رأس عمود عالٍ وربط بارجلهما حجارة ثقيلة تجرّهما الى اسفل مدة خمس ساعات . ثم طرحهما في سجن ضيق ثم قتلهما بحد السيف في اليوم الخامس

عشر من تشرين الاول سنة ٢٩٧ — وروى بعضهم سنة ٣٠٦ والقديسون هوفار كوس وفيلوثاوس حاكما مدينة سميساط البلديان وخمسة من مواطنيهم النبلاء الشبان ، يعقوب وفركروس وحبيب وروماس وكوليان ، وتمت شهادتهم في التاسع من شهر كانون الاول بعد عذاب طويل جلداً وحبساً وتجويعاً وصلباً وضرباً بالسيف .

الفصل الرابع

في تنصّر بلاد الارمن سنة ٣٠١

اعلم ان بلاد الارمن هي المسماة ارمنية الكبرى . وَينسِبُ اهلها هدايتهم الى نور الانجيل المقدس الى الرسولين مار برثلماوس ومار ثداوس (يهوذا) ولكن لا دليل راهن على ذلك . اما الاسقف ميروزوناس الذي كان يراسل مار ديونيسيوس الاسكندري ، فقد كان اسقف ارمنية الصغرى .

وكان بعض المبشرين السريانيين ذوي الغيرة من مدينتي الرها ونصيبين ، قد حملوا مصباح الدين المسيحي

الى بعض بلاد ارمنية الكبرى . وهذا سبب تأثير السريان ولغتهم فيهم في بدء امرهم . على ان تنصّر الشعب الارمني الثابت كان على يد القديس غريغوريوس المنوّر .

روى بعض المؤرخين ان هذا القديس كان من اصل ارمني اثيل وله الشرف الموروث . وحاز في بلاد قبادوقية تربية صالحة وثقافة وتنصّر ، ورضع لبان التقوى والسيرة الفاضلة . وذكر مار جرجس اسقف العرب السرياني (٧٢٥ +) في جوابه الى يشوع القس الحبيس : انه كان رومي الاصل وقدِم ارمينية في طفولته لعلّة مجهولة . ولما نشأ في بلاد ارمنية وتعلم لسانها تقدّم فيها حتى اصبح من خواص تيريدات ضابط مملكة الفرثيين والارمن (٢٦١ - ٣١٧) وهو متمسك بنصرانيته . وحينما علم الملك بامره أراد ان يحوّله عن دينه ، وبحسب الرواية الاولى - انه ساءه منه تبشيره بالدين المسيحي - فلم يؤثر في غريغوريوس وعده ووعيده وما سامه من شتّى الأعذبة ، فطرحه في جبّ يحوي حشرات قتّالة ، فصبر على ذلك صبراً جميلاً ولجأ الى ربّه فحفظه من الأذى . وابتلى الله الملكَ العاتي فارعوى واخرج القديس من الجب

وسأله الدعاء فصلى عليه فشفي ، ونزل غريغوريوس من نفسه منزلة مرسل من الله بعثه الى قومه بشيراً ونذيراً . واذن له بالتبشير فدانت البلاد للنصرانية . ثم بعث به في قوم من الاشراف الى لئونطس مطران قيسرية قبادوقية فسامهُ اسقفاً سنة ٣٠١ وعاد الى ارمنية ، وأتمّ نشر الدين القويم بين الأرمن وعمّدهم . وامتدّ نفوذه في البلاد فبنى لهم بِيَعاً على أنقاض هياكلهم الوثنية ، وسام لهم قسوساً وشمامسة اختارهم من جملة خدَمة الاوثان ، وسنّ لهم ما اقتضى من القوانين والسنن . ومن اخصّ العوامل التي سهّلت سرعة تنصّر الارمن ، ان الفُرس الساسانيين حاولوا في تلك الاثناء ادخال المجوسية عندهم ، توصّلاً الى اغراضهم السياسية في الاستيلاء على بلادهم بسائق الوحدة الدينية . امّا الارمن فلجأوا الى دين جديد يجعلونه لهم دين الوطن ، فرأوا النصرانية التي كان يدعوهم اليها غريغوريوس أولى بهم من سواها . فأتمر الملك واعيان بلاده وأمر رعيّته باستبدال المزدكية القديمة دينها الوثني ، بالمسيحية دفعةً واحدة . وتغلّب الاعيان على معارضة الكهّان تاركين للهياكل القديمة اوقافها الواسعة

بعدما حوّلها الاسقف بِيَعاً . وحكى ايضاً اوسابيوس القيسري ، ان مكسميانوس القيصر الروماني حاول سنة ٣١١ — ٣١٣ غصبهم على تقدمة الذبائح الى الاوثان ففشل .

فنصرانية هذا شأنها ، لم تتنقّ قلوبُ الداخلين فيها من ديانتهم المزدكية القديمة ، لا غرو ان تعقب انعكاساً في نوايا اهلها وسيرتهم . واذا كانت الوثنية حاولت استعادة مكانها عند الارمن فلم تنجح ، بيد أنها أبقت في نصرانيتهم آثاراً سيّئة اعقبت في كنيستها احداثاً محزنة . اما مار غريغوريوس فبعدما انجز سعيه المبرور نقله الله الى دار كرامته عام ٣٢٥ وخلفه ابنه الاسقف اريستاكيس الذي شهد المجمع النيقاوي . وروى بعضهم انه سُقّف في حياة ابيه الذي ادركه الاجل سنة ٣٣٢ . ولبثت الكنيسة الارمنية خاضعة لرئاسة كرسي قيسارية قبادوقية حتى الربع الاخير من القرن التالي ، ثم استقلّت بامرها ورقي اسقفها الى رتبة الجثلقة .

الفصل الخامس

في الاضطهاد العاشر سنة ٣٠٣ — ٣١٣

يعد الاضطهاد العاشر من افظع الشدائد التي نزلت بالنصرانية ان لم يكن اشدّها هولاً، بطول مدته وتلوّن تعاذيبه وكثرة شهدائه. وذلك ان الملك الكافر غاليريوس نال بغيته الدنيئة، واستصدر من الامبراطور الشيخ ديوقلطيانس في سنة ٣٠٣ — ٣٠٤ اربعة مراسيم متوالية واولها مؤرخ في ٢٢ من شهر شباط، بهدم بيع المسيحيين وحرق كتبهم المقدسة، ثم بمصادرة الاموال فقتل الاكليروس فالمؤمنين على الاطلاق اذا كانوا لا يرجعون فيتوثنون، بعد نزع الحقوق المدنية منهم. وبلغ الكافرون في اضطهادهم هذا اقصى حدود التضييق والشدّة.

اما رؤساء خدم البلاط فآثروا الاستشهاد، ومنهم رئيس البلاط الشهيد بطرس. واما الاميرتان بريسقة وفاليرية الموعوظتان فاضطرّتا الى تقديم الذبائح. وهُدمت بيعة نيقوميدية الكبرى وهُدرت دماء مسيحيين أبوا

تسليم الكتب المقدسة ، مع ان بعض الاكليروس سلّموها . وقبض على الاساقفة والقسوس وحبسوا . ولما أبوا تقدمة الذبائح الى الاوثان قُتل بعضهم ونُفي غيرهم ، وقضي عليهم بالشغل في استخراج المعادن . وعم الاضطهاد المملكة باسرها حتى ذلّت النصرانية واحسرتاه ، وأمست مستضعَفَة مقصوصة الجناح . ما عدا بلاد فرنسا الخاضعة للملك قسطنس خلورس .

وأمعن الظالمون في استنباط افانين التعاذيب للشهداء الابرار . ففي بلاد ما بين النهرين كانوا يشنقون بعضهم منكّسي الرؤوس ، وفي سوريا كانوا يشوونهم على المقالي ، وفي ولاية البنطس (على ساحل البحر الاسود) كانوا يدخلون تحت اظافرهم قصباً حاداً ثم يصبّون عليها رصاصاً مذوّباً . وفي مصر كانوا يمزّقون لحمانهم باخزاف مكسّرة . وفي فريجية احرقوا مدينة عن بكرة ابيها حتى صارت رماداً لانه لم يوجد فيها فرد برضى بالتوثّن . وفي بعض البلاد كانوا يقلعون لكل شهيد عينه اليمنى ويقطعون ساقه اليسرى ، وغير ذلك مما تقشعرّ له الابدان ولا تقوى على سماعه الآذان . واستشهد جماهير لا يحصيها

عدّ ، وفشلت فئة ضئيلة . ودامت هذه الشدة الهائلة حتى سنة ٣٠٥ اذ استقال ديوقلطيانس ثم هلك . واستقل مكسميانس دايا في الشرق وعمره عشرون سنة فزاد نار الاضطهاد ضراماً وتقلبت فيه الاحوال حتى سنة ٣١٣ اما قسطنس خلورس فبسط خيمة السلام على بلاده الغربية .

الفصل السادس

في شهيدات الدين والعفة

وُصم الاضطهاد العاشر في ولاية مكسميانس دايا ابن اخي غاليريوس الذي ملك سنة ٣٠٥ بالعار الذي ضاعف فظائعه . وذلك ان هذا الشاب الغرّ بل الوحش البشري انفرد عن اخوانه الملوك بفساد اخلاقه واتيانه المنكرات . واقتدى بـه الحكام والولاة فكان جنوده ينتزعون من راقت له من النسآء من ازواجهن والبنات من آبائهن ، ومن قاومت كان جزآؤها التغريق . وكان معظم رفاقه وحراسه من البرابرة ، فأوقعوا في العيال الذلّ واليأس . فكم زوجٍ قتل نفسه بعد امتهان شرفه ، وكم سيدة

مسيحية آثرت الموت على الفضيحة . واعتبرت الكنيسة المقدسة عملهن هذا شهامةً مسيحية واستشهاداً ، ساترةً بسلطانها ما كان فيه من شذوذ . وكانت انطاكية خاصة مشهداً لشهيدات العفة فضلاً عن الدين .

منهن القديسة بلاجية ، وكانت فتاةً ابنة خمس عشرة سنة . وقرأت على مار لوقيانس الشهيد وباغتها الجند منفردة في بيتها ولم يكن معها آنئذ احد من اهلها وخدمها . فاستأذنتهم في الخلوة في غرفتها لترتدي اجمل ثيابها ، ولكنها صعدت الى السطح وطرحت نفسها الى اسفل ، فقضت شهيدة العفة والدين سنة ٣٠٦ . وقد قرّظها القديسان امبروسيوس والذهبي الفم .

وفتاتان شقيقتان في زهرة العمر ، لهما من الحسب والغنى والجمال النصيب الاوفى . وكانتا مشهورتين بالحشمة وحسن السيرة والتقوى والدرس والشغل ، بادرتا الى الفوز باكليل العفة فألقاهما الاثمة في البحر .

وسيدة انطاكيّة شريفة اسمها دومينية ، ذهبت لها شهرة بحَسبها ونُبلها وغناها وشجاعة نفسها وفضيلتها . وكان لها ابنتان جميلتان اسمهما بروسدوقيا وبرنيقى ربّتهما

على سنّة الدين المسيحي فأحسنت تربيتهما . ولما انتهى خبرهن الى مكسميانس الفاسق ، بالغ في التفتيش عليهن وهن يتخفّين . ولما خفن سعاية الخدم ، اسرعن بالهرب من انطاكية ولجأن الى مدينة الرها . وحينما ادركهن الجند ، ومضي بهنّ وكنّ يرين فقد العفة اقبح عار ينزل بهن ، ناهيك عن الكفر بالدين والتضحية للاوثان ، تلطّفت امّهن الباسلة بالجند واشغلتهم ، واقنعت الفتاتين فالقين انفسهن جميعاً في نهر الفرات سنة ٣٠٦ . وقد نوّه بهنّ وبالقديسة بلاجية مار سويريوس الكبير الانطاكي كما ان القديس الذهبي فمه قرّظهن في خطبة .

الفصل السابع

في شهدآء مصر والصعيد

عقد اوسابيوس وهو معاصر وشاهد عيان ، فصلين في تاريخه أكبَرَ فيهما البطولة الدينية التي ابداها الشهدآء القديسون اهل مصر والصعيد الاقباط في بلادهم اثناء الاضطهاد . فضلاً عن الذين استشهدوا في فلسطين وفينيقية

قال « ان من دواعي العجب ان نرى ربوات من رجال ونسآء واطفال ، هان عليهم قدر الحياة في جانب ما انزله ربنا علينا من العلم . فاحتملوا الموت الواناً ، فمنهم من جُلد وضُرب ضرباً شديداً وتجرّع غُصَصاً وكابد الف عذاب مروّع أليم متقلّباً عليه ضروباً واشكالاً ثم طرح في النار . ومنهم من أُغرق في اعماق اليمّ وفيهم من مدّوا اعناقهم امام السيافين غير هيّابين . وغيرهم نزل بهم حِمامهم وهم تحت اسواط العذاب ، ومنهم من مات الموت الاغبر اي جوعاً او صُلب كالمجرمين او عُلّقوا على صلبانهم منكّسين حتى هلكوا جوعاً .

وان الذي حلّ بساحة شهدآء الصعيد من الضرب والجلد والألم والمكروه لممّا لا يفي بـه وصف . فان الجلاّدين اندفعوا يهشمّون بأخزاف اجسادهم عضواً عضواً ، ويعلّقون النسآء عرايا باحدى ارجلهن ، ويربطون بعض الشهدآء بالاشجار والاغصان يجذبون بآلة اغلظها بعضها الى بعض فيوثقون بها سيقانهم ثم يُرخونها لتعود الى مواضعها ، فتنخلع اعضاؤهم انخلاعاً ! وكان هذا دأبهم بضعة سنوات فيقتلون في بعض الايام عشرة فعشرين

فثلاثين فستين فمائة . وقد عايناً من قُطع رأسه وحُرق جسمه حتى نبا السيف من حزّ الرؤوس وكَلّ السيافون وهم على هذا العمل الفظيع يتناوبون . ذلك ان جماهير المؤمنين كانت تتوالى عليهم مجاهرةً بدينها وتمتهن الظالمين وتعاذيبهم المتنوّعة ، بنفوس قد ثلجت للعذاب وكان الشهدآء يهشون لقضآء الموت ويبشّون ، وهم يترنمون حتى النفس الاخير وبحمد الله يسبّحون !

واعجب منهم واشدّ دَهشاً أمر ذوي الشرف الباذخ واهل الحسب والثرآء ، واصحاب الفلسفة وارباب الفصاحة ، فانهم كانوا يؤثرون عبادة الله ودين ربنا وفادينا يسوع المسيح على كل شيء ، منهم فيلورومس مدبّر مدينة الاسكندرية وكان لسموّ منزلته عند الرومانيين تحيط به ثلّة من الحرَس فكانوا يحاكمونه يومياً . وفيلاّس اسقف مدينة توميس (تمي الامديد) وكان رجلاً ثرياً عريض الجاه جليل الرتبة في وطنه راسخ القدَم في علم الفلسفة . فهذان لم يؤثرا الحياة الفانية وامتهان سنّة الشهادة والكفر بفادينا ، مهما ناشدهما الحاكم والاعيان والاهل والاصدقآء ان يرحما نفسيهما وعيالهما . لكنهما

صبرا على مضض القضآء ووعيد الحاكم بمتانة في الدين ونية خالصة وعزم مكين ونفس معتصمة بمحبة الله عزّ وجلّ حتى حزّ رأساهما سنة ٣٠٦ او ٣٠٧

ثم اورد المؤرخ رسالة محزنة كتبها مار فيلآس من محبسه الى الاخوة اهل كنيسته ، وصف فيها وصفاً دقيقاً ما اخترعه الظالمون للشهدآء السعدآء من تباريح الاعذبة التي لا تُطاق ، ولا يتمالك قارئها ان يستوكف الدموع منذهلاً ومسبّحاً الله الذي عضد الشهدآء بنعمته العظمى ، وجعلهم خير مثال للمؤمنين فكانوا من الفائزين . وقرّظ مار سويريوس الانطاكي الشهدآء الاقباط بمعنيث (اغنيّة روحية) بديع وهو المئة والحادي والخمسون فقال « ان مصر بعدما كانت تتفجّر منها ادناس الوثنية ، اضحت فردوساً مزهراً بعبادة الله وورود الشهدآء وعلوم الدين الصحيح ، وانارت المدن البعيدة من تخومها ضافرةً لها اكليلاً . وكان منها لنا نحن السوريين سفرآء صادقون ، وهم نيلس وفسوم وفاور وايارمياس ومن فاز معهم باكليل الشهادة ، وما هذا الانقلاب الاّ منك ايها السيد المسيح » .

الفصل الثامن

في شهدآء الاضطهاد العاشر

من اشهر شهدآء الاضطهاد العاشر ما عدا الذين سبق ذكرهم :

١ : شهدآء البلاط من آل دورثاوس اصحاب الاقدار الخطيرة والرتب العالية ، الذين استهانوا بالاعذبة والموت في سبيل الدين ، وفاقوا سائر شهدآء يونان وبلاد البربر بسالةً . واشهرهم مار بطرس رئيس البلاط الذي نُكّل به امام القيصرين في نيقوميدية ، فعُلّق عارياً وهُشّم جسمه بالمقارع حتى بدت عظامه ، وسُكب على لحمانه الضامرة خلّ بملح ثم شُوي على مقالي النار رويداً رويداً ، فلم يزل صابراً حتى فاظت نفسه الطاهرة ظافراً . وعلى هذه الصورة استُشهد مار دورثاوس ومار جورجونيس في خلق كثير من رجال البلاط القيصري سنة ٣٠٣

٢ : مار ادوقطس حاكم فريجية ومدبرها العام سنة ٣٠٣

٣ : القديس انتيموس اسقف نيقوميدية ، قطع رأسه و قتل قسوسه واستشهد بعدهم من اهل نيقوميدية خلق عظيم سنة ٣٠٣

٤ : مار جرجس الشهيد الطائر الصيت في العالم المسيحي . كان ضابطاً نبيلاً من مدينة غزة ، وجاهد جهاداً حسناً لم تؤثر فيه صنوف العذابات الفادحة فتكلل بالسيف وعمل المعجزات الباهرة حوالي سنة ٣٠٣

٥ : مار فكتور (بقطر) الجندي الشجاع الشريف الحسب من مدينة مرسيليا ، قضي عليه ان يُجرّ في الشوارع مغلولاً ثم عُلّق على مركبة حديد ، وأطيل عذابه فوقها أمداً طويلاً ثم حُزّ رأسه سنة ٣٠٣

٦ : القديسة بربارة ابنة الزعيم ديوسقورس من مدينة نيقوميدية . وكانت جامعة بين حسن المنظر والاخلاق ، تنصرت وحفظت بتولتها ورفضت الاقتران بوثني نبيل . وحينما درى ابوها تناول سيفاً واوقع بها ، ثم حملها الى الوالي مرقيانس واذ لم يؤثر فيها تمليقه ووعيده ، هشم ساقيها بامشاط حديد وحرقهما بمشاعل موقودة ، وخفض رأسها بمطارق حديد وقطع ثدييها وامر بسحبها

في الشوارع عريانة فسترها الله بضياء سموي . وحزّ ابوها الكافر رأسها في ٤ من كانون الاول سنة ٣٠٣ فاهلكه الله مصعوقاً عند عوده الى المدينة ، واستشهدت معها يوليانة بعدما آمنت بمعاينتها الكرامات في جهاد بربارة .

٧ : مار اقليميس الانقروي اسقف انقرة قطع رأسه مع اغاثنجيلس الروماني حوالي سنة ٣٠٣ ولمار برقلس القسطنطيني في تقريظه خطبة نشرت بالسريانية .

٨ : شهداء ملطية الثلاثة والثلاثون . كانوا واحداً وثلاثين من اهل ملطية قد اعتُقلوا وانضم اليهم هيرون الفلاح القبادوقي وخادمه ، ولما ابوا التوثّن حُزّت رؤوسهم كافةً سنة ٣٠٣

٩ : مار فيلكس (سعيد) اسقف تيبيوكا في افريقية قُتل في قرطاجنة وعمره خمسون سنة لضنّهِ بتسليم الاسفار الالهية الى الكفرة سنة ٣٠٣

١٠ : مار تيرانّيون اسقف مدينة صور والقس زينوبيوس الصيداوي الطبيب استشهدا في انطاكية سنة ٣٠٣

١١ : مار مينا العجائبي المصري من بلدة نقيوس ،

كان جندياً استبدل سلاح الجندية بسلاح الروح ، وقيل انه جاهد واستشهد في مدينة كوتاهية من اعمال فريجية سنة ٣٠٣ وشرّفه الله بربوات الخوارق والاشفية ، على ما ذكر مار سويريوس الانطاكي في المعنيث المئة والسادس والاربعين الذي نظمه في حقّه .

١٢ : مار فيلبس اسقف هرقلية الشيخ والشماس هرمس عضو مشيخة البلد وحاكمها سابقاً . ونُكّل بهما لرفضهما تسليم الآنية البيعية والكتب القدسية للكفرة ، فأُحرقت الكتب وحُمل الشهيدان الى مدينة أدرنه لابائهما التضحية للاصنام . وبعد حبس سبعة اشهر جُلد الاسقف جلداً قاسياً وأُحرق والشماس بالنار . وفي الغد أُحرق رفيقهما القس سويريوس والقيت اجسادهم في نهر هيبر فاصطادها المؤمنون بشبكة ودفنوها سنة ٣٠٣ او ٣٠٤

١٣ : لوسية (نور) البكر الشريفة من مدينة سيراقوسا في جزيرة صقلية ، تكللت بالسيف لرفضها خطبة وجيه وثني .

١٤ : فاليريوس اسقف سار اغوسة (اسبانيا) وكان متميّزاً بعلمه وصلاحه ، اعترف بالايمان فنُفي ونُكّل

بشماسه فنسان (منصور) فتفنن داسيانوس الوالي في تعذيبه حتى جمع جهاده المذهل صنوف النكال بالحديد والنار والخزف ، فتجلى فيه انتصار السيد المسيح على خبث ابليس سنة ٣٠٤ وخلف فاليريوس اساقفه من أسرته سُمّوا باسمه .

١٥ : مار ايرناوس اسقف سيرمه (او سرميش قصبة اقليم بنّونيا وموقعها في هونغرية شمالي غربي بلغارية) ومن امره انه تزوج في ريعان عمره ورُزق اولاداً وتسقّف . فدانه بروبس ونكّل به وهو يأبى الكفر ، وناشده الرحمة لابويه وكانا في قيد الحياة وبزوجته واولاده فأجاب قائلاً : لا والدين ولا امرأة ولا اولادَ لي لان الرب قال : من أحبّ اباً او امّاً او امرأة اكثر مني فما يستحقني . فقُطع رأسه وطرح جسده في نهر ساف سنة ٣٠٤

الفصل التاسع

في بقية شهدآء الاضطهاد العاشر

١٦ : الكتيبة الصعيدية (الثيبية) وكانت فرقة

عسكر مسيحي عددها ستة آلاف وستمائة جندي . استقدمها مكسميانس من الشرق الى الغرب لمحاربة اهل فرنسا . ولما امتنع جنودها من ذلك فرّقهم عشرة عشرة وقتل كل عاشر منهم اولاً وثانياً ، وعندما رأى ثباتهم اخترقهم الجنود الوثنيون بسيوفهم وكان مقدمهم القائد موريتي .

١٧ : مار فكتورينس اسقف بتّو في بنونيا . كان كاتباً حاذقاً باليونانية وملمًّا باللاتينية في ما حكاه الانبا هيرونيمس وكلل بالشهادة ايام ديوقلطيانس سنة ٣٠٤

١٨ : مار دومنيون اسقف سالون ورد ذكره في الكلندار السرياني القديم في ١١ نيسان واستشهد معه القس استيريوس وشماس وستة شهداء في دلماطيا ، في زمن الحاكم اوريليوس يوليوس . وخلف الشهيد ابن اخيه الاسقف بريموس وعُرف اسمه من ضريح عمّه .

١٩ : القديسة فبرونية الراهبة الفاضلة البديعة الحسن ، التي نكّل بها القائد سيلنيوس بعد استيلاء ديوقلطيانس على نصيبين سنة ٣٠٤ قبض عليها بعد فتكه بمسيحي ما بين النهرين ، ومزّق ثيابها ومدّها على الارض وشُعل

تحتها نار خفيفة ، وجُلد ظهرها بقضبان ثم علّقوها على خشبة ومشطوا جنبيها بامشاط حديد وحرقوهما بالنار . ثم قلعوا اسنانها وقطعوا ثدييها ورجليها ثم يديها فرأسها وهي صابرة صبراً جميلاً . فبنى لها مار يعقوب اسقف نصيبين كنيسة فاخرة وضع فيها شيئاً من جثمانها الطاهر .

٢٠ : والقديسون طاراخوس وفروبس واندرونيقس . وكان اولهم جندياً ابن ستين سنة وثانيهم كهلاً خاملاً من بلاد ثراقية وثالثهم شاباً يافعاً . دانهم مكسيمس حاكم طرسوس ثم عين زربة (قيليقية) فسأل اولهم عن اسمه فاجابه : اني مسيحي وهذا اسمي الخاص الذي ازدان به واما الاسم الذي سمّاني به ابواي فهو طاراخوس . وتفنّن الحاكم الغاشم في استنطاقهم والتنكيل بهم ، ضرباً موجعاً وتكبيلاً بالاغلال وطرحاً في غياهب السجون وتحريقاً بالنار في جوانبهم وتشويهاً لاعضائهم ، ونخزاً بإبَرٍ حادّة وتشريطاً لسيقانهم بآلات حديدية ، ثم فركاً بالملح ودلكاً بالخزف وايقافاً على الحديد المحميّ ووضع جمر النار على الرؤوس ، وجلداً باعصاب البقر الجافّة وقلعاً لعيني احدهم وشرماً لشفتي الثاني وقطعاً للسان الآخر ، وهم صابرون

وبالاوثان يكذّبون وبدين المسيح الصحيح يستمسكون وبآيات الله يستشهدون . وعرضهم على الوحوش الكاسرة فانقلبت تلاطفهم وتلحس جروحهم فجُنّ غضباً وقتل دبّة كاسرة ولما اعياه امرهم قتلهم بحدّ السيف . وحاز المؤمنون اجسادهم وعُني اكليروس عين زربة بنقل خبر جهادهم من السجل المدني وتدوينه سنة ٣٠٤ وقرّظهم مار سويريوس في خطبته الثامنة والسبعين .

٢١ : مار يوليانس الطَرَسوسي ، العين زربي المولد والطرسوسي المنشأ النبيل الجنس . لقّنته امّه النصرانية حتى اشتدّ بها يقينه . وحينما ثارت شدة ديوقلطيانس وكان عمر الشهيد ثماني عشرة سنة وقبض عليه العامل مرقيانس ، لم تكن الاعذبة الفادحة من ضرب عنيف وجلد قاسٍ لتحوّله عن الاعتصام بدينه القويم فجاهر به . وقال انما الشرف والنبل هو الانتساب الى الله والتعبّد للسيد المسيح والتزيّن بلآلىء العفة . فطافوا به بعض مدن قيليقية امتهاناً وهم يذيقونه مرّ العذاب ألواناً حتى بلغوا به مدينة هجين فزجّوه في السجن . وحملوا اليه امّه لتقنعه فكانت ترشده سراً الى الثبات على ما علّمته

من الايمان المسيحي ، وشاركته في جهاده فسيمت افظع عذاب حتى كلّ منها الحاكم . ثم وضع الشهيد في كيس ملآن رملاً وحشرات سامّة وطُرح في البحر فحملت الامواج جسده الطاهر الى الشاطئ . فدفنته سيدة اسكندرية ، ثم نقلت اعضاؤه الى انطاكية . وقد قرّظه القديس الذهبي الفم ووضع القديس سويريوس الانطاكي خطبته الخامسة والسبعين في وصف جهاده وتقريظه ختمها بقوله : لتقتدِ الامّهات بهذه الوالدة الباسلة ويعلّمن اولادهن ما يرضي الله سبحانه .

٢٢ : القديسة يوليطي من مدينة قيسرية قبادوقية ، قال في حقّها القديس باسيليوس القيسري في خطبته الخامسة : انها كانت ارملة ذات وفرة وثروة ، سلبها بعض وجوه المدينة اكثرها لخبث طينته وشدّة طمعه . وحينما طمح الى غصب بقية اموالها المنقولة ، رافعته الى القاضي فظهر حقّها وشالت كفّة حجّته الزائفة . فشكاها بالنصرانية التي تُعدمها حقّها . وعندما سألها الحاكم ان تضحي للاصنام وأبت حكم عليها بالموت حرقاً بالنار فقالت : لا كان مال يحرمني رضى خالقي . وانطلقت الى

العذاب بقلب غير مذهول وعزم غير مفلول وهي تقول لصواحبها « لن تكون نفس الامرأة المسيحية اجزع من نفس الرجل من الموت في سبيل الدين . ذلك ان الله يريد منا جميعاً ايماناً متيناً وصبراً مكيناً » وكانت شهادتها سنة ٣٠٤

٢٣ : سابينس اسقف اسّيس والاساقفة قاسيان وايميكيدس وفيلكس في ايطاليا وكونتان في بلجيكا سنة ٣٠٤

٢٤ : ولئونتوس وفيدنتيوس اسقفا هبّون في افريقيا الشمالية ، ذكرهما العلامة اوغسطينس وقال ان اولهما بنى احدى كنائس هبّون وثانيهما ذُبح مع عشرين شهيداً من المؤمنين . وينواريوس اسقف بنيفانت (ايطاليا) استشهد مع رفاق له في بوزّول . وانسطاسية الارملة في سيرميا سنة ٣٠٤

٢٥ : مار قرياقس الطفل وامه يوليطي (جولييت) وكانت من مدينة ايقونية من سلالة الملوك ، وابوه قائد جيش توفي وعمر وحيده ثلاث سنوات . وعندما اشتد الاضطهاد هربت يوليطي بابنها الى طرَسوس . ولاعتصامها

وطفلها بمحبة يسوع نكّل بها الوالي الكسندر وجلدها باعصاب البقر ، وطرح قرياقس من فوق درج ايوانه الى اسفل فشجّ رأسه وفاضت روحه الزكيّة . وهشّم جسم امّه القديسة بامشاط حديد ثم قطع رأسها في منتصف تموز سنة ٣٠٤

الفصل العاشر

في تتمة شهدآء الاضطهاد العاشر

٢٦ : كونيتيوس نجل احد رجال الدولة في مدينة اميان (فرنسا) كان يبشر بالانجيل ، فعذبه الوالي ريكيسيوس فاروس بالجلد والسجن والبكرات وسلاسل الحديد والزيت المغلي والزفت والشحم المُذاب والكِلس والخل ثم قطع رأسه .

٢٧ : اغنيسة العذرآء الرومانية النبيلة شهيدة الدين والعفّة ، التي ابت التضحية للاوثان والتزوّج بابن والي رومية . فطُرحت في النار فلم تؤثر فيها وحرس ملاك الله عفتها . قطع رأسها ولم تتجاوز الثلاث عشرة سنة من

عمرها سنة ٣٠٤ او اوائل سنة ٣٠٥ وورد تذكارها في الكلندار السرياني .

٢٨ : مار اغريفاس ومار لبرنطيوس رئيسا الشهداء الاثني عشر ألفاً ، وجاء في بعض النسخ انهم كانوا اربعة آلاف ، استشهدوا في جبل أهموي او اشوما في ما بين النهرين ويُعرف ايضاً بجبل ماسيون . ورد تذكارهم في الكلندار السرياني وفي نشيد سرياني قديم العهد وعدّهم المؤرخ الرهاوي السرياني من شهداء هذه الشدّة .

٢٩ : مار ثاودورس الجندي الشجاع ، الذي جُلد وهُشّم بآلات حديدية ثم احرق بالنار في مدينة اماصيا سنة ٣٠٦ وقرظه القديس غريغوريوس النوسي . واستشهد بعده جنود آخرون من فرقته .

٣٠ : مار عزرائيل السميساطي الشهيد الجليل الذي قهر مكسميانس واخزاه بصبره المدهش ، على تهشيم جسمه وتكسير عظامه بالمعاول وفقأ عينيه وقلع اضراسه وبتر يديه ورجليه وطرحه في الجبّ .

٣١ : مار زينوب اسقف هجين في قيليقية واستشهد سنة ٣٠٦

٣٢ : مار برلاها الانطاكي الفلاّح الشيخ الأمّي الذي بسط يده الى لهيب النار حتى فنيت ، لئلاّ يقدّم بها الذبائح الوثنية . ونُكّل به تنكيلاً فظيعاً وتمّت شهادته سنة ٣٠٦ وقد مدحه القديسون باسيليوس والذهبي فمه وسويريوس .

٣٣ : ابولونيوس الناسك ، حُبس في الاسكندرية فانهال عليه الوثنيون يوسعونه شتماً . ثم اقبل فيليمون الزامر وفعل فعلهم فدعا له الناسك برفق فوقع ذلك منه اجمل وقع فتنصّر وأقرّ بدينه . فحكم عليه اريان القاضي وعلى الناسك بالحرق بالنار ، فصلّى ابولونيوس فأنزل الله مطراً اطفأ النار فهتف القاضي والجمهور قائلين « عظيم هو آله النصارى » وآمن اريان نفسه فدانهم حاكم مصر العام والقاهم في البحر مع الحرّاس الذين نصّرهم ابولونيوس اثناء الطريق سنة ٣٠٦

٣٤ : القديسان قزما ودميان الطبيبان المولودان في بلاد العرب ، وكانا يبسطان على الناس جناح رحمتهما شهامةً ومروءة . وبعدما عذّبهما الوالي ليسيوس ضرب بالسيف عنقيهما واخوتهما سنة ٣٠٦ ونقل جسداهما الى

رومية ووُضعا في كنيسة بديعة ثم بنى لهما القيصر يوسطنيان الاول كنيستين جليلتين .

٣٥ : اوفيمية العذراء التي أُحرقت بالنار في خلقيدونية (قاضي كوي) سنة ٣٠٧

٣٦ : بفنوطيوس الناسك الابيل الذي امعن ادريان الحاكم في التنكيل به في الصعيد (ثيبة) فاستشهد مع خلق كثير حوالي سنة ٣٠٧

٣٧ : ديوسقورس من عمّال الخزينة في مدينة سينوبليس في مصر الوسطى ، دَانَهُ كولسيان واحرقهُ بسرج موقودة ونتفت لحيته ثم قُطع رأسه في الاسكندرية عام ٣٠٧

٣٨ : مار قيرينس اسقف سيسكيا (بنّونيا) عُلق في عنقه حجر رحى وأُغرق في النهر سنة ٣٠٩

٣٩ : مار حبيب شماس قرية تلصها من نواحي مدينة الرها ، وكان يطوف القرى مبشّراً فقُبض عليه وجُلد بقساوة وحشيه ثم وُضع في قفص حديد وضُيّق عليه بشدّة وزُجّ في السجن ، ثم ضُرب بقضبان من شجر الرّمان وعلّق على خشبة وهُشّم جسده باظفار حديدية ثم

أحرق بالنار في ٢ ايلول سنة ٣٠٩ فمضى الى ربّه يستنجزه صادق وعده . ونظم القديس يعقوب السروجي في حقّه ميمراً من عيون الشعر السرياني .

٤٠ : مار فنطلاّون الناسك استشهد في مصر ومعه خمسمائة وستة واربعون شهيداً .

الفصل الحادي عشر

في شهدآء فلسطين سنة ٣٠٣ — ٣١٠

صنّف اوسابيوس القيسري كتاباً خاصاً بالشهدآء الذين قتلوا في فلسطين منذ سنة ٣٠٣ حتى ٣١٠ ومعظمهم من مصر وعددهم ٤٦٧ شهيداً ، عاين المؤرخ جهادهم المدهش فابدع في وصفه . ووصل الينا هذا الكتاب بالسريانية عن نسخة كتبت عام ٤١١ م وهو ٥٢ صفحة واليك خلاصة اخبارهم :

٤١ : مار فروقوفس البيساني ، أقيم قارئاً في الكنيسة ثم مترجماً من اللغة اليونانية الى الآرامية السريانية ، وطارداً للشياطين منصرفا الى النسك والعبادة استشهد بامر الحاكم

فلوينوس في قيسارية سنة ٣٠٣

٤٢ : مار زكى شماس كنيسة جدر .

٤٣ : مار الفيوس من اعيان مدينة الوثروبليس وكان قارئاً ومحلِّفا في كنيسة قيسرية . وحينما عاين قوماً كثيرين ورد عليهم من هول الشدّة ما خلع قلوبهم فضحّوا للاصنام فَزَعاً وَهَلَعاً ، ثارت به الحميّة فمضى في تقريعهم وتذكيرهم وصايا ربنا ليحول دون سقوطهم في شرك الاوثان ففاز باكليل الشهادة .

٤٤ : مار رومانس الفلسطيني الشماس الذي استشهد في انطاكية بعدما نسج على منوال الفيوس محذّراً الناس من السجود للاصنام فقُطع لسانه وجاد الله بسحاب اخمد ناراً هيأوها لاحراقه ثم تم استشهاده سنة ٣٠٣ وانشئت له بيعة في انطاكية .

٤٥ : مار طيمثاوس الغزّي كان عفيفاً فاضلاً ، وبسبب فضائله انهال عليه اهل غزّة بالهوان والضرب حتى استشهد في ايام الحاكم اوربانس خلف فلوينوس سنة ٣٠٤ وكان الغزّيون قوماً ذوي نفوس شرسة هائمين في ضلال الوثنية .

٤٦ : واستشهد معه اغابيوس وتقلا القديسة الجليلة بين انياب الضواري .

٤٧ : والقديسون طيمثاوس البنطي وديونيسيوس الطرابلسي وروملس رئيس كنيسة ديوسبليس (لدّ) وفيسوس والكسندروس القبطيان .

٤٨ : والقديس ابيفنس او افيان ، وكان شاباً عفيفاً باسلاً من اشراف ولاية لوقية واغنيائها ، لم يتمّ عشرين ربيعاً ، قرأ الفقه في بيروت واخذ عن القسيس القديس بمفليس في قيسرية ومنه اقتبس الكمال المسيحي استشهد بعد جهاد مروّع عجيب .

٤٩ : واخوه القديس الوسيس الذي قرأ حكمة يونان والرومان واخذ عن القديس بمفليس مدة من الزمان واستشهد في الاسكندرية .

٥٠ : القديسة ثاودوسية من عذارى مدينة صُور استشهدت ولم تبلغ الثامنة عشرة من العمر .

٥١ : دومنينس الطبيب وكان شاباً رافلاً في حلل التّقى والقداسة .

٥٢ : مئة معترف من مصر والشهيدتان جتّا الغزّية

وولنطينة القيسرية وبولس الوديع والشبان الثلاثة انطونينس وزبينا وجرمانس ، وفتاة بيسانية قيل ان اسمها اوناثة أحرقت بالنار .

٥٣ : منتوس ومئة وثلاثون شهيداً مصرياً قبطياً اشتغلوا في الحفر على المعادن في فينو بفلسطين .

٥٤ : ثلاثة شهداء مصريون وهم اروس وأحرق بالنار ، وفريموس وايليا قطع رأساهما في عسقلان .

٥٥ : بطرس المسمى عبشلاما (عبد السلام) وهو شاب من قرية ايًا من ضواحي بيت جبريل .

٥٦ : هدريانس وابولوس طرحا امام الاسد في قيسارية ثم قتلا بحد السيف .

٥٧ : الاسقفان القبطيان مار بولس (بيلي) ومار نيلس ، والوجيهان فطريميثاوس وايليا استشهدوا حرقاً بالنار ومئة وخمسون معترفاً شهيداً اكثرهم اقباط .

٥٨ : مار سلوانس الشيخ المعترف المجاهد الذي صار قساً لبيعة غزّة وشوّه جسمه في الجهاد ، ثم سيم اسقفاً فتلألأت فضائله الكهنوتية ثم تكلل بالشهادة مع اربعين شهيداً قبطياً .

الفصل الثاني عشر

في القديس بمفيلس الشهيد سنة ٣٠٩

٥٩ : مار بمفيلس من مفاخر بيروت ، وُلد فيها من أسرة كريمة وقرأ صنوف العلوم ، ثم درس العلم اللاهوتي في مدرسة الاسكندرية في زمن رئيسها بييريوس . وتوطّن مدينة قيسرية فلسطين وباع كل ما وهبه اياه ابواه ووزعه على البؤساء ، وزهد في المال وعاش فقيراً منه غنياً بالله . وهجر الحكمة البشرية واحب كلام الله مستمسكاً بـه ، وسيم قسيساً وتجمّل بمكارم الاخلاق التي تفاضل فيها الصالحون ، فازدانت به بيعة قيسرية . وشهد له صديقه ومعاونه وكاتب سيرته اوسابيوس القيسري بقوله في حقّه : انـه كان قسّاً كاملاً مزيّناً بصنوف الفضائل كما كان عالماً جليلاً . وانشأ في قيسرية مدرسة لتعليم العلوم القدسية ، وجمع خزانة كتب نفيسة حوت مجموعة ثمينة من نسخ الاسفار المقدسة وشروحها ، ثم تطوّع بهبتها الى كنيسة قيسرية ، وقد بعثرتها الشدّة لكن فضل منها

بقيّة . ومن تلاميذه الشابان الاخوان الشهيدان افيان والوسيس واوسابيوس . وفي سنة ٣٠٧ قُبض عليه في شدّة مكسميانس دايا فجاهر بدينه ببسالة ، فطرح في السجن . فصنّف فيه كتابه انتصاراً للعلامة اوريجانس في خمسة ابواب ، وخصّه بالمعترفين المعتقلين في المعادن ، وذلك بمعاونة اوسابيوس الذي زاد عليه باباً سادساً . واقام في السجن زهاء سنتين وهو يواصل الاشتغال بعلم الكتاب الالهي ، ويزوره اصحاب له يساعدونه في عمله ، ووُجد كتاب سفر الملوك الذي انجزه في السجن وقرأ عليه نصّه ثانيةً انطونينس المعترف . كما كان قبل ذلك يكتب بخطه نُسخ الكتب الالهية وقد مُلئت منها البلاد التي بين مصر وسورية ، ينتقيها من اضبط النسخ ويعارضها بنسخ اوريجانس واضع علم النقد الكتابي . وكان اوسابيوس معواناً له في عمله هذا الخطير على ما ورد في عدة نسخ .

وفي ١٦ شباط سنة ٣٠٩ عُقد له اكليل الشهادة في سبيل الدين المسيحي مع احد عشر شهيداً ، منهم واليس شماس مدينة ايليه كابيتولينا ، وكان شيخاً باراً متضلّعاً

من علوم الكتب المقدسة ويورد منها على ظاهر قلبه اية صفحة شئت ، وبولس وسلوقس الجندي وثاودولس (عبد الله) الشيخ ويليانس ، وخادمه بورفيريوس من طلاّب الفلسفة وكان عبداً باسلاً لم يتجاوز الثماني عشرة من عمره وأحرق حيًّا . وللقديس بمفيلس رسائل مفقودة .

الفصل الثالث عشر

في اشهر شهدآء شدّة مكسميان دايا وليقينيوس وعقاب الله لاعداء بيعته

٦٠ : القديس بطرس الاول بطريرك الاسكندرية المنعوت بخاتم الشهدآء المصريين (٣٠٠-٣١١) من خيرة علمآء الدين في تشديد عزائم المسيحيين للصبر على الشدة . تخفّى مدة من الزمان خوفاً على رعيّته وحرصاً على نفع بيعته وهو يجبّر لهم جلائل الرسائل مثلوج الفؤاد بحسن جهادهم . وحينما خمدت نار الشدّة عاد الى كرسيّه . فلما ملك مكسميانس دايا على الشرق اعتقله ، فهاجت المدينة وهرعت لانقاذه بقوة السلاح ، ولكن الطاغية امر

بقطع رأسه فوراً في ٢٥ تشرين الثاني سنة ٣١١ فظهرت على ضريحه الكرامات . وذكر له مار سويريوس كتاباً في اللاهوت واستشهد بـه مجمع افسس ، وله مصنّفات في عدم وجود النفوس قبل اجسادها ، وفي القيامة رداً على اوريجانس وبقي من الثاني نُبَذٌ بالسريانية ، واربعة عشر قانوناً في توبة الساقطين في الاضطهاد ضمّنها رسالته العيدية سنة ٣٠٦ واستشهد معه قسوسه فوستوس وكان شيخاً هرماً ودِيوس وامّونيوس .

٦١ : والقديسون هيسيكيوس وباخوميوس وثاودورس الاساقفة القبطيون ، الذين أُسروا وسُجنوا مع مار فيلآس وأمضوا رسالة البطريرك القديس بطرس لشجب شقاق ملاطيوس الاسيوطي . وكان ثالثهم ثاودورس قريب عهد باسقفية بنطابوليس (المدن الخمس) استشهدوا عام ٣١١

٦٢ : القديس متّوديوس اسقف اوليمبية او باتار سنة ٣١١ او ٣١٢ وسيأتي خبره .

٦٣ : مار لوقيانس القسيس السميساطي الاصل الانطاكي المنشأ والمسكن ، مؤسس المدرسة الانطاكية

الذي سبق خبره ، بعدما لفظ امام القيصر مكسميانس دايا احتجاجه عن الدين المسيحي دانه الطاغية بنفسه وحكم عليه بعذاب التجويع . فصبر على ذلك أجمل صبر وأبى ان يذوق من لحوم الضحايا ، ولم يجب بشيء سوى بقوله : انا مسيحي فقُطع رأسه سرًّا في مدينة نيقوميدية في السابع من كانون الثاني سنة ٣١٢ وقرّظه القديس الذهبي الفم في خطبته السادسة والاربعين ، وهي من نفائس الخطب . واستشهد معه رفيقه القس دورثاوس .

٦٤ : مار باسيلسقوس اسقف كومانا في اقليم البنطس استشهد في اليوم نفسه .

٦٥ : مار سلوانس اسقف حمص الفلسطيني الاصل الذي خدم الاسقفية اربعين سنة (٢٧٢ - ٣١٢) استشهد مع رفاق ثلاثة بين انياب الوحوش الضارية في مرسح حمص في ٢٩ من كانون الثاني .

٦٦ : مار قورس الطبيب الاسكندري ومار يوحنا الرهاوي الجندي اللذان قُتلا في مدينة كانوب (ابو قير) بمصر في سَلخ كانون الثاني ٣١٢ وقيل ان عدة نساء استشهدن معهما .

٦٧ : مار يوليان الحمصي الطبيب تنصّر واستشهد في السنة عينها ، وبنيت في حمص كنيسة باسمه .

ولم تنتهِ نكبات الاضطهاد العاشر سنة ٣١٢ وان توقّفت في السنة التالية بمشروع ميلان ، فان ليقينيوس قيصر الشرق نكّل ببعض الشهداء على ما ستقف عليه .

وانزل الله العزيز الجبّار اشدّ العقاب بهؤلاء الملوك الطغاة كما أحلّ نقمته بغالب اسلافهم . فاعتلّ ديوقلطيانس واستشعر غضب الله عليه ، فأمر بابطال الاضطهاد سائلاً لنفسه دعاء النصارى فلم ينفذ امره . وبعد اعتزاله عام ٣٠٥ جاشت في صدره غُصص الهموم وتشعّبته الغموم ، وانخفض جَناح عُجْبه مدة ثلاث سنوات حتى هلك سنة ٣١٣ ونَبَت البلاد بزوجته بريسقة وابنته فاليرية حتى قتلهما ليقينيوس في تسالونيقي وطرح جثتيهما في البحر . ونفي مكسميانس هرقل الى فرنسا ، وعاش مشرّداً في شيخوخته حتى شنق نفسه عام ٣١١ واعترى مكسميان غاليريوس داءٌ عُقام في غاية الفظاعة والكراهة ، شروَى داء هيرودس الكبير وهيرودس اغريبا وسَقِم حتى تقطعت انفاسه في السنة عينها ، فقتل ليقينيوس

زوجته وابنه . اما مكسميانس دايا الطاغية الفاسق ، الذي صبّ جام حنقه على احبار النصرانية واعلامها بنوع خاص ، فبعدما رأى بلاده وقد خرّبتها المجاعة والطاعون الجارف بمصر — وانجلت شهامة النصرانية ورفقها بالمصابين وافتضحت قسوة الوثنيين — نزل بـه دآء فظيع عرف فيه عقاباً لجرائمه فشرب سمًّا سنة ٣١٣ وقذف ليقينيوس بزوجته المجرمة في نهر العاصي وذبح ابنه وابنته ، ثم باد ليقينيوس آخر المضطهدين طريداً كسيراً قتيلًا عام ٣٢٣

الفصل الرابع عشر

في القديس متوديوس اسقف اوليمبيا سنة ٣١١ +

كان متّوديوس اسقفاً في مدينة اوليمبيا في ولاية ليقية ، وسمّاه بعضهم اسقف باتارا واستشهد عـام ٣١١ او ٣١٢ وهو من الكتّاب المجيدين وعلمآء البيعة اللاهوتين ، وقال بعضهم انه قرأ في المدرسة الاسكندرية . امـا علمه اللاهوتي فعلى طريقة ايرناوس وميليتون ، واما انشاؤه فعلميّ انيق . وكان من أجرى الكتّاب واجودهم سبكاً

واوسعهم مجالاً ، ومع هذا فقد لمح بعض النقاد في انشائه طرفاً من الابتذال ، انتحل في مصنّفاته منهاج افلاطون معتمداً في غالبها على طريقة المسئلة والجواب ، وهي تدل على صفآء قريحته وثقافته وجودة ترتيبه . وكان مع اعجابه بذكآء اوريجانس المتوقد ، خصماً لدوداً له وقيل انه رجع عن ذلك في اواخر حياته .

فمن مصنّفاته ، كتاب الوليمة وجعله على لسان عشر عذارى يقرّظن البتولية التي هي كمال السيرة المسيحية ، ولا يسلم من قلّة الضبط والنقد ، نُشر حديثاً منقولاً الى الفرنسية ورأيتُه ، وتفاسير لسفري التكوين وايوب ونشيد الانشاد وغيرها من شروح الكتاب الكريم وقد فقدت ، وكتاب في الحرّية قدح فيه في مذهب المبدأين الصالح والطالح ، ومحاورة نفيسة في القيامة ردًّا على اوريجانس ، وعدة كتب فند فيها برفيريوس الفيلسوف الوثني عدوّ النصرانية ، ومقالة في الحياة تحريضاً على الاقتناع بتدبير العناية الالهية ، وخطاب في الشهدآء ، وسارت كتبه في الآفاق وتداولها الناس وكثيراً ما استشهد بها علمآء السريان .

الفصل الخامس عشر

في ما نتج عن الاضطهاد من الشقاق

من اسوأ نتائج الاضطهاد العاشر العنيف في العقد الاول من المئة الرابعة ، تعكير سلام الكنيسة بالشقاقين الملاطيوسي في مصر والدوناطي في قرطاجنّة . ففي سنة ٣٠٦ اذاع مار بطرس بطريرك الاسكندرية رسالة اشتملت على قوانين في كيفية قبول الجاحدين في الاضطهاد عند توبتهم رِفقاً بهم . فعارضه ملاطيوس اسقف ليكوبليس (اسيوط) لقسوة عُرف بها ، وخطا به سَفَه الرأي الى المنابذة والخِلاف . مع انه داجى الوثنيين وسجد لاصنامهم فيما قبل . وبعدما خفّت الشدّة بمصر فترة من الزمان ، ثم اشتدّت وطأتها في بلاد الشرق وتخفّى مار بطرس ونوّابه عن أبصار الحكّام ، طفق ملاطيوس يطوف بلاد مصر كنيسةً فكنيسة يحرّك قضيّة التوبة ، واجترأ على قيامه بسيامات في ابرشيات غائبة اساقفتها ، وتجرّأ على سيامة اساقفة دخلاء ! فعنّفه على فساد عمله

اربعة اساقفة فضلاً كانوا حينئذ معتقلين يتوقعون الشهادة ثم استشهدوا . وقطعه البطريرك وحرمه حتى يُنظر في امره عند زوال الشدّة . وكان المضطهدون قد اوقفوه في تلك الاثناء ونفوه الى معادن فِينو . فاصاب ثم فئة ممن يرى رأيه وفيهم اسقف مصري يقال له بيلي فبثّوا الشقاق بين مواطنيهم ، وتراشقوا بالحرمان . ولم تخبُ نار احقادهم وخصوماتهم بعد اطلاق سبيلهم عام ٣١١ اما القديس بطرس فنال اكليل الشهادة في تلك السنة كما مرّ بك ، واما ملاطيوس فقيل انه انضم الى الاريوسية وهلك سنة ٣٣٠ ولكن هذا الشقاق انتشر في مصر باجمعها وتولى امره اكليروس معارض ، وخلف ملاطيوس رجل يقال له يوحنا اركاف . وامتد حبل اهل الفتنة مدة قرن او قرنين حتى آل بهم الامر الى الاندماج في شيعة آريوس .

الفصل السادس عشر

في الشقاق الدوناطي سنة ٣١١

ان الشقاق الدوناطي الذي ازعج كنيسة افريقية ،

كان اشدّ وطأة من فتنة ملاطيوس واسوأ اثراً ، فانه ارهقها اضراراً جمّة ولقيت منه الاذى مدة تجاوزت المئة سنة واليك خلاصة اخباره :

في سنة ٣٠٤ زال الاضطهاد عن افريقية ، فاجتمع زهاء عشرة اساقفة في بيت خاصّ في سيرتا وهي مدينة قسطنطينة ، ليختاروا خلفاً لبولس اسقف قرطاجنة فاقاموا الاسقف منسوريوس سنة ٣٠٥ ولما توفي عام ٣١١ انتخب مكانه رئيس الشمامسة قيقليان ، ومنحه وسم الاسقفية ثلاثة اساقفة مجاورون لقرطاجنة . فلم يرُق هذا العمل للغلاة منهم ، لمنازعة كانت بينهم على اثر الاضطهاد . فنشأ حزب معارض يرئسه القس بوتروس وقلسطيوس ، وعادَوا الاسقف الجديد . وكانت تعضدهم امرأة من ربّات الثّروة والجاه والغنى اسمها لوسيلاّ ، لخصام قديم كان بينها وبين قيلقيان .

فاجتمع المعارضون ورفضوه وطلبوا معاضدة اساقفة مقاطعة نوميديا لهم . وكان احدهم دوناطوس اسقف ابرشية كازا نيكرا (اي الغرفة السوداء) مقيماً في قرطاجنة منذ زمان ومقاوماً للاسقف قيقليان فأبى الحضور معهم فقضوا

بفساد رسامته وحجتهم في ذلك ان فيلكس (سعيد) اسقف آبتونج الذي سامَهُ كان مجرماً بتسليمه الكتب المقدسة الى الوثنيين إبّانَ الاضطهاد . وتعدى حكمهم للعلة نفسها ، الى عدة اساقفة في ما جاور قرطاجنة من الابرشيات . وأقاموا لهم اسقفاً دخيلًا يقال له ماجوران ينتمي الى أُسرة اوسيلا ، التي بذلت في هذا السبيل في نوميديا زهاء ثلاثة آلاف دينار ذهباً . اما الكنائس فكانت خاضعة الى الاسقف قيقليانس ورجال الدولة يراسلونه .

وعقد لاطفاء الفتنة مجمع في مدينة إرل في غاليا (فرنسا) فلم ينجع فيها حكمُه ، وتطوّرت احوالها وخرجت الى افظع النتائج كما سنستأنف خبرها .

الفصل السابع عشر

في مدرسة الاسكندرية منذ سنة ٢٣٢ حتى سنة ٣١٠

مرّت بك اخبار دار التعليم (ديدسقاليون) اي مدرسة الاسكندرية اللاهوتية التي تصدّر للتعليم فيها

وادارتها القس بنطينس ثم القس قليميس الاسكندري . وخلف هذا العلامة القس اوريجانس منذ حوالي سنة ٢٠٣ حتى ٢٣٠ ما خلا فترات اسفاره على ما سبق بيانه في ترجمته .

وبعدما كانت تلقّن في بدء امرها مبادىء الدين المسيحي ، اتسق نطاقها فاشتمل في جانب العلم اللاهوتي ، على الادب والفلسفة وصنوف العلوم ، لئلاّ تنقصها العلوم التي تلقنّها المدرسة الوثنية الاولى وكان بطليموس انشأها منذ سنة ٣٢٣ ق.م ودامت نيّفاً وتسعة قرون حتى سنة ٦٤٠ م فضلاً عن المدرسة الفلسفية الثانية التي كان الفيلسوف امّونيوس سقّاص انشأها حوالي سنة ١٩٣ وخصّها بتعليم الفلسفة الافلاطونية الجديدة ، وهي خلاصة مذهبي افلاطون واريسطو . وخلفه فيها بلوطان ثم بورفيريوس الصُوري ثم جامبليك الذي شرع يقاوم تعليم المدرسة المسيحية . ثم اخذت هذه المدرسة تهبط من تعليم الفلسفة الراقية ، الى اعمال السحر والشعوذة في اواسط القرن الرابع حتى تمّ زوالها سنة ٥٢٩

وتولى رئاسة المدرسة اللاهوتية بعد اوريجانس ، هيراكلاس سنة ٢٣٠ وكان بارعاً في العلوم الفلسفية ثم

رقي الى بطريركية الاسكندرية . ثم مار ديونيسيوس الذي سيم بطريركاً سنة ٢٤٩ وكان من صدور علماء الكنيسة . ثم ثاوغنوستس منذ سنة ٢٦٤ حتى ٢٨٠ ثم القس بييريوس (سنة ٢٨٠ - ٣٠٠ ؟) وكان مشهوراً بالنُسك والعبادة ، وواعظاً طليق اللسان حسن البيان ، وهو أشهر بمواعظه منه بتعليمه . وله بعض خطب تفسيرية تنمّ عن طبع سليم وفكر سديد لا ظِلّ عليه للابتذال حتى نعته معاصروه باوريجانس الثاني . وعاش بييريوس زمناً مديداً حتى ادرك الاضطهاد الكبير وشطراً من الزمان بعده . وافضل من تخرّج عليه ، القس بمفيلس البيروتي الشهيد ، وله في النسك السبق والقَدَم وفي علم اللاهوت القِدح المُعلّى . وقام بعده باعباء الرئاسة اخيلا الذي سيم قساً مع بييريوس ، وكان ممدّحاً في زهده وفضيلته وفيلسوفاً روحيّاً يدرّس العلم الديني ثم اختير فأجلس على الكرسي الاسكندري .

وعظم شأن هذه المدرسة وبلغت من الرقيّ منزلة سنيّة حتى ان منصب رئيسها كان لخطارته يلي المنصب البطريركي . ورأيت ان اغلب رؤسائها رقوا الى هذا الكرسي السامي .

ومن اجلّ تلاميذها مار الكسندروس اسقف قيسارية ثم اورشليم المعترف (٢٥١ +) وفرمليانوس اسقف قيسرية قبادوقية ، وبلوتارقس الشهيد اخو البطريرك هيراكلاس . واناطوليوس الفيلسوف المشهور اسقف اللاذقية (٢٨٣ +) ومار فيلاّس اسقف توميس الشهيد (٣٠٦ +) وهيسيكيوس مؤلف ترجمة يونانية للتوراة . ودومنس وثاوتقنس اسقفا قيسرية فلسطين ، وهما ممن اخذ عن اوريجانس . وتريفون وقرأ عليه خمس عشرة سنة .

واستشهد من تلاميذها الذين قرأوا العلم على العلامة اوريجانس عدا بلوتارقس المذكور اعلاه : سيرينوس وهيراقليدس وهيرون وسيرينوس آخر ، وفتاة اسمها هِيرائيس واكثرهم من صنف الموعوظين .

الفصل الثامن عشر

في مدرسة قيسارية فلسطين سنة ٢٣٠

لما اضطرّت الاحوال العلامة اوريجانس الى توطّن

مدينة قيسارية فلسطين ، انشأ فيها حوالي سنة ٢٣٠ مدرسة لاهوتية فاقت المدرسة الاسكندرية بطريقتها العلمية . وطفق يعلّم فيها ما خلا العلم الديني ، علوم المنطق والطبيعة والفلك والمساحة ، لكي يعالج بعد ذلك علم الادب الذي كان قد رسخ في ذهنه ، ثم صار الى علوم ما وراء الطبيعة . وكان يعرض فيها جميع المناهج الفلسفية بتدريس مصنّفات الكتّاب والعلماء قاطبةً ، عدا مؤلفات تاكري وجود الله وعنايته .

وفي هذه المدرسة وضع ونشر اشهر مصنّفاته في شرح الكتاب الالهي العزيز ولاسيما (الهكسبلا) وفيها جمع خزانة الكتب الطائرة الصيت التي ضمّ اليها القس بمفيلوس الشهيد ما جمعه من نفائس ثمرات القرائح .

ومن اجلّ تلامذتها وأبعدهم صيتاً ، مار غريغوريوس العجائبي اسقف نيوقيسارية (٢٧٥ +) واخوه الاسقف اثينودورس ، والعلامة اوسابيوس القيسري (٣٤٠ +) ذلك النقّاب العليم الذي اقتبس من خزانتها فرائد الفوائد فزان بها جيد النصرانية لاسيما تاريخه الكنسي الذي تجاوبت بصدى ذكره محافل المؤرخين . ويظن سلفه

دومنوس ايضاً ممن ارتشف من مناهل هذا المعهد .

ولا علم لنا بمدة المدرسة وبقية احوالها ، والاظهر انها عاشت نيّفاً ومئة سنة حتى اواسط المئة الرابعة .

الفصل التاسع عشر

في كنيستي حدياب وقسطفون

منذ سنة ٢١٦ حتى ٣١٦

قام بعد الاسقف عبد المسيح في حدياب ، الاسقف حيران حوالي سنة ٢١٦ وهدى خلقاً كثيراً الى النصرانية ، واستوفى مدّته بعد زهاء احدى وعشرين سنة (٢٣٧) وفي ايامه انقرضت مملكة الفرثيين وقامت مقامها دولة الفرس الساسانيين في ٢٨ من شهر نيسان سنة ٢٢٤ وكان المسيحيون يتمتّعون بالدعة . وانتشر نور الدين المسيحي فكان في المشرق اكثر من عشرين ابرشية اسقفية ، منها اسقفية فرات ميشان (دست ميسان) واسقفية بيث قطر (والقطريّون هم اهل نجران واليمامة) واسقفية جنديسابور (الاهواز) سنة ٢٢٥

وخلف حيرانَ الاسقف شحلوفا حوالي سنة ٢٣٧ وكان من اهل الصلاح غيوراً ، وهدى الى الايمان اهل تلنياحا وافتقد مسيحيي قسطفون القليلين وسام لهم قسّاً ووافاه حِمامه سنة ٢٥٢ وقام بعده الاسقف احادبوي حوالي سنة ٢٥٢ ؟ بعدما تنصّر وتتلمذ لسلفه . وكان مليح الشمائل عذْب المنطق حسن البيان في الخطابة يحسن تصريف الامور بعيد الهمة غيوراً ، وبشّر خلقاً كثيراً وافتقد اهل قسطفون ، واجابة لالحاحهم سام لهم هو وحي بَعْل اسقف مدينة السوس : فافا بن عجّي الآرامي من سواد العراق اسقفاً . وقال العلامة ابن العبري ان الذي سام فافا هو داود اسقف فرات ميشان ، ولعلهم اجتمعوا كلهم على سيامته ، وكان فافا ضليعاً في السريانية والفارسية . وافضى احادبوي الى ربه حوالي سنة ٢٩٠ وخلفه الاسقف شريعا الإربلي ومدته ست وعشرون سنة . وفي اواخر ايامه نصر الله بيعته على يد قسطنطين الامبراطور العظيم . ثم حدث خصام في سليق وقسطفون بين اسقفها فافا واساقفة المشرق لاجل الرئاسة واجتمعوا معه في مجلس حوالي سنة ٣١٥ وانكروا عليه الامر

وخاطبه بعضهم بما يكره ، وواطأهم الارخدياقون شمعون برصبّاعي ، وكان لأبيه كلمة مسموعة في البلاط وسيأتي هذ الخبر في بحث جثقلة المشرق . اما الاسقف شريعا فقد وافاه اجله سنة ٣١٦

الفصل العشرون

في انتشار النصرانية وامتدادها الجغرافي

ذكرنا في الباب الثاني كيفية انتشار ديننا المسيحي المُبين في اقطار المعمور ، واتماماً لذلك نقول . اثبت احد العلماء الثقات المعاصرين ان بنود النصرانية خفقت في المئة الاولى من تاريخنا في بلاد كثيرة ، عدّ منها واحداً واربعين مركزاً . وكان في المئة الثانية جماعات منظّمة في ولايات المملكة الرومانية باجمعها . وذكر ترتليانس القرطاجني في احتجاجه الذي كتبه في العقد الاخير من القرن الثاني ، انها ملأت جميع البلاد والارياف ونفذت الى سائر طبقات الجامعة البشرية . وهتف فخوراً بذلك بقوله « ما عهدنا بانفسنا الاّ من امس ، وقد ملأنا مملكتكم

برّمتها ، المدن منها والجزر والقلاع والمدن المستقلة والمجالس والمعسكرات والبلاط ودار المشيخة والسوق المشهور بالفوروم ، ولم ندع لكم سوى الهياكل الوثنية »

وأرجَ نشر الدين المسيحي الطيّب في قصور ذوي الشرف الباذخ والمجد الرفيع ، كالقنصل فلافيوس قليميس والسيدة فلافيا دومتيلاّ سنة ٩٥ والقنصل اميليانس وادقطوس حاكم فريجية وفيلوروس مدبر الاسكندرية الشهداء سنة ٢٥٠ و٣٠٣ و٣٠٦ وغيرهم .

واثبت المحقّقون تمكّن أعراق ديننا المُبين وتأييد قواعده بعد اورشليم وما صاقبها من البلاد في آسيا الصغرى وبلاد اليونان وان عدد المسيحيين كان قد كثر وتفاقم في سورية الشمالية ومصر وافريقية في منتصف المئة الثالثة واما في بلاد الشام الوسطى والجنوبية (اي فلسطين) فكان النصارى عائشين بين وثنيين كثيف عددهم ، وكان نصف آسيا الصغرى مسيحيا .

وشهد ترتليان ومار ديونيسيوس الاسكندري ان أعلام النصرانية كانت منصوبةً في بلاد الفرثيين والماديين والعيلاميين وما بين النهرين ، وبذلك تجاوزت حدود

المملكة الرومانية . وقال برديصان حوالي سنة ١٩٦ ان راياتها رُفعت في كل البلاد من باب الاغلبية ، في غاليا وبلاد الفرثيين واليهودية وجيلان و كوشان (اهل مقاطعتي بقطريانة والسغد) وفي فارس ومادي وبلاد الرها وامارة حطارا (وهي الحَضَر في اطراف تكريت) .

ومن الادلّة على رفع اعلام الهدى في مدينة ملطية قصبة ارمنية الصغرى منذ القرن الثاني ، فرقة الكتيبة البرّاقة التي نشأت منها وذاع خبرها سنة ١٧٢ ومراسلة مار ديونيسيوس الاسكندري للاسقف ميروزوناس في ارمنية الصغرى .

وفي حوران رنّ صوت الانجيل منذ القرن الثاني ، وذكر مار ديونيسيوس الاسكندري بلاد العرب في جملة بلاد سورية وما بين النهرين المتنصرة فى رسالة كتبها الى اسطيفانس اسقف رومية (٢٥٧ +) وعدّ ايضاً ارنوب النوميدي الكاتب (سنة ٢٩٥) الشعب العربي من الشعوب التي ذاقت حلاوة النصرانية ، وكان لاهل نجران واليمامة اسقفية في قطر عام ٢٢٥ وفي جنوبيها بنى عبد يشوع الناسك السرياني ديراً باسم مار توما كان آهلاً

بمئتي راهب حوالي سنة ٣٩٠ وشهد مؤلف تعليم الرسل الموضوع في حدود سنة ٢٥٠ (دسقالية) ان طيب النصرانية فاح في جيلان في بحر قزبين وشعوب الترك الساكنين على شواطىء نهر اوكسوس . ولما كانت حكومة القيصر فيليب العربي (٢٤٤ - ٢٥٠) ممهدة تبسّط الدين المسيحي ، فان الولايات المجاورة للبحر الاسود كولاية البنطس التي رُفع فيها منار الهدى منذ اواخر المئة الاولى ، رسخت فيها قدم النصرانية في اواسط المئة الثالثة بعناية القديسين غريغوريوس العجائبي والكسندر الفحّام (١)

---

(١) اعلم ان بلاد القريم التي هي شبه جزيرة في جنوبي روسيا غربي بحر آزوف وشمالي البحر الاسود ، ومن مدنها شرصونة او خرسون الواقعة في جنوبي مدينة سيبستبول ، كانت بلاداً خاضعة الى الامبراطورية الرومانية بحكم اقطاعي منذ اواسط المئة الاولى ، وكان لها ملوك وطنيون يعرفون بملوك البوسفور وقاعدة ملكهم مدينة توتورزه ، ومنهم طيباريوس يليانس سوروماتس الاول (٩٣-١٢٤) وقد وجد فيها بعض علماء الآثار رسوم كنيسة في شمالي شرصونة ، ونقوداً ضربها بعض ملوكها منذ سنة ٢٧٠ حتى ٣٠٣ خالية من شعار الوثنية وحاوية شعار الصليب . ولما لم يفصح التاريخ الكنسي عن خبر

وفي صدر القرن الثالث تكثّفت الرأيات الانجيلية جزيرة سقطرة في المحيط الهندي ، فصارت كرسياً اسقفياً حوالي سنة ٣٠٠ و كذلك قل عن مدينة ريوردشير الغير بعيد موقعها من مدينة بوشير وكانت منفذ النصرانية الاولى في الشمال الغربي من بلاد الهند ، مثلما كانت ملبار باب النصرانية في الجنوب الساحلي وكان لها في نصرانية الهند اثر خطير . وفي حدود سنة ٢٩٥ — ٣٠٠ وجّه مار داود اسقف فرات ميشان عنايته الى بلاد الهند ، فهجر

تنصر تلك البلاد ، وانما انفرد السنكسار اليوناني القديم بما نلخصه ادناه ، ساغ لنا ان نرجح ان بشارة الهدى سُمعت في تلك المنطقة وما صاقبها في سَلخ المئة الثالثة وغرة الرابعة . فقد جاء فيه ان هرمون اسقف اورشليم ارسل حوالي سنة ٣٠٠ اساقفة الى عدة جهات للتبشير بالمسيح ، فبشر منهم الاسقفان مار افرام ومار باسيليوس بلادالسقيثيين ومدينة شرصونة وهديا جمًّا غفيراً الى الايمان المسيحي واستشهدا . ولحق بهما الاساقفة اوجانيوس واغاثودورس والبيديوس فكان حظهم حظّ سالفيهم من الجهاد والشهادة . وخلفهم الاسقف ايثاريوس واستوفى مدته ايام قسطنطين الكبير . وخلفه الاسقف كابيتون فبسقت اعلام النصرانية في شرصونة وما والاها باعجوبة اظهرها الله على يده ، ثم مات شهيداً بعد سنة ٣٢٥ بمديدة .

كرسيه وقصد اليها ووطّد أساس الدين في شعب غفير . وفرات ميشان ويسميها العرب دَسْت ميسان وكانت يوماً إمارة ، واقعة على خليج العجم في اسفل ارض البصرة ، وأضحت كرسي اسقفية عام ٢٢٥ وكان مار داود اسقفاً منذ سنة ٢٦٦ في ما حكى ابن العبري . وقد مرّت بك بعض اخباره في الفصل الماضي . وهو من افضل اساقفة عصره في بلاد الشرق سيرة واجلّهم منزلةً ، واحرصهم على نشر النصرانية .

وذكر العلامة البطريرك فوتيوس القسطنطيني في مكتبته نقلاً عن فيلوسترج المؤرخ الاريوسي ، أن القيصر قسطنطيوس بعث نحو سنة ٣٥٤ وفداً برئاسة ثاوفيلس الهندي الى بلاد سبأ في جنوبي بلاد العرب والى الحبشة وجزيرة سيلان والهند ، وان ثاوفيل هذا شاهد في جزيرة سقطرة وساحل بلاد هندستان ، مسيحيين من شيعتي الاونوميين والاريوسيين ، وان اهل سقطرة كانوا يصلّون باللغة السريانية .

وقال العلامة اوريجانس في اواسط المئة الثالثة :

ان بشرى الانجيل استفاضت في العالم المعروف عند الرومانيين قاطبةً تقريباً . وممن آمن منها اهل بريطانية وجرمانية والسرامطة والسقيثيّون ، ما عدا بعض قبائل من اوروبا ، وقسم من ايتيوبيا في افريقيا وبعض اقوام من آسيا كأهل الصين » .

وفضلاً عما ذكرناه آنفاً عن ايطاليا وفرنسا ، قد ثبت ان اركان النصرانية رسخت في بلاد اسبانيا ، ومن جملة شهدائها فرو كتئوس اسقف طرّاغونة وشماساه سنة ٢٥٩ وان عبيرها انتشر في انكلترة في صدر القرن الثالث . فقد قال ترتوليان في كتابه ردًّا على اليهود : « اما البريطانيون اهل البلاد البعيدة المنال على الرومانيين فقد دانوا للمسيح » ويستدلّ من هذا طلوع حقّ الانجيل في البلاد الخاضعة يومئذ للرومانيين ، وفي ايرلانده وايكوسّا اللتين دانتا لهم بعد ذلك العهد . ونوّه اوريجانس بتنصّر بريطانيا في ثلاثة مواضع من شروحه لبنوة حزقيال وانجيلي متى ولوقا . وفي سنة ٣١٤ شهد ثلاثة اساقفة بريطانيون مجمع إرل وهم ايبوريوس اسقف يورك وريستيتيوس اسقف لندن وآدلفيوس اسقف لنكون .

الفصل الحادي والعشرون

في درجات الكهنوت ورئاسة الكنيسة المسيحية
مدة القرون الثلاثة الاولى

كان يجمع شمل المسيحيين نظام كهنوتي مرتّب يقال له باليونانية (ايرارخيا) ودرجاته الخاصّة ثلاث: الاسقف (لفظ يوناني معناه: المراقب) وهو رئيس الكهنة والبِيْعة ومدبّرها ومعلمها وراسم رجال الاكليروس، والقسيس (لفظ سرياني معناه: الشيخ) وهو خادم اسرار الكهنوت والوعظ، والشمّاس (لفظ سرياني معناه: الخادم) وهو خادم الاسقف والقسيس اثناء قيامهما بالصلوات والاسرار الآلهية، ومفتقد الفقراء والارامل والمرضى ومدبّر املاك الكنيسة، وكان يعظ بتفويض الاسقف، ويتقدم الشمامسة (ارخدياقون) رئيس شمامسة. ووجد في القرن الثاني والثالث الابوذياقون (دون الشماس) والقارىء والمرتّل. والبوّاب لضبط الابواب حذراً من مخالطة موعوظين او يهود وردعاً لهجمات الوثنيين الرّعاع.

والشماسة وكانت تنتخب خاصة من فواضل العذارى والارامل المسنّات ووظيفتها المساعدة في تعليم النسآء الموعوظات وعمادهن والقيام ببعض حاجات البيعة كالكنس وما إليه . وكان هولآء جميعاً يتناولون معيشتهم من بواكير ثمار المؤمنين وغلاّتهم وعشورهم .

وكان المؤمنون في كل ولاية او اقليم يتّحدون مع اخوتهم في المدينة الكبرى المجاورة ، فكنيسة الاسكندرية كانت كنيسة مصر الاسقفية الوحيدة حتى بدء القرن الثالث . ويظهر ان ذلك كان شأن رومية في بلاد ايطاليا وليون في فرنسا حتى اواسط القرن الثاني . وما كان ذلك الاّ بطبيعة الحال ، حتى كثر عدد المؤمنين ثم وُضعت لهم رسوم وحدود الى ان بلغوا الترتيب الكنائسي النهائي . ومن هنا نشأت تسمية كلّ منها كنيسة الامّ (متروبليتية) وكان لاسقفها نائب له درجة قسّ او شمّاس يدبّر كنيسته ، ويسمى في الأرياف (خور اسقف) لتدبيره ضواحي المدينة ، وهي وظيفة عُرفت في بلاد الشرق في النصف الثاني من المئة الثانية ، وربطتها مجامع القرن الرابع بقوانين جعلت اصحابها عبارةً عن قسوس مفتشين او زائرين ، او

خوارنة مقيمين يرجعون ابداً الى سلطة الاسقف . واما في بلاد الغرب حيث كان الخوارنة معاونين للاسقف ، فلم تُعرف هذه الوظيفة قبل النصف الثاني من المئة الثامنة .

وعلى هـذه الطريقة انضم ثلاث ولايات في افريقية الشمالية الى اسقفية قرطاجنّة ، وولايات سورية وفلسطين وقيليقية وارمنية واقليم الفرات وما بين النهرين واقليم الرها وبلاد الفرس الى اسقفية انطاكية ، ومصر وبلاد القيروان وما اليها الى اسقفية الاسكندرية ، وايطاليا وبلاد الغرب الى اسقفية رومية .

وكان الاساقفة في بعض البـلاد ، يلتفّون حول اكبرهم سنًّا او مركزاً كما حدث لاسقفيات بيثينية والبنطس . وتتصل الكنيسة بالرسل بواسطة الاساقفة الشرعيين ، وينتخبُ الاسقفَ ، اصحاب حق الاختيار من ابرشيته وينال السيامة الاسقفية من المطران (ومعناه اسقف امّ المدائن اي قاعدة المملكة) او من الاساقفة المجاورين له ، وكانوا على الغالب يلجأون في ايطاليا والغرب في السيامات الى اسقف رومية وفي الشرق الى اسقف انطاكية وفي مصر الى اسقف الاسكندرية .

وأطلق في اواسط القرن الخامس اسم بطريرك (لفظ يوناني معناه رئيس الآباء) على اساقفة الكراسي الثلاثة الكبرى ولاسيما انطاكية . واما اسم بابا (ومعناه الاب) فكان يطلق في القرن الثالث والرابع بل ما بعدهما على عدة اساقفة من ذلك ان الانبا هيرونيمس كتب به الى العلامة اوغسطينس اسقف هبّو . وكذلك الاسقف الاسكندري سمّي احياناً بابا (١) وبعد ذلك بزمان اختصه اسقف رومية لنفسه دون سواه من اساقفته .

وقررت القوانين المنسوبة الى الرسل اجتماع الاساقفة مرتين في السنة للنظر في مصالح الكنيسة . وعلى هذه الصورة تأصلت العادات التي جاءت عن الصدر الاول حتى صارت انظمة مقدسة في الرتب البيعية والعبادة والتهذيب ، وحينما سنّت المجامع الاولى قوانينها ، لم تعنِ

---

(١) ورد هذا في اسناد سريانية قديمة منذ القرن السادس بل الخامس ، لكننا لم نطلع عليه في تواريخ القبط الارثوذكسيين القديمة نفسها . وقرأنا في كتاب القوانين السريانية المخطوط حوالي سنه ٨٦٠ رسالة للاون اسقف رومية الى القيصر مرقيان يسمي نفسه فيها : رئيس اساقفة رومية القديمة .

بها سوى التقليد الشريف الذي رضيه الجمهور .

وكان ايضاً في صدر المسيحية مواهب خاصة تُعرف بموهبة الوحي او النبوّة وموهبة التعليم وموهبة الشفاء والتكلم بالسنة مختلفة . ودامت هذه المواهب حتى اواخر القرن الثاني ثم زالت . اما فعل المعجزات فهو باقٍ في الكنيسة انجازاً لوعد السيد المسيح لتلاميذه من اجل بنيان المؤمنين .

الفصل الثاني والعشرون

في الجماعة المسيحية وعبادتها واسرارها وفروضها الدينية

كان الذين يؤمنون ايام الرسل يعمّدون حالاً ، ولما نما عدد المؤمنين وقد اقبل معظمهم من ضلال الوثنية ، الى نور الايمان ، قضت الحال على الكنيسة الاّ تقبل طالبي التنصّر فوراً ، بل ان تعيّن مدة يتثقّف في خلالها الطالبون البالغون سنّ الرشد في العقائد المسيحية وفروضها . فيدرّبهم فيها معلمون اكفاء . وكانوا يلقّنون

في بلاد الغرب قانون الايمان المختصر المعروف بقانون ايمان الرسل وذلك منذ اواسط القرن الثاني . ثم يباشرون السير على الطريقة المسيحية فيجربون قواهم ويسمعون الكتب المقدسة ويحضرون بعض صلوات ما عدا الاسرار ولذلك سمّوا الموعوظين والسامعين . وبعد اختبار حسن سيرتهم وفحصهم يُعمَّدون فيصيرون من طبقة المؤمنين . وقبلت الكنيسة هذا النظام منذ اواخر القرن الثاني .

وكما كان يُفصل الموعوظون من المؤمنين، كذلك كان يُفصل الخطأة الذين ركبوا الكبائر وتابوا عن غيّهم فيؤلفون طبقة خاصة تعاني شدّة التوبة بقوانين صارمة ويراقبون ليعرَف اثر الندامة فيهم . وكان للمعتَرين من الارواح الشريرة ايضاً صف خاص فلا يشهدون الاسرار .

وكان في صفّ المؤمنين ، المعترفون بالايمان الذين جاهدوا في سبيله ولم يستشهدوا ، والمتبتّلون الطوعيّون والعذارى . وفاز هذان الصنفان بمنزلة خاصة واعتبار عند العامّة يخوّلهم حق تناول الاسعاف ووصول الرجال منهم الى الرتب الكنائسية قبل سواهم .

وكان المؤمنون في بدء امرهم يصلّون في البيوت او في مغاور وحَرَج وديامس تخفّياً من اعدائهم . ثم ابتنوا لهم بِيَعاً . وكانت البيعة ثلاثة اقسام : الاروقة ، حيث يقف الموعوظون والتائبون وفيها يركز جرن المعمودية ، وصحن الكنيسة وفيه منبر القرآء ويقف المؤمنون ، والهيكل (او المذبح) وفيه المائدة او المذبح لتقديس الاوخرستيا ، وفي صدره كرسي الاسقف ويحتاط به الاكليروس . وكانوا يزينون المعابد بصور تاريخية من الكتاب الالهي ينقشونها على الحيطان . وكان في افنية البِيْعة احواض لغسل الايدي والوجوه قبل الصلاة (لمن لم يتيسّر له ذلك في منزله) كما ذكر اوسابيوس والذهبي الفم . وبلِصق البيعة بيت سمّي قلاّية (بلفظ يوناني معناه بيت الاسقف) لمثوى الاسقف والاكليروس المتبتّل ويقيم فيه ايضاً الغرباء والمرضى . وكانوا يملكون مقابر لدفن موتاهم منذ اواخر القرن الثاني .

وذكر مار يوسطينس الفيلسوف في احتجاجه (ف٦١) ان الموعوظين كانوا يعمّدون بعدما يقرّون بالايمان ويستعدّون له بالصلاة والصوم ، وكذلك مار ثاوفيلس

الانطاكي ، وقال القديسان ايرناوس وقبريانس (رسالة ٦٤) واوريجانس بوجوب تعميد الاطفال والكبار بحسب التقليد الرسولي وكانوا يحتفلون بالمعمودية خاصة في يومي السبت اللذين يسبقان الفصح والعنصرة وفي كل احد وكل يوم على ما اخبر ترتليانس ، الذي ذكر ايضاً استعمال الميرون بعد المعمودية ، وهو مسحة القدس التي صرّح بها الكتاب الآلهي ، وفرضت الكنيسة الاعتراف بالخطايا قبل تقدمة الاوخرستيا وتناولها وورد ذلك صريحاً في تعليم الرسل المذكور آنفاً ، وكان في اول الامر جهراً ثم صار سرّاً وذكره هرما الراعي وترتليانس .

وكانوا يحتفلون بالاوخرستيا (سرّ الشكر او القداس) ويشتركون بها بعد أكلة مشتركة تسمّى باليونانية (اغابيا) اي طعام المحبة . وكانت الاغابيا تُعمل في القرن الثاني مساءً والاوخرستيا صباحاً ، فلما كثر المؤمنون أُقتصر على مائدة لاطعام الفقراء يشترك بها الاكليروس بحسب الوظيفة ليس الاّ ثم بطلت شيئاً فشيئاً .

وكان الكهنوت يعطى بوضع يد الاسقف وتلاوة صلوات الاسيامية (لفظ سرياني مركّب معناه وضع اليد)

على ما ورد في اعمال الرسل والرسائل البولسية ، ووصلت الينا اقدم صلوات السيامة في الدسقالية . وزيت المرضى او مسحة المرضى (ومسحة لفظ سرياني معناه الدهن) امر به مار يعقوب الرسول ، وذكر مار اغناطيوس النوراني في رسالته الى مار بوليقربوس ٥ — ٢ وجوب عقد الزواج برضى الاسقف ، وصرّح ترتليانس ببركته .

وورد عن مار اقليميس تلميذ الرسل ، ان ربنا علم تلاميذه جميع الاسرار المقدسة في العلية وسلّمهم اياها مشافهةً لا كتابةً . وذكر اوسابيوس القيسري انه لقّنهم صلاة الاسرار في جبل الزيتون . وظلّت صلاة الاوخرستيا سماعية نقليّة لا تدوّن في درْج زمناً غير يسير ، يحفظها الكهنة عن ظهر قلب ، وعندما طرأ عليها الاختلاف قبل اواسط القرن الثالث دُوّنت فسميّت ليتورجيا او انافورا . واتخذت الكنيسة عدّة فروض وطقوس وعادات خلفاً عن سلفاً ، بحسب التقليد الرسولي والابوي الشريف .

واعتاد المؤمنون من باب التصدق ان يأدبوا في منازلهم مآدب تحتوي الخبز والخمر والزيت يرأسها الاسقف

او القسيس ، وأولموا ايضاً ذكراً للموتى ابتغاء اسعاف ارباب الكهنوت ومواساة ذوي الحاجات .

الفصل الثالث والعشرون

في الصلاة والصيام والاعياد والصلاة من اجل الموتى والوقف والصدقة

جاء في تعليم الرسل الاثني عشر ان الصلاة فُرضت على المؤمنين ثلاثاً في النهار ، وورد في نظام الرسل والدسقالية التي وُضعت في اواسط القرن الثالث انها كانت ستاً في الصبح والساعات الثالثة والسادسة والتاسعة والمساء والسَّحَر (او عند صياح الديك) وكانوا يتلون الصلاة ويرتلون بعض المزامير الداودية والتسابيح الكتابية والاناشيد ، ويسمعون فصولاً من اسفار العهدَين ثم الوعظ ثم يحتفلون بالاوخرستيا ويشتركون بها على ما ذكر القديس يوسطينس .

وكانت الكنيسة قد ورثت الصيام من الشريعة الموسوية ، فصامت اولاً صوم آلام ربنا انقطاعاً عن كل

طعام منذ الساعة التاسعة من يوم الجمعة العظيمة حتى نصف ليلة الاحد ، ثم اضيف اليه صيام اسبوع الالام حتى الساعة التاسعة ويفطر فيه على الخبز والملح والماء ، وذكر هذا في القرن الثالث . ثم بوشر بالصيام الاربعيني وهو سبعة اسابيع مع اسبوع الفصح في انطاكية والقسطنطينية (بيزنطية) وغيرهما ، وستة اسابيع مع الفصح في الاسكندرية ، وثلاثة قبل الفصح في رومية كما حكى سقراط المؤرخ . واختلفوا في موعده فصامه بعضهم بعد الغطاس حالاً وبعضهم في وقت آخر ، كما اختلفوا في انواع الاطعمة فيه حتى رتب المجمع النيقاوي ذلك كله ، فذكره القديسان افرام والذهبي الفم على ما هو اليوم . وكان صيام يومي الاربعاء والجمعة كيومي توبة منذ صدر النصرانية ، وذكر في تعليم الرسل (في اواخر القرن الاول او بدء الثاني) وفي كتاب هرما الراعي في اواسط المئة الثانية ، ولكن بعض الناس كانوا يستبدلونهما بالثلثاء والخميس اخذاً من عادة اليهود . وكان الاساقفة يفرضون على المؤمنين اصواماً خاصة غير مألوفة ، وكذلك يفعل المؤمنون عندما يشاؤون .

واستبدل يوم السبت بالاحد واعتُبر يوماً مقدّساً للرب لذكر قيامة المخلص وحلول الروح القدس منذ عهد الرسل كما جآء في اعمالهم حوالي سنة ٥٢ ويؤيده شهادة مار اغناطيوس النوراني سنة ١٠٧ في رسالته الى اهل مغنيسية ف ٩ بقوله « ان الذين كانوا يعيشون خاضعين لنظام الاشيآء القديم، اعتنقوا الرجآء الجديد فلا يحفظون يوم السبت ابداً ، لكن يوم الاحد الذي فيه اشرق كوكب حياتنا بفضل الرب وقيامته ».

وكانوا يعيّدون اعياد الفصح والآلام والقيامة والعنصرة والميلاد والظهور الالهي او الدنح (بالسريانية) واثبت مار سويريوس قدَم عيد الميلاد على ما ذكر ابن كيفا في ترجامه ، وقال اما في فلسطين فكانوا يعيدون الميلاد والدنح في يوم واحد (٦ كانون الثاني) ثم فصلا في الربع الاخير من المئة الرابعة . اما تذكارات الشهدآء فبدأت في اواسط المئة الثانية وكانت كل كنيسة تحتفل بذكر وفاة اشهر شهدائها في عيد سنوي ثم عمّت .

واعتادوا ذكر الموتى في القربان الآلهي كما شهد بذلك ترتليانس في آخر القرن الثاني ، والصلاة من اجل

الموتى في اليوم الثالث والتاسع والثلاثين والسنة كما ورد في الدسقالية الرسولية .

وفي اواخر القرن الثاني أو بدء الثالث بدأ المؤمنون بتقدمة الهبات الطوعية التي هي اصل املاك البيعة واوقافها ، وعمّت في القرن الثالث .

اما الصدقات فكانت منذ فجر النصرانية تجمع من الكنائس للاخوة المحتاجين ، ابتكرها اهل انطاكية لفقرآء اورشليم وحثّ عليها رسول الامم حثًّا متواصلًا وقام بها كما ورد في رسائله الشريفة . واعتنت الكنيسة المسيحية في بدء امرها بالارامل واليتامى والشيوخ العجّز واصحاب العاهات وابنآء السبيل والارقّآء عناية فائقة برًّا واحساناً . وذكر ترتليانس ان للامرأة الغنية يوماً معلوماً تطوف فيه على بيوت المعوزين ، تحمل اليهم رفداً واسعافاً يخفّف بؤسهم . وكان الغريب الفقير يجد عند العيال المسيحية خير ضيافة . ومن اجمل افعال الكنيسة الاولى تلطيفها وطأة الذلّ على العبد الرقيق لمساواة الله سبحانه العبيد والاحرار في عهده الجديد كما قال على لسان رسوله « ١ قور ١٢ : ١٣ » وكانت مكارم

اخلاق النصرانية تؤثر قليلاً قليلاً في المجتمع الوثني نفسه ، حتى اصاب الرقيق بعض حقوقه المدنية ، فكان من نفوذ الكنيسة الادبي اثر جميل في العالم مدة القرنين الاول والثاني .

الفصل الرابع والعشرون

في المجامع الاقليمية الاولى

سارت الكنيسة المسيحية على سنّة معلميها الرسل القديسين ، فعقد اساقفتها مجامع لحلّ المشاكل التي تتعلق بالمعتقد القويم وسن الانظمة والقوانين ، ودونك اهم المجامع التي انعقدت في الدور الاول بعد :

١ : مجمع اورشليم الرسولي سنة ٥١

٢ : مجمع هيرابليس في فريجية للحكم على بدعة المونطانيين سنة ١٥٠

٣ — ٧ : خمسة مجامع في رومية وقيسارية فلسطين واورشليم وقورنثية والرها لاجل حساب عيد الفصح سنة ١٩٧

٨ : مجمع بصرى او فيلادلفيا على بيرللس اسقف بصرى سنة ٢٤٢

٩ : مجمع انطاكية الاول عقده ديمتريانس اسقفها للحكم على نوباطيان سنة ٢٥٢

١٠ : مجمع رومية شهده ستون وقيل اربعة وستون اسقفاً لحرم القس نوباطيان في اواسط القرن الثالث .

١١ : مجمع قرطاجنة الاول اجتمع فيه سبعة وثمانون اسقفاً برئاسة مارقبريانس لبحث معمودية الهراطقة حوالي سنة ٢٥٥ واستمرّ حكمه في افريقية فقط .

١٢ : مجمع قرطاجنة الثاني حضره واحد وسبعون اسقفاً للمسئلة نفسها سنة ٢٥٦

١٣ : مجمع قرطاجنة الثالث لاجل المشكل عينه .

١٤ : مجمع الاسكندرية لحرم سابليوس المبتدع .

١٥ : مجمع انطاكية الثاني لاجل فحص بدعة اسقفها بولس السميساطي ، تقدّم فيه فرمليانس اسقف قيسارية قبادوقية سنة ٢٦٤

١٦ : مجمع انطاكية الثالث لاجل القضية نفسها .

١٧ : مجمع انطاكية الرابع شهده سبعون وقيل

ثمانون اسقفاً وفيه نزّل بولس من رتبته وحُرم هو وبدعته سنة ٢٦٨

١٨ : مجمع البيرا (غرناطة) لوضع قوانين واحكام للسيرة الصالحة سنة ٣٠٠ وهو خاص بالكنيسة الغربية .

الفصل الخامس والعشرون

في الكراسي الرسولية حتى سنة ٣١٢

قد علمت ان الكنيسة المسيحية منذ صدر النصرانية اعتبرت ثلاثة كراسي اسقفية كراسي رسولية كبرى في ثلاثة مدن عظيمة كانت معدودة عصرئذ كعواصم العالم وهي انطاكية في بلاد آسيا ، ورومية في اوروبا وبعض افريقيا الشمالية ، والاسكندرية في مصر والمدن الخمس الغربية . فقام في الكرسي الانطاكي منذ سنة ٣٧ او ٤٣ حتى سنة ٣١٢ واحد وعشرون اسقفاً ، اشهرهم بعد القديس بطرس ، القديسون افوديوس واغناطيوس وثاوفيلس وسرافيون واسقلفياديس وبابولا وقورلس .

وقام في الكرسي الروماني منذ سنة ٦٣ ثلاثة وثلاثون

اسقفاً اشهرهم بعد القديس بطرس ، القديسون الشهدآء الخمسة قليميس وتلسفورس سنة ١٣٦ وفابياس وقورنيليوس الحليم وسكستوس الثاني . وديونيسيوس وكان مثقفاً جليلاً كريماً سنة ٢٦٨

وجلس في الكرسي الاسكندري منذ سنة ٦١ ثمانية عشر اسقفاً اشهرهم بعد القديس مرقس ، مار انيانس وقردون ويوليانس ١٨٩ وديمتريوس ٢٣٢ وهيراكلاس الذي تميز بالعلوم الفلسفية سنة ٢٤٦ والقديسان ديونيسيوس الفيلسوف المعترف وبطرس الاول خاتم الشهدآء .

ومرّ بك ايضاً ان الرسل القديسين انشأوا كرسي اورشليم بكر الكنائس المسيحية واجلسوا عليه القديس يعقوب اخا الرب سنة ٤٢ وقد قام فيه ستة وثلاثون اسقفاً ، اشهرهم القديسون سمعان ونرقيسس والكسندروس . ثم مازابانس سنة ٢٦٥ وهيمناوس وتميّز بفضائله وبمصنفات فُقدت سنة ٢٩٨ وهرمون ٣١٤ وكان هذا الكرسي في اول امره اسقفياً لائذاً بمطرانية قيسارية .

اما الكرسي القسطنطيني فستقف على امره في القرن التالي .

الفصل السادس والعشرون

في علماء القرون الثلاثة الاولى

رأينا ان نجمل في هذا الفصل كتّاب النصرانية وعلماءها مدة القرون الثلاثة الاولى ، بعد كتبة اسفار العهد الجديد ، تسهيلاً لضبط اسمائهم وحفظها وهم :

(١) مار ديونيسيوس الاريوفاغي اسقف اثينا الفيلسوف المنسوب اليه كتاب اللاهوت السري والرتب السماوية ورئاسة الكهنوت ان لم يكن برُمّته فبأصله سنة ٩٥ (٢) مار اقليميس الروماني اسقف رومية كاتب الرسالة الى اهل قورنثس وغيرها سنة ١٠١ (٣) مار اغناطيوس النوراني اسقف انطاكية صاحب الرسائل السبع المشهورة سنة ١٠٧ (٤) قردون اسقف الاسكندرية الذي ذُكر له في شذور التواريخ السريانية القدمى كتاب في كون العالم والايام الستة سنة ١١٠ (٥) قوادراطس تلميذ الرسل كاتب الاحتجاج الى ادريانس حوالي سنة ١٢٩ (٦) اريستون البلّي له دفاع ردّ به على اليهود سنة ١٤٠

(٧) اريستيد اسقف اثينا صاحب احتجاج سنة ١٤٠
(٨) مار بوليقربوس اسقف ازمير كاتب رسالة الى اهل فيلبي سنة ١٥٥ (٩) القس هرما مؤلف كتاب الراعي سنة ١٥٥ (١٠) مار بابياس اسقف هيرابليس مصنف كتاب تفسير حكم ربنا ووصاياه سنة ١٦٢ (١١) مار يوسطينس الفيلسوف مؤلف كتابي احتجاج ومحاورة مع تريفون وغيرهما سنة ١٦٧ (١٢) فيلبس اسقف غورتينة من المصنفين المتبحرين ١٧٠ (١٣) ميلتياد صاحب اربعة ردود على اليونان واليهود والفلاسفة ووالنطينس ١٧٠ (١٤) مار ديونيسيوس اسقف قورنثس صاحب الرسائل سنة ١٧٠ (١٥) رودون الاسيوي تلميذ ططيانس الذي ردّ على مرقيون وابلليس وكتاب المشاكل لمعلمه قبيل سنة ١٧٢ (١٦) قلوديوس ابوليناريوس اسقف هيرابليس مؤلف احتجاج وردّ على الوثنيين واليهود والمونطانيين وكتاب في الحقيقة ١٧٦ (١٧) اثناغورس الاثيني كاتب محاماة ومقال في القيامة بانشاء واضح ١٧٨ (١٨) القس هجيسيبس مصنف كتاب الخواطر ١٨٠ (١٩) ططيانس صاحب كتابي دياطسرون والمشاكل والردّ على الوثنيين

سنة ١٨٠ (٢٠) مار ثاوفيلس اسقف انطاكية مؤلف كتاب في طبيعة الله والقيامة وحقيقة الدين المسيحي ردًّا على اوتوليكوس وتفنيد مرقيون وهرموجين ، و كتاب في اصل الانسان سنة ١٨١ (٢١) مار ميليطون اسقف سارده مصنّف عشرين كتاباً ومقالة منها كتاب في الفصح وفي الحقيقة و كتاب المفتاح و كتاب احتجاج سنة ١٩٠ (٢٢) ابولونيوس الاسيوي مفنّد المونطانيين سنة ١٩٦ (٢٣) القس بانطينس الصقلي الفيلسوف صاحب شروح على الكتاب الكريم سنة ٢٠٠ (٢٤) مؤلف الرسالة النفيسة الى ديوجنيت « اول القرن الثالث » (٢٥) مار ايرثاوس اسقف ليون مصنّف بيان الحق الانجيلي او الوعظ الرسولي ، والكتاب الموسوم بالمعرفة الكاذبة مكشوفةً ومدحوضة ، ردًّا على الهرطقات وغيرهما سنة ٢٠٢ (٢٦) القس غايوس الروماني الفصيح الذي دحض المونطانيين وتهوّر بانكاره بعض الاسفار الآلهية فعدّه ابن الصليبي من اصحاب البدع سنة ٢٠٢ (٢٧) مار سرافيون اسقف انطاكية الذي دحض الانجيل المنحول لمار بطرس سنة ٢١١ (٢٨) القس قليميس الاسكندري

مصنف كتب ارشاد الوثنيين والمعلم والوشآء بعد سنة ٢١١ بقليل (٢٩) مرقس مينوقيوس فيلكس صاحب كتاب او كتافيوس في الدفاع عن النصرانية «صدر القرن الثالث» (٣٠) برديصان الرهاوي الفيلسوف مؤلف كتاب شرائع البلدان وغيره بالسريانية سنة ٢٢٢ (٣١) مار هيبوليطس الاسقف الروماني مصنف زهآء خمسة وثلاثين كتاباً منها تفسير دانيال وسفر الرؤيا ونخب من الكتاب العزيز، ومؤلفات في الهراطقة والمسيح الدجال وحساب الفصح والتاريخ المقدس سنة ٢٣٥ (٣٢) القس جيمينوس الانطاكي الذي ذكر له هيرونيمس بعض تآليف وكان حياً بين سنة «٢٢٢ - ٢٣٥» (٣٣) يوليوس الافريقي الطبيب مصنف كتاب التاريخ وكتاب التطريزات او الوشآء سنة ٢٤٠ (٣٤) القس ترتليانس القرطاجني مؤلف واحد وثلاثين كتاباً منها احتجاجه ووصية النفس ومقالات في التعليم المسيحي الادبي وكتاب ضخم لدحض آراء الوالنطينين سنه ٢٤٠ (٣٥) بيرلس اسقف بصرى صاحب كتاب فيلوكالي: نُخَب المُلَح سنة ٢٤٤ (٣٦) مار الكسندر اسقف اورشليم كاتب الرسائل سنة ٢٥١

(٣٧) القس اوريجانس العلامة الذائع الصيت صاحب المصنفات الخطيرة في الكتاب الآلهي وشروحه واللاهوت والفلسفة واشهرها الهكسبلة والاوكتابلة ونحو من خمسمائة خطبة في تفسير العهدين وكتب الردّ على قلسوس والمبادى، والبعث والصلاة والتحريض على الاستشهاد والرسائل سنة ٢٥٤ او ٢٥٥ (٣٨) تريفون الاسكندري كاتب مقالات في شرح الكتاب ، حوالي سنة ٢٥٥ (٣٩) القس نوباطيان الروماني مؤلف كتاب كبير في الثالوث الاقدس وكتب في الفصح والسبت والختانة والكاهن تفنيداً لليهود، بعد سنة ٢٥٨ (٤٠) مار قبريانس اسقف قرطاجنة صاحب رسائل في غاية البلاغة وقوانين سنة ٢٥٨ (٤١) مار ديونيسيوس اسقف الاسكندرية صاحب الرسائل النفيسة في مواضيع خطيرة ومصنفات في الطبيعة وشرح الفصول الاولى من سفر الجامعة واربعة كتب في التبرئة والاحتجاج سنة ٢٦٥ (٤٢) القس ملكيون الانطاكي البليغ رئيس المدرسة الانطاكية اليونانية ذاع صيته سنة ٢٦٨ (٤٣) مار غريغوريوس العجائبي كاتب قانون الايمان ورسائل منها

في التوبة ومجادلة معوثني وتقريظ اوريجانس حوالي ٢٧٥
(٤٤) مار ارخلاوس اسقف كشكر صاحب المجادلة
مع ماني سنة ٢٧٧ (٤٥) ثاوغنوستس رئيس المدرسة
الاسكندرية مؤلف بيان في سبعة ابواب في العقيدة
المسيحية على مذهب اوريجانس وكتبه بانشآء واضح
« ٢٦٤ – ٢٨٠ » (٤٦) اناطوليوس الاسكندري اسقف
اللاذقية من صدور علمآء عصره وفلاسفتهم وكان رأساً
في علوم الحساب والهندسة والفلك ، فضلاً عن فصاحة
اعطته قيادَها ومآثر حميدة تجمّل بها اثنآء حصار
الاسكندرية وهو مؤلف عدة كتب لاهوتية منها كتابان
في الفصح والحساب توفي بعد سنة ٢٨٣ (٤٧) هيمناوس
اسقف اورشليم صاحب تآليف رآها يوحنا البيساني ٢٩٨
(٤٨) هييراكاس رئيس رهبان ورواهب في لئونتوبليس
اول مصنف كتب باللغة القبطية ، انفرد بذكره مار
ابيفانيوس ناسباً اليه كتاباً في الايام الستة وبعض مزامير
سنة ٣٠٠ (٤٩) بييريوس رئيس المدرسة الاسكندرية
صاحب الخطب التفسيرية حوالي ٣٠٠ (٥٠) مار فيلآس
اسقف توميس الراسخ القدم في الفلسفة مؤلف رسالتين

سنة ٣٠٦ (٥١) القس بمفيلس البيروتي الشهيد مصنف الاحتجاج عن اوريجانس ورسائل سنة ٣٠٩ (٥٢) ميليطس اسقف كنائس البنطس المنعوت بالعسلي الادب ، من جهابذة الفلاسفة وامرآء الكلام وجلّة العلماء واهل الصلاح في العقد الاول من المئة الرابعة (٥٣) مار بطرس اسقف الاسكندرية مؤلف ثلاثة كتب في اللاهوت والردّ على اوريجانس و١٤ قانوناً سنة ٣١١ (٥٤) مار متوديوس اسقف اوليمبية مصنف كتاب وليمة العذارى ، والحرية ، والردّ على برفيريوس الوثني ومحاورة في القيامة وتفاسير لبعض الاسفار الالهية سنة ٣١١ (٥٥) القس دوروثاوس الانطاكي احد مؤسسي المدرسة الانطاكية اللاهوتية واساتذتها المتبحر في اليونانية والبصير في العبرانية سنة ٣١٢ (٥٦) القس لوقيانس السميساطي المولد تلميذ مدرستي الرها وافسس واحد مؤسسي المدرسة الانطاكية واساتذتها ، مصحح نقل الكتاب المقدس السبعيني بحسب الاصل العبراني وضابط نص العهد الجديد سنة ٣١٢

الفصل السابع والعشرون

في جملة احداث النصرانية مدة القرون الثلاثة الاولى

يلخص تاريخ الكنيسة المسيحية في القرون الثلاثة الاولى بجهاد الرسل القديسين وتلاميذهم واتباعهم وخلفائهم ، ونشرهم البشارة الانجيلية الغرآء في بلاد اليهودية وفلسطين والشام وآسيا الصغرى وجزر بحر الروم ومدينة رومية وجانب من ايطاليا ، ومابين النهرين واقليمي الرها والفرات وبلاد العرب والفرس وقسم من بلاد الهند ، ومصر وافريقيا الشمالية واسبانيا وجنوبي فرنسا وتركستان والسغد وجنوبي انكلترا وارمينية وشبه جزيرة القريم .

كانوا يقرعون الاسماع بالحجج الدوامغ ويفتحون القلوب بمفاتيح الفضائل وبواهر الخوارق ، محتملين في هذا السبيل التعاذيب الفادحة بنفوس رضية قد طابت للممالك في سبيل الله ، وعزائم اشدّ من الحديد وهمم امضى من السهام ، حتى دخلت هذه الامم العظيمة في

الدين المسيحي الصحيح افواجاً ، فوجدت فيه الهدى بعد الضلال وتخلّصت من مفاسد اليهودية وقبائح الوثنية ، واصابت من السعادة حظاً وافراً ومن المدنيّة الحقة نصيباً وفيّاً ، فلله در الانجيل كتاباً ، اثلج نفوساً وانار على سذاجة اسلوبه عقولاً وألبابا !

ومن اهم احداثها ترتيب الكنائس الجديدة في كل مكان باقامة الاساقفة والقسوس والشمامسة ، وفرض الصلاة والصيام وخدمة الاسرار الآلهية وفروض العبادة وما اليها ، وعقد مجامع اقليمية تحديداً لحقائق المعتقد القويم وسنّ قوانين وانظمة في الاصول والفروع ، وبحث بعض القضايا كتوقيت عيد الفصح ومعمودية الهراطقة وتوبة من كفر في الشدّة ، والتشديد على من خرج على الادب المسيحي وسقط في مهاوي الرذيلة حفظاً لصالح الاعمال والآداب السليمة .

والدفاع عن صحة دين النصرانية وحقها وآدابها باقلام نخبة من العلماء الاثبات اصحاب الحماسة الدينية باحتجاجات متينة ، وتفنيد البدع الفاسدة التي سرّجها رسل كذبة حديثو العهد لم يتنقوا من وساوس الوثنية واليهودية

خلطوا شوائبهم بمبادىء المسيحية السمحآء عن طريق الفلسفة الكاذبة ، او فئة ضالّة تستّرت بالنصرانية رياء فنطقت عن سخف وخبث وهوى ، فقمعت كنيسة الله باطلهم ومحقت ضلالهم محقاً فكانوا أخسر الناس صفقةً واخيبهم سعياً وذلك مصير القوم المنافقين .

وانجبت احباراً اخياراً من ابرّ الاساقفة سيرة واطهرهم نيّة ، وأعزفهم عن زهرات الدنيا واعكفهم على امور الآخرة ، واحرصهم على هداية المعمورة بنور الانجيل الساطع وانشطهم في ميدان الجهاد ، اولئك قوم ارصدوا حياتهم لاقامة مَنار الدين وتثقيف المؤمنين ، وكانوا عظيماً ايمانهم صادقاً يقينهم ، خاشعة قلوبهم رخيصة في الله نفوسهم ، رسولية انفاسهم مشغوفة بملكوت المسيح ألبابهم ، كريمةً خلائقهم حسنة شمائلهم ، كيف لا وقد جعلهم الله سبحانه بعد رسله مصابيح للهدى وبدوراً للدُّجى .

ونشأ في الكنيسة جماهير لا تحصى عدداً من الشهدآء والمعترفين ، من كل جنس وطبقة وصنف وسنّ وصُقع ومصر ، احلولى لهم الدين وسطع اليقين في قلوبهم ، ففدوه بالمهج الغوالي وكافحوا دونه كفاحاً عجيباً وصبروا صبراً

جميلًا ، على سيوف الولاة الظالمين والقياصرة الغاشمين وخبثة اليهود والوثنيين ، زهاء مئتين وثمانين من السنين ، في عشرة اضطهادات عامة فضلًا عن شدائد مكانية خاصة ، قلما استراحت البيعة فيها الا في فترات قصيرة ، تظاهرت عليها الشدائد واحاطت بها المحن الغلاظ فصبرت لها . وهل روى التاريخ في كل ما اشتمل عليه من غرائب احداثه ، حرباً دامية تطاولت زهاء ثلاث قرون ، ولم تفز من خصومها العزّل ، الاّ من الاستمساك بعصام الدين وصدق العزيمة وصحة اليقين ، بغير الفشل والخزي السرمد ، حتى زهق الباطل وولّى الكفر كسيراً ، وفاز الحق وكان الله لبيعته نصيراً وظهيراً . وان ما في سير الشهداء من جميل الاثر في بناء البيعة ، حدا بنا الى استدراك ما فات اكثر التواريخ الكنسية منها ، فأفسحنا لها في كتابنا مجالاً .

وزها هذا الدور بالمدارس اللاهوتية في الاسكندرية وقيسارية فلسطين وانطاكية ومدارس دونها في رومية والرّها وغيرها ، وخزانتي كتب اورشليم وقيسارية ، وقد اجاد بعض علماء عصرنا في حق التعليم الكنسي بقوله : « لقد كان تعليم الكنيسة من جهة ، ساذجاً بحيث

تستوعبه جُمَل يسيرة ويبعد في النفوس اثره ، ومن جهة ثانية ، متبسطاً متسعاً بحيث يلقّح كل الافكار ويروّح الخواطر باسرها . ولم يكن بوسعه ان يجاري كل بحث في الصلاح والبطولة الادبية فحسب ، بل ويتعدى الى كل النظريات وسائر الدقائق . فبينا تراه من الوضوح بالغاً حدّ الشغوف ، تجده في الوقت نفسه متسع المجال لغوامض لا يُدرك غَوْرها ، لقد كان علماً بل اكثر من علم وفلسفة بل ازيد من فلسفة » !

فنبغ في الكنيسة علماء اعلام أوقفوا اقلامهم على ضبط نقول كتاب الله العزيز وترجمته وشرحه لاسيما العهد الجديد ، وعنوا بجمع التقاليد الرسولية الشريفة وضبطها وتدوينها ، وبحث العلوم اللاهوتية والفقهية والادبية والفلسفية ووضعوا فيها المصنفات الحسان .

وظهر فيها فئة من الرجال والنساء من طبقة الأبيلين اتخذت الكمال الانجيلي طريقة لها ، تبتّلاً وتورّعاً وتعبّداً ، ومنها انبثقت السيرة الرهبانية .

وانصرفت الى جمع شمل ابنائها والنظر في امرهم من الوجهتين الدينية والاجتماعية . فانشأت بعد المعابد والبيع

بيوت الكنائس (القلالي) والمقابر والاوقاف، ونظرت في حال البؤساء فعالت الفقير واليتيم والارملة وابن السبيل وصاحب العاهة ورفقت بالرقيق، فتجلّى فيها الحب الاخوي والمروّة شعار النصرانية بأنصع بيان، وعلى هذه الصورة بدّل ايمان المسيحيين الاقدمين وجه العالم، فكان انصراف المجتمع الانساني الى المكارم والمحامد من ثمار قطوفه.

افليس عجباً ان يكون هذا شأنها والدهر متنمّر لها، وهذه فعالها وايدي العسف والعُنف تتجاذبها وسيوف الاباطرة مصلتة فوق رأسها، او ليس هذا حجة بالغة على انها عمل الله نفسهِ، وهل ينكر هذه الحقيقة الساطعة الاّ مضعوف او مغرض يتعامى؟ ان في هذا برهاناً لقوم ينصفون

وصفوة القول ان هذه الحِقبة كانت للكنيسة زمن تأسيس وبناء وجهاد، ودفاع وكفاح وتضحية واستشهاد، وتبشير وتعليم وتهذيب، يتخلله حظّ غير يسير من الترتيب، قدرَ ما سمحت به الايام الصِّعاب، حتى بدلها الله من بعد خوفها أمنا، فذاقت في القرن التالي حلاوة صبرها واستقام بتأييده تعالى امرها على ما سيأتي بيانه في موضعه.

الباب الخامس

في تاريخ الكنيسة منذ تنصر قسطنطين سنة ٣١٢ الى سنة ٣٥٢

الفصل الاول

في تنصر الملك قسطنطين الكبير وافضاله على النصرانية سنة ٣١٢

في سنة ٣١٢ انتصر الامبراطور قسطنطين الكبير ابن قسطنطيوس خلورس ، في حرب مع عدوّه وابن حميه مكسانس نصراً مُبيناً ، بأيَدٍ من السيد المسيح جلّ شأنه ، الذي اظهر له في الحلم وقيل بل في رابعة النهار شكل الصليب ، ووعده بالنصر بعلامته التي جعلها فوق لوآئه ، فهلك عدوّه وجيشه . فأحبّ قسطنطين دين النصرانية ووثق بصحته ومال اليه ، وجعل اوسيوس اسقف قرطبة المعترف في جملة اصحاب رأيه . وفي سنة ٣١٣

اصدر تشريع (مرسوم) ميلان ، اعلن فيه للعالم كله حرّية الدين المسيحي ، وأعفى الاكليروس من الضرائب ووهب قصر لاتران لاسقف رومية ، فعقد فيه البابا ميلتياد مجمعاً في خريف تلك السنة وبنيت بجانبه كنيسة أطلق عليها اسم المسيح الفادي ، وجاد القيصر بالمال والعناية فبنيت في رومية كنيستان جليلتان على ضريحي الرسولين مار بطرس ومار بولس ، وبيعة باسم مار لورنتيوس الشهيد . وبنت الملكة هيلانة كنيسة على ضريح الشهيدين بطرس ومرقلّينس . وشيدت ابنته الاميرة قسطنطينة بيعة فوق رفات الشهيدة اغنيسة .

وسنة ٣١٤ ظفر بليقينيوس شريكه في الملك في الشرق وألزمه ان يمضي تشريع ميلان ، وفرض الراحة للمحاكم والعمّال يوم الاحد . وبعدما ظهرت له خيانة ليقينيوس الذي اظهر الغدر بعد الوفاء وفتك بالمسيحيين ثم عصى عليه ، حاربه فاظفره الله به فنفاه ثم قتله في ١٨ ايلول عام ٣٢٣ ودخل نيقوميدية وألوية النصر تحفّ به ، وقد لاحت على المسيحيين اريحيّة السرور ، فاستتبّ له الملك وحده على المملكة الرومانية باسرها ، فارجع الذين

فقاهم ليقينيوس الباغي وأعاد اليهم اموالهم ومراتبهم ، وجاهر باعتناقه دين النصرانية المُبين ، وأعان الاساقفة في ترميم الكنائس وبنآء بيَعٍ عظيمة ، واستعمل المسيحيين في اعمال حكومته . وانشأ كنائس جديدة في نيقوميدية وبنى في انطاكية كنيسة فاخرة مثمّنة الزوايا بقبّة عالية مصفّحة بالذهب ، يحتاط بها فنآء عظيم حوله اروقة فعُرفت بالكنيسة المذهّبة . وشيد في اورشليم كنيسة القيامة المعظمة ، وبنت هيلانة امه وحماتها كنائس اخرى على ما سنذكره في موضعه . وذكر البطريرك ميخائيل الكبير في تاريخه ، انه اصطنع من الكتان كنيسة فسيحة الارجآء ، كان ينقلها معه في اسفاره لتقام فيها الصلوات وخدمة القداس فيحضرها هو وحاشيته .

وهُدمت بامره هياكل وثنية خاصة بالخلاعة كهياكل أفقه في لبنان والزهرة في بعلبك وهجين في قيليقية ، وحدث في مدينتي طرطوس ومايوما ، ان الاهالي هدموا هياكلهم وكسروا اصنامهم بايديهم . وبعث القيصر الى بعلبك اكليروساً وعمر فيها كنيسة كبيرة ومعاهد خيرية ،

ولكن لم يتنصر احد من اهلها المتعصبين للوثنية حينئذٍ .

ومن اعظم أفضال قسطنطين الخالدة على النصرانية جمعه المجمع النيقاوي المسكوني . وعندما اختطّ مدينة القسطنطينية الجديدة التي سمّاها باسمه وجعلها عاصمته ونقل اليها عرش المملكة ، جُددت فيها وُوسّعت بيعة السلام (القديسة ايريني) وبنى القيصر كنيسة الحكمة الالهية (اجيا صوفيا) وبيعة الرسل بشكل صليب ، وروى بعضهم انه نقل اليها كثيراً من اجساد اعوان الرسل ومشاهير الشهداء كالرسولين تيطس وطيمثاوس . واحتفل بتدشين العاصمة احتفالاً في غاية الابهة في ١١ ايار سنة ٣٣٠ ورغّب الناس في سكناها بما منحهم من إنعام .

وشاء الله سبحانه ان يُدرك كنيسته بهذا الامبراطور العظيم الشديد الشكيمة والميمون طائره ، الذي زكى منه العقل والقول والنيّة ، فطوّق جيدها بانفس القلائد برّاً واحساناً ورفقاً وعضداً وحماية ، فسجّل له ذكراً عاطراً خالداً فاق فيه سائر ملوك النصرانية على الاطلاق غير معارَض .

الفصل الثاني

في محاولة الوثنية استعادة نفوذها

٣١٦ — ٣٢٣

بينما شرعت النصرانية تلمّ شعثها ، وتعالج بحزم وفطنة ما ألمّ بجسمها من جروح الاضطهاد ، انطلقت الوثنية المقهورة الكسيرة تتشبث لآخر مرّة ، باستعادة نفوذها ، وعاودت اثناء بأسها تسفك الدم المسيحي الذي لم ترتوِ منه . من ذلك ان الوثنيين في بلدة تيباسة القريبة من مدينة الجزائر في افريقية ، اجتمعوا وقد اسكرهم جنونهم في هيكل لهم يعبدون فيه تمثال الحية ، ومعهم أسرة متعصبة لدينها اكرهت ابنة لطيفة لها اسمها سالسه لا يتجاوز عمرها الاربع عشرة سنة ، على مشاركة القوم في ما كانوا فيه . فلما فرغوا من امرهم وقالوا ، وجدت الفتاة فيهم غفلةً اهتبلتها واقتلعت رأس الحية المذهبة وألقته في البحر ثم صنعت كذلك بجسمها . فلما شعر الكفرة بصنيعها جُنّوا غيظاً وذبحوها وطرحوا جسدها

في اليمّ . وبعد ايام ثلاثة وقع عليه احد المراكب فتلقاه المسيحيون بالاكرام وبنوا عليه كنيسة .

وكان ليقينيوس وقد وقّع تشريع ميلان محمولاً عليه سياسةً ، ساور الحسدُ نفسه لما رآه من بسطة جاه قسطنطين ، فرأى الاعتضاد بالحزب الوثني ليقوّض ذلك العمل المشترك تحت ستار الخفآء ، وشبه اوسابيوس هذا الخصم الواغر الصدر ، بحيّة اخطأتها الجبهة فالتفّت حول اعضآء ضحيّتها لسحقها بين طيّاتها وخنقها شيئاً فشيئاً . فبدأ بابعاد المسيحيين من بلاطه وجيشه وقلّل عدد مجالسهم ، وضيّق عليهم بانظمة مزعجة .

واذ خرج على تلك الرسوم خلق كثير من الاساقفة والقسوس وعامة المسيحيين ، نالهم الاذى والمنفى والقتل ، وصودرت اموالهم وبيعت وأُغلقت عدة بِيَع . ومن اشهر شهدآء هذه الشدة سنة ٣١٦ القديس باسيليوس اسقف اماصية الذي اثنى القديس اثناسيوس الرسولي على صحة عقيدته ، وجند كثيرون منهم الشهدآء الاربعون الابطال في مدينة سيبسطية (سيواس) الذين قضى عليهم الحاكم بالموت بعذاب فظيع لرفضهم الاشتراك بذبيحة

وثنية . فعرّوهم من ثيابهم في بعض ليالي الشتآء وألقوهم في غدير متجمّد كانت تعزّزه ريح الشمال ، يجاوره بناء يسخّن فيه ماء فاتر للغسل . فخارت عزيمة احدهم فكفر وصار الى الحمام فلم يحسّ بالحرارة حتى قضى خاسراً . وكان حارس الحمام يراقب عن بعد بسالة الشهدآء ، فأبصر اكاليل سموية تكلّل اجسادهم المتجمدة المائتة دون جثة ذلك اليائس . فاستنار لبّه وتحمّس وخلع ثيابه فوراً وجاهر بالنصرانية واحتل مكانه . ولما اصبحت أُخذت الاجساد لتحرق ، وكان في احد الشهدآء رَمق فاهملوه أملاً بكفره ، ولكن والدته الباسلة احتاطته بعنايتها وضمّته الى عربة رفاقه لئلا يخسر اكليل الشهادة .

ومن المعترفين فيها في سنة ٣١٤ مار بولس اسقف قيسارية الجديدة (الواقعة على نهر الفرات) فانه عذّب بآلات حديدية حتى يبست اعصاب يديه وقد احتفى به بجمع نيقية . ومار ثاودوطا اسقف سيرونيا (قبرس) فانه نُكِّل به بشدة في سجن لم يخرج منه الاّ سنة ٣٢٣ ومار نيقولاوس اسقف ميرا (اليونان) وهو من مدينة باتارا ، نشأ في مهد من الغنى وثير وفاز من حسن التربية والعلم

بأوفر نصيب ، وترهب وتمرّس بالفضائل لاسيما الاحسان الى ذوي البأساء ، وسيم اسقفاً ومضى يثبت رعيته في حظيرة الدين المسيحي في ابّان هذه الشدّة ، فقبض عليه والٍ بعثه ليقينيوس لتأييد الوثنية في ميرا عام ٣٢٠ ونفي مصفّداً بالاغلال ، وكان في منفاه يضرب يومياً ويجلد جلداً موجعاً . فأقام على هذه الحال مصطبراً وهو ينذر الوثنيين والضالين فاهتدى منهم على يده جمّ غفير .

ولما انتهت هذه الانباء الى قسطنطين انكرها ، وكتب الى ليقينيوس رسائل قابلها الغاشم بالامتهان ، فأذكى عليه نار الحرب وكانت المعركة الاخيرة في خريسوبليس ١٨ ايلول سنة ٣٢٣ فانكسر الطاغي ونفي الى تسالونيقي فحاول رفع لواء العصيان فقتل . وعاد مار نيقولاوس الى ابرشيته وشهد المجمع النيقاوي ، وتوفي سنة ٣٤٠

الفصل الثالث

في فيطاليوس وفيلوجونيوس بطريركي انطاكية ومجمعي انقره ونيوقيسارية ٣١٣ — ٣٢٣

سيم فيطاليوس بطريركاً لانطاكية خلفاً لتيرانّوس

حوالي سنة ٣١٣ وقد انقشعت هموم النصرانية ، وانشرح صدرها بما منَّ الله عليها من السلام بعد ذلك الاضطهاد العنيف وأدرك العالم بالرحمة والاحسان ، واخذ يجمع من كل صَوب غنمه المشتّتة . فشاهد المسيحيون ملوكاً يزدرون الاصنام ويعترفون بالوهيـة يسوع المسيح ، ويجلّون احباره ويشرّفونهم بوُدٍّ صافٍ مثل قسطنطين ، او تلبيساً كليقينيوس في اول امره ، وسُرّ الوثنيون ايضاً بهذا الانقلاب المدهش سروراً يعدل ارتعاب العالم لشراسة اولئك الملوك الطغاة الذين بادوا . وأقر الجميع انه ليس من العبث استمساكنا من رجائنا بيسوع المسيح بالعروة الوثقى ، فتشارك الكهنة والشعب بحمد الله على نعمته هذه الضافية ، واخلص العلمانيون الطاعة لاحبار الله العلي الذين كانوا ابداً منصرفين الى توزيع منحه عليهم وهم لا يفكّرون الاّ ببنيان بيتـه ، وعلى هذه الطريقة اتحدت كلمة الكنيسة وتلالأ نور المجد فيها امام الله والناس .

وبنى بولينس اسقف صور بيعة فسيحة جميلة مكان البيعة التي هدمها الوثنيون . وبُنيت في انطاكية القديمة . الكنيسة المتقادمة العهد التي اسسها الرسل القديسون ،

ونزلت من نفوس المؤمنين أعلى منزلة فاعتبروها لقِدَمها أمًّا لسائر الكنائس ، ورمّوها في عهد القيصر اسكندر سويرس . وعندما عصفت شدة ديوقلطيان ردمها الوثنيون بغضاً لاسم السيد المسيح . فلما انكشفت المحنة ، شرع البطريرك فيطاليوس ببنائها وتمّ العمل اوائل رئاسة خلفه .

وكانت تأخذ فيطاليوس حميّةٌ لشرف الكنيسة وقوانينها ، فأدخل اليها من زاغ عنها من الاعضاء . أوانَ الشدّة بعد توبتهم واصلاح اخطائهم ، ورئس سنة ٣١٤ مجمعين انعقدا في مدينتي انقرة وقيسارية الجديدة ، شهدها اسقف او اسقفان من كلّ من ولايات غلاطية وقيلقية والبنطس وبيثينية ، وليقاونية وفريجية وبسيدية وبمفيلية ، وقبادوقية وارمنية الكبرى وسورية وفلسطين ، ووضعوا قوانين لاجل نظام البيعة وتوبة الذين كفروا في الشدة ولاجل الزواج وغير ذلك .

واستوفى فيطاليوس ايّامه حوالي سنة ٣١٩ فخلفه فيلوجونيوس . وكان محامياً له مع عباد الله معاملة جميلة ومروءة ظاهرة ومعدلة فاشية ، يقي الناس المظالم بخُطَب يلقيها ، رجوعاً منه الى نقائب ميمونة وديانة قويّة وامانة

ثخينة ، فرفع الى السدّة الرسولية بعد ترّمله لمكان فضائله وكرم شمائله ، فاستودع ابنةً له من يقوم بامرها ، وانصرف الى العناية بكنيسة الله فأتمّ بناء البيعة القديمة ، وعاد ببقايا الساقطين في الشدّة الى الطريقة المثلى وحظيرة الراعي الصالح . وقاوم اضطهاد ليقينيوس وقد عصفت في رأسه النخوة لدين الله وحسن عبادته فاعتبر معترفاً . وأحزنه ظهور بدعة آريوس الكافر فبذل وسعه في ايقاف سَريان شرّها بحكمته وفطنته وبُعد نظره ، مشجّعاً برسائله مار الكسندروس الاسكندري على مقاومتها ، ونقله الله اليه في ٢٠ من كانون الاول عام ٣٢٣ ورتّب له عيد قرّظه فيه الذهبي الفم ومار فلبيانس الاول .

الفصل الرابع

في تفاقم الشقاق الدوناطي

بعدما تشاقّ الافريقيون ، رفع المعارضون امرهم الى الامبراطور قسطنطين طالبين قضاةً من فرنسا ، فاختار لهم ثلاثة اساقفة وكتب الى ميلتياد بابا رومية

للنظر في القضية مع رفاقه ، وامر بحضور قيقليان الاسقف الشرعي مع عشرة اساقفة من كل من الحزبين الى رومية ، وكان الاسقف دوناط رأس الفئة المعارضة ، وضمّ اليهم ميلتياد برأي القيصر خمسة عشر اسقفاً من ايطاليا . فاجتمعوا في ٢ تشرين الثاني سنة ٣١٣ وحكموا بصحة سيامة قيقليان وشجب دوناط وحزبه . فنفض هؤلاء ايديهم من حبل الطاعة ، وانتحلوا لانفسهم اسم كنيسة الشهداء وخصومهم كنيسة الخونة ، وساحت الفتنة وسالت في كل صُقع ومكان حتى تنازعوا وتضاربوا في الشوارع ، وقام في بعض الابرشيات اسقفان .

فلما رأى قسطنطين تسرّع الحكم الذي صدر في رومية ونتائجه ، امر بعقد مجمع ثانٍ في مدينة إرل (فرنسا) يمثّل اساقفة ايطاليا ودلماطيا وغاليا واسبانيا وافريقيا واكليروسها . وكتب الى كريستوس اسقف سيراقوسه لينضمّ اليهم ، وحضر ايضاً ثلاثة اساقفة من انكلترة . فانعقد المجمع في شهر آب عام ٣١٤ وعاد اصحاب الشقاق ، وقد ضلّت فيه أبصارهم يسندون مدّعاهم بما اعتادوا من صفاقة الوجه . فلما رأى الاساقفة ما هم عليه من

التعصّب والصّخب والاصرار على التوائهم والتماسهم الحق بالباطل ، رفضوا شكواهم وحكموا عليهم . فانضم قوم منهم الى قيقليان دون الزعماء ، واعادوا الكتابة الى القيصر فساءه عنادهم . ثم فحص دعواهم بنفسه بعد سنة ٣١٥ واستدعى فيقليان وخصمه دوناط خلف ماجوران المتوفى سنة ٣١٥ وقضى ايضاً لحزب قيقليان . ثم أبقى الاسقفين في ايطاليا وأوفد اسقفين مفوضين ، ليرى هل يمكن توحيد الكنيستين في غيابهما . فأصابا في اول الامر نجاحاً وانضم عقلاء العصاة الى الكنيسة ، ولكن شدّة المشاغبين عكست القضية . ولدى عودة قيقليان ودوناط عاد النزاع أدراجه . فاستعان القيصر بالوسائط المادّية ونزع الكنائس من ايادي العصاة وقهرهم غصباً ، فقامت فتنة عمياء قتل فيها بعض المتمرّدين . وفي وقعة ثانية انقلبت المنازعة مذبحة قُتل فيها خلق منهم اسقف اوفاكاتا . وكان دوناط مع فهمه وتثقيفه ومتانة اخلاقه وسيطرته على حزبه الغريب الاطوار ، تيّاهاً كثير الاعجاب بنفسه شروى ترتليانس ، والارثد كسيون في نوميديا على اسوأ عيش وأمرّه معهم .

وفي سنة ٣٢٠ وقع خصام شديد بين الدوناطيين نفسهم ، ونفي سلوانس اسقف قسطنطينة ، هذا والقيصر يعاملهم بالرفق ، ليعطف بهم اليه ، فانه بنى كنيسة للارثد كسيين في قسطنطينة فاغتصبها الخصوم منهم فبنى لهم كنيسة اخرى .

ومما زاد في هذه الأزمة الطامّة ، وجود قوم بين الدوناطيين من همج الفلاحين وأوشابهم ، سخيفي الاحلام متنمّرين شرسي الطباع سفّاكي الدمآء يقال لهم التائهون او السرسليّون ، أخذاً من كلمة سلي اعني اكواخ الفلاحين ، تقلدوا السلاح وانهالوا على ولاية افريقيا قتلاً وسلباً وحرقاً ، وتنازلوا مع خصومهم بأفظع القبائح فاستعملوا الرماح والسيوف والقآء الكلس الحار والخلّ على الرؤوس ليعموهم . فاشتدت بسببهم البغضآء والكراهة للدوناطيين ، غير ان اساقفتهم ولاسيما عقلآءهم الدّينين لم يستصوبوا هذه المنكرات ولا اذكوا ريحها على ما يلوح من اوثق الاخبار .

وحينما ابصر قسطنطين تفاقم المحنة وايذانها بحرب مدنية ، استرجع عام ٣٢١ ما وضع من الاحكام لتأديبهم

تاركاً لهم الحرية . فنموا وانتشروا في افريقيا باسرها ، حتى اربى عددهم على الارثد كسيين في بعض البلاد ، وحوى احد مجتمعاتهم عام ٣٣٠ مئتين وسبعين اسقفاً ! ولكن قوماً هذه احوالهم لا عجب ان ينتهي امرهم الى الى فشل وبيل ويكون مآبهم الى حزن طويل .

الفصل الخامس

في بدعة آريوس

لم يكن للبدع التي أحدثت في الكنيسة منذ نشأتها من سوء الاثر ما كان لبدعة آريوس ، ذلك انها افظعها واخبثها . وكان آريوس شيخاً اسكندرياً متنسكاً طويل القامة نحيفها طموحاً شامخاً بانفه ازهى من غراب . وأظهر من فساد المعتقد ما حمل مار بطرس بطريرك الاسكندرية على حرمه . فلما اظهر الرجوع عن ضلاله حلّه البطريرك آخيلوس وسامه شماساً ثم قسّاً . واذ كان يطمح الى كرسي الاسقفية وخاب امله بجلوس مار الكسندروس عليه ، طفق يقاومه وعاد الى ماضيه فأنكر الوهية السيد المسيح

وقال ان الابن مخلوق خلقه الآب في اول خلائقه فليس هو مساوياً لابيه في كل شيء . فحاول الكسندروس هدايته بنصائحه محتملاً اياه بطول أناته ، ثم حاكمه في مجمع اساقفه وقسوس واذ لم يُجدِه ذلك نفعاً قطعه من درجته وسفّه بدعته النكراء في مجمع ضمّ اساقفته كافةً ، وكتب الى اشهر اساقفة العالم المسيحي والقيصر قسطنطين ينذرهم بالخطر الذي يداهم البيعة المقدسة .

اما آريوس الراكب متن غروره فكتب الى اسقفي نيقوميدية وقيصارية فلسطين وغيرهما يؤلّب له حزباً ، وشخص الى نيقوميدية مقرّ القيصر يومئذ ، فصار اوسابيوس اسقفها من اكبر انصاره ، وعاد يبثّ بدعته في السوقة مؤلفاً اغاني تنطوي على اضاليله نثرها فيهم . فغمّ القيصر هذا الانقسام المحزن وكتب برأي اوسابيوس الى الكسندروس وآريوس ليتفقا ، وأوفد اليهما اوسيوس اسقف قرطبة (اسبانيا) وكان ثقة عنده شيخاً جليلاً قطع في الاسقفية نحواً من ثلاثين سنة ، واعترف بالايمان في شدة مكسميانس هرقل وذاع صيته في الكنيسة كلها . فجمع اوسيوس مجمعاً غفيراً في الاسكندرية فلم

يوفق الى شيء لتفاقم الخلاف، فعاد واطلع القيصر على ما يحيق بالبيعة من شر مستطير. وكان اريوس وقد اولجته نفسه الخبيثة شراً، اردى جيلاً من الناس خدعهم بغيه والقاهم في موج بحره الكفري تغشاهم الظلمات وتتلاطم بهم الشبهات، فأصابوا واياه السهم الاخبث وجاءوا بالمخزيات.

الفصل السادس

في مجمع نيقية المسكوني سنة ٣٢٥

عندما علم الامبراطور تفاقم الخلف الذي اقلق الكنيسة المسيحية، عمد بمشورة الاساقفة الى عقد سينودس (لفظ يوناني معناه مجمع) مسكوني ليظهر الحق للملأ ويخزي الضلال. فاختار له مدينة نيقية لقربها من مقره وكتب الى اساقفة العالم قاطبة يدعوهم الى الحضور اليه ووسع عليهم في النفقات. فوافى الى نيقية في وقت وجيز ثلثمائة وثمانية عشر اسقفاً اقبلوا من اقطار الدنيا ماعدا الكهنة والشمامسة[1] ورئس المجمع القديس اوسطاثيوس

(١) اختلف القدماء في هذا العدد فمنهم من جعله اكثر من مئتين وخمسين ومنهم نيفاً وثلثمائة ولا يعرف منهم في التاريخ سوى ٢٣٧

بطريرك انطاكية ، وناب عن سلبستروس بطريرك رومية الذي لم يستطع الحضور لشيخوخته ، اوسيوس اسقف قرطبة وقسيسان . وحضر اليكسندروس بطريرك الاسكندرية ومعه شماسه اثناسيوس . واليكسندروس اسقف القسطنطينية ويعقوب اسقف نصيبين وكان لابساً جلد المعزى ، وتوما اسقف مرعش المعترف الذي شوهت اعضاؤه وحبس نحواً من عشرين سنة في سبيل الدين ، وبفنوطيوس اسقف طيبة (الصعيد) الذي فُقئت عينه اليمنى في الاضطهاد ، وسبيريدون اسقف قبرس الذي ذهبت له في الحلم والدّعة شهرة طائلة ، وبولس اسقف قيسارية الجديدة (الفراتية) الذي يبست اعصاب يديه ، وكثير من اجلاّء الاساقفة الذين فاح في الملأ عبير قدسهم وعليهم سمات الكلوم التي اصابتهم في سبيل الدين . فهش لهم القيصر الشهم وقبّل جروحهم وأنس الى محادثتهم . وكان معهم ايضاً العالم الطائر الصيت اوسابيوس اسقف قيصارية فلسطين الذي جلس عن يمين القيصر .

فاجتمعوا في اليوم السادس عشر من حزيران في بهو كبير في البلاط ودخل القيصر بعدهم وتوسّط مجلسهم .

فشرعوا في فحص بدعة آريوس واستنطقوه فتجرأ بطرح تجاديفه في وسط المجمع ، فسدّ الآباء آذانهم لدن سماعهم اياها نافرين منها اشدّ النفور . ثم دحضوا كفره بالبراهين القاطعة ودعموا حججهم بآيات الكتاب الالهي ونصوص الآباء الاقدمين القديسين . فقرروا ان ربنا يسوع المسيح هو ابن الله الازلي حقاً وهو مساوٍ لابيه وصورته وكائن فيه دائماً وبالتالي هو آله حقّ . فوجد الاريوسيون بمكرهم ومخاتلتهم طريقة لتحريف معاني هذه العبارات والتسليم بها دون ان يقلعوا عن غيّهم . فعبّر المجمع حينئذ عن وحدة الطبيعة الالهية بعبارة « المُساوي في الجوهر » فوفت بالمعنى المقصود ولم يكن للهراطقة الى تحريف معناها سبيل . فنبذها الاريوسيون وتمسّك بها الآباء . ووضعوا قانون الايمان المشهور الذي تتلوه الآن الكنيسة المسيحية باجمعها في صلواتها يومياً وهو « نؤمن بآله واحد . حتى ونؤمن بروح القدس » ووقّعه الاساقفة بالاجماع عدا الاريوسيين وهم نفر قليل . وحرموا آريوس واتباعه . فأيّد القيصر حكم المجمع وحكم على آريوس بالمنفى . وسنّ السينودس عشرين قانوناً لنظام الكنيسة للصيام

والعماد وغيرهما ، وترتيب الكراسي الرسولية والاسقفيات التابعة لها ، ووضع باجتهاد اوسابيوس القيصري قاعدة مضمونة لحساب عيد الفصح .

الفصل السابع

في اكتشاف الصليب المقدس ومآثر الملكة هيلانة سنة ٣٢٦

كانت الملكة هيلانة والدة القيصر قسطنطين الكبير ، رهاوية المولد سريانية الجنس مسيحية ابنة قسيس من جوار الرها ، في رواية مؤرخي السريان والاقباط وبعض الروم ، او وثنية فقيرة ابنة صاحب نزل من مدينة دريبان (دورفنه) في بيثينية على رواية غيرهم . ولدت حوالي سنة ٢٤٨ وجمعت بين الحسن وكرائم الاخلاق ، خطبها الامير قسطنس خلورس اثناء سفره الى بلاد الفرس وتزوجها حوالي سنة ٢٧٥ وولد له منها قسطنطين الكبير ، وكانت تكتم دينها سراً مبتهلة للسيد المسيح في شأن هداية ابنها . فاستجاب الله دعاءها وعاينت انتصار النصرانية بتنصره . وقيل في الرواية الثانية ان

زوجها هجرها جملة سنين اضطراراً ، وحينما تنصر نجلها استقدمها اليه وبالغ في الحفاوة بها فتنصرت . ثم رحلت بالرغم عن علوّ سنّها الى بيت المقدس عام ٣٢٦ لتزور ديار الوحي وتكرم مواطن التجسد والفدآء الالهيين . ومرّت بانطاكية وتبرّكت بالارض المقدسة ، وبحثت عن الصليب المقدس . وكان الوثنيون واليهود قد كوّموا فوقه تلاً عظيماً من الاتربة والنفايات فضاع مكانه . وبعد الاستقصآء اهتدت اليه فوجدت ثلاثة صلبان متشابهة ، ولما لم تعرف ايها صليب السيد المسيح وغمّها الامر ، وُضعت الصلبان بمشورة مقاريوس اسقف اورشليم واحداً فواحداً على مَيِّت ، فما مسّه الصليب الثالث حتى استأنف الحياة . فهلّل الشعب تهليلاً وسبح بحمد السيد المسيح الآله المتجسد ، وهرع المؤمنون الى خشبة الحياة يتبرّكون بها ، ورفعها الاسقف على رؤوس الجمهور ، وأخذت الملكة جانباً منها وتركت الباقي . ثم جدّت فوجدت ايضاً مغارتي بيت لحم وجبل الزيتون (الصعود) وبنت فوقهما كنيستين بديعتين وبنى القيصر كنيسة القيامة العظيمة ، وجادت هيلانة باموال جليلة في هذا السبيل وفي التصدّق على

اهل البؤس ، وأولمت اخر الموائد للعوابد والفقرآء وخدمتهم بيدها بنفس طيبة وايمان صادق . ثم انكفأت الى نيقوميدية حيث توفيت في تلك السنة وقد ناهزت الثمانين من العمر . وفي سنة ٣٣٦ اجتمع جمهور كبير من الاساقفة و كرسوا هيكل القيامة العظيم ودشّنوه بأبّهة واحتفال باهر .

الفصل الثامن

في القديس اوسطاثيوس الانطاكي ونفيه سنة ٣٣٠ وأصل شقاق الكرسي الانطاكي

كان القديس اوسطاثيوس من مدينة سيدا في ولاية بمفيلية ، وُلد نحو سنة ٢٥٧ وحصّل العلوم اللاهوتية في مدرسة انطاكية ، وسيم اسقفاً على حلب ، ثم رقي السدّة الانطاكية عام ٣٢٣ وكان حبراً ديّناً عالماً صدر زمانه ، تحلّى بالورع والتحمس للمعتقد الارثدكسي . وله تصانيف كثيرة منها كتاب في ست او سبع مقالات في قمع الاريوسية ، ومقالات في تفسير الايام الستة والمزامير

وفي النفس ورسائل وميامر ذكرها بعض المؤلفين الاقدمين ونقلوا منها شذوراً ، ولم يبق من تآليفه سوى مقالته في العرّافة وفيها يفند رأي اوريجانس في ان الذي ترآءى لشاول ليس صموئيل نفسه ويدحض طريقة الاسكندريين الرمزية المفرطة في التفسير . ووضع ليتورجية مطوّلة في ما قاله العلامة ابن كيفا في شرحه للقداس . ومدح سوزمين المؤرخ توقّد خاطره وسلاسة انشائه وجودة سبكه .

فلما خُتم المجمع النيقاوي تشعّبت آراء رجال الكنيسة في تفهّم عبارة « المساوي في الجوهر » لحداثة عهدها ورأى بعضهم فيها لَبْساً (شُبهةً) وكان مار اوسطاثيوس بلْهَ معاداته للبدعة الاريوسية خصماً لدوداً لتعاليم اوريجانس ، فاشتدت بغضته في مدينة قيصارية فلسطين المستمسكة بهذه التعاليم ، سيما عند تبادله واسقفها اوسابيوس رسائل اغلظ بها كلّ الى صاحبه . ولما كانت انطاكية مقرّاً للاريوسية بما نشرته مدرستها من المبادىء الموافقة للبدعة ، انقسم اكليروسها الى حزبين : اوسطاثي ومعارض . وثقلت وطأة اوسطاثيوس على المعارضين

وانتقص اوسابيوس بخيانته للمعتقد النيقاوي ، واتّهمه ذاك بدوره بالبدعة السابليّة .

ففي حدود سنة ٣٣٠ دبّر الاريوسيون وفي مقدمتهم اوسابيوس النيقوميدي وواطأهم القيسراني ، اجتماعاً اسقفياً مقصوداً في انطاكية حكم فيه على اوسطاثيوس ظلماً وعدواناً . فمنهم من اتّهمه بالسابليّة ومنهم بالفجور ، متآمرين في ذلك مع بغيّ كان قد فجر بها رجل يقال له اوسطاثيوس الحدّاد ، كما اتّهموا بعد ذلك اثناسيوس ، وكشفت البغيّ سرّ المؤامرة الخبيثة بعد ابتلائها بمرض وبيل ، ورُوي انهم تجنّوا عليه بانقباضه عن الملكة هيلانة حين مرورها بانطاكية لاستمساكها بلقيانس الشهيد الدفين في بلدتها ، وهذا هو الارجح ، وعندما حوكم القديس امام القيصر وسمع دفاعه عن نفسه ، جازت على قسطنطين وشايات خصومه فنفاه الى طرايانوبليس (ثراقية) في طبقة من القسوس والشمامسة ، ثم نقل الى مدينة فيلبي وتوفي في اصح الروايات سنة ٣٣٧ وهو بكر ضحايا الهرطقة الاريوسية ومعترفي المعتقد النيقاوي . ونفى الاريوسيون ايضاً بعض الاساقفة الارثدكسيين . وكان

لهذا القديس الجليل انصار كثيرون في انطاكية مثلما كان له اعداء متعصبون . وقام مكانه بولينس الانطاكي اسقف صور ثم ستة اريوسيين بين متطرّف ومعتدل في البدعة ، ولكن اتباعه أبوا الانقياد الى احد منهم واعتزلوهم برئاسة القس بولينس وصلّوا في البيعة القديمة . وهذا اصل الشقاق المحزن في الكرسي الانطاكي الذي دام ثلاثاً وثمانين سنة كما سيأتي .

الفصل التاسع

في الفتن التي اثارها الاريوسيون

كان الاريوسيون عندما فشلوا في بدء امرهم ونُفوا كتبوا الى القيصر متظاهرين بالتسليم بالايمان النيقاوي ، ونالوا منه الاذن برجوعهم من المنفى . ثم اخذوا يسعون في اجتذابه اليهم بحيلهم ومكائدهم توصّلاً الى بغيتهم في قهر خصومهم وبعدما جازت عليه وشايتهم في القديس اوسطاثيوس ، موّهوا عليه بان الله يرضي عنه اذا أمر اثناسيوس بطريرك الاسكندرية الذي خلف الكسندروس

بقبول آريوس في كنيسته وقالوا له مكراً انه صحيح الاعتقاد وانما شُجب خطأه في ايضاح معتقده ، وكان ذلك فخاً نصبوه لاصطياد اثناسيوس ألدّ خصومهم . فأمره القيصر بقبوله تحت طائلة العزل من كرسيه . وأشاعوا ايضاً وشايات شتى على البطريرك وضجّوا بها حتى اوجب القيصر الفحص عما كانوا يفترون به عليه آمراً بعقد مجمع في صور . فاجتمعوا على باطلهم وأقاموا عليه قضاة من حزبهم وعاملوه اسوأ معاملة وألزموه الوقوف على قدميه كمجرم . فاحتمل بسكون وتؤدة كل ما أُنزل به من الافتراء الشائن بقتل وفجور ، وقمعه قمعاً اوعب خصومه خزياً وقنّعهم خجلاً . وعندما أبصر تنمّرهم عليه ، توجه الى القسطنطينية برأي المعتمد الملكي الذي أوفد الى المجمع . فحكم عليه الاريوسيون غياباً بالتنزيل عن كرسيّه ولحقوه الى العاصمة وشكوه الى القيصر بقولهم : انه توعّد بمنع ما يرد من القمح من الاسكندرية الى العاصمة سنوياً . فأخذ قسطنطين بمَينِهم ولم يصغِ لاثناسيوس ، ودانَهُ بالجريمة ونفاه ظلماً الى مدينة تريف (في غاليا البلجيكية) فصار الى منفاه سنة ٣٣٦

الفصل العاشر

في هلاك آريوس شقياً سنة ٣٣٦

لما نجحت مكيدة الاريوسيين احتالوا لارجاع آريوس الى الاسكندرية ، فاغتنم المبتدع الفرصة وسار الى البيعة وقد اسرّ النفاق في قلبه فلم يحتمله الشعب واقتدحت نار الفتنة فأمر القيصر بمجيئه الى القسطنطينية. ثم اجتهد الاريوسيون باقناع اسقفها الشيخ الجليل الكسندروس ليقبله في شركته ، فلم يكن الى ما ارادوا سبيل لاستمساك هذا الحبر القديس بالايمان النيقاوي . فنالوا امراً من قسطنطين لادخاله الكنيسة بابّهة وحنقوا على الاسقف وتوّعدوه بالعزل . فالتجأ الى الله سبحانه واختلى في كنيسته جاثياً امام المذبح باكياً ومبتهلاً اليه تعالى لينقله من الدنيا قبلما يرى المبتدع في كنيسته . واجتمع اشياع آريوس في اليوم التالي وزفّوه في الشوارع وهم يشتمون الاسقف . وعند دنوّهم من الساحة اضطرب آريوس فجأة واعتزل مشيعيه لقضاء حاجته .

واذ طال ابطاؤه دخلوا عليه فوجدوه ميتاً مكبوباً على وجهه وقد اندلقت احشاؤه . فاقشعر المشاهدون من ذلك المشهد المريع القبيح ، وسار الخبر سير البرق وأسقط في ايدي اصحاب البدعة والتحفوا بخزي فاضح وبآءوا بفشل عظيم . ونهض مار الكسندر في الغد يرفع الى الله قربان الشكر مع شعبه لجريه على جميل عادته في زلزلة أطواد المضلّلين ، ودفعه الهرطقة التي كانت سائرة على قدم الوقاحة لتجلس في بيت المقدس ! وكان ذلك سنة ٣٣٦ وازداد القيصر كراهية للشيعة الماردة والبدعة الخبيثة واوشك ان يعيد مار اثناسيوس الى كرسيه شعوراً بخطأه بنفيه ، لو لم تدركه المنية في ٢٢ ايار عام ٣٣٧

الفصل الحادي عشر

في اعادة مار اثناسيوس من المنفى وتبرئته سنة ٣٣٧ والمنكرات التي ارتكبها الاريوسيون في مصر

خلف قسطنطين بعهدٍ منه اولاده الثلاثة في ايلول سنة ٣٣٧ ولم يكن فيهم من يماثله في مناقبه وسياسته ،

وهم قسطنطين الثاني وقسطنت الصغير في الغرب وقسطنس في الشرق وكان موالياً للاريوسية خبيثاً . فأعاد اثناسيوس الى الاسكندرية برسالة يثني فيها عليه جميلاً قائلاً : انه انجز مقاصد والده بردّه هذا الراعي القديس الى قطيعه . فاجتاز بسورية وبلغ موطنه فاستقبله الشعب وهو يطفر من الفرح ، ونار الغيظ تكوي قلوب اعدائه المتذمرين الزاعمين ان رجوعه لا يصحّ الا بحكم مجمعي ، فراشوا له نَبْل سعايات جديدة وأمالوا قسطنس اليهم وتناولوه عنده ، وقالوا انه منذ عَوْده اثار نَقْع الفتنة ، وانه حجز ما أُعِدّ من الحنطة لتوسقَ الى البلاد الخالية منها قوتاً للاكليروس والارامل ، وما كان ذلك الا إفكاً . ولم يعسر على اثناسيوس دفع هذه الفريّة لو لم يكن القيصر التعِس أُذُناً صاغية الى الهراطقة ، فأجاز لهم ابداله ببطرك جديد . فاجتمعوا وحطّوه ، على زعمهم ، من رتبته وجعلوا مكانه اكليريكياً قبيح السمعة يقال له بسطوس كان هو والاسقف الذي ولاّه ممن حرمهم مجمع نيقية . فأنكرت الكنيسة الجامعة هذا الدخيل ، وتوجه اثناسيوس الى رومية وهي في حوزة قسطنطين وحادث

بطريركها ماريوليوس بامره فعقد مجمعاً برّأه وثبّته في كرسيه . غير ان اعداءه ولّوا مكانه دخيلاً آخر من قبادوقية يقال له غريغوريوس واجلسوه عنوة بقوة السلاح ، فاضطرّ اثناسيوس الى الهروب . وارتكب الاريوسيون حينئذ افظع المنكرات وكان الشعب يملأ الكنائس قبيل الفصح فرشى اعوان الملك ، الاوشاب واليهود وألّبوا سفهاء شبان الشوارع وأغروهم بالارثد كسيين فداسوا بعضاً بالارجل وسحقوا رؤوس بعضٍ بالدبابيس وقطّعوا غيرهم بالسيوف . وجرّوا الكهنة الى محكمة الوالي عنفاً وهشّموهم ضرباً امام الدخيل لرفضهم مشاركة العصاة ، وجُلد مار بوتامون اسقف هرقلية (مصر) المعترف جلداً عنيفاً بأمره حتى قضى . ومنعوا الخبز عن خدمة البيعة لاهلاكهم جوعاً ، وعرّوا العذارى النذيرات وضربوهنّ ، ودخل المغتصب بشُرط وثنيين كنيسة نهار الجمعة العظيمة وأمر بالقبض على اربعة واربعين شخصاً ، اكثرهم عذارى ونساء فواضل وجلدهم بالسياط وطرحهم في السجن ، واستولى على البيع كافة على هذه الطريقة المنكرة .

فعقد يوليوس الروماني مجمعاً ثانياً شهده سبعون اسقفاً حكموا فيه بفساد سيامة هذا الدخيل ، وبالرغم عن ذلك اقاموا له خلفاً بعد هلاكه ، وجددوا الفظائع وامتد الاضطهاد الى بلاد مصر كلها ، وطُرد الاساقفة الارثذكسيون بامر الملك واستبدلوا برعاة كذبة شبان متهتكين يتعاطون امور الكنيسة بحسب السياسة العالمية ، فأفسدوا الايمان وأهانوا المؤمنين الذين جانبوهم واعتقلوهم ونهبوا اموالهم نهباً .

الفصل الثاني عشر

في بدعة عودي الرهاوي سنة ٣٣٦

كان عودي رئيس شمامسة في كنيسة الرها ، وفتاً مغروراً بنفسه . فلما قرّر المجمع النيقاوي الاّ يعيّد عيد الفصح مع اليهود ، قاوم هذا الامر وانفصل من الكنيسة في حدود سنة ٣٣٦ ولم يكن هذا السبب الحقيقي لانفصاله وانما خيبوبة امله في طموحه الى الاسقفية هي التي سوّلت له مقاومة الحق . فتنكرت انحاؤه ورشح بالباطل اناؤه

وتبع الشيعة الديصانية وأنشأ له شيعة قام هو على رأسها وتورّط في حمأة الضلال . ولفّق اربعاً وتسعين خُرافة سمّاها اوحية او جليانات تلقّفها من المنجمين والغنوستيين (اصحاب المعرفة الكاذبة) ونحلها اسمي ابرهيم ويوحنا . واستنبط اقوالاً فظيعة عن خلق النور والظلام ، وعن الله الذي صوّره (جلّ الله عن ذلك) بشكل مادّي مخلوق على مثال الانسان ، وقال بعدّة ارواح وابنـاء وآلهة ! وكذّب بالبعث والحَشْر واعتبر الزواج نجاسة ، اضاليل فرّخت في جمجمته وباضت ، وشقشقة دُفعت منها الاباطيل وفاضت . فحُرم وطرد من البيعة ونفي وأشياعه السخفاء الاحلام الى بلاد سقيثية (الغوطيين) فطفق ورهطه يبشرون الوثنيين وبنوا لهم ديراً وجعل عودي نفسه اسقفاً لهم ، وبعد هلاكه تولى زعامة الشيعة الخبيثة اورانيوس وأصله من بعض بلاد الجزيرة ، وكان قد سَقّف مع عودي رجلاً من الغوطيين يقال له سلوانس . وبعدما ظلت هذه الضلالة النكراء مدة قرن في تلك الديار ، مُحقت وعفت آثارها فتطهرت الارض من فسادها .

الفصل الثالث عشر

في القديس يعقوب النصيبيني سنة ٣٣٨

ولد مار يعقوب في مدينة نصيبين ، وحرص منذ مَيعة صباه على التحلّي بالفضائل والمكارم ، وخير الاخلاق أعونها على الورَع . ثم زهد في الدنيا وارتاض بجميل اعمال النسك والعبادة حتى فاز منها بالسهم الاوفى . وكان في نسكه يقتات بجذور النباتات واوراقها ، وعليه وشاح من جلد المعزى . وهو اول من سيم اسقفاً على نصيبين ولم يبدّل في اسقفيته شيئاً من خشونة عيشه ، بل اضاف اليها عنايته باهل البؤس وامعانه بحماس في الارشاد وهداية الوثنيين الى ديننا القويم في ما جاور نصيبين من البلاد . ونشر العلم بهمة عالية فأنشأ مدرسة في مدينته لتعليم الشبان علوم الدين بالسريانية . وبنى عام ٣١٣ بيعة جليلة انجزها عام ٣٢٠ وخصّه الله سبحانه لحسن سيرته بفعل الخوارق . وفي سنة ٣٢٥ حضر مجمع نيقية المقدس وكان من أبرز آبائه وأجلهم . فقال اوسابيوس

القيصري في حقّه « انـه كان فخر اساقفة بلاد الفرس وجهبذاً في علوم الكتب القدسية » وقال ثاودورس القارىء « انه كان من الصلاح في الذروة العليا » وصادف وجوده في العاصمة عام ٣٣٦ وروى بعضهم انه اثناء محاولة المبتدعة قبول آريوس في الكنيسة بحجة توبته ، اقترح مار يعقوب ان يصوم الارثذكسيون سبعة ايام من اجل بطريركهم فنجّاهم الله جميعاً من ورطة ذلك الذئب الفاتك . وحضر تكريس هيكل القيامة في اورشليم . وفي سنة ٣٣٨ حاصر شابور الثاني ملك الفرس نصيبين لاول مرة فنجت منه بحكمة هذا القديس ودعائه فانقلب العدو بعسكره خازياً وكان لنفسه ظالماً . وفيها نقل الله مار يعقوب اليه ليجزيه باكليل الرعاة الامناء ورتّب جسده الطاهر في كنيسته التي لاتزال عامرة ، وخلا ضريحه من رفاته في اواسط المئة العاشرة .

ورتّب عيده في ١٨ ايار ولم يثبت انـه وضع شيئاً من التآليف التي نسبها اليه الارمن وسواهم ، وحسبه فخراً انه كان معلماً ومرشداً للقديس افرام السرياني الملفان الطائر الصيت الذي اجاد في تقريظ فضائله ومناقب خلفائه الاساقفة مار بابويه ومار ولغش ومار ابرهيم (٣٣٨-٣٧٣) .

الفصل الرابع عشر

في اوسابيوس القيصري ومصنفاته سنة ٣٤٠

اوسابيوس بمفيلُس من مفاخر قيصارية فلسطين وعلمآء نحارير وأعـلام مشاهير ، ولد في حدود سنة ٢٦٥ وقرأ العلم على القس بمفيلس الشهيد واتخـذه خِدْناً حميماً فتسمّى باسمه ، والقس دورثاوس الانطاكي ، فهو خريّج المدرستين القيصارية والانطاكية والفـائز من صنوف العلوم بالسهام الوافرة . وقلّده سلفه المطران اغابيوس الكهنوت ومرّ بك ما اقتطفه من خزانة كتب وطنه وقد زيّنها بنفائس المخطوطات . وسيم مطراناً لقيصارية بعد سنة ٣١٣ بمديدة فرعاها نحواً من سبع وعشرين سنة وذاع صيته حتى عدّ فرد زمانه ونادرة أوانه فحظي عند القيصر قسطنطين الكبير بمكانه سنية ، والاظهر انه كان انيساً وادعاً محباً للسكينة والسلام ، يجد في صحبة العلم أسعد حظوظه فلا يريد عنها بديلاً .

وكان من المنتصرين لاوريجانس فأتمّ احتجاج مـار

بمفيلس عنه ، ووافق آريوس في اسلوبه دون نظرياته الفاضحة . ومما يستدعي غاية الاسف ، انه بعدما وقّع اعمال المجمع النيقاوي ، واطأ خصومه على مقاومة اصوله ، فشارك الاريوسية في مجامعهم المزوّرة التي ظلموا فيها القديسين اوسطاثيوس واثناسيوس ، ومرقلس الانقروي ، فعابه ذلك وانتقص قدره ، وعدّه بعضهم من أنصاف الاريوسية ، مع انك لا تجد في تاريخه البيعي وكتابه « الظهور الآلهي » الا اجهاراً صريحاً بلاهوت السيد المسيح .

وكان من كبار رجالات الكنيسة اهل الجَلَد على المطالعة والتصنيف ، فقرأ كثيراً من مبسوط الكتب ومختصرها . وعلا كعبه في سائر العلوم ماخلا علم اللاهوت ، فلم يكن فيه قوي الحجة مع اجادته في دحض البدعة السابليّة . فهو مؤرخ وخطيب ومفسّر للكتاب الكريم ونقّاد ومنتصر لحقّ النصرانية ، وهل كان يقصد في كتبه التاريخية المُمتِعة ، الاّ اقامة الادلّة عليه ؟ ولم يزل يراعه مشغولاً بالتأليف حتى اوقفته المنيّة سنة ٣٤٠ في اصح الروايات ، والعصور التي عقِبَته أحوج منه الى سواه

من قدمآء العلمآء ، ذلك انه جآء بمؤلفات عزيزة ومصنّفات حريزة ، تدلّ على قريحة سالمة ونفس عالمة وتُعدّ كنوزاً .

وأبرزها : التاريخ الكنسي الذي سارت بحديثه الركبان ولم يختلف في فضله اثنان ، وهو أروع ما خرج من قلمه ولم يُسبق بمثله ، وعندنا منه نسختان سريانية ينقصها بابان ويونانية كاملة . وتاريخ شهدآء فلسطين ، والخرونيقون اي تاريخ السنين منذ ميلاد ابرهيم حتى سنة ٣٢٣ م ، ومجموعة اعمال قدمآء الشهدآء قبل شدة ديوقلطيان ، وسيرة بمفيلس ، وسيرة قسطنطين ، والاستعداد الانجيلي في تفوّق اليهودية على الوثنية قِدَماً وعقيدة وآدابا ، والبيان الانجيلي في كون اليهودية تمهيداً للنصرانية ، ولخّص منه كتاب الظهور الآلهي . وله شروح لبعض الاسفار وخطب وردود ورسائل .

الفصل الخامس عشر

في تنصّر الكرج والحبش وبلاد اليمن

من جملة الامم التي اهتدت الى الدين المسيحي في

النصف الاول من المئة الرابعة الامة الكرجية ، وذلك ان أسيرة مسيحية فاضلة اسمها نينا ، وصلت الى عاصمة بلاد الكرج (ايبيريا) فاستخدمها الملك ميريان . ومرض ابنه فابتهلت نينا الى الله سبحانه من اجله ، وألقته على فراشها فمنّ الله عليه بالشفاء ، وحدث مثل ذلك للملكة . فلما سئلت نينا عن دينها ، اخذت تخبر عن النصرانية ، وأشارت على الملك ان يطلب كهنة من بلاد الروم ليعلموا رعيته الديانة . فكاتب القيصر قسطنطين وطلب منه قسوساً ، فأرسل اليه رسلاً من رجال الاكليروس لقّنوا الكرج النصرانية وعمدوهم ، وتنصر الملك والملكة وجمهور غفير . وعلى هذه الطريقة اهتدت الكرج الى دين المسيح ، ونشأ منها اساقفة وقديسون وفضلاء .

وحكى روفينس القس الاكيلي المؤرخ تنصر الحبشة قال : سنة ٣١٦ اجتاز بشواطىء بلاد الحبشة (ايتيوبيا) ميروبيوس الصُّوري ومعه نسيباه الشابّان الاخوان ايديسيوس وفرومنتيوس . فهجم الحبشان على سفينته واجهزوا على من فيها عدا الشابين اللذين قدموهما هدية الى ملكهم في مدينة اكسوم . فرتب فرومنتيوس كاتباً

خاصاً له . وعند احتضار الملك اوصاه بتهذيب ايزان ولي عهده القاصر . وحينئذ شرع فرومنتيوس واخوه ينشران فيهم الايمان المسيحي . وبعد زمان عاد ايديسيوس الى صور وسيم قسيساً ، اما فرومنتيوس فقدم الاسكندرية وحمل الى مار اثناسيوس الرسولي بشرى استعداد تلك الامة الى اعتناق النصرانية وسأله ان يوفد اليهم اسقفاً . فلم يرَ القديس اليق من هذا الرجل الصالح الهمام للنهوض بعبء هذه الرسالة الخطيرة ، فسامه اسقفاً حوالي سنة ٣٤١ او ٣٤٦ فانكفأ الى الحبشة . وحظي عند الملك الشاب والاهالي باكرم منزلة . فدعا الى النصرانية فيها جهراً فتنصر الملك وخلق عظيم من الحبوش وفاز بنجاح باهر ، واصبحت كنيسة الحبشة خاضعة للكرسي الاسكندري . وقال روفينس انه سمع هذا الخبر من اديسيوس نفسه . وحين مضى مار فرومنتيوس لسبيله بعد سنة ٣٥٧ كان في ايتيوبيا بفضل جهوده ، كنيسة عظيمة ظلّت امينة على حفظ الجوهرة الارثدكسية مدة اضطرابات الاريوسية كلها .

وفي اواسط القرن الرابع ايضاً ذهب مبشرون الى بلاد سبأ (اليمن) ودعوا فيها الى النصرانية بعد التبشير الرسولي القديم .

الفصل السادس عشر

في جثالقة المشرق ورفاقهم الشهدآء وافرهاط الفارسي

سنة ٣٤١ — ٣٤٦

من مفاخر بلاد المشرق واجلآء الجثالقة الذين تميّزوا بالصلاح والبسالة في سبيل الدين ، القديسون شمعون وشاهدوست وبربعشمين . ومولد مار شمعون في المدائن وقيل في شوشان ويعرف بابن الصبّاغين (برصبّاعي) ويسميه مؤرخو اليونان والقبط واللاتين مـار سمعان الفارسي . وكان ابوه حظياً عند شابور الثاني ملك الفرس ، وأقيم شمعون رئيس شمامسة فأحسن السيرة . ثم خلف فافا جاثليق سلبق وقسطفون سنة ٣٢٩ فوضع عدة انظمة في البيعة وأمر بتلاوة الصلاة في الكنيسة بين فوجين على سنة كنيسة انطاكية ، وقسم مزامير داود النبي الى قِطَع (مراميث) يتخلّلها لفظة هللويا ونظم بعض الاناشيد السريانية الحلوة . وكان الملك قد فرض عليه جباية الجزية مضاعفةً من رعيته ، فابى الجاثليق الشهم قائلاً : ليس هذا

من شأني . فاتخذ شابور من جوابه حجة زاعماً انه يحمل شعبه على نشر لواء العصيان عليه ، وغضب وامر بهدم الكنائس سنة ٣٤٠ فدمّروا كنيسة المدائن . واستدعي مار شمعون وغيره من الاساقفة والقسوس الى باب الملك في ميدان ليدان في الاهواز . فأمره بالسجود للشمس والنار ، ولدن اباه القاه في السجن مع خمسة اساقفة وهم جدياب وسابينا اسقفا بيت لافط ، ويوحنا اسقف هرمزد اردشير وبوليداع اسقف فرات ميشان ويوحنا اسقف كرخ ميشان وسبعة وتسعون قسًّا وشماساً وكوشتازاد رئيس الموالي . فقدّسوا الذبيحة الالهية على ايديهم في خميس الفصح . ولما رآهم صليبي العود شديدي الاعتصام بدينهم ، أمر بجزّ رؤوسهم . فسيقوا الى ظاهر المدينة نحو الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة ، وانبرى الجلاّدون يضربون اعناقهم عشرة فعشرة ، والجاثليق القديس يشجّعهم حتى صار مسك ختام تلك الضحايا المقدسة ، نحو الساعة التاسعة في السادس من شهر نيسان عام ٣٤١ ودفنت اجسادهم الطاهرة في مدينه ليدان .

(٢) وبعد ثلاثة اشهر سيم الجاثليق شاهدوست ،

وكان رأس شمامسة سلفه ، وأصله من بعض بلاد باجرمي او من مدينة السوس . ولما مضت له سنة وبعض شهور ، رأى في الرؤيا سلّماً نورانية قائمة على الارض ورأسها يصل الى السماء ، وفي اعلاها مار شمعون يكتنفه بهاء ومجد عظيم وهو يدعوه قائلًا : « اصعد اليّ يا شاهدوست ولا تخف فاني بالامس صعدت وانت اليوم » وفي تشرين الاول سنة ٣٤٢ قبض شابور عليه ومئة وسبعة عشرة نفساً من قسوس وشمامسة ورهبان ورواهب ، وبعدما اعتقلوا خمسة اشهر استشهدوا في سبيل الدين في سليق ٢٠ شباط عام ٣٤٣ واما الجاثليق ففاز باكليل الشهادة في مدينة لافط .

(٣) فخلفه بربعشمين ابن اخت مار شمعون (ومعنى اسمه السرياني : ابن رب السموات) واصله من باجرمي . وسيم جاثليقا في منزل بعض المؤمنين خفيةً ، وسام اساقفة وقسوساً سرًّا واشار اليهم ان يتزيوا بزيّ العالميين اخفاء لامرهم . وفي شباط سنة ٣٤٥ أوقف وستة عشر كاهناً وشماساً وراهباً وكبّلوا بالقيود وطُرحوا في السجن ، ثم أخذوا بحد السيف لرفضهم اعتناق المجوسية في ٩ من

كانون الثاني عام ٣٤٦ وبلغ الاضطهاد غاية الشدّة .

واليك اسماء القسوس الذين استشهدوا مع مار شمعون ، كهنة سليق الاثنا عشر : عبد هيكلا وحنانيا (حنينا) وقيوما وبدبوي وبولس وزيزي ، وبولس ونقيب اذنا (عبد رقيق) واسحق وهرمز وهبلاها (عطاالله) وبدما . وعشرة قسوس بلاد الاهواز : اندراوس وعبد زخيا ويوسف وابرهيم واندراوس ، وابرهيم وبرحذبشابا ونقيب اذنا وشمعون ويوحنا . والذين تكللوا مع مار شاهدوست يرجح انهم كانوا كهنة ماحوز الآراميين وهم : شيلا وبرحذبشابا وتيري وشيلا وعبد يشوع . والفائزون بالشهادة مع مار بربعشمين ، قسوس سليق الثمانية : يعقوب وادى ونوخرويا (غريب) وشطرا (سَنَد او قِسْم) وابرهيم واسحق وصريفا (المصفّى) وماري .

ورد ثبتها مع اسماء اساقفة وقسوس وشمامسة مجموعها مئة واربعة في الكلندار السرياني المخطوط سنة ٤١١ وهو في الذروة القصوى من الصحة والاعتبار . وفي هذا الزمان عُرف افرهاط الحكيم الفارسي . ولد مجوسيًا فتنصر وتهذب وترهب ، ويظن انه سيم اسقفاً لاحدى ابرشيات

بلاد الفرس ، ومضى لسبيله بعد سنة ٣٤٦ وصنف بانشآ متين سلس مُشرق الديباجة نقيّ من العجمة ، كتاباً ضخماً وسمه بالبراهين ، وهو اول كتاب سرياني ديني وصل الينا . ويشتمل على ثلاث وعشرين موعظة وضعها بين سنة ٣٣٦ — ٣٤٥ في الايمان والصيام والصلاة وقيامة المسيح والمحبة . والحروب والرهبان والتائبين والتواضع والفصح والتمييز بين الطعام ، وآلام المسيح والبتولة والصدقة والاضطهاد والموت ، وهي جدالية ردّ بها على اليهود ونقض الختان والسبت وفيها ما يشعر بشدة شابور الثاني ، وله مقال آخر اسماه العنقود وقد نقد أحد علمآء البيعة بعض آرائه .

الفصل السابع عشر

في شهدآء بلاد الفرس منذ سنة ٣٢٧ واسباب الاضطهاد الاربعيني

لم تخلُ النصرانية في مملكة الفرس المعروفة ببلاد الآراميين ، من اضطهادات مكانية منذ بدآءة امرها ،

لان المجوسية ديانة تلك البلاد لم تكن تحتمل مزاحمة الدين المسيحي لها ، وما عدا من ذكر في اخبار كنيسة حدياب ، جاء في الكلندار القديم اسماء الشهداء (٤) آبا ودلي واربعة آخرين ، وآدلفوس وغايس في نصيبين .

وفي السنة العشرين لشابور الثاني قتل (٥) في ولاية ارزون تسعة شهداء وهم زبينا ولعازر وماروث ونرسي وايليا ومهري وحبيب وسابا (الشيخ) وشيمبيته ، والقسيسان الاخوان يونان وبريخيشوع (مبارك يسوع) ونكّل بهذين افظع تنكيل ضرباً موجعاً وتقطيع اعضاء ونشراً بمنشار ونخزاً بقصب حادّ وسكب زفت و كبريت في الفم سنة ٣٢٧ (٦) والقس بوداي الشيخ و ضُرب ضرب التلف حتى تناثر لحمه ففاظت نفسه عام ٣٢٧ (٧) ومار يوحنا ومار شابور ومار اسحق اساقفة كرخ سلوخ (كركوك) وست رواهب سنة ٣٩٣

واما الشدة العظمى التي نزلت بالمؤمنين ، فهي التي ابتلاهم بها شابور الملك الطاغية ودامت اربعين سنة (٣٣٩ – ٣٧٩) فعرفت بالاضطهاد الاربعيني ، في مدينة ليدان واقاليم بابل والاهواز وباجرمي وحدياب ونينوى

وغيرها . والسبب في ذلك انه طالب الرومانيين بالولايات الخمس الفارسية التي ضبطها غاليريوس منذ زهاء اربعين سنة ، فتجهّز قسطنطين الكبير للحرب وحلّت آنئذ وفاته ، فخلفه في الشرق ابنه قسطنس . فزحف شابور سنة ٣٣٨ على نصيبين وحاصرها ففشل بدعاء اسقفها القديس يعقوب وحكمته ، وانقلب الى بلاده خازياً حنِقاً على النصارى بغضة لملوك الروم وخوفاً من ميل المسيحيين اليهم . فابرز اوامره باضطهادهم وهدم بِيَعهم ، وكتب بذلك الى المرازبة والعمّال . ونهض الموابذة وكهّان المجوس يعاونونهم بقلوب مريضة وصدور نغِرة ، وقام اليهود ايضاً بقِسطهم من الخبث نبشاً لدفائن احقادهم على النصرانية وكذلك المانويّون كشفوا ما كانوا يبطنون لها من غِلّ . ومضى شابور يرهقهم بمضاعفة الخراج عام ٣٣٩ استدراكاً لفراغ خزائنه وسدداً لنفقات حروبه ، وألزم الجاثليق مار شمعون بجبايته فأبى وأحرز وخليفتاه اكليل الشهادة في عدد كبير على ماعلمت ، وعمّت الشدة وتفاقم الخَطْب ، فأثبت المسيحيون الشرقيون انهم ليسوا دون اخوتهم الغربيين بطولةً وحماسةً لدينهم المُبين . واستشهد خلق

لا يحصى عـدده من طبقات المؤمنين يتقدمهم اساقفة وقسوس وشمامسة ورهبـان ورواهب ونذيرات لله . وحكى سوزمين ان الذين عُرفت اسماؤهم كانوا نحواً من ستة عشر الفاً . وروى بعض المؤرخين الشرقيين انهم بلغوا في دير الاحمر وباجرمي ونينوى والمرج نحواً من مئة وستين الفاً ، وعُـدّ شهداء اقليم بابل وحده زهـاء مئة وثلاثين الفاً . واعتنى كتّاب فُرس وسريان من الرها بكتابة اخبارهم ، ولكن كثيراً منها جمعه ودوّنه القديس ماروثا اسقف ميافارقين بالسريانية في العقد الاول من القرن التالي ، بانشاء هو طُرفة الفصاحة .

الفصل الثامن عشر

في شهداء الاضطهاد الاربعيني حتى سنة ٣٥٦

اشهر شهداء هذا الاضطهاد بعد من ذكرنا :

(٨) فوسي رئيس صناع بلاد فارس شُقّ قذاله وسُلّ لسانه ، وذُبحت ابنته العذراء ماري ذبح النعاج في ٧ نيسان سنة ٣٤١ (٩) بضعة آلاف شهيد من مؤمنين

ومؤمنات وقسوس وشمامسة ورهبان ورواهب من اماكن مختلفة ، سيقوا الى الذبح في ميدان ليدان فساروا الى منقع العذاب وهم يرتّلون المزامير والاناشيد ترتيلاً ، وذلك طوال اسبوع القيامة من السنة عينها . ولم يتمكن احد من تدوين اسمائهم وانما عرف منهم أمريا ومقيم اسقفا بيت لافط والقس هرمزد الشوشتري ، وازاد مولى الملك الذي آمن فوراً فقتل (١٠) تربو اخت مار شمعون وشقيقتها وتلميذتها وُسِّطت اجسادهن سنة ٣٤١ (١١) مار ميليس وكان يبشر نواحي سوس وعيلام وسيم اسقفاً قبيل سنة ٣١٧ واتحف مار يعقوب النصيبيني بثياب حريرية لنفقة البيعة التي كان يبنيها ، سُجن وتلميذاه القس ابورسام والشماس سيناي سنةً ونُكّل بهم . ثم ضرب الاسقف بحدّ السيف ورُجم تلميذاه سنة ٣٤٢ (١٢) برشبيا رئيس احد الاديار ورهبانه العشرة ، وشي بهم الى حاكم اصطخر فأمر بتكسير ركبهم وسيقانهم واجنابهم بالمطارق ثم قتلوا مع مجوسي آمن حينئذ عام ٣٤٢ (١٣) القس دانيال والراهبة وردة مُزّقت مفاصلهما وقطع رأساهما في بلد رزايق مع ثمانية قسوس من باجرمي

وهم : ابو وابرهيم وبطرس وبمباق وسوسي وباباوساسان وبارس سنة ٣٤٣ (١٤) مار نرسي الشيخ اسقف شهرقرت وتلميذه يوسف وشهدآء كثيرون في باجرمي ، منهم اسحق قسيس قرية حولسار الذي رُجم ، وفافا قسيس قرية حلمين واوهنام الكرخ سلوخي الراهب الفتى ، وساسان وزرون ونوح وطيما من لاشوم ، وسيدة نبيلة من كرخ سلوخ اسمها باعوثة وتقلا وداناق ، وكوشتازاد الحاجب ، وحوى الكلندار ايضاً اسمآء بيبا وماري وشمعون وفافا قسوس حولسار سنة ٣٤٣ (١٥) مار يوحنا ابن مريم اسقف اربيل الذي خلف شريعا عام ٣١٦ ونصّر خلقاً كثيراً من الوثنيين واليهود فأبغضه الاعدآء وقصدوا قتله فاستخفى في الجبال وأدخل خرافاً عديدة الى حظيرة المسيح . فحبس وقسيسه يعقوب الغيور ونُكّل بهما فاصطبرا ، وقُتل خلق من الرجال والنسآء وصُلب القس نرسي والشماسان حنانيا ورحيما (محبوب) ولم تزل السيوف ترتوي من دمآء المسيحيين مدة سنة ، ثم قُتل الاسقف والقسيس بحد الحُسام في بيت لافط سنة ٣٤٤ (١٦) مار ابرهيم اسقف اربيل ، سيم اثنآء اعتقال سلفه واستشهد في قرية

تل نياحا في ٣ شباط عام ٣٤٥ وخلفه الاسقف موران زخا (ربّنا غلب) حتى سنة ٣٧٣ وظلّ سيف الاضطهاد ممتداً فوق الاعناق في اقليم حدياب حتى سنة ٣٥١ (١٧) مئة وعشرون شهيداً من المدائن وضواحيها وفيهم كهنة وشمامسة ورهبان ورواهب ، اعتقلوا ستة شهور وكانت تسدّ حاجهم سيدة اربلية فاضلة اسمها يازداندوخت واستشهدوا في ٦ نيسان عام ٣٤٥ (١٨) حنانيا الاربيلي جُلد بالمطارق ثلاثاً سنة ٣٤٦ (١٩) يعقوب قسيس قرية تلا شليلا (حدياب) واخته مريم الراهبة ضربا بالعصي ثم بالسيف عام ٣٤٧ (٢٠) الراهبات تقلا ومريم ومرتا ومريم وإمّا استشهدن في حزّة سنة ٣٤٧ (٢١) برحذبشابا شماس اربيل اذاقه الحاكم ألوان العذاب وحزّ رأسه عام ٣٥٥ (٢٢) ايثالاها الكاهن الوثني شفي من داء عقيم فتنصر واستشهد مع الشماس حبساي سنة ٣٥٦ (٢٣) مار عبدا اسقف فرات ميشان ومار بولس اسقف كشكر وهرمزد او (هرمن) اسقف حلوان ولونجين قسيس مشكاني ، وستقف على بقية الشهداء في موضعها .

الفصل التاسع عشر

في مار بولس المعترف اسقف القسطنطينية ٣٤٧ +

سنة ٣٣٧ توفي القديس الكسندروس اسقف القسطنطينية شيخاً هِمًّا وقف على ابواب الثماني والتسعين من عمره ، فسيم مكانه الاسقف بولس التسالونيقي وكان حبراً ارثذكسياً تقياً وعالماً . واذ تم هذا والقيصر غائب ، سعى اوسابيوس اسقف نيقوميدية ، بما هو عليه من المخاتلة والمشاغبة ، في عزله في مجمع من اصحابه ، ونال من قسطنس امراً بنفيه الى مدينة تريف ، وتولى هو مكانه في اواخر عام ٣٣٨ او اوائل ٣٣٩ وعند هلاكه في اوائل سنة ٣٤٢ أعاد الشعب الاسقف بولس الشرعي الى كرسيه . ولكن الاريوسيين عاكسوه باقامة مقدونيوس المبتدع . وقامت فتنة قتل فيها نحو من ثلاثة آلاف نفس ، منهم القائد هرموجين الذي اوفده القيصر لحفظ النظام والسهر على الامن . فعاد قسطنس الى العاصمة غضِباً ، ونفى بولس ثانية الى مدينة سنجار في مابين النهرين ، ولم

يثبّت انتخاب مقدون لكنه اذن له بالصلاة في الكنيسة التي قلّد فيها ، على انه تمكن من اغتصاب الكرسي بطرق وحشية .

اما مار بولس فنقل الى جبل قبادوقية وقيل الى مدينة كوكوزه ، وحاولوا اولاً اذاقته الموت الأغبر واذ طال اصطباره على هذه الحال ، أمر فيلبس رئيس حرسة القيصر بخنقه بعد سنة ٣٤٧ بمديدة فسُجّل اسمه مع الشهدآء لانه ذهب ضحية ايمانه القويم وبسببه ضغن عليه الاريوسيون ، وقال مار ميخائيل الكبير ان مدّته كانت سنتين . ثم امر القيصر ثاودوسيوس الكبير بنقل رمّته من كوكوزه الى العاصمة .

الفصل العشرون

في النسك والرهبانية ومار بولس اول الحبسآء ٣٤٧ +

طريقة النسك والرهبانية هي الزهد في الغالب في كل ما راق من الدنيا ، والانصراف الى طلب الآخرة بجهاد النفس ومصارعة فواتك الاهوآء والتحلّي باكمل

الفضائل المسيحية . ومن شرائطها التبتّل وتأدية فرائض الله والقيام بوظائفه بالصلوات والاصوام والنظر في كتابه والتروّض الروحي وحمل الصليب بلوغاً الى الكمال الانجيلي، وهي طريقة قديمة في النصرانية وُجد منذ صدرها ابيلون وابيلات لزموا انفسهم بهذه الامور ، فتبتّلوا وتعبّدوا وتهجّدوا وكانوا يقيمون في البلاد والقرى افراداً او مجتمعين اثنين او ثلاثة ، وذكر العلامة ابن العبري انها عرفت بعد الصعود بمئة سنة .

واما طريقة الانفراد في البراري والقفار فبدأت في المئة الثالثة في مصر موطن الرهبانية ، واوّل من نشّم بها على الثابت ، القديس (بولا) المصري اول الحبساء وكتب سيرته الانبا هيرونيمس اخذاً عمّا رواه القديس انطونيوس . ومن امره انه ولد حوالي سنة ٢٣٤ مسيحياً وتربى في عيش رغد ودرس آداب اليونانية والقبطية وكان وديعاً شديداً حبّه لله ، وقيل ان صهره الوثني عزم على السعاية بـه الى الوالي طمعاً بماله ، فهجر الدنيا ابّان شدة داقيوس لاجئاً الى بيت في البريّة ، ثم توغّل في القفر والجبال غـير مستوحش منها حتى بلغ مغارة في الجبل

الشرقي فيها عين ماء وشجرة نخل فأقام ثم يقتات من ثمرها ويكتسي من نسيج ورقها ، وأخلص العبادة لله معموراً قلبه بذكره متوفراً على تسبيحه وتحميده في وحدة وصيام نحواً من تسعين سنة حتى زاره بالهام رباني عام ٣٤٧ القديس انطونيوس منشىء طريقة النسك المنفرد ، فتفاوضا مفاوضة روحية وسمع منه جليّة خبره ودنوّ أجله . فغمه الامر وذرف عليه عند وفاته دمعاً غزيراً وصلّى عليه وكفّنه بعباءته ، وأودعه لحداً حفره اسدان ساقهما الله اليه ، وأخذ قميصاً من خوص كان عليه . ورجع الى تلاميذه فحكى لهم ما عاينه وسمعه من أمر القديس الذي عمّر نحواً من مئة وثلاث عشرة سنة .

الفصل الحادي والعشرون

في الانبا باخوميوس منشىء الرهبانية المجتمعة في الاديار

سنة ٣٤٨ +

ولد باخوميوس وثنياً في طيبة العليا من بلاد الصعيد بمصر سنة ٢٩٢ وتجند في عسكر مكسمينس دايا ، فعاين

من برّ المسيحيين بالجنود ما دعاه الى بحث النصرانية فتعلقت بها نفسه فاعتنقها مؤمناً . ثم بدا له رفض الدنيا فنفض غبارها عن قدميه وتنسّك ولبس الصوف واهباً لله قلبه ، وتلقّن العبادة والتمرّس بالفضائل من ناسك اسمه افلامون ، روّضه في هذه الطريقة حتى أوحى الله اليه فأنشأ ديراً في مكان طبنّسي عام ٣١٨ وقيل ٣٢٥ فوافاه طلاّب الزهادة يتتلمذون له وازداد عددهم مع الايام فعلّمهم فرائض الله، وسنّ لهم رسوماً تلقّنهم التقى والاخذ باسباب الفضيلة والطاعة والاحتمال للمكروه . ولقّنهم ذلك بمثاله واعماله قبل اقواله، فطابت نفوسهم عن الاهل والولد والوطن والمال، وتزودوا من الصلاح خلالاً كفتهم في كل وجه وآنستهم في الغربة . وبنى بيعة في الدير وبيعة في قرية طبنّسي برأي سرابيون اسقف توميس ، لهداية رعاة المواشي الوثنيين وكان يقرأ عليهم كتاب الله فتنصر خلق منهم . وفي سنة ٣٣٣ زار البطريرك اثناسيوس كنائس الصعيد وبلغ طبنّسي فاستقبله مار باخوميوس ورهبانه بحفاوة بالغة ، ولم يزل يبني اديراً حتى بلغت التسعة ، وانتهى عدد رهبانه الى الثلاثة ثم التسعة آلاف

كل ثلاثة منهم ينفردون بصومعة . وسمعت اخته اخبار قداسته فمرّت على غراره ووقفت على آثاره ، فبنى لها ديراً للرواهب .

وحكى الاسقف بلاديوس ، انه وجد في العقد الاخير من المئة الرابعة في بعض اديارة ، خمسة عشر خياطاً وسبعة حدّادين واربعة نجارين واثني عشر جمّالاً وخمسة عشر قصّاراً ، ومنهم من كان يشتغل في الدباغة او الحراثة او زراعة البقل او الاسكافية او ضفر السلال او نسخ الكتب ، وكانوا يتعلمون الكتب المقدسة عن ظهر قلب ، ووجد في دير النسآء نحواً من اربعمائة راهبة .

وزيّن الله عبده باخوميوس بموهبة المعجزات وكشف انبآء المستقبل وألّف بعض رسائل . وفي سنة ٣٤٨ بُليت مصر بوبآء مات فيه جم غفير من الرهبان ومنهم القديس المترجم . وقبيل رقاده جمع رهبانه وحثهم على التقيّد بالقوانين ولاسيما الطاعة . وانتقل الى جوار ربه وهو في ذيل الكهولة وبادئة الشيخوخة وعمره ست وخمسون سنة ، وقام مقامه تلميذة ثاودورس . ودامت رهبنة مار باخوميوس زاهرة في الشرق حتى المئة الحادية عشرة .

الفصل الثاني والعشرون

في مفاسد الهرطقة الاريوسية وأطوارها

شهد البلاط القسطنطيني القيصري سنة وفاة قسطنطين الكبير ، احداثاً محزنة في الاسرة المالكة ، صُرمت فيها حياة نفر عزيز ، فلم تنم فيها هموم القيصر ، وحين مضيّه الى ربّه رأت الامبراطورية الرومانية ، وهي لم تجد لامرها أعفّ منه وأوفى وأمجد وأصلب عوداً وأصرمَ للامور ، فراغاً في سياسته وبُعد همته وثقوب فراسته ونُبل شيمته . ومن نكد الدهر ان لم يخلفه من اولاده الثلاثة من ورث شيئاً منها . ومما زاد الطين بلّة ، تورّط ابنه قسطنس في اوحال الاريوسية ، فتمكن من بلاطه اوسابيوس النيقوميدي الداهية الذي شابت على المكر مفارقه ، وصُبغت بـه خلائقه فأضمر في نفسه تقويض بناء المجمع النيقاوي .

وانقسمت الاريوسية الى حزبين ، حزب مُغالٍ وهم الاريوسيون الاقحاح ، وحزب وسط وهم أنصاف

الاريوسيين . وهذا ايضاً انشطر شطرين ، الشطر الايمن ورأسه اوسابيوس الذي قبل دستور نيقية مبدّلاً جملة « المساوي في الجوهر » بلفظة « الشبيه » والشطر الايسر الذي رفض اللفظين . على ان هذين الحزبين تواطئا على مناهضة الارثدكسية ، وعلى هذه الطريقة ناضلت الاريوسية وعلت يومئذ كلمتها ، وابتُليت الكنيسة بانقسامات مريبة زهاء ثلاثين سنة ، فكأنها بذلك تمهّد الطريق الى الانعكاس الوثني اليوليانى ، رغماً عن اعادة ابناء قسطنطين الاساقفة المنفيين الى كراسيهم انجازاً لمقاصد والدهم .

وكان الاريوسيون يريدون الاستفادة من احتمال بعض التعابير اللاهوتية معنى التبسّط هرباً من دستور نيقية ، والاستيلاء على اكبر عدد من كراسي الاساقف واستمالة اساقفة الغرب اليهم . فولّوا بيسطس احد تلامذة آريوس كرسي الاسكندرية . واستعانوا برئيس البلاط اوسابيوس وعدة سيدات ربّات نفوذ وبالقيصرة ، منعاً لتدخل القيصر . وبعثوا الى يوليوس رئيس اساقفة رومية وفداً حاملاً اعمال مجمع صور في عزل اثناسيوس ، اما هذا

القديس فكان يراسل اساقفة مصر قاطبة ويبعث الى يوليوس نسخة قرارهم ، وأقام امام خصمه بيسطس اكثر من سنة . وفي تلك الاثناء كان اوسابيوس الذي تسقف اولاً على بيروت ثم انتقل الى نيقوميدية ، ورد العاصمة يعلّم اثنين من اولاد الاسرة المالكة . فعند نفي مار بولس اسقف القسطنطينية انتقل الى كرسيه . واذ ساءت الامور في الاسكندرية عُزل بيسطس بغريغوريوس القبادوقي وسيم في العاصمة . فقاوم الارثدكسيون دخوله الى الكنيسة وقامت فتنة عمياء جرى فيها الدم ، فاحتج اثناسيوس بحزم وعزم لدى اساقفة العالم فاضحاً اوسابيوس صاحب هذه الفتن . وخرج من مصر نفياً وبلغ رومية بعد عيد الفصح بمديدة عام ٣٣٩ وأقام ايضاً اهل البدعة اقاق الاريوسي خلفاً لاوسابيوس القيصري سنة ٣٤٠ وكان مشاغباً ثم ألف شيعة صغيرة عُرفت باسمه .

الفصل الثالث والعشرون

في مساعي ائمة الارثدكسية ازاء فتن الاريوسية

عند وصول اثناسيوس الى رومية ، واطّلاع يوليوس

على رسائل الاوسابيين ، دعاهم الى حضور مجمع عزم على عقده فأغلظوا له في الجواب . فعقد مجمعه في رومية عام ٣٤٠ وتبرّر اثناسيوس ومرقلّس ، وكتب يوليوس الى الشرقيين بذلك رسالة جليلة ففشل الاريوسيون ولكنهم لم ييأسوا . وفي صيف سنة ٣٤١ اجتمع في انطاكية سبعة وتسعون اسقفاً شرقياً لتكريس كنيستها المذهبة وتدشينها . وكان فيهم عصبة من أنصاف الاريوسيين من ارباب الذكاء والدهاء والنشاط كالنيقوميدي ، فسنّوا خمسة وعشرين قانوناً تهذيبياً خليقة بالاعجاب ، عدا قانونين منها قصدا بهما مناوءة اثناسيوس . وألّفوا ثلاثة دساتير ايمان عقبها دستور رابع وكلها خالية من جملة « المساوي في الجوهر » وبعد مدة يسيرة مات اوسابيوس الطموح المشاغب ، وقد عرف بدهائه ان يجمع بين الحظوى عند القيصر والصداقة للهراطقة والاتصال بيوليوس .

وارسل الشرقيون الى قسطنت قيصر الغرب وفداً حاملاً دستور ايمان انطاكية . فشاور القيصرُ اثناسيوسَ لعقد مجمع عام بتراً لحبل المنازعات ، فارتضى هو ويوليوس واختارا له مدينة سرديقي (صوفيا في بلغاريا) فعُقد في

اواخر سنة ٣٤٣ في قصر المدينة ، وحضره مئة وسبعون اسقفاً يمثّلون خمساً وثلاثين ولاية في ما ذكر اثناسيوس ، منهم اربعة وتسعون اثد كسيون وستة وسبعون يمثلون الحزب الاوسابي ، وفيهم اقاق القيصري ومرقس الرستني وباسيل الانقروي ومقدون القسطنطيني . ورئس المجمع اوسيوس الشيخ اسقف قرطبة ، وناب عن يوليوس قسيسان . واشترط الاوسابيون اخراج الاساقفة المحكوم عليهم في مجامع سلفت ، فأفرغ اوسيوس جهده في اقناعهم بالعدول عن ذلك فلم يفلح . ثم تظاهروا بالتوجه الى قسطنس لتهنئته بفوز ناله على الفرس ، وبارحوا سرديقي ليلاً . اما الارثد كسيون وانضم اليهم مقاريوس واستيريوس اسقف بطرا ، فباشروا العمل وحدهم . وتليت اضبارات الشكاوي على اثناسيوس ومرقلس ، فطعن فيها المجمع وأعلن برآءتهما وبرآءة اسقليبياس اسقف غزّة ، وحرم اقاق القيصري ورؤساء الحزب الاوسابي . ووضع قوانين لاسيما حق استئناف الاساقفة المشتكى عليهم دعاويهم . وفي الوقت عينه اجتمعت الفرقة المارقة في فيليبوبلي (ثراقية) وعندما نشر اباء سرديقي رسائلهم الثلاث الى يوليوس

و كنائس النصرانية ولاسيما الاسكندرية ، ظهرت رسالة اساقف فيليبوبلي وذكروا انهم كتبوها في سرديقي ايهاماً للناس ، ناطقة بحرم اثناسيوس ومرقلس واوسيوس ويوليوس وكل من استأنف دعواه الى رومية . فقابلهم الرأي العام عند عودهم اسوأ مقابلة لوماً وتعنيفاً لاعتزالهم اخوتهم ، فاستعانوا بالقيصر فنفى لوقيوس اسقف ادرنة مكبّلاً بالاغلال الى اقصى ليبية وتوفي في منفاه ، ومقاريوس واستيريوس ، وقتل عشرة عملة لشتمهم اياهم . على انه بدّل بعض موقفه بتأثير شقيقه وعقد مجمع في انطاكية حوالي عيد الفصح عام ٣٤٤ حكم فيه على اسقفها اسطيفانس الاريوسي ، لمؤامرة اثيمة دبّرها تشويهاً لسمعة اسقفين غربيين مندوبين من مجمع سرديقي الى القيصر ، ووضع قانون ايمان جديد مسهب اقرب مما سبقه الى الارثدكسية ملمّحاً الى معتقدات مرقلس وفوتينس الصحيحة او المفترضة ، وكان فوتينس هذا انقروي الاصل شماساً وتلميذاً لمرقلس وأُسقّف على سيرميش (سيرميون) وابتدع سنة ٣٤٢ تعاليم غريبة في الثالوث والمسيح تقرب من اضاليل السميساطي وسابليوس . فحرمه مجمع ميلان

في اواخر هذه السنة او اوائل سنة ٣٤٥ على ان اثناسيوس كان قد قطع كل علاقة له مع مرقاس ، واعاد قسطنس رجال اكليروس الاسكندرية المنفيين الى وطنهم ، وعند هلاك غريغوريوس الدخيل في ٢٥ حزيران سنة ٣٤٥ اعاد اثناسيوس الى كرسيه فدخل الاسكندرية بعد نفي ست سنين في ٢١ تشرين الاول عام ٣٤٦ باستقبال حماسي رائع انشرحت له الصدور ووجدت به برد السرور ، فمضى يواصل جهاده المحمود عن الارثدكسية ، بالمجمع الذي عقده فوراً في الاسكندرية والتآليف التي دبّجتها حينئذ يراعته .

الفصل الرابع والعشرون

في القديس يوليوس رئيس اساقفة رومية ٣٥٢ +

القديس يوليوس البابا الروماني من اقطاب احبار بيعة الله الذين عُرفوا بسداد البصيرة في المئة الرابعة ، وُلد في رومية ونشأ خير منشأ وكان فاضلاً رشيداً يرجع الى نقائب ميمونة . وذهبت له في الوَرَع شهرة مستفيضة ، فوضع تاج الاختيار على رأسه لرئاسة البيعة الرومانية في ٨ شباط

سنة ٣٣٧ فساس كرسيه خمس عشرة سنة وثلاثة وستين يوماً ، بحزم وعزم جديرين بجِلّة الاحبار الصالحين ، وامانة وفطنة خليقتين باساطين الدين . وتجلّى فضله في استمساكه من المعتقد النيقاوي السديد بعُروة وثيقة ، وثبت من الاستقامة على بصيرة وحقيقة ، انتصاراً له ولحاميه اثناسيوس بطل الارثدكسية وكان به حفياً وله وفياً . وترامت همّته الى عقد مجمع برئاسته سنة ٣٤٠ حضره اساقفة ظلمهم الاريوسية ، من ثراقية وآسيا الصغرى وسورية وفينيقية وفلسطين ، وانتصر فيه اساقفة الغرب اللاتينيون للحقّ .

ومن صدق فراسته ، وقوفه من انقسام القيصرين الاخوين قسطنطين الثاني وقسطنت اجمل موقف ، وانتهى الامر بمقتل الاول وخلوّ جوّ الغرب كله للثاني . ووافق على عقد مجمع سرديقي وأناب فيه القسيسين ارشيدامس وفيلكسين ، ولكن هذا المجمع فاته هدَف السلام المنشود كما رأيت . وزيّن رومية بانشآء بيعتين فيها ، وأضاف اليها ثلاث مقابر ، وسار الى جوار ربه محموداً سعيه مذكوراً بالخير فضله في ١٢ نيسان عام ٣٥٢ وحفظ

منه رسالتان ، احداهما رسالته الى الاساقف الشرقيين وقد اشتمل عليها كتاب اثناسيوس في الاحتجاج على الاريوسيين . وهو أحد اعلام البيعة الجامعة القديسين الذين تعترف بفضلهم وتخلّد ذكرهم ، وعندنا ليترجية سريانية تُنسَب اليه .

الباب السادس

في اخبار الكنيسة منذ سنة ٣٥٢ حتى المجمع الثاني سنة ٣٨١

الفصل الاول

في نصرانية العرب في القرن الرابع

يراد بالبلاد العربية ، بادية الشام اي بُصرى وحوران وعمّان والصفا واللجا وجولان وعبر الاردن ، وبلاد النبطيين وعاصمتها بطر (سلع) (١) وجزيرة سينا والحجاز

(١) اختلفوا في اصل انباط بطرا وتدمر أهم عرب ام آراميون .

وتهامة واليمن (سبأ) وحضرموت وعُمان والبحرين واليمامة ونجد والحِيرة وبادية تدمر (بين الشام والكوفة وتعرف ببادية السماوة) وديار ربيعة في الجزيرة (ما بين النهرين) وكانت منازل قبائل كثيرة من العرب .

ومرّ بك آنفاً خبر دخول النصرانية في بعض منها بدءاً من بادية الشام وذكر اوسابيوس (١٢:٨) ان شهداءها كانوا في شدّة ديوقلطيان يقطّعون باطبار ذوات حدّين . وازداد انتشار النصرانية فيها في المائة الرابعة فبنيت كنائس عديدة في سائر انحائها وارسلت بلادها ستة اساقفة الى مجمع نيقية . وفي تلك الاثناء تنصّر اهل بطرا فقال اوسابيوس في شرح الآية ١١ من الفصل ٤٢ من نبوة اشعيا « اننا شهدنا تحقيق هذه النبوة وقد بنيت كنائس المسيح في ايامنا في مدينة الصخرة (بطرا) وفي ضواحيها وبواديها الشرقية » ووجد الباحثون العصريون اطلال كنائس في عبر الاردن ترقى الى القرون الاولى المسيحية ، وكانت جدَر وهي (امّ قيس) كرسياً اسقفياً منذ سنة ٣٠٧ وحضر مجمع نيقية اسقفها سابينوس ، وبطرس اسقف مدينة أيلة (قلعة العقبة) في جزيرة سينا ، وشهد استيريوس

اسقف بطرا مجمعي سرديقي عام ٣٤٣ والاسكندرية ٣٦٢ وبطرس اسقف هيب (خربة السمرة) بمجمعي سلوقية وانطاكية سنة ٣٥٩ و٣٦٣ وقال سوزمين « تنصّر خلق كثير من العرب (ولم يعيّن بلادهم) قبل زمن واليس (٣٦٤) لما عاينوه من قداسة الرهبان والكهنة العائشين في جوارهم والمعجزات التي اجترحوها وما سمعوه من انذارهم ، منهم قبيلة كبيرة يسمى زعيمها ضجعم . وجاء في سيرة الانبا هيلاريون رأس نسّاك فلسطين انه حوالي سنة ٣٥٠ اختط كنيسة في بلدة الخلّصة في البرية جنوبي بحيرة لوط ، لاهلها العرب الذين آمنوا وحادثوه بالسريانية (اللغة الشائعة يومئذٍ في فلسطين) ولما انذر ثاوفيلس السيلاني الهندي الاريوسي في بعض بلاد اليمن نصّر ملكها (الهدهاد ؟) وبنى ثلاث بيع احداها في مدينة ظفار ولكن التُبّع اسعد ابا كرب تهوّد حوالي اواخر المئة الرابعة فاضطهد المسيحيين ، وفي تلك الاثناء قصد القسطنطينية في بعض مصالحه شيخ كبير شريف اسمه حيّان فتنصر على المذهب الارثوذكسي وعاد فنصّر اهله واتباعه .

وآمنت قبيلة الحارث بن كعب اليمنية الكبيرة التي تنتسب الى مذحج الى كهلان واحتلت نجران ، فأزهر الدين المسيحي في القرن التالي في نجران التي اهتدت عن بكرة ابيها ، وشيدت كنائس فيها وفي مأرب والهَجَران (هجرين) وسبقت شهادة القديس افرام الملفان على استنارة اليمن بنور الانجيل ، وتبعتها حضرَموت وبشّر عبد يشوع القناني الناسك اسقف دير محراق جزيرة في اليمامة وعمّد اهلها . فذُكر ايليا اسقف سماهيج (بين عُمان والبحرين) سنة ٤١٠ واسقف ديرين ، من جزائر البحرين سنة ٤٢٠

وحضر مارينوس اسقف تدمر مجمع نيقية ، ويرّجح ان ثاؤتيم اسقف بلاد العرب الذي حضر مجمع انطاكية عام ٣٧٣ كان اسقف عرب بادية تدمر .

ومن اشهر القبائل العربية وأعلاها كعباً وأشدّها شكيمةً ، قبيلة تغلب من ربيعة ، ومنازلها ارض الجزيرة التي سميت ديار ربيعة (نهر الخابور ونصيبين الى سنجار) فهذه تنصّرت في القرن الرابع بانذار اساقفة مابين النهرين ونساكها ، كما اثبت سوزمين انهم اجتذبوا الى الايمان

المسيحي جمًّا غفيراً من الفرس والعرب ، بعدما انجزوا هداية السريان اهل تلك البلاد قاطبةً ، وكذلك قل عن بني عُقَيل والنمر وبني شيبان المعروفين ببني ثعلبة ، وبني بكر بن وائل ومقامهم في ديار بكر ، وعبد القيس وآل ذي الجدّين .

وكان فريق من قبيلتي بهرآء وتنوخ ، قد نزل الحيرة وكان شعارهم شعار المسيحيين اثناء محاربة شابور الثاني لهم ، وغلبت ماويّة اميرة العرب في الحيرة الرومانيين في بعض الحروب ، واشترطت في صلحها وتنصّرها سيامة موسى الناسك اسقفاً لعشيرتها فسامه اساقفة ارثوذكسيون كانوا في المنفى بين سنة ٣٧٣ — ٣٧٨

اما طي ، ومنازلها نجد ، وهي من اكبر قبائل العرب واطولها باعاً وارقاها حضارة ، وفريق تنوخ بارض الشام ، وكِندة ، وغسّان التي نبتت في اكرم المنابت وملوكهم آل جفنة ، البيت الرفيع الدعائم الذين رنّ صيتهم في الاقطار ، فان لم يكن اهتداؤها اواخر المئة الرابعة فقد كان على الارجح اوائل المئة التالية ، ولخم ومنهم الملوك آل نصر ، البيت الشهير المآثر ، وسُليم وبنو تميم

وقضاعة في المئة الخامسة او السادسة . ومن هنا ترى ان معظم قبائل العرب ذاقت حلاوة معرفة المسيح ، وقد صرّح بهذا مؤرخو العرب الثقات وكتبهم الاقدمون فقالوا ، ان النصرانية كانت فاشية في العرب وعليها غالبة .

الفصل الثاني

في تنصّر القوط واحوالهم واسقفهم اولفيلا

القوط أمّة مقتدرة محاربة . كانت منذ القرن الثالث بمثابة متراس يصد غارات الجرمان عن شواطئ نهر الدانوب ، وهم قسمان غربيون وشرقيون . وكانوا ايام القيصر فيليب غصبوا الخطوط الرومانية واستولوا على ميسيا ، ثم اخربوا يونان والليريقون وتروادة وقبادوقية وحرقوا هيكل افسس ، ونقلوا من نيقية واثينا عربات ملآنة غنائم ، وساقوا امامهم قطعاناً من الاسرى فيهم كثير من المسيحيين فبشروهم بالانجيل . وعلى هذه الصورة نشأة كنيسة القوط التي مثّلها الاسقف ثاوفيلس في مجمع نيقية . وخلفه الاسقف اولفيلا (ابن الذئب)

ويُظنّ شريف الاصل أُرسل الى القسطنطينية رهناً حوالي سنة ٣٤٠ فأغري بالنصرانية الاريوسية . وأقامه اوسابيوس النيقوميدي اسقفاً عام ٣٤١ واختصّ بالحزب الذي كان يمثّله واليس واورساس في بنّونيا وميسيا . واراد ان يعلم قومه ديناً وطنياً مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بنظام سياسي ، فذاع صيته لفصاحته في وعظه وتعليمه بآله ازلي ، مضاداً آلهة الجرمان الوثنية . وحينما ثار عليه حزب وثني قاد خلقاً من القوط الى سفوح البلقان فأحرز اسم بطل وطني . وزاده علمه صيتاً فانه اضاف الى حروف اللغة القوطية الستة عشر ، ثمانية حروف فاصابت حلاوة وروعة . ونقل التوراة اليها فكان عملاً ينطوي على دقة فهم وثقافة ، فسمّاه اليونانيون موسى زمانه . ووضع دستور ايمان يتخلّله إبهام في المعتقد ، وذهب في قضية الروح القدس المذهب المقدوني . وفسّر انجيل لوقا في حدود سنة ٣٧٠ وحضر مجمع الاقاقيين في القسطنطينية عام ٣٦٠ ومات حوالي سنة ٣٨٣ وقد بادت تفاسيره ومواعظه . وامتدت البدعة الاريوسية من القوط الى الشعوب الجرمانية التي كانوا يعاملونها ، ونقلها المشارقة

منهم الى ايطاليا . وفي آخر القرن السادس انقرضت الممالك الغوطية الاريوسية التي كانت في ايطاليا وشمالي افريقيا واندثر عمل اولفيلا وآل الى العدم .

الفصل الثالث

في فتن الاريوسية واعمالها الفاشلة وتعدّيات قسطنس على الكنيسة كلها سنة ٣٥٣ — ٣٦١

سنة ٣٥٠ قُتل قسطنت شرّ قتلة ، واستبد قسطنس بالامبراطورية واصبح سيدها الوحيد عام ٣٥٣ فأقام في مدينة سيرميون . وكان ثلاثة من عمدة الاوسابيين قد عقدوا فيها اجتماعاً سنة ٣٥٢ ووضعوا فيه دستوراً ارثدكسي الشكل عدا « المساوي في الجوهر » وعلى الاثر نفي فوتينس اسقف سيرميون الذي حرمه الارثدكسيون آنفاً . فاستعان الاريوسيون بالقيصرة الجديدة اوسابية ، وسعوا الى قسطنس باثناسيوس ورموه بتهم جديدة سياسية ودينية . وحملوه على خطة اقبح مما مضى فتناسى اوامره السالفة وعقد سنة ٣٥٣ مجمعاً في مدينة إرل شجب

فيه اثناسيوس وتهدد اساقفته وتعسّفهم فوقّعوه مكرَهين حتى مندوبا ليباريوس رئيس اساقفة رومية ، ماعدا بولينس اسقف تريف فنفي وقضى نحبه في منفاه عام ٣٦٨ فغنم ليباريوس سقطة نائبيه وارتأى عقد مجمع ثانٍ في ميلان سنة ٣٥٥ فحصلت النتيجة عينها ، لاغتصاب القيصر امر المجمع فلم يقاومه سوى مندوبي رومية وديونيسيوس اسقف ميلان ولوسيفر اسقف كاجلياري (سردينية) وأوسابيوس اسقف فرسيل فكبّلوا بالقيود ونُفوا .

وحاول قسطنس امالة ليباريوس بالوعد والوعيد ، وحمله الى ميلان فلم يفز منه بطائل فنفاه الى بيرية في ثراقية ، وأقام الشماس فيلكس اسقفاً دخيلاً مكانه . ثم استدعى اوسيوس اسقف قرطبة وعمره يناهز المئة ، وتفنن في طرائق اقناعه واغرآئه ، فلم يفز منه بغير التعنيف فأعاده الى مدينته . ثم حمله بإلحاف الهراطقة الى سيرميون واعتقله واسرف في الاساءة اليه ، وأثار فتنة في الاسكندرية فهرب اثناسيوس الى برّية الاسقيط حيث استخفى ست سنوات . ثم اجتمع اساقفة غربيّون في سيرميون سنة ٣٥٧ ووضعوا دستوراً فاسداً حملوا

اوسيوس على توقيعه ، لما ناله من عذاب وما اورثه الهرم من خمول ، وبعد مديدة شعر بقرب أجله فحرم آريوس جهراً محتجاً على ارغامه مغلوباً على أمره .

وسنة ٣٥٨ اجتمع في انقرة اساقفة شرقيون من انصاف الاريوسية برئاسة اسقفها باسيل ، وحرموا مذهب اونوميوس الفاسد . وسألوا قسطنس عقد مجمع في سيرميون ففعل ، وألّفوا فيه دستوراً سمي دستور سيرميون الثالث وكان ارثوذكسياً ما خلا اهماله « المساوي في الجوهر » وأطلق حينئذ سبيل ليباريوس فجاء سيرميون ، وأقنعه عمدة الاساقفة فوقّع ذلك الدستور وشجب اثناسيوس ، لشدّة ما قاساه في المنفى مدة سنتين بَلْهَ السذاجة ، وحكى بعضهم انه اضاف اليه قوله « كل من لا يعتقد ان الابن شبيه بالآب في الجوهر وفي كل شيء فليطرد من الكنيسة » اما مار اثناسيوس فنوّه بفشله وسقطته ، وأعيد الى رومية ليشارك فيلكس الدخيل في رئاسة بيعتها ، فرفض الشعب هذه المشاركة ومات فيلكس بعد زمن يسير .

وكان الاريوسيون الانصاف قد سعوا فنفي أيتيوس واونوميوس الى فريجية وسبعون من اشياعهم ، وانضم

كثير منهم اليهم ، منهم مقدون القسطنطيني ولكن القيصر اعادهم حرصاً على سلام البلاد . وبعد عدة محاولات عُقد بأمره في صيف سنة ٣٥٩ وخريفها مجمعان ، احدهما في ريميني (ايطاليا) للغربيين ، شهده ثلثمائة وعشرون اسقفاً وأكرهوا الاّ عشرين منهم ، على توقيع دستور ملتبس مطابق لدستور سيرميون الثالث ، انخداعاً وملالاً من طول الاقامة وارتعاباً من الوعيد . وعندما تباهى الاريوسيون بالغلبة ، اغتاظوا وندموا ونبذوا جهاراً المعنى السيء الذي عناه الهراطقة بالدستور الموقَّع عليه ، ورذل اكثر اساقفة الكنيسة اعمال هذا المجمع الذي انفضّ عبثاً . وعقد المجمع الثاني للشرقيين في سلوقية ايسورية ، فاز فيه الاقاقيون وكانوا حزباً وسطاً بين المتطرفين وانصاف الاريوسية . فظهر حينئذ كتابان شديدا اللهجة وضعهما لوسيفر اسقف كاجلياري ، ينكر في اولهما كل شركة للارثدكسيين مع اشياع آريوس ، ويقرّع في الثاني قسطنس مشبّهاً اياه بملوك اسرائيل الكفرة . وكان لوسيفر خطيباً حمساً مجادلاً صليب الرأي ، قد آلى على نفسه ان يُصلي الاريوسيين كافةً واشياعهم

وحماتهم بعدوان لا هوادة فيه . ولم يخفف ما عاناه في المنافي شيئاً من حدّته ، وتطرّف حتى رأى في اعتدال اثناسيوس وهيلاريوس ضعفاً . وحينما قررت رومية مصالحة الاريوسيين النادمين ، آل به الامر الى الانفصال من كنيستها واقامة شيعة اللوسيفريين . اما قسطنس فانتهى به الامر الى تأليف دستور سماه دستور نيقية في ثراقية ، لم يرفضه سوى ليباريوس وقليلين غيره . ولما كان الاقاقيون قد رجحت كفّتهم عقدوا سنة ٣٦٠ مجمعاً في القسطنطينية حضره اثنان وسبعون من اساقفتهم ، ونفي أيتيوس ثم زعماء انصاف الاريوسية باسيل اسقف انقرة واوسطاثيوس اسقف سبسطية ومقدون القسطنطيني ، ولكنهم تفرّقوا ايام يوليانس الجاحد وانضووا الى غُلاة الاريوسية ، فصحّ قول اثناسيوس في رسالته الى القيصر يوبنيانس سنة ٣٦٣ « ان حزب الضلال لم يكن الاّ عدداً يسيراً جداً بالنسبة الى رافضيه » وحينما مات قسطنس في ٣ تشرين الثاني عام ٣٦١ وفقدت الهرطقة فيه اقوى انصارها ، حلّ بها البوار والانقراض في المملكة الرومانية ، بالرغم عن مناصرة واليس لها ، بعدما ابتلت مشاغباتها

الاخلاق العامة بفساد غير يسير .

الفصل الرابع

في الانبا انطونيوس ابي الرهبان ٣٥٦ +

القديس انطونيوس ابو الرهبان و كوكب البريّة ، كان وحيد زمانه وَرَعاً وزهداً ، وله في الفضائل سجلّ مُشرق الغرّة وضّاح الجبين . ولد في قرية كوما بمصر حوالي سنة ٢٥١ فاقتبس من والديه الشريفين الخلال الحميدة . وعند وفاتهما وهو ابن عشرين سنة طفق يدبر بيته واملاكه . وسمع ذات يوم في الكنيسة قول الله « بع كل مالك واعطِه الى المساكين وتعال اتبعني » متى ١٩ : ٢١ فاتخذه لنفسه ، وأودع اختاً له بيتاً لبعض العذارى الورعات . وباع املاكه ووزعها على ذوي الحاجات وسخت نفسه عن الدنيا في حدود سنة ٢٧٥ وانفرد في البريّة عابداً لله يقتات من تعب يديه قامعاً جسده مروّضاً نفسه بالتقوى ، ومسترشداً النساك واصحاب الكمال الانجيلي ، حتى تصدّى له ابليس بشتى التجارب ، فغلبه بالصلاة والصبر والرجاء

الراسخ بيسوع الفادي ، الذي كان يعضده بأيده ويعزيه بنعمته . وكان حريزاً دينه خاشعاً قلبه ، ميتة شهوته مكظوماً غيظه منزوراً اكله ، حسبه القرص مطعوماً والملح مأدوماً والماء القراح مشروباً ، والمسح قميصاً وجلد الشاة رداء والارض حيناً والحصير آونة فراشاً . ثم انفرد مدة في ناووس خالٍ حبس ذاته فيه وألجأ نفسه الى ربه ، فأصاب منه كهفاً حريزاً ومانعاً عزيزاً . وبعد عشرين سنة من انفراده ، وقد هذبه التمحيص واستفرغته اشغال عبادة الله ، استفاضت انباء صلاحه ، فتقاطر الناس من البلاد افواجاً لمشاهدة اعماله النسكية ، وتبعه خلق كثير اخذوا عنه هذه السيرة . فكان هو منشئ الطغمة الرهبانية الاولى نصف النسكية ، وتمتاز بانفراد كل راهب او ناسك في كوخ فوضع لها قوانين .

وقدم الاسكندرية عام ٣١١ ليعزي المعترفين في شدة مكسيمينس ويوطد عزائمهم . وفي سنة ٣٣٣ زاره البطريرك اثناسيوس وكان ممن أخذ عنه ، ثم كتب سيرته وأشاع في ايطاليا طريقته فاقتدى به الغربيون . وزار الاسكندرية ثانية سنة ٣٥١ وهدى كثيراً من الاريوسيين

وغيرهم الى المعتقد القويم . وبعدما عاش مئة وخمس سنين وهو سليم الحواس ، وقد فاح في العالم اريج قداسته وخوارقه ، ودوّن عنه رهبانه رسائل روحية ونصائح نافعة ، انتقل الى جوار ربّه في ١٧ كانون الثاني عام ٣٥٦

الفصل الخامس

في بدعة ابوليناريوس سنة ٣٦٢ واوسطاثيوس السيبسطي

كان ابوليناريوس اسكندرياً نحويًا . اقام في اللاذقية (بسورية) بعد مجمع نيقية بزمن يسير . وبعدما علّم النحو في بيروت مدةً وأكرم مثواه ، سيم في اللاذقية قسًّا وأقيم ابنه المسمى باسمه قارئاً . وكانا يتردّدان على ابيفانيوس المنطقي الوثني ، واقتدى بهما خلق من المسيحيين ، فامتعض منهما الاسقف ثاودوطس . وذات يوم أنشد ابيفان نشيداً للصنم باخوس في حفلة حضرها المسيحيون ، فحرم ثاودوطس ابوليناريوس وابنه ، فتابا فعفا عنهما . وفي حدود سنة ٣٣٥ توفي ثاودوطس وخلفه جرجس الاسكندري المعادي لاثناسيوس . وتحزّب الابوليناريان

لاثناسيوس ومجمع نيقية ، فرمهما جرجس وعضدهما اثناسيوس . فالتف حول ابوليناريوس الصغير حزب نيقاوي تسقف عليه . وذاع خبره حوالي سنة ٣٥٠ ولكنه بينما كان يقاوم الاريوسية زعم سنة ٣٦٢ ان الطبيعة الالهية في المسيح اغنت عن النفس الناطقة في الناسوت ، فكان ذلك بدعة دحضها مار غريغوريوس النزينزي وحرمتها الكنيسة . لكنها لم ترُج لعدم وضوحها وكانت وفاة المبتدع نحو سنة ٣٩٠

اما اوسطاثيوس فكان رجلاً فاضلاً ناسكاً وأسقفاً على سبسطية . لكنه مال الى مذهب انصاف الاريوسيين . وكان غريب الاطوار متعسفاً في نسكه ، وقد نشر طريقة الرهبانية في الشرق حتى صادفه القديس باسيليوس القيصري ونزل من نفسه منزلة عظيمة ، ولكنه حينما عاين تقلبه ، سماه غمامة يتقاذفها الريح هنا وهناك وهجره . فكان ذا رأي قلق متقلب لا يقوى على الثبات ، ووقع على عدة دساتير عقائدية متناقضة . وحوالي سنة ٣٤٠ عقد في غنغرة مجمع بحث قضية تلامذة اوسطاثيوس ، الذين اساءوا الى الطريقة النسكية باعمال غريبة مستنكرة .

منها انهم كانوا يلبسون زي النسآء ويربّون شعورهم مثلهن ، ويرفضون الاسرار التي يقدسها كاهن متزوّج ، وكانوا يعذلون الزواج ويعلّمون ان لا رجآء للمتزوجين عند الله ، فانخدع بتعليمهم نسآء ورجال فافترق بعضهم من بعض فآل امرهم الى الفجور ، وكان يجتمع اتباعهم في بيوت خاصة دون البيعة ، ويعاكسون اعمال الكنيسة فيصومون في فطر المؤمنين ويفطرون في صيامهم ، وتزيّا نسآء بزيّ الرجال وقصصن شعورهن بحجّة التقوى وغير ذلك . فشجبهم المجمع وتهدّدهم بالحرم ان لم يقلعوا عن هذه الاعمال الشائنة ويتوبوا وسنّ قوانين . اما اوسطاث فتظاهر بالتوبة ، وبعد زمان حرمه مجمع في انطاكية وانضم الى المقدونيين لصداقة حميمة بينه وبينهم . وانشأ الاوسطاثيون الى جانب الاريوسيين فرقة خطرة ، ولو لم يتناول ثبت الهراطقة اسمهم . ومات اوسطاثيوس نحو سنة ٣٨٠

الفصل السادس

في القيصر يوليانس الجاحد ٣٦١ — ٣٦٣

خلف قسطنس يوليانس ابن عمّه ، وكان شاباً مغروراً

بنفسه ذا هوس اصاب حظاً من الفلسفة ، ووطّن نفسه الخبيثة على اعادة الوثنية . فلما تبوّأ سرير الملك كفر بالدين المسيحي واعتنق الوثنية جهراً فلقب بالجاحد او الملحد . فذبل العدل في عهده القصير وولّى الحق كسيراً ، لكن الى أمَد قليل . ولتلك العلة شرع باطلاق الحرية الدينية واعادة المنفيين الى كراسيهم ، فعاد اثناسيوس ثالثةً الى الاسكندرية باحتفال عظيم . وذاع في الناس مقصد يوليانس وعزمه على ابادة النصرانية فلم يعتّم ان طرد اثناسيوس فاستخفى خوفاً . ولم يستعن على ادراك أربه بالاغتصاب لكن بالمكر والخداع . فأثار الفتن بين الارثدكسيين والهراطقة إضعافاً لهم ليهون سحقهم ، وامتهن المسيحيين وطردهم من اعمال الحكومة ، محرّماً عليهم الدفاع عن انفسهم في المحاكم وتعلّم العلوم . وذلّل الاكليروس نازعاً عنهم إنعامهم وملغياً رواتبهم ، وجدّ في اغراء ضعفاء اليقين بالمواعيد والكرامات ، وغمر الوثنيين بصنوف الاحسان ورمّم هياكلهم باموال المسيحيين ناقلاً اليها تحف الكنائس . ونهب الكفرة بعض البيع وهدموها ودنّسوها وخرّبوا مدافن القديسين .

وبلغت به القحة الى اعادة هيكل اليهود في اورشليم عام ٣٦٣ تكذيباً بزعمه للكتب الالهية ، وجاد بالمال لانجاز بنائه ، فاجتمع من اليهود عدد لا يحصى واشتغل في جرف المكان والحفر في الارض حتى الشيوخ والنساء والصبيان ، هذا والقديس قورلس اسقف اورشليم يسخر منهم . وحينما اوشكوا ان يضعوا الاسس الجديدة صُعقوا بزلزالٍ عنيف ملأ الحُفَر تراباً وبعثر آلات العمارة ، وهلك بعض الفعلة وجُرح بعضهم . ولما سكن روعهم وعاودوا العمل ، خرج من جوف الارض كُرات نارية رشقت العملة بالحجارة المعدّة للبناء ، وأذابت ادوات العمل ، وكلما عادوا كلما تكرّر الحدَث ، فدُهش الناس من هذه المعجزة وآمن من اليهود جم غفير . وحكى هذا الحدث اميان مرقلاّن الوثني والقديسان النزينزي والذهبي الفم ، وأحد مشاهير كتاب اليهود في القرن التالي . وفي تلك السنة كان هلاك هذا الجاحد في حرب اثارها على الفرس ، فكان في عمله فاشلاً خازياً وهو في الآخرة أَخزى ، ولو لم يقصف الله عمره الذي لم يتجاوز الاثنتين والثلاثين سنة لكانت شدّته شراً من الاضطهادات السالفة .

الفصل السابع

في شهداء شدّة يوليانس الجاحد

وفي القيصر يوبنيانس وعضده للايمان القويم سنة ٣٦٣

صرّح يوليانس في بداءة امره بسوء عزمه فقال « لا أريد ذبح النصارى ولا اعنائهم وانما اريد ملاشاة النصرانية بدون سفك دم » ! وعلى هذا اثار ضغائن الوثنيين عليهم ، فأحرقت مقبرة للمسيحيين في حمص ووضع بعضهم تمثال الوثن ديونيس على مذبحها وكذلك فعلوا في ابيفانية . وكان مرقس الشيخ اسقف الرستن الاريوسي أبى اعادة بناء هيكل للوثنيين كان قد هدمه ، فسلّمه يوليانس الى رعاع القوم فأذاقوه ألوان الامتهان والعذاب . وذبح اوباش الوثنيين في الاسكندرية وعسقلان وغزة وهليوبليس (مصر) قسوساً وعذارى بغاية الفظاعة في ثورات لا تنقطع . وانتهى الامر بالقيصر الملحد الى سفك الدماء ، فاستشهد كثير على يده وبامره منهم : يوحنا وبولس من جند البلاط ايام قسطنطين واولاده ، وعدّة زائرين لضريحهما

الذي ظهرت فيه عجائب ، والقسيسان يوحنا وبيجمنتيوس ، ويوفنتان ومكسميان ، وباسيليوس اسقف انقرة ، وثاودورس الشاب الباسل ، والشماس قورلس ورفاقه والشماسة بوبليا وغيرهم من فتيان وعذارى ، ودومطيوس الناسك القورشي الذي سُدّ عليه باب مغارته بحجارة وكلس ، وبنيت باسمه كنيسة في انطاكية ذاع امر عجائبها في ما ذكره مار سويريوس . وثاودريطس القس الانطاكي الذي قتله الكونت يوليان عم القيصر .

وخلف يوليانس ، القيصر يوبنيانس وكان مسيحياً حريزاً في دينه ذائع الصيت حسن التصريف للامور . فعقد صلحاً مع الفرس واعطاهم مدينة نصيبين مدة مئة وعشرين سنة . وأرجع مار اثناسيوس من منفاه وبالغ في اكرامه وردّ الرواتب على الاكليروس والارامل والعذارى الناذرات ، وأمر الولاة بتأييد المؤمنين . ولكن الكنيسة لم تنعم بهذا البرّ أمداً طويلاً لوفاة هذا القيصر الصالح بعد سبعة شهور من ملكه عام ٣٦٣

الفصل الثامن

في بقية شهدآء الاضطهاد الاربعيني

(٢٤) ثمانية عشر شهيداً من الجنود الكيلانيين وهم بختيشوع ورفاقه قتلهم شابور على ساحل الفرات ومعهم امرأتان واولادهما سنة ٣٥١ (٢٥) قرداغ المرزبان الشريف تنصر واستشهد بجوار اربيل سنة ٣٥٩ (٢٦) دوسا اسقف ثمانون (في لحف جبل جودي بالجزيرة) ومائتان وخمسة وسبعون شهيداً من اهل بازبدى (كورة اكبر قراها آزخ) عام ٣٦٣ وبعد ما تسلّم شابور مدينة نصيبين حاسنَ نصاراها سياسةً وقلّ عدد الشهدآء ، وقد نوّه بهذا القديس افرام معارضاً بينه وبين فظائع يوليانس . على ان شابور لم يغمد سيفه تماماً حتى هلاكه سنة ٣٧٩ فاستشهد (٢٧) سابا ابن زميسب عامل باعربايا وكان غلاماً ناشئاً تنصر وكابد عذاباً طويلاً واستشهد معه بضعة آلاف نحو ٣٦٣ (٢٨) آباي الغلام النبيل من نسبآء الملك وكان اسمه مهيرشابور بن اذورفروزجرد نصّره اباي

الناسك فقتله ابوه حوالي سنة ٣٦٥ وقُتل الناسك ايضاً في جمع كبير من الرهبان ، ثم آمن ابواه وبنت أمه الدير الابيض في دارا ، وابوه دير مار اباي بقرب قلّث (٢٩) القس يعقوب والشماس آزاد ذاقا اكره العذاب في اربيل ثم ضربا بحد السيف سنة ٣٧٣ (٣٠) الاربعون شهيداً في اربل منهم مار عبدا اسقف كشكر ومار عبد يشوع اسقف ضواحيها ، وستة عشر قساً وتسعة شمامسة وستة رهبان وستة وسبع رواهب ذبحوا جميعاً عام ٣٧٦ (٣١) بدما رئيس الدير تنصر وترهب وصبر في الشهادة على عذاب أليم سنة ٣٧٧ (٣٢) مار عقبشما الشيخ اسقف حنيثا كبّل بالقيود وجلد واعتُقل ثم ضرب بمطرقة حتى فاظ عام ٣٧٨ (٣٣) القس يوسف والشماس ايشالاها البانوهدري (دهوك) استشهدا بالجلد والحبس والرجم سنة ٣٧٩ (٣٤) دوختانشاه ابنة ملك الاهواز آمنت واستشهدت متنكّرة (٣٥) فنحاس الناسك الذي قتله حاكم فنك رشقاً بالسهام ورجماً ، ودادو الذي اهتدى فهشّمت لحمانه باظفار حديد في قرية ثمانون . وممن يلحق بهم (٣٦) بهنام الفتى النجيب ابن سنحاريب حاكم آثور

الذي اهتدى واخته سارا واربعون فارساً على يد مار متى الناسك واستشهدوا في نينوى في الربع الاخير من المئة الرابعة وبني باسمه دير لا يزال عامراً (٣٧) وباسوس بن ابورزد حاكم بازبدى تنصر واخته سوسان واستشهدا نحو سنة ٣٨٨ (٣٨) ويوحنا ابن النجّارين واخته سوسان من بلدة سينوا المندثرة (كانت بجوار جبل باعشيقا شرقي الموصل) استشهدا بيد ابيهما النجار الوثني اواخر المئة الرابعة على الارجح وسنة ١٢٨٤ بنى العلاّمة ابن العبري مفريان المشرق ديراً في برطلّي نقل اليه رِمّة الشهيد.

الفصل التاسع

في اضطهاد واليس سنة ٣٦٧ وبسالة القديس باسيليوس وجهاده في سبيل الايمان

سنة ٣٦٣ تولى الامبراطورية الرومانية والنطينس الارثدكسي في بلاد الغرب، وولّى اخاه واليس (والنس) في الشرق وكان اريوسياً، فأثار على الكنيسة شدّة مروّعة ونفى اثناسيوس للمرة الخامسة، وتتبع الارثدكسيين

بصنوف الاذى ومصادرة الاموال والتنكيل والتكبيل بالاصفاد . أوفد اليه مؤمنو القسطنطينية ثمانين اكليريكياً الى نيقوميدية ليشكوا اليه حالهم ، فأمر بانزالهم في سفينة وحرقها عند توغلهم في البحر فقضوا بين النار والغرق . فأقبل الرهبان الحبساء لاسعاف اخوتهم وطفقوا يشجعونهم على احتمال المكاره ، وكان فيهم حبيس جليل شيخ قديس اسمه افرهاط . فصادفه القيصر وقال له : مالك تطوف المدينة محرّضاً الناس على العصيان ولمَ لا تلزم صومعتك ؟ فأجابه قائلاً « لقد لزمتها ما دامت خراف الراعي السموي راتعة في مروج السلام . اما وقد ابصرت ما نزل بها من البلاء حتى كادت الذئاب تفترسها فكيف يليق بي السكون ؟ أرأيتَ لو شاهدت رجلاً يطرح النار في بيت ابي ليحرقه ، أيسوغ لي الاستكانة حتى تلتهمني النار والبيت ، او لا ينبغي علي النهوض والاستغاثة وافراغ جهدي في اطفاء النيران ؟ فأنت الذي طرح النار في بيت الرب . وحينما عاينت ذلك من صومعتي بادرت الى اطفائها مجدًّا » فلم يُحِر واليس جواباً على هذا الخطاب السديد . ومع اعادته اثناسيوس الى كرسيّه مراعاة

لاخيه الملك ، طاف عدة اقاليم وهو يطرد الاساقفة وقبل وصوله الى قيسارية تقدم الى والي قبادوقية ليأخذ باسيليوس مطرانها بالخداع والتمليق او التخويف كي يقبل الاريوسيين في شركته . وعندما دخل عليه الحبر ، وقد لبس الوالي بزّته وجلس على كرسيه والجند محدقة به مدججة بالسلاح ، احتفى به وتملّقه فلم ينل منه بغيته . فتوعّده بقوله : ما لك وحدك تقاوم قيصراً عظيماً ؟ فأجابه باسيليوس : القيصر عظيم ولكنه دون الله . فقال الوالي : الا تعلم اني استطيع ان اسيمك العذاب بمصادرة الاموال والنفي والتنكيل والموت ؟ فأجابه القديس : « اما المصادرة فدونك اياها وهي اطمار يسيرة وكتب قليلة هي كلّ ما املكُه ، واما المنفى فكيف اخشاه ، والمسيحي يعتبر نفسه في كل ارض سائحاً عالماً انها كلّها لله ، واما التنكيل ، فان جسدي في حال من النحول بحيث تكفيه الضربة الاولى فيسرع بي الموت الى العَود الى الله الذي احنّ الى المصير اليه » فذُهل الوالي لهذا الجواب المُحكَم فقال له : هذا كلام جريء لم يستقبلني احد بمثله ، فأجابه البطل « ذلك لانه ربّما لم يكن لك شأن مع أسقف ! فازداد دهش الوالي من

عزم تلك النفس الابيّة التي تسامت على الوعد والوعيد وهرولَ الى القيصر يخبره بخيبته قائلاً « لقد غلبَنا هذا الرجل وحده ، وليس امامك الا العَنف » فأبى واليس تهيّباً للحبر العظيم وخوفاً من الشعب الذي كان يطلبه مهدّداً !

وعند قدوم القيصر الى قيسارية انطلق بموكب الى البيعة الكبرى في عيد الغطاس عام ٣٧٢ وراعه ما شاهده من نظام العبادة البديع واحتشام ذلك الجم الغفير ، ومهابة باسيليوس الواقف امام المقدس ساكناً ونظره منخفض وعقله غائص في بحر من التأمل في الالهيات ، وخشوع خَدَمة القدس المحيطين به كالملائك . فوقف ذاهلاً هيبةً واجلالاً . ثم اراد ان يقدم هدية الى البيعة فلم يتقدم لتناولها احد جرياً على العادة ، فاشتدّ ارتجافه وارتخت ركبتاه حتى اوشك السقوط لو لم يسنده احد الكهنة ، وتنازل الحبر الى قبول تقدِمته . فلانت صلابته وحاول استمالة القديس بالحسنى . فأوفد اليه أكابر دولته ، ثم حادثه آنساً اليه مسروراً ووهبه عقارات لانشاء مستشفى . ولكن الهراطقة عادوا فأغروه بـه حتى حملوه على نفيه .

فلما عزم على الامر اصيب ابنه بحمّى شديدة اعيت الاطبّاء فاستدعاه فصلّى عليه فشفي وأكّد له ان الصبي لن يموت ان ربّي على اصول المعتقد القويم . ولكن اسقفاً اريوسيّاً عمّده فمرض ومات .

الفصل العاشر

في اضطهاد واليس للرها وشجاعة امرأة سريانية سنة ٣٧٣

نفى واليس في من نفاه من الاساقفة القديس برسا مطران الرّها فشرّفه الله في منفاه بفعل المعجزات ، وأقام الطاغي مكانه اسقفاً اريوسيّاً دخيلاً وأمر مودستوس الحاكم ليلزم الاكليروس مشاركته متوعّداً اياهم بالنفي الى اقاصي المملكة . فجمعهم وحاول اقناعهم فلم يفز منهم بطائل فنفاهم قاطبة وكانوا واحداً وثمانين قسّاً وشمامساً سريانياً ، مقدامهم القس ولغش من كبار الصالحين ومن افضلهم القس بروتوجينس وقد انتهيا الى مدينة أنصنا بمصر وهديا ولاسيما بروتوجينس ، خلقاً عظيماً من اهلها الى النصرانية ، ثم تسقّفا على الرّها وحرّان .

فتشجع الشعب الرهاوي بمثال اكليروسهم وأبى مشاركة الدخيل ، وكان المؤمنون يقيمون الصلاة في الحقول . فلما علم واليس غضب على الوالي وضربه وعنّفه تعنيفاً شديداً لعدم منعه تلك الاجتماعات ، وتقدّم اليه بتفريق الجمهور بقوّة جنده . فأنذرهم الوالي سرًّا الاّ يمضوا الى مكان الاجتماع في اليوم التالي . ولكن المؤمنين بادروا اليه غلَساً وهم اكثر عدداً من أمس . فاستولت على الوالي الحيرة واصطحب جنوداً عديدة متّجهاً جهة ذلك الموضع وتقدم اليهم بالجلَبة إرعاباً للناس ليهربوا . وحينما كان مجتازاً بالمدينة أبصر امرأة مسكينة حاملة طفلاً تخرج من بيتها مهرولة غير مبالية بغلق بابه . واخترقت صفوف العسكر مجدّة في سيرها غير جازعة . فأوقفها وقال لها « اين تقصدين مسرعة ؟ فأجابت : انني ماضية الى الحقول حيث مجتمع المؤمنين . فقال لها : او لا تعلمين صدور امر القيصر بقتل من هنالك قاطبة . فأجابته : بلى انني عالمة بالامر ولاجل هذا أجدّ في السير لئلاّ تفوتني فرصة احتمال الشهادة . قال لها : ولمَ تأخذين هذا الطفل معك : قالت : ليشاركني في هذا المجد !

فانذهل مودستوس من بسالتها وانقلب بالخبر الى القيصر وأقنعه بالرجوع عن عزمه ، اذ لا أملَ بالفوز ولا شرف لعاقبته . وان في هذا الحدث بياناً ناصعاً لشدّة كراهة المؤمنين الاقدمين للبدع والشقاق والالتفاف حول الراعي الشرعي واستنكار الدخيل .

ثم انزل الله غضبه الشديد بواليس الاثيم فهلك في موقعة حربية محترقاً في بيت مملوء تبناً سنة ٣٧٩

الفصل الحادي عشر

في الانبا هيلاريون مؤسس الرهبنة في فلسطين وسورية

سنة ٣٧١ +

وُلد هيلاريون وثنيًّا في جوار غزّة نحو سنة ٢٩١ وقصد الاسكندرية في طلب العلم . فقرأ النحو والادب وتنصّر وتلقى طريقة النسك من الانبا انطونيوس وعاد الى بلده حوالي سنة ٣١٠ فاختلى في جنوبي غزّة سنين طوالاً يعبد الله متنسكاً ، وكان صوّاماً قوّاماً يلبس المسح وقميص جلد ويسكن قلاية ضيّقة تكاد لا تسعه ،

يتبلّغ بخمسين درهماً من خبز الشعير وشيء من البقل مطبوخاً ثم اقتصر على البقل وبعض الحبوب ، وهو يشتغل بالفلاحة ويضفر زنابيل من البردي . فكافأه الله بعمل معجزات وانضوى اليه تلاميذ و كثروا حتى بلغوا زهاء الالفين ، وانتشرت الاديار في فلسطين فكان يلقّنهم طريقة الانبا انطونيوس ويدبّرهم . وفي ذلك الزمان انشأ ايضاً مار ابيفانيوس ديراً بقرب قريته بزندوق على طراز دير مار باخوميوس . وكان بعض تلامذة القديس هيلاريون من سورية فشيدوا ديارات في بلاد الشام على طريقته حوالي سنة ٣٦٤ واهتدى خلق من الوثنيين الى دين الحق على يده منهم بعض قبائل عربية . ثم غادر منسكه سنة ٣٥٦ مارًّا ببعض بلاد مصر وزار قلاية مار انطون وآثاره وصار الى جزيرة صقلية فاقليم دلماطيا فمدينة بافوس في جزيرة قبرس ، وبعدما سكن فيها خمس سنوات واجترح معجزات حضرته الوفاة فسمعوه يقول : اخرجي يا نفس اخرجي ما لك تتردّدين ؟ ايمضي لك في عبادة المسيح زهاء سبعين من السنين وانت من الموت تجزعين ؟ ومضى الى ربّه في حدود عام ٣٧١ وقد ناهز الثمانين من العمر

بعدما أوصى بكتاب انجيله وثيابه الى تلميذه الصالح هيسيكيوس . ودفن في بافوس ثم نقلت رِمّته الطاهرة الى ديره في مايوما .

الفصل الثاني عشر

في القديس اثناسيوس الرسولي ٣٧٣ +

القديس اثناسيوس الرسولي بطريرك الاسكندرية ، من احبار النصرانية العظام وأعضادها الابطال الميامين الرأي ، نادرة الزمان حكمةً وصبراً في سبيل الله على المضض الشديد ، وفرد الدهر غيرَ منازَع عزماً وحزماً وجهاداً ومُضيًّا على الحق وإرغاماً للهراطقة وتدميراً ، وقد سلف طرف صالح من اخباره لشدة ارتباطها بتاريخ الكنيسة العام ، وهذه خلاصة ترجمته .

وُلد وثنيًّا حوالي سنة ٢٩٥ في الاسكندرية وتنصّر في زهرة عمره وقرأ العلوم في مدرستها اللاهوتية على الارجح ، وظهرت عليه سيماء النجابة فضمّه مار الكسندروس الاسكندري الى تلاميذ قلايته وسامه

شماساً نحو سنة ٣١٨ او ٣٢٠ وكان احياناً يزور نسّاك الاسقيط يأخذ عنهم آداب الرهبانية ويتمرّس في الفضائل وسنة ٣٢٥ استصحبه البطريرك الى المجمع النيقاوي حيث تلألأ ذكاؤه وغيرته وفي ١٧ نيسان عام ٣٢٨ خلف معلمه في الكرسي البطريركي فناضل عن المعتقد النيقاوي لاسيما عبارة « المساوي في الجوهر » وهي القول الفصل الذي يفضح البدعة الاريوسية . فنفي في سبيل الايمان خمس مرار ونقله الله اليه في ٢ ايار سنة ٣٧٣ بعدما خدم الكرسي الانجيلي بل النصرانية باجمعها اجلّ خدمة خمساً واربعين سنة وخمسة عشر يوماً ، وسام نحواً من مئتين وسبعين اسقفاً .

وكان شديد الاقتناع بحقيقة اعتقاده والاستمساك بصحتها ، أنوفاً صلب العود ذا جلادة ، من الرجال الذين اذا ألمت بهم المكاره صبروا ، اسرع اليه اعداؤه الكثيرون بمكرهم ونمائمهم ، والحسد ينهش قلوبهم والحقد يأكل صدورهم ، فلم يزل صامداً لهم صمود الابطال ، مدافعاً عن نفسه ومبدأه ولاجئاً الى الهروب مدةً عند مطاردته ، جامعاً بين مرونة الدعوى ومتانة الحجة وثبات الاقناع ،

محافظاً على اغير اصدقائه وانصار مبدأه ، بعيداً عن القنوط في احرج الاوقات ، غير مرتاب البتة في الفوز النهائي . فلله درّه رئيساً حقيقياً لم تُمسّ سلطته حتى نهاية عمره ، وقلّما وُجد له من هذا القبيل نظير في أكابر الاحبار القديسين ، وسقيا للامّة القبطية التي انجبته !

واذا لم يكن من الوجهة الادبية كاتباً دقيقاً بارعاً من طبقة باسيليوس والنزينزي ، فان لانشائه المتين طابعاً خاصاً يسنده المنطق وإن خلا من الاستعارات الفارغة ، ذلك ان معظم مصنفاته كانت دفاعاً يدعمه الاسناد ويديره فكر في غاية الوضوح ، واما من الناحية اللاهوتية فلم يعبأ بالطريقة العلمية تمسّكاً منه بالعقيدة بغاية البساطة . ومن تأليفه كتاب في عناوين المزامير وشرح للجامعة ونشيد الانشاد ، وخطاب فى تجسد الكلمة دحض فيه الوثنية وشرح غاية التجسد وحقيقة النصرانية بتكميل النبوّات ، وكتاب في لاهوت الابن ، وتاريخ للبدعة الاريوسية وخطب في قمعها وكتاب دفاع للردّ عليها وعندنا منه نسخة سريانية قديمة ، وسيرة الانبا انطونيوس ومجموعة رسائل نفيسة نُشر منها خمس عشرة بالسريانية .

الفصل الثالث عشر

في القديس افرام السرياني وتلاميذه ٣٧٣ +

القديس افرام السرياني الكبير شمس السريان ، قال الذهبي الفم في حقّه « افرام كنّارة الروح القدس ومخزن الفضائل معزي الحزانى ومرشد الشبان وهادي الضالّين ، كان على الهراطقة كسيف ذي حدّين » .

ولد في نصيبين نحو سنة ٣٠٣ في بيت مسيحي في ما حكاه عن نفسه (خلافاً لقصته المعلومة) ولحق باسقفها مار يعقوب فسقاه من التّقى والعلم لباناً نقياً وقرأ كتاب الله فأحكمَهُ ، وألبس الثوب الرهباني وعلم في المدرسة الدينية نحواً من ثمان وثلاثين سنة وهو منصرف الى الزهادة والعبادة يكبّ على الدرس والتصنيف . فلما سلّمت نصيبين الى الفرس سنة ٣٦٣ جلا عن وطنه في اساتذة المدرسة وبعض الاشراف ، وساروا الى آمد فالرّها . وحينما لمح عن بُعد ما حفّ بها من الاديار الزاهرة تهلّل طرباً وارتاح الى سكناها ، ووسّع وصحبته مدرستها

السريانية الشهيرة التي أُطلق عليها اسم مدرسة الفُرس ، نسبة الى طلاّبها القادمين من تلك البلاد . فوجدت فيه رئيساً واستاذاً هو من طُرَفِ العِباد ، فتح فيها كنوز علمه وعطّر الجبل المقدس بعبير وَرَعِهِ ، وظهر فيها على اهل البدع ولقّن الفتيان والفتيات حقائق الدين القويم منظومةً في اجمل الاناشيد ، فرفع للشعر الكنائسي مَناراً عالياً . وزار القديس باسيليوس القيسري مصباح النصرانية المنير ، فاغتبط كل منهما بصاحبه . وفي مجاعة نزلت بالرها اوائل عام ٣٧٣ واسى المعدمين وهو أروح ما يكون نفساً ، وفي ٩ حزيران منها سار الى ربّه آمناً محموداً سعيه طائراً في آفاق النصرانية صيته . ونظم في سلك ملافنة البيعة الجامعة ولم يكن سوى شماس .

وكان هذا القديس طويل القامة نحيفها خفيف اللحية ، يتألّق في محيّاه الوسيم نور اليقين ويجول فيه مآء الخشوع ، والفضائل كلها بعِقدها وسِمطها مجموعة له ، لاسيما الايمان والعفة والتواضع . وعلّم الناس سيرة الكمال باعماله وميامره البليغة ، واناشيده الشجيّة الخالبة للقلب التي رتلتها بيعة الله بعد الكتاب العزيز في حياته ، فأشربت النفوس

حلاوتها وبَعُدَ فيها أثرها . وروى بعض مؤرخينا انه نظم اثنتي عشرة الف قصيدة اكثرها من عيون الشعر السرياني وقلائده . فهو شاعر من الطبقة الاولى ذو طبع وقّاد وذهن منقاد ومخيّلة واسعة وبسطة فسيحة في اساليب الكلام . وامتازت مصنفاته بدقة التعبير وسمو المعاني وبلاغتها ومتانة السبك وفصاحة اللفظ ، ودلّت على قوّة العارضة وغزارة المغترَف ، وهو إمام اللغة السريانية الاكبر وفارس ميدانها الذي لا يجارَى ولا يُطاوَل ، أدركها ابّان عصمتها ورقيّها طليّة نقيّةً من العُجمة مستجمعة اسباب الكمال . وابرز مصنفاته ، ميامره الشعرية على البحر السباعي في اسرار ربّنا وهي أروع قصائده ، وفي البتولية والتوبة والايمان والحياة المسيحية والكهنوت والرهبانية وجنازات الاكليروس والمؤمنين والميامر النصيبينية ، وخمسمائة وخمسون نشيداً (مدارش) وخطب نثرية في قديسي العهدين والفردوس والاعياد وغيرها ، وقد ضاع كثير منها ومعظم تفسير العهدين وشرح الانجيل المختلط (دياطسّرون) ونُقل جانب من ميامره الى اليونانية في حياته او بعدها بسنوات يسيرة .

وأوجَه تلاميذه ، آبا مؤلف تفسير للانجيل ونصائح منظومة ، وزينوبيوش شماس الرها كاتب سيرته ورسائل وردود على مرقيون ، وابن اخته القس عبسميا (عبد السماء) ناظم ميامر في غارة الهونيين ، وشمعون السميساطي كاتب ترجمته ، ويوليان واضع نشائد كنسية ومفنّد مرقيون وغيره ، وآسونا الشاعر البارع ناظم الميامر والاناشيد البديعة ، وآل به الامر الى الضلال بالخيالات الباطلة فمات شقياً ، وقورلونا الرهاوي الشاعر المجيد صاحب القصائد الرقيقة في القمح وآفات عصره والهونيين نحو سنة ٣٩٤ والقس اسحق الامدي ناظم القصائد البليغة وتوفي بعد سنة ٤١٠ بمُديدة .

الفصل الرابع عشر

في القديسين هيلاريوس اسقف بواتيه ٣٦٧ +

واوسابيوس اسقف سميساط ٣٧٩ +

القديسان هيلاريوس واوسابيوس حبران جليلان من ذوي النبل والشهامة والانتصار للايمان القويم . ولد

اولهما في بواتيه (فرنسا) من اسرة وثنية غنية ، وبعد زواجه درس كتب العهدين فتنصر وسقّف على وطنه ووطّد فيه المعتقد النيقاوي وقاوم ضلال الاريوسيين فنفي الى فريجية فتعلم فيها اللغة اليونانية ورسخ في الاحاطة بالمسئلة الاريوسية ، ووضع كتابه في التثليث والمجمع النيقاوي وهو اول لاتيني كتب في العلم الآلهي ، ودافع عن الايمان في مجمع سلوقية . واجتاز في عوده في اللبريقون وايطاليا فقوّى جأش ضعاف الايمان بمعاونة مار اوسابيوس اسقف فيرسيل ، واجتذّ عروق البدعة من فرنسا وتوفي عام ٣٦٧ او ٣٦٨ ومن تأليفه تفسير انجيل متى والمزامير وسفر ايوب وكتاب في المجامع وايمان الشرقيين ورسائل وكتاب الحان .

اما اوسابيوس فسقّف على سميساط في حدود سنة ٣٥٨ وقلع منها بمواعظه وحماسته كثيراً من اشواك الوثنية ، وخصّه الله بفعل الخوارق ووفقه فعمر كنيسة عظيمة بهبات المؤمنين ومبرّات سيدة رومانية من ربّات الحسب . وشهد سنة ٣٦٠ مجمع انطاكية فاستودعه الآباء صك انتخاب البطريرك ملاطيوس . وحينما نفي البطريرك

وأراد قسطنس استرجاعه مهدّداً اياه بقطع يده ان أبى ، بسط كلتا يديه قائلاً : ان قطعهما احبّ الي من تسليم وديعة ثمينة يتسلح بها الهراطقة لمقاومة المعتقد الارثدكسي وحاميه الشرعي البطريرك الانطاكي ! فذهل القيصر من شجاعته وأغضى عنه . وكان مار باسيليوس يكثر من استشارته ويلجأ الى صوالح دعواته لنزوله من نفسه أعلى منزلة ثقةً وامانة . وفي سنة ٣٧٤ نفاه واليس الاريوسي وأقيم مكانه اسقفان دخيلان ، كان حظهما من الشعب الامتهان ، اما القديس فلبس حلة جندي ومضى يطوف البلاد ورسم بتفويض الحبر الانطاكي المنفيّ ستة اساقفة فضلاء . وروي انه فعل ذلك بعد عوده من المنفى ، وعندما صحب احدهم ماري اسقف دليك لاجلاسه على كرسيه جرياً على عادة البيعة ، استشهد بضربة قرميد دمغت بها رأسه الشريف عجوز اريوسية منافقة سنة ٣٧٩ فخلفه ابن اخيه القس انطيوخس وكان فاضلاً قد أبلى في في سبيل الايمان منفياً .

الفصل الخامس عشر

في القديس باسيليوس الكبير ٣٧٩ +

القديس باسيليوس القيصري ، من جلّة الاحبار الراسخين في الدين ، الآخذين من العلم باصدق حجة المشهورين في سائر العصور على الاطلاق ، كان ميمون النقيبة ماضي البصيرة مصباح ظلمات ومفتاح مبهمات ، يؤنسه الحق ويوحشه الباطل . رزقه الله من العقل افضله ومن العلم أجزله ومن المعرفة بالامور اصوبها ، فأقام على بيعة الله قيام الحازم الصليب بورع واجتهاد وعفّة وسداد .

وُلد في حدود سنة ٣٢٩ في قيصارية قبادوقية ، في اسرة عريقة في المسيحية مستعصمة بالتقى ، وكان ابوه باسيل موسراً خطيباً محامياً ، وجدّته لأبيه القديسة مقرينة ممن تتلمذ لمار غريغوريوس العجائبي وحاز جدّه لامّه ، شرف الشهادة ، وسقّف اخواه غريغوريوس وبطرس وترهبت اخته الكبرى مقرينة وقطعت امه اميليا اعوامها الاخيرة في العبادة . ولما بلغ التأديب طلب العلم

والحكمة ، فحاز أوفر قسط منهما في قيصرية فالقسطنطينية فأثينا . وسنة ٣٥٦ تعمّد ورحل الى مصر وفلسطين والجزيرة يأخذ عن اشهر نساكها علم الآخرة . وترهب في دير أنشأه على ضفّة نهر ايريس ، وسمت به نفسه الى اشرف الفضائل منزلة وأبعدها غاية ، وجمع عصبة من هواة النسك ألّف لهم قوانين ورسوماً وسيم قسّاً عام ٣٦٢ فمطراناً لقيصرية سنة ٣٧٠ وهـذا الكرسي يرأس يومئذ نحواً من خمسين اسقفية كان اكثر اصحابها يعارضه حسداً وعناداً — وصاحب الفضل محسود — فصبر عليهم وعالج الامور بحزم وبصيرة ، حتى التفوا حوله فبات لدولة القلوب اميرا . وانصرف الى تعليم شعبه وتخفيف وطأة شقائه ، باعالة العجّز وتمريض المرضى واعانة ذوي الحاجات في ملاجىء خاصة ، صارفاً قصارى عنايته الى كبح الضلال الاريوسي . وجدّ في مصالحة كنيسة انطاكية واذ خيّب اساقفة الغرب أمله أمعن في ذمّهم . وكان ناراً متقدة تحمّساً للمعتقد النيقاوي ومحاماة لبطريركية مار ملاطيوس الشرعية ، وقد عرفتَ آنفاً مواقف بطولته ، ولم يزل نجمه في سعود وهمته في صعود واضعاً يده من درر القداسة

على كل علّق نفيس ، حتى نبه ذِكْرُه فاعتزّت به النصرانية ، بيد ان نحول جسمه لم يقوَ على مقاومة المرض الذي اضناه ففاضت روحه الكبيرة ، غرة كانون الثاني سنة ٣٧٩ ولم يستوف خمسين سنة فكان فقده على الكنيسة شديداً ، وقلّما رُزقت في العلم امثاله واذا لم يكن في درجة صِنوه وحميمه النزينزي فصاحةً ، فقد فاقه جودة فكر وسموّ مدارك ، وخطبه اسوغ لعقول الجمهور بقوة المعاني وبراعة الفنّ . ومن اشهر مصنفاته مقالة في خمسة كتب ردّ بها على اونوميوس ، ومقالة في الروح القدس وكتاب في الايام الستة ، وخطب في المزامير والاعياد السيدية وغيرها ومقالات نسكية وقواعد وقوانين ، وليتورجية ورسائل يتلألأ فيها نور ذكائه ونبل اخلاقه وعلوّ انشائه .

الفصل السادس عشر

في هرطقة مقدونيوس وانوميوس

كان مقدونيوس في بداءة امره اريوسياً متطرّفاً واختلس كرسي القسطنطينية ، وعندما اغتصبه منه

اودكسيوس الاريوسي سنة ٣٦٠ صار اريوسياً معتدلاً وشرع يعلّم ان الابن مساوٍ لابيه في الجوهر ولكن الروح القدس خليقة الابن منكراً لاهوته ، فانتشرت بدعته وتبعها كثير من الاريوسيين . فقاومها القديسون اثناسيوس وباسيليوس وغريغوريوس . وادى انحطاط الاريوسية طفقت الشيعة الجديدة تتظاهر بالزهد والادب والتعقّل تضليلاً للشعب ، فكثر حزبها في العاصمة وامتدت الى ثراقية . وكان القيصر ثاودوسيوس قد تبوّأ العرش بعد والنطينس عام ٣٧٩ فعني بتوقيف سير الضلال وسنّ شريعة جعل فيها الاشتراك مع الكنيسة علامة اكيدة للارثذكسية مصرّحاً بلاهوت واحد للاقانيم الثلاثة وعزم على عقد مجمع مسكوني .

اما اونوميوس فكان فلاّحاً مبتلى بالبرص ودخل مدرسة انطاكية وقرأ على أيتيوس - وكان هذا صائغاً او حدّاداً حرص على علم الطب وفلسفة ارسطو واستعمل المنطق للافراط في الضلال الاريوسي وسيم شماساً - وصيّر اونوميوس اسقفاً لمدينة قوزيقوس ولكن اهلها رفضوه لبدعته وموافقته لأيتيوس واستيريوس الخبيثين ، فانه

زعم « ان الابن ليس شبيهاً بالله وانه من جوهر آخر ، واستبدل اسم الله بالغير المولود ، على طريقة افلاطون واستنتج ضلاله بقوله « بما ان الابن مولود فليس آلهاً » وقد دحض بدعته مار باسيليوس والغريغوريوسان . ولدن سماع ثاودوسيوس تجاديف اساقفة اونوميوس مزّق دستور اعتقادهم الفاسد وهدّدهم بالطرد من الكنائس . ثم حُرم اونوميوس وبدعته في المجمع الثاني ونفي وهلك في منفاه سنة ٣٨٣ وقيل ٣٩٢

الفصل السابع عشر

في المجمع الثاني المسكوني سنة ٣٨١

انعقد المجمع الثاني المسكوني في مدينة القسطنطينية وبلغ عدد آبائه مئة وخمسين اسقفاً برئاسة القديس ملاطيوس بطريرك انطاكية ، وكان اسبقهم الى الحضور يصحبه سبعون اسقفاً من الشرق . وحضر نحو من خمسين اسقفاً من آسيا الصغرى ما عدا ولايتي غلاطية وبفلاغونية لاستيلاء الاريوسية على اسقفياتهما . وجاء ايضاً اولوسيوس

الشيخ اسقف قوزيقوس ومعه ستة وثلاثون اسقفاً من آسيا الغربية المائلين الى بدعة انصاف الاريوسية والمقدونية ، ولم ينظم هولاء الهراطقة في سلك اباء المجمع ، انما تباحثوا معهم بصدور واسعة فلما لم يرجعوا عن غيّهم جانبوهم آسفين . ثم قرّر الاباء مراسيم مجمع نيقية وأثبتوا دستور ايمانه وأوضحوا ما تعلق منه بقضية التجسد الالهي ، وأضافوا اليه قولهم « ونؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب ، الذي هو مع الآب والابن يُسجد له ويمجّد » الخ وحرموا مقدونيوس ومشايعيه اونوميوس وأيتيوس واتباعهم . وأمر القيصر باجراء ما رتّبه المجمع وعمّ قبوله في الكنيسة المسيحية جمعاء ولو لم يشترك فيه اساقفة الغرب .

وبحثوا ايضاً رآسة اسقفية القسطنطينية فاحتفلوا بتجليس غريغوريوس على سدّتها لحسن جهاده في كنيستها . ولما توفي مار ملاطيوس الانطاكي ونظروا في انتخاب خلفه ، وارتأى غريغوريوس الاتفاق مع بولينس ، ضايقه الاساقفة الشبان وسكت الشيوخ ، وانتخبوا القس فلابيانس وسيم في انطاكية ، فساءه الامر وعزم عن الانصراف من

المجمع بعدما تولّى رئاسته فلم يوافقه الابآء . وفي تلك الاثناء وصل طيمثاوس الاسكندري واخوليوس مطران تسالونيقي وكانا من حزب بولينس ، فاعترضا على نقل الاساقفة من ابرشية الى اخرى تحدّياً لغريغوريوس . فازداد استياء واستقال فوراً وودّع شعبه وعاد الى نازيـنزة ، فحسرت كنيسة القسطنطينية فيه بطلاً عظيماً . واختير مكانه نقطاريوس برضى القيصر وتمت رسامته ، وانجزوا المجمع برئاسته (الشرفية) وسنّوا اربعة قوانين ، تضمّن احدها ترتيب اسقف القسطنطينية ثانياً بعد اسقف رومية لاعتبار مدينته عاصمة الامبراطورية اي رومية الجديدة ، مرجحين الكفّة السياسية ، فلم يقع ذلك من اساقفة الكراسي الرسولية الكبرى موقعاً حسناً وكان اثنـان منهما غائبين .

الفصل الثامن عشر

في القديس ملاطيوس الانطاكي ٣٨١ +

القديس ملاطيوس من اجلّ البطاركة الذين زيّنوا

الكرسي البطرسي الانطاكي بفضائلهم السامية وجهودهم الرسولية . ولد في ملطية وتخرّج في مدرسة انطاكية اللاهوتية ، وتروّض في الفضيلة والعلوم فنال منهما قسطاً وافياً . وكان على خلُق كريم وديعاً بشوشاً دمث الطباع متواضعاً محباً للسلام طبقاً لمعنى اسمه (العسلي) وسقف على سبسطية ارمنية بعد عزل اسقفها اوسطاثيوس نحو سنة ٣٥٨ فمال حزبه دون اقامته فيها فسكن حلب . فتوجهت اليه انظار اساقفة المشرق اساطين الارثدكسية وخصومها ، فاختاروه برضى القيصر قسطنس لرآسة الكرسي الانطاكي اوائل عام ٣٦٠ واستقبلته المدينة باسرها . وحينما لفظ خطبته الشهيرة مصرّحاً بالاعتقاد المستقيم في الثالوث الاقدس ، امتعض منه الاريوسيون وحملوا القيصر فنفاه الى ملطية بعد شهر من رآسته . ثم عاد ونفاه واليس (والنس) ثانيةً فثالثةً ، وكل ذلك في سبيل الايمان فكان في منافيه مثالاً للصبر والحلم . وأكثر من المسعى مع زميله بولينس الاسقف الارثدكسي الذي سامه لوسيفر اسقف كاجلياري وحده ، للاتفاق على رآسة الكرسي سوية فأبى ذاك عناداً .

وعقد لاجل الايمان الارثدكسي مجمعين ، وسقّف عدداً صالحاً من خيرة رجال الدين ، وكان اساقفة الشرق كافة به يعترفون واليه يرجعون . ثم انتدبه ثاودوسيوس الكبير لرآسة المجمع القسطنطيني تائقاً الى مرآه ، وحينما شاهده بين جمهور الابآء ، عرفه حالاً لمطابقة صورته لمشهد رآه في حلمه وهو يعقد له تاج السلطنة قبلما تولاّها ، فأسرع اليه وعانقه مقبّلاً فاه ويمينه وأجلّ مثواه .

وشآء الله ان ينقل هذا الحبر الصالح الى دار كرامته وهو في بُهرة المجمع ، فاشتد حزن القيصر والاساقفة عليه واحتفلوا بتجنيزه . وانبرى فصحآء الابآء الى تأبينه واستهلّ غريغوريوس النوسي خطبته بقوله « لقد زاد لنا عدد الرسل هذا الرسول الجديد » ثم استوفى وصف مناقبه ومكارمه وقداسته التي اجمع عليها المؤرخون . وضمّخ جثمانه الطاهر بطيوب غوالي تبرّعت بها سيدة غنيّة ، وامر القيصر بحمله الى انطاكية والاحتفآء به في سائر البلاد التي يجتازها ، وأودع الكنيسة ازآء ضريح القديس بابيلا فحاز كرامة هذا شأنها بعد حرمانه الراحة في حياته في سبيل الكنيسة وايمانها المستقيم .

الفصل التاسع عشر

في الرهبانية وفضلها في الشرق

انتشرت الرهبانية في المئة الرابعة في اصقاع كثيرة من بلاد الشرق انتشاراً مدهشاً . واشهر مواطنها بعد برّية مصر ، سواحل فلسطين الجنوبية وبادية الشام وبرية قورش وجبل الرّها المعروف بالجبل المقدس ، والجزيرة وجبل الإزْل وطور عبدين وجبل قردو ، وجبل الفاف (الموصل) وجبل ماردين وضواحي قيصرية قبادوقية واقليم البنطس وطور سينا .

وكان الرهبان وقد ابتعدوا عن هوى الدنيا ومزالقها وانقلبوا عنها بالزاد المبلّغ والمتجر الرابح ، قد استمسكوا بعبادة الله وروّضوا نفوسهم على التّقى ومحاسن الاخلاق حراصاً على رضى ربّهم حرص المرء على حديقة عينه ، وزهدوا في المال والقِنى فكانوا يتبلّغون بيسير من الخبز والبقول والحبوب والثمار والزيت ، وحسبُهم من القوت الطفيف ما يمسكون بـه النفس ، ونفضوا عنهم غبار الكسل بالاقبال على العمل ففريق يضفر حصراً وزنابيل

من البردي ، وفريق يعاني الفلاحة وطبقة تنسخ الكتب ، وجماعة تسدّ بصنائعها حاج الاخوة . وكانوا ما خلا النساك المتوحدين ، يجتمعون مرتين للصلاة يومياً يرتلون المزامير ويتلون آي الكتاب الكريم قانتين ، فضلاً عن صلواتهم الخاصة ، وهم لا ينحرفون عن صراط الطاعة يخضعون لرؤسائهم خضوع الصبيان لمعلميهم فيركبون سبيل الفائزين . فكانت اجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة ونفوسهم عفيفة واقوالهم ليّنة لطيفة ، طريقة جميلة حملوا نفوسهم عليها ، ورياضة وجّهوا خواطرهم اليها مختارين . وقد أطال التقشف اعمارهم وحسن اثر الهوآء الطلق في عوافيهم فبلغ معظمهم من العمر عتياً . وياطالما هذبوا اخلاقاً وهدوا أمماً وعشائر الى الدين المسيحي المبين .

ولما كثرت الاديار واعتزّ شأنها ، اشتغل كثير من الرهبان بالعلم والتعليم وتحولت بعض الديارات الى مدارس زاهرة . منها نشأ دعاة الى النصرانية وطبقات الاساقفة القديسين الراسخين في شتى العلوم ، وأحذق الكتّاب واصحاب الخطوط الرائقة الذين حفظوا للعالم كتب الدين والعلم . واصبحت الاديار ايضاً مأمناً لمن حفّت بهم المخاطر في

البوادي والجبال ، وملاجئ لمن برّح بهم الجوع والبؤس ، ووَزراً من القِرّ وشدة القيظ والسمائم وضواري السباع ، وملاذاً من صنوف المكاره ، وناهيك بافضال الرهبنة هذه على المجتمع الانساني .

الفصل العشرون

في مشاهير نساك المشرق

من اشهر نسّاك المشرق القديسين في المئة الرابعة مار ابرهيم القيدوني ومار يوليان الشيخ ومار اوجين القبطي وتلاميذه ، ومار متى الشيخ وصحبته ومار عبدا صاحب دير قوني ومار هارون السروجي ومار اوغريوس البنطي ومار صموئيل المشتيني .

كان ابرهيم من نبعة شريفة ويُظنّ رهاوياً ، زهد في الدنيا لسبعة ايام من عرسه وتنسك ، وبعد موت ابويه وزّع امواله على ذوي البأساء وسيم كاهناً وهدى قرية قيدونا الى النصرانية ، وتتلمذت له مريم ابنة اخيه ولما هوت انقذها من فخّ الخطية حتى حسنت توبتها وقضى نحبه سنة ٣٦٦ وله سبعون سنة .

وسكن مار يوليان صحراء في اقليم الفرات فديراً في جبل حسماي بقرب نهر الفرات ، وتتلمذ له نفر ثم بلغوا المئة ، من اوجههم يعقوب واسطريس واقاق الذي تسقّف على حلب ، وزار طورسينا وبرية الاسقيط وأخزى الاريوسية في انطاكية . وشاع امره وعمل الخوارق وانتقل الى جبل الرها وتوفي عام ٣٦٧ وبني له بظاهر القريتين (حمص) دير حوى بعض اعضائه .

وترهب مار اوجين القلوزمي في دير الانبا باخوم ، بعدما غاص على اللآلىء خمساً وعشرين سنة ووزع ثمنها على البؤساء ، وتعلقت نفسه بالصالحات الباقيات . ثم رحل الى جوار نصيبين فنسك في جبل الإزل وفاح عبير فضائله ، وأكرمه الله سبحانه بفعل المعجزات وبنى ديراً لاتباعه ولقنهم سنن الزهادة ودربهم على الفضيلة وتنصر خلق على يده ، ومضى الى ربه شيخاً هرماً اواخر القرن الرابع ودفن في ديره الذي لا يزال عامراً آهلاً . ومن أميز تلاميذه القديسون ملكي القلوزمي ابن اخته ويارث الاسكندري واشعيا الحلبي وبنى كل منهم ديراً .

ونسك مار متى الايجرشاطي الآمدي في دير زوقنين

وتميّز بالورع وسيم قساً ، ورحل في شدة يوليانس الى بلاد فارس في نسّاك ، منهم القديسون زكى وابرهيم ودانيال وسرجيس وزعورا . وتعبد لله منقطعاً في جبل الفاف في كورة نينوى ، فتابعه جمّ غفير وانشأ ديراً جليلاً وتوفي في سلخ المئة الرابعة شيخاً كبيراً ، بعد ذيوع صيت معجزاته ولا يزال ديره عامراً آهلاً وهو كرسي اسقفي .

وترهب مار عبدا وسيم كاهناً وانشأ في المدائن ديراً ومدرسة ، ونصّر خلقاً واظهر الله على يده الخوارق . وهدى قوماً من المرقيونية ثم سكن دير الصليب قبيل سنة ٣٥٢ ومن تلاميذه عبد يشوع الناسك .

وكان مار هارون من سُراة اهل سروج ، تنسك ثم بنى ديراً في الجبل المبارك (ملطية) وكان رهبانه سبعاً وسبعين وفعل معجزات وتوفي سنة ٣٨٩ شيخاً هِمًّا .

ودرس اوغريوس البنطي العلوم وسيم شماساً ، وصرم جبل الدنيا زاهداً فيها بعد سنة ٣٨١ بمديدة ، ولحق بمار مقاريوس المصري وصنف للرهبان جملة كتب اشهرها ، مقالة في افكار الخبيث وكتاب المئات وستمائة حكمة نسكية (٣٩٩ +) .

ونشأ مار صموئيل في بلد الصّور (شمالي ماردين) في بيت كريم ، وترهب ولحق به عدة رهبان وعمّر سنة ٣٩٧ على انقاض هيكل للاصنام ، ديره المشهور بقرب قرية قرتمين . وتبرّع القيصران هنوريوس وارقاديوس لعمارته بمال جليل ، وخرّج جمهرة من الرهبان ابرزهم مار شمعون القرتميني وفعل آيات وتوفي عام ٤٠٩ وديره عامر آهل .

وفي قبادوقية والبنطس ، بنى مار باسيليوس ديرين ووضع للنساك رسوماً اتخذها الرهبان الشرقيون دستوراً لهم . وانشأت اخته القديسة مقرينة دير أنّسي انقطعت فيه مع خمسين راهبة اعتكفن على الزهادة والعبادة ، خوف الله شعارهن والطاعة حرزهن ، ومقرينة وكانت على خُلق كريم ، خير مثالٍ لهن . زارها اخوها مار غريغوريوس النوسي وقد أدنفت فبكى فقالت له: « لا أرى هذا الجزع لائقاً بك وانت اسقف ، وانما انا ماضية الى يسوع الذي احببته » وحينما لفظت انفاسها والتمس لها ثوباً جديداً لتجهيزها وعلم انها لا تملك سوى ما عليها ، عمد الى احد أرديته فأصلحه الرواهب وألبسنها اياه وذلك سنة ٣٨٠ وحكى بلاديوس انه كان في انقرة اكثر من ألفي عذراء متنسكة .

الباب السابع

في اخبار الكنيسة منذ المجمع الثاني حتى نهاية القرن الرابع

٣٨١ _ ٤٠٠

الفصل الاول

في حالة الكنيسة الغربية لعهد داماسوس الروماني

خلا الكرسي الروماني سنة ٣٦٦ بوفاة ليبياريوس فانقسم الشعب الى حزبين اختار بعضهم اورسينوس ورُسم فوراً ، وبعد اسبوع انتخب ورُسم داماسوس رئيس اساقفة . وكان رومانياً شريفاً أخا ورع ودين ، قد أصاب طرفاً من الثقافة . فثارت فتنة صماء أزهقت فيها نفوس وهشّمت اعضاء ، وتلتها فتنة اشدّ قُتل فيها مئة وسبعة وثلاثون نفساً من حزب اورسينوس ، ودخل هذا رومية ثم نفي الى غاليا ثم أعيد الى ايطاليا الشمالية ، وظلّ الشقاق مدة حياته . وكان في رومية كنائس صغيرة للشيع القديمة

كالو النطينيين والمرقيونيين والمنطانيين والسابليين واساقفة للنوباطيين والدوناطيين، وقام للوسيفيريين ايضاً اسقف، واما الافريقيون المتوطنون فيها وهم قيقيليانيّون، فكانوا يصلّون في البيع الارثدكسية.

وعقد داماسوس اربعة مجامع وُضع في احدها بيان صار دستوراً للايمان، وفي الثاني ثبت بكتب العهدين، وفي الرابع وشهده ثلاثة اساقفة شرقيون حُرمت البدعة الابوليناريه. وكتب اساقفة الشرق الى ابآء هذا المجمع رسالة لمشاركتهم في الارثدكسية ولكنهم لا يريدون تداخلهم في امورهم الداخلية. وتقدم داماسوس الى كاتبه الالمعي القس هيرونيمس فوضع باللاتينية ترجمةً جديدةً محكمة للتوراة، وسمّيت الفولكاتا اي الرائجة. واستعان به لقمع بعض اصحاب البدع المتفشّية في الغرب كلهفيديوس الذي انكر دوام بتولية العذرآء، وجوفنيل الذي استنكر الرهبانية وغيرها، وازدانت رومية في ايامه بمعاهد مسيحية وعني بحفظ الديامیس باحثاً عن اضرحة قدمآء الشهدآء ومدوّناً بعض اخبارها منظومةً، واقبل المؤمنون على درس الكتب المقدسة وتوفي ١٠ كانون الاول عام ٣٨٤

الفصل الثاني

في حالة الاريوسية في بلاد الغرب

ان الاريوسية التي نفذت الى الغرب باستيلاء البرابرة لم تكن راسخة شأنها في الشرق ، فوُجد اسقفان من بلاد ايللوريقون يقال لهما بلاديوس وسيكوندیان ، يبثان تعاليم ذات شبهة تحت ستار ارثدكسي ، فعقد في مدينة اكيلا بامر القيصر غراطيانس ورأي امبروسيوس مطران ميلان ، مجمع في خريف سنة ٣٨١ رأسه اسقفها فاليريان وفي اليوم عينه حُرم المذكوران ، ورفع الامر الى القيصر لتنفيذ القرار . وكان فشل الاريوسية في الغرب بفضل امبروسيوس الهمام وعزيمته . فقد كانت القيصرة يوسطينة ارملة والنطيانس الاول اقامت في سيرميون منتظرة نشأة ولدها القاصر والنطيانس الثاني . فالتفّ حولها الاريوسيون فرأست حزبهم توصّلا الى مقصدها ، وكانت تكره امبروسيوس . فلما ذُبح غراطيانس واغتصب مكسيمس الخارجي عرشه سنة ٣٨٣ اسرعت يوسطينة الى المطران

وترامت عليه بولدها ، ملتمسة مواجهة المغتصب ليقسم المملكة الغربية بينه وبين ولدها ، ولم يعهد قبل هذا توسّط حبر في شؤون السلطنة . فلبّى امبروسيوس سؤلها وكان موفّقاً . وعند عوده وعلمه ان والنطيانس وعد وثني رومية باعادة «مذبح الظفر» اليهم ثناه عن عزمه ، وأبى على يوسطينة ان يهب اريوسي ميلان كنيسة متضافراً مع الشعب ، ففشلت في سعيها وعاودت المسئلة ثانيةً فخاب املها . وفي سنة ٣٨٩ انكر قانوناً اصدره هذا الملك الفتى ينص على العقاب بالموت ، لمن يعارض حرية الاريوسية . وتفاقم الامر فطلب منه مغادرة ميلان فخطب وقال «ان القيصر هو في الكنيسة لا فوقها» فكتب له الفوز ثالثةً وماتت يوسطينة في السنة نفسها فهُدّ ركن الهراطقة .

الفصل الثالث

في القديس قورلس الاورشليمي ٣٨٦ +

ولد القديس قورلس في اورشليم او بعض ضواحيها في حدود سنة ٣١٥ وانجز تحصيله فيها او في انطاكية .

وسيم قساً نحو سنة ٣٤٣ او ٣٤٥ وسقّف عليها اواخر سنة ٣٥٠ خلفاً لمار مكسيمس الثالث المعترف ، الذي كان قد فقئت عينه اليمنى وقطعت بطّة ساقه في شدة مكسيمينس ، وتوفي منفياً في سبيل الايمان النيقاوي . واحتمل قورلس المنفى نظير سلفه ثلاثاً للسبب نفسه ، واقام في منفاه الاخير اثنتي عشرة سنة وغصب كرسيه ثلاثة دخلاء . ثم عاد اليه بسلام عام ٣٧٩ وشهد المجمع الثاني المسكوني ومجمعاً ثانياً في العاصمة ، واستوفى ايامه في ١٨ آذار سنة ٣٨٦ ومن اخص اخباره ، ظهور الصليب المقدس في ايامه في كبد السماء فوق جبل الزيتون في رائعة النهار بشكل منير عجيب سنة ٣٥١ وفوزه على مطرانية قيصرية فلسطين الذي كان يدّعي الرآسة على اسقفية اورشليم واقامته ابن اخته جلاسيوس مطراناً عليها ، وافادته المؤمنين بمواعظه الدينية التهذيبية الشائقة . فانه شرح للموعوظين قانون الايمان والعماد والميرون والاوخريستيا في اربع وعشرين خطبة ، لها منزلة لاهوتية كبرى ، وهو سهل الاسلوب مفهوم اللهجة يتذوق الحضور معانيه ويقبلون على وعظه مرتاحين الى عذوبته .

الفصل الرابع

في مناقب القيصر ثاودوسيوس وحادثة انطاكية سنة ٣٨٧

رقي القائد ثاودوسيوس الكرجي الاصل الاسباني المولد ، عرش الامبراطورية الرومانية الشرقية سنة ٣٧٩ وكان وثنياً آمن بالمسيح واعتمد . وكان تقياً شجاعاً حازماً رفيع الهمّة لكنه سريع الغضب وفي طبعه حدّة . وسنة ٣٨٧ دهمت انطاكية فتنة بسبب ضريبة مالية غاظت اهلها ، وفي فورة الغضب رموا تماثيل القيصر والقيصرة المتوفاة وولديهما وامتهنوها سحباً في الشوارع . فثار ثائر القيصر واوفد معتمدَين لمعاقبة الجناة ، بينما نكّل الحكّام ببعض الاهالي تنكيلاً شديداً ، واستفاق اهل المدينة من سكرة جهالتهم وباتوا ينتظرون الموت . وقصد البطريرك فلابيانس العاصمة غير مبالٍ بشيخوخته كاسفَ البال مبتهلاً الى الله ليعطف قلب الملك الى الرعية فيرقّ لها . وانبرى نائبه القس يوحنا الذهبي الفم يدعو الشعب بخطبه البليغة الى التوبة والثقة برحمة الله ، ونزل النسّاك

من الجبال يستعطفون المعتمدين . وحينما انتهى فلابيانس الى القيصر وقف عن بعد واجماً مطرقاً الى الارض ببصره ، فطفق القيصر يذكّره بالافضال التي غمر بها انطاكية ويعاتبه على هذا الكنود . فقال له فلبيانس « لا شكّ اننا لكل عقاب مستحقون ، فان دمّرت انطاكية كان ذلك دون ما نستحقه ، على انك اذا قفوتَ اثر جود الله سبحانه وعفوت عنا ، كنّا مدينين لك بحياتنا وازددت فخراً وفزتَ بذكر جميل ، وأريت اليهود والوثنيين نبلَ النصرانية وملوكها بالتغاضي عن الشتائم أسوة بالسيد المسيح . ولن يُبطر حلمك هذا بقية البلاد ، فان ما نزل بنا من التعس قد أوعب النفوس رعباً ، ولا غضاضة عليك في تنازلك لرضى شيخ ضعيف ، فانك ان فعلت ، فانما لله تتضع ، ذلك انه بعثني اليك لابلغك امره ، وهو ان لم نغفر احدنا لصاحبه فلن يغفر لنا ذنوبنا . وان لم تفعل ، فهذا آخر عهدي بانطاكية كرسيّاً وموطناً » فرقّ ثاودوسيوس لهذا الخطاب البليغ حتى أدمعت عيناه فقال « أيليق بي ان ابخل بالعفو عن خلق مثلي ، بعد صفح ربّ المجد عن معذّبيه ؟ فعُد الى رعيتك وافرخ رَوْعها !

فسجّل التاريخ لثاودوسيوس هذه السجاحة والحلم العظيم ولفلبيانس غيرته الرسولية .

الفصل الخامس

في القديس غريغوريوس النزينزي ٣٨٩ +

القديس غريغوريوس النزينزي ثاني اللاهوتين ، واحد فحول علماء النصرانية الذين يندر ان يأتي الدهر بامثالهم ، ومن امراء الكلام الذين فيهم تنشّبت عروقه ، وعليهم تهدّلت غصونه ، وسمّاه الذهبي فمه « جندي المسيح الذي لا يُقهر » ولد حوالي سنة ٣٢٨ في اريانزه بقبادوقية ، وكان ابوه قد تنصر بهمة زوجته الفاضلة نونا ، ثم سقّف على بلدة نازينزه . ونشأ للمترجم اخ لوذعي اسمه قيساريوس واخت صالحة تسمى جورجونية . وحصل العلوم في قيصرية قبادوقية وقيصرية فلسطين فالاسكندرية فأثينا ، فأحاط بعلمي البيان والفلسفة . واعتمد نحو سنة ٣٦٠ ثم ترهب مع مار باسيليوس . وسامه ابوه قسّاً سنة ٣٦٢ فأقام في خدمته حتى سنة ٣٧١ او ٣٧٢ فرسمه باسيليوس اسقفاً

لبلدة حقيرة اسمها سازيما ، لكنه لازم خدمة ابيه حتى توفي سنة ٣٧٤ فانقطع الى دير في ايسورية . وفي اوائل عام ٣٧٩ استنجده ارثوذكسيو القسطنطينية ولم يكن لها اسقف ، وقد استبدّ بها الاريوسية وغصبوا كنائسها العظمى . فسار اليهم وجمعهم في دار رجل من اصحابه جعلها كنيسة صغيرة وسمّاها انسطاسيا ، وفيها ألقى خطبه الرّنانة في الثالوث الاقدس فتدفقت منها سيول الفصاحة على أسماع المؤمنين فنما عددهم باجتذابه جمهوراً من الضالين الى جادّة الايمان القويم . وفي سنة ٣٨٠ اقرّ القيصر رآسته على القسطنطينية وأيّد ذلك المجمع المسكوني عام ٣٨١ ولكنه استقال في بُهرة السينودس ، وقد احفظه حسد بعضهم وعاد الى نازينزة قائلاً « ردّوني الى الانفراد وردّوني الى الله » وكان في جميع ادوار حياته التي انتهت سنة ٣٨٩ او ٣٩٠ من القداسة بالمكان الرفيع .

كان غريغوريوس سامي المدارك ، ذا نفس لطيفة حسّاسة وروح يشوبها شيء من الوهم ، فلو أصاب بيئة هادئة لطيفة توافق مزاجه ، لكان له غير هذا الشأن ، وعلى كل حالٍ فقد اخطأوا بـه مواضع استحقاقه . واذا

اضاعت القسطنطينية فيه الملفان اللاهوتي الخطيب المفوّه واستبدلته بنقطاريوس الشيخ الضعيف ، فقد اكتسبت البيعة الجامعة افضال علومه ، فانه بلغ من جلاء حقائق الفلسفة ما لم يبلغه احد الآباء قبله ، واهتدى في دقائق سرّي الثالوث والتجسّد الى عبارات لاهوتية موفّقة . واشهر مصنفاته التي تجلّت فيها مخيّلته المنمقّة وانشاؤه وهو من اعلى الطبقات ، خطبه في العقائد والاعياد والقديسين والتائبين ، واشعاره اللاهوتية وفيها تبدو الحقيقة الشعرية وصدق العاطفة ، واعتنى نخبة من جهابذة السريان بنقلها وشرحها ، وكتاب المستطرفات «فيلوكالي» جمع فيه هو وباسيليوس نخباً من مصنفات اوريجانس ، ورسائل وليتورجية .

الفصل السادس

في الانبا امّون والانبا مقاريوس الكبير والانبا مقاريوس الاسكندري وغيرهم من مشاهير نساك مصر

من مشاهير نسّاك مصر : الانبا امّون منشىء الرهبانية

في وادي النطرون حوالي سنة ٣٢٣ ، اجتمع عنده في مدة قصيرة نحو من خمسة آلاف راهب ، فألف لهم رسائل لطيفة في السيرة النسكية وعندنا منها نسخة بالسريانية وتوفي سنة ٣٥٦

والانبا مقاريوس المصري الكبير وهو احد منشئي الرهبانية بمصر ، ولد نحو سنة ٣٠٠ وانقطع الى حصن قانتاً متقشفاً سنة ٣٣٠ وهو يضفر السلال يقتات بثمنها ، فحسده ابليس . ولما ظهرت براءته من تهمة شائنة شاع صيت فضيلته واقبل اليه جم غفير . فأنشأ دير البرموس باسم العذراء وعدة اديار في برية الاسقيط والجبل الغربي وسيم كاهناً سنة ٣٤٠ وتميّز بالتواضع والفطنة وسلامة القلب ونفي في رهبان كثير الى جزيرة أنَس الوجود فنصّر اهلها بشفائه ابنة كاهن الكفرة ، وتوفي في ديره سنة ٣٩٠

والانبا مقاريوس الاسكندري ، تنسك قبل سنة ٣٤٦ واعتكف متقشفاً ، وتلقّن الفضائل السامية من حذّاق النساك ، وأقام في مصر السفلى . ورُسم قسّاً وكان حريصاً على العفة ، وأرشد خلقاً الى الزهد ورهبانه يعيشون منفردين لا يجتمعون الا يومي السبت والاحد

خدمة القداس . وبعدما سلخ في النسك نحواً من خمسين سنة وشفى مرضى توفي منفياً سنة ٣٩٤ — والانبا يوحنا الحزّاء (الرائي) المصري من ليكوبليس زهد في الدنيا سنة ٣٣٠ ونسك زهآء ستين سنة ، وعُرف بالحلم والتواضع . وتابعه تلاميذ كثيرون ونال موهبة النبوّة فتنبأ بالظفر لثاودوسيوس في حرب باشرها مع بعض الخوارج . ومن فضلآء نساك جبل النطرون ، الانبا مرقس ولم يُرَ نظيره حشمة ووداعة ، كان يحفظ عن ظاهر قلبه كتاب الله وذاع صيته في العقد الاخير من المئة الرابعة ، والانبا بمبو وكان ثقةً ولم يأكل خبزاً الاّ من تعب يديه ، والقس ايسيدورس وكان فاضلاً علماً واخلاقاً (٤٠٥ +) .

ومن افاضل النساك : امونيوس كان يحفظ الكتاب العزيز غيباً ، ويتميّز بدرس مصنفات علمآء الاسكندرية ، وايليا الذي استتاب في دير في اثريب نحواً من ثلثمائة امرأة ساقطة ، وابولونيوس الذي ابتاع بماله أدويةً وآنية كان يوزّعها في طوافه على الاديار ، وبولس الساذج وموسى الحبشي .

الفصل السابع

في القديس غريغوريوس النوسي ٣٩٤

ولد في قيصرية نحو سنة ٣٣٥ وتأدّب فيها ، وعلّم الخطابة زماناً وتزوّج ، ثم وقعت في نفسه خطب التزينزي فانضمّ الى نسّاك دير ايريس . وسنة ٣٧١ رسمه اخوه باسيليوس اسقفاً لمدينة نوسة وكان ضعيف الادارة لكنه جوّد في القضايا العلمية ، وعزله الاريوسيون سنة ٣٧٦ فعاد الى ابرشيته بعد سنتين ، وشهد المجمع القسطنطيني وحظي فيه باعتبار عظيم حتى عدّه القيصر من اساطين الارثدكسية . وندب الى مهمّة لدى بعض اساقفة اقليم العرب وفلسطين ، والاظهر انه توفي بعد سنة ٣٩٤ بمُديدة .

وكان هذا الحبر فاضلاً في سيرته ، كاتباً لاهوتياً فيلسوفاً اجتهد في التوفيق بين الدين والعقل ، ومال من الناحية العلمية لا العقائدية الى مذهب اوريجانس في الخلاص العام . وفنّد بدعتي اونوميوس وابوليناريوس في ثلاثة كتب ، وصنف كتاباً مشهوراً في التعليم المسيحي وخطباً

عقائدية وأدبيـة ، وفسّر سفر الجامعة ونشيد الانشاد والصلاة الربية والتطويبات وبعض آيات من الرسالة الاولى الى قورنثية . وردّ على الاريوسية والمنجمين ، ووضع مقالات في النفس والقيامة وموت الاطفال والبتولية وتقاريظ للقديسين ومراثي ، ومقالة في تركيب الانسان أتمّ بها كتاب اخيه باسيليوس في الايام الستة ، وتراجم لموسى النبي وغريغوريوس العجائبي واخته مقرينة ورسائل .

الفصل الثامن

في فتنة تسالونيقي وتوبة ثاودوسيوس وفضله على النصرانية ووفاته ٣٩٥ +

أقام ثاودوسيوس في بلاد الغرب زهاء ثلاث سنوات ، كان له فيها شأن مع امبروسيوس مطران ميلان ، فحسنت منزلته عنده وثوقاً بوفور عقله وحزمه ، وأَلِف كلّ منهما صاحبه . وسنة ٣٩٠ اصابت تسالونيقي فتنة قُتل فيها الوالي ، فأطلق القيصر السيف في اهلها فوراً لشدّة غيظه ، وقُتل زهاء سبعة آلاف نفس فعظم ذلك على امبروسيوس .

فمنع القيصر الدخول الى البيعة فعاد ادراجه حتى أكمل قانون التوبة وقد استشعر ذنبه وندم . وفي ليلة عيد الميلاد تضاعف غمّه فقال في نفسه « واحسرتي أيكون هيكل الرب مفتوحاً لرعيتي ومغلوقاً دوني » ؟ وتوجّه الى مخدع بلصق البيعة وسأل الاسقف العفو عنه ، ففرض عليه ان يسنّ قانوناً يؤجل بموجبه تنفيذ الحكم بالقتل على المجرمين مدة ثلاثين يوماً ريثما يتم التحقيق ، ففعل فخلّصه امبروسيوس من ذنبه فدخل البيعة تائباً باكياً ، وكان بعمله هذا الديني العظيم مثالاً صالحاً للملوك المسيحيين . وتجلت حماسته للدين المسيحي بعمل اعظم جآء اكليلاً لمساعيه الحسان . وذلك ان اربوكاست القائد الوثني خان عهد والنطيانس الثالث ملك الغرب الصغير السن ، فغصب المملكة اوجين الطاغي بعد مكسيمس وكلاهما من الخوارج ، وساقه الى اعمال يقصد بها اعادة الوثنية الى رومية ، فحمي غضب ثاودوسيوس حميّة للنصرانية ونصرةً لاسرة والنطيانس . فقدم عليه بجيش جرّار ، ولما رأى الجيش اعلام العدوّ وعليها علامة الكفر وارتأى ان تخفض قليلاً رأيات القيصر التي يعلوها شعار الصليب ، زجرهم بقوله

« لن يكون هذا ابداً وستعاينون غداً فعل آله ثاودوسيوس » ! وفي اليوم التالي كُسر الطاغي وجيء به خانعاً فقطعه احد الجند بالسيف ، وانتحر القائد الخبيث وقضي على الفتنة السياسية الدينية عام ٣٩٤ وفي ١٠ كانون الثاني سنة ٣٩٥ توفي هذا الامبراطور الصالح ، الذي يُعدّ بحقّ من اعلى ملوك النصرانية في المجد كعباً وأكرمهم جوهراً وأوفرهم صلاحاً . فخلفه ولداه ارقاديوس في الشرق وهنوريوس في الغرب وكانا دونه بمراحل .

الفصل التاسع

في القديسين امبروسيوس مطران ميلان ومرتينس اسقف تور ٣٩٧ +

القديس امبروسيوس من خيرة أئمة النصرانية حزماً وعزماً وحكمةً ، فاق اساقفة عصره الغربيين وشآهم بصيته حتى سيريقيوس رئيس اساقفة رومية . ولد سنة ٣٣٣ وكان والده حاكماً في غاليا ، وربي في رومية تربية مسيحية وتعلّم الفقه واقيم حاكماً قنصلياً في اميلية وليغورية ،

ومركزه ميلان (مديولان) فأحسن الادارة . وسنة ٣٧٤ توفي اوكسانس اسقف ميلان الاريوسي ، فشغب القوم في انتخاب خلفه ، فحضر امبروسيوس البيعة لحفظ الامن وتهدئة الاكليروس والشعب المجتمعين فيها . فهتف احد المؤمنين قائلاً : ليكن امبروسيوس اسقفاً فردّد الشعب الهتاف قاطبةً وألحوا عليه وهو يأبى ، فقال له الاساقفة ، لم يكن هذا الاختيار الاّ بارادة الله ولا بدّ لك من الطاعة لحكمه . ففعل واعتمد واقتبل الدرجات الكنسية حتى الاسقفية في ظرف ثمانية ايام ، ولزم قلايته مدة صارفاً همّته الى النظر في كتب الدين . وصار وليًّا ناصحاً لغراطيانس قيصر الغرب ثم لوالنطيانس الثالث ، وسار له في بيعة الله ذكر جميل . ومرّت بك مواقفه الحازمة المشرفة نصرة للدين والحق . وكان بصيراً بالامور يحتال لها بجهده ويتناولها بجده بحزمٍ ورأي اصيل ، وهدى بمواعظه العلامة اوغسطينس الى طريق الصلاح وتوفي ٤ نيسان عام ٣٩٧

ولم يُعدم حظًّا من العلم وعني بالتفسير والادب اقتباساً من ابآء اليونان . ومن مصنفاته شرح الايام الستة

وكتاب في فروض الاكليروس ، ومقالات وخطب في الايمان والروح القدس وسر التجسد والاسرار ، ومجموعة رسائل .

اما مرتينس فولد في بنّونية وثنيًا ، ودخل في صباه في مصاف الموعوظين وخدم الجندية . ثم اعتمد ولزم هيلاريوس وانشأ ديراً بجوار مدينة بواتية وانذر الوثنيين في القرى وشارك استاذه في جهاده . فسقّف على مدينة تور مكرهاً ، وهدى خلقاً جمًّا من اهلها باندازه ومعجزاته وتشفع عند الولاة في البائسين ، وصرف حيناً همّه الى هدم هياكل وثنية فعجّل القضاء عليها واستوفى أجله عام ٣٩٧

الفصل العاشر

في القديسين امفيلوخس اسقف قونية وابيفانيوس اسقف قبرص سنة ٤٠٣ +

القديس امفيلوخس من حسنات قبادوقية وهو ابن عمّ النزينزي وخال القديس باسيليوس . ولد حوالي سنة ٣٤٣ وقرأ علم البيان على ليبانيوس الخطيب الوثني المشهور في

انطاكية ، وصار محامياً في القسطنطينية . ثم تنسّك ورسمه باسيليوس اسقفاً على قونية عام ٣٧٣ ثقةً بـه . فأبدى من الاخلاص والعزم والغيرة على الايمان والاجتهاد في ايفاء مهامّ الاسقفية ما حقّق آماله ، واخذ عن راسمه ما فقّهه في العلم اللاهوتي والشرع الكنسي ، فكان واوبتيموس مطران بيسيدية ابرز اساقفة عصرهما في آسيا الصغرى . وشهد المجمع القسطنطيني المسكوني والمجمع الاقليمي عام ٣٩٤ ورئس مجمعاً انعقد في مدينة سيدا (بمفيلية) فيه حُرمت شيعة المصلّين . ويؤثر عنه انه اقنع ثاودوسيوس ، فمنع مجتمعات الهراطقة . وتوفي قبيل سنة ٤٠٣ ومن تأليفه رسالة مجمعية في لاهوت الروح القدس وضعها باسم مجمع انقرة ، واشعار في الحث على الشغل والفضيلة ، وخطب وسيرة لمار اثناسيوس الرسولي وصلت الينا بالسريانية .

وكان مولد القديس ابيفانيوس في قرية بزندوق بجوار الوثروبليس (بيت جبرين) بفلسطين سنة ٣١٥ وزار نسّاك مصر ، وبنى بقرب قريته ديراً تولى امره وعمره عشرون سنة . واقام ثلاثين سنة متروضاً في العبادة والدرس . وسيم

اسقفاً لسلمينة في جزيرة قبرص عام ٣٦٧ وحضر مجمع رومية سنة ٣٨٢ ثم اشترك في الجدال الاوريجاني . وواطأ ثاوفيلس الاسكندري في تجنّيه على القديس الذهبي الفم لكنه استشعر في آخر الامر انخداعه وتوفي في عوده الى قبرس سنة ٤٠٣ وكان طاهر السيرة مثقفاً بصيراً باليونانية والعبرانية والسريانية والقبطية وملمًّا باللاتينية ، كثير المطالعة لكنه محصور المدارك تعوزه خبرة العالم . وابرز مصنفاته كتاب في تفنيد الهرطقات اسماه « علبة الادوية » وعدّ فيه اصغر الاخطآء بدعة فلا يوثق كثيراً بنقده ، وكتاب «المتأصل» في خلاصة العقيدة المسيحية ، ومقالتان في علم الآثار الكتابية .

الفصل الحادي عشر

في القديس يوحنا الذهبي الفم ٤٠٧ +

من محاسن الزمان وكبار نوابغ العالم المسيحي ، وعجائب خلق الله ملوك الكلام ، القديس يوحنا الذهبي الفم بطريرك القسطنطينية ، أمير خطبآء النصرانية ولسانها الفصيح

بعد مار بولس الرسول . مَنّ الله به على بيعته فكان في الرعيل الاول من اطبآء النفوس ومقوّمي الاخلاق المسيحية ومدرّبيها على سنن الصلاح - أنجبته أُسرة نبيلة ثريّة انطاكيّة عام ٣٤٤ وكان ابوه سقوندس من اهل الرتب العليا في الجيش ، وامّه انثوسة من فواضل السيدات . ترمّلت في العشرين من عمرها ، فأقامت على تربيته واخت له خير تربية وسكنت نفسه الى صحبة التّقى والعلم . وطلب علم الفصاحه فقرأه على ليبانيوس واخذ الفلسفة عن اندراغاثيوس . وفي سنة ٣٦٩ عمّده البطريرك ملاطيوس واقامه قارئاً. ثم خرج الى دير مجاور فلزم العبادة وقرأ علم الكتاب الآلهي على ديودورس ، وألّف كتابه النفيس في الكهنوت . وبعد اربع سنوات عاد الى انطاكية لجهد شديد عراه من شظف الزهد . فرُسم شماساً ثم كاهناً سنة ٣٨٥ وانصرف الى القآء مواعظه الشائقة وخطبه في الرائعة في كنيسة انطاكية الكبرى مدة اثنتي عشرة سنة ، متناولاً حالات البشرية وامراضها في جميع طبقاتها . فخلب برائع بيانه ألباب السامعين وقاد الناس الى سبل الهداية ، فأقبلوا على وعظه يعالجون ادوآء نفوسهم بمراهمه الشافية .

ولما طبقت الآفاق شهرته ، سيم رئيس اساقفة القسطنطينية خلفاً لنقطاريوس في ٢٦ شباط عام ٣٩٨ أبصر في غالب اوساط العاصمة رذائل متغلغلة لاسيما في رجال الدولة ، فاندفع الى الارشاد والتوبيخ بلهجة انتقل فيها من اللّين الى الشدّة ، فقام عليه بعض الاكليروس والقيصرة اودكسية وغيرها . فواطأت ثاوفيلس بطريرك الاسكندرية وكان واجداً عليه لشفاعته في رهبان مصريين ، وضافره سوريانس اسقف جبلة وانطيوخس اسقف عكّا حقداً ، وحضر معهم ابيفانيوس اسقف قبرس ، فعقدوا عليه مجمعاً مزوّراً سنة ٤٠٣ حكم عليه بالعزل غياباً ظلماً وعدواناً . فلم يكد يخرج من المدينة حتى أعيد اليها لالحاح الشعب الذي غضب له ، فعاد بحفلة ظافراً . ولم يُمسك عن تقريع المظالم والمساوىء ، فنبّه النامون احقاد الملكة فجمعت عليه مجمعاً ثانياً مزوّراً وعُزل ثانيةً ، ونفي ظلماً بأمر القيصر العاجز الرأي الى مدينة كوكوزة سنة ٤٠٤ ثم نقل الى عربيسوس وعراه في منفاه مكاره وفي سيره جهد شديد . فوطّن نفسه على الصبر الجميل حامداً الله على كل حال حتى ادركته المنية

في طريق مدينة كوماناً في ١٤ ايلول عام ٤٠٧ واخرست منه لساناً فصيحاً لم ينطق الاّ في تسبيح الله والدعوة الى طريقه . وقليلاً ما اصيبت الكنيسة وقوانينها في صميمها ، بمثل ما نكبت به في امر هذا القديس الفرد ، الذي ذهب ضحية الاغراض ، وكان يرجو عقد مجمع قانوني لانصافه فلم يكن ذلك وأسفاه ، والتاريخ يحمّل ثاوفيلس الاسكندري العبء الأوفى من تبعة الحيف الذي لحقه .

كان الذهبي الفم رقيق الطبع شديد الشعور دقيقه انيقاً ، طاهراً في سيرته ناسكاً في معيشته رسولياً في رعايته آية في تواضعه وصبره ، حُزب فاتّخذ الله عدّته ! وله على قصر عهد رآسته اعمال مشكورة ، منها نشر النصرانية في بعض الامم الوثنية لاسيما بعض انحاء جبل لبنان والبلدان التي نفي اليها ، واصلاح عدة ابرشيات . وانتصر له قوم من اهل القسطنطينية اشتدّ غمّهم لنفيه وظلامته ، فهجروا البيعة حتى شاهدوا نقلَ رِمّته الشريفة الى العاصمة سنة ٤٣٧ ودوّن اسمه في سجّل الآباء بعد وفاته بسنوات قليلة ، ونادت الكنيسة الجامعة حتى الاسكندرية بقداسته ولقب بعد زمان بالذهبي الفم .

وقد أغنى بيعة الله بمصنفاته الدينية والادبية . فشرح اسفار العهدين في نيّف وستمائة واربعين خطبة . منها مئتان وخمسون في شرح الرسائل البوليسية . واكثر من مئة موعظة عقائدية ونسكية ، وتقاريظ القديسين والاعياد . ومقالات مختصرة في لاهوت السيد المسيح وفضل الرهبنة ، وتفنيد مزاعم الوثنية واليهود ، وتربية الآباء لابنائهم ، وكتاب الكهنوت وليتورجية ورسائل عديدة ، بقي منها نحو من مئتين واربعين يتجلّى فيها ايمانه الفيّاض وصبره الجميل وصلاحه المتين .

الفصل الثاني عشر

في احوال الارمن

تراحمت السلطتان المدنية والدينية في ارمنية الكبرى ، فأعقبت جور ملوكهم المسترسلين في العادات الوثنية الفاسدة ، على الاساقفة . فنكبت كنيستها الحديثة باحداث محزنة ، كما ان حصر الاسقفية في اسرة مار غريغوريوس وراثةً ، أسوةً بالسلطة المدنية لم تخلُ من

محذور . من ذلك ان الاسقف اريستاكيس منع حاكم اقليم صوفنية دخول الكنيسة فقتله الغاشم . وخلفه اخوه اورتانيس ثم الاسقف هوسيك ابن اورتانيس فضربه الملك ديران ضرب التّلف حوالي سنة ٣٤٧ وقيل ان خلفه الاسقف دانيال السرياني ايضاً صار مصيره . ولما رئس الاسقف نرسي الكبير حفيد مار غريغوريوس ، ورسمه مطران قيصرية وكان منشأه فيها ، ومنها اقتبس فضائل النصرانية وآدابها وعاين اعمالها العمرانية ، هذّب الاكليروس ووضع رسوماً وانشأ ابرشيات وملاجئ للفقراء والمرضى ، ومدارس اساتذتها يونانيون وسريانيون ، فلم يكن اسعد حظاً من اسلافه وسقاه الملك باب سمًّا . وحدث الانعكاس وعاد شيء من التوثّن الى البلاد . وتولى الامر بعده الاسقف ايوساكيس وحضر مجمعي انطاكية سنة ٣٦٣ و٣٧٢ وتوجه مار باسيليوس الى ارمنية لخضوعها لكرسيه ، ليصلح احوالها فلم يوفّق . ونحو سنة ٣٨٧ سيم اسحق بن نرسي ويُعرف ايضاً بالكبير اسقفاً ، وكان مضطلعاً بالعلوم اليونانية والسريانية . وفي ايامه قُسمت البلاد بين مملكتي الروم والفرس . واستعمل

الارمن اللغتين السريانية واليونانيـة وكتبوا لغتـهم المحكيّـة بحروفهما ، حتى استنبط لهم الانبا مسروب ، وكان من اصحاب الورع والعلم ومار اسحاق الكبير حروفاً خاصه بها سنة ٤٠٤

الفصل الثالث عشر

في الدوناطين وبدعتي المصلّين وبريسقليان

سنة ٣٤٨ حاول قسطنس مصالحة الدوناطين والارثدكسيين فأحبط عنـاد المشاقّين سعيه ، فهزم النائب القيصري شرارهم فارضاً عليهم الصلح ، فأطاعه بعضهم وهرب او نفي معظمهم ومنهم اسقفهم دوناط وهلك في منفاه . فخلفه برمينيان وصبر خلق منهم على أشدّ العقاب مـدة ثلاث عشرة سنة . غـير ان يوليانس الجاحد فتح لهم باب الحرية مكراً ، فضمّـوا اليهم غالب اهل افريقية ، وأتوا في كنائس الارثدكسيين من الامور جسيماً . وامر غراطيانس بمصادرة هياكلهم ومنع اجتماعاتهم ، ولكن تنمّر السرسليين والخوف من حرب اهليّـة حالا دون امضائه بشدّة ،

وكان عدد اساقفتهم قد أناف على الاربعمائة . وانما خضدت شوكتهم بشقاق عظيم دهمهم ، وذلك ان مئة اسقف منهم عزلوا اسقفهم بريميان خلف برمينيان وأقاموا مكانه مكسميان سنة ٣٩٤ وأيد زهاء ثلاثمائة اسقف بريميانَ وعزلوا الثاني والذين اقاموه ، وستقف على نهاية امرهم في القرن التالي .

وفي الربع الاخير من المئة الرابعة ظهرت شيعة وبدعة المصلّين . واصلها ان ناسكاً اسمه اودُلف غالى في النسك ، وقيل انه لازم في اوّل امره مار يوليان الشيخ أمداً يسيراً وصحبه الى مصر وسمع من نساكها ، ان النفس اذا خلعت عنها اهواءها القديمة أمكنها البلوغ الى حالة عدم الفساد ، فتاق الى ذلك . ولما عاد الى الرها اختار لنفسه الخلوة وكلّفها شظفاً شديداً ، ولاخطأته مواطن التمييز والتواضع وهوَسه بالزهو والجاه هانت سقطته ، فتزيّن له ابليس وأوقعه في فخّه فسجد له فاستولى على عقله وأوعبه أخيلة شيطانية وأضلّه عن طريقته ، ووسوس له انه لم يعُد له حاجة بصالح الاعمال . فأمسى زعيماً لشيعة من رهبان متهوسين لزموا الصلاة وامتهنوا النسك والصيام والسهر

والشغل ، ولازموا النـوم وعاشوا بالصدقات وابطنوا الخبائث وتخبطوا في الجهالات وكفروا بالمعمودية وزعموا ان الاسـرار المقدسة صفر من الفائدة — صدور محشوّة بالشكّ والريبـة — وأخذ إخْـذهم قوم عالميون ضعاف عقول خرجوا من اموالهم، وجالوا في البلدان يتظاهرون بالزهد رياء . فلما طردهم الاساقفة وحرموهم وقعوا الى اقليم ليقوانية . ومن زعمائهم بعد اودُلف سابا وداود وهرميس وشمعون ، وكانوا اعـثر الناس حتى جذّ الله عروقهم في القرن السابع .

وظهرت في اسبانيا ايام غراطيانس، بدعة بريسقليان الاسباني ، وكان نبيلاً غنياً اصاب طرفاً من التحصيل وتاه بنفسه ، وجـاء ببدعة خليطة من اضاليل السابلية والمرقيونية والمانوية والابوليناريةوهذيانات وثنية ، وأغوى خلقاً فحرمـه واتباعه مجمع سيراغوسة عام ٣٨٠ وطُـردوا من المملكة . ثم أعدم بريسقليان وستة من اشياعه بأمر مكسيمس الخارجي ، فغمّ هذا العقاب الوحشي افاضل العصر .

الفصل الرابع عشر

في مدارس الرّها وانطاكية والاسكندرية

روى برحذبشابا العربي اسقف حلوان (النصف الثاني من القرن السادس) أخذاً عن التقليد الشائع ، انّ ادى البشير انشأ مدرسة في الرهـا ، لتخريج الاكليروس في علوم الدين . غـير اننا لا نعرف تلميذاً تخرّج فيها قبل لوقيانس الشهيد ، ممّا يدل على ازدهارها في اواسط المئة الثالثة ، ونبغ بعده اوسابيوس الرهاوي اسقف حمص (٣٥٩ +) وقد علمت ان القديس افرام وسّعها وأعلى شأنها سنة ٣٦٣ واقبل عليها الطلاب من كل صوب من بلاد الشرق فسبقت مدارس بلاد ما بين النهرين ، وهي يومئذ زاهرة بالمدن مكتظة بالقرى والدساكر . وتولى امرها بعده الاستاذ قيورا اربعاً وستين سنة حتى سنة ٤٣٧ وكانت تقرأ فيها العلوم اللاهوتية والكتابية والفلسفية واللغوية والادبية باللغتين السريانية واليونانية ، وستأتي بقية اخبارها .

وكان هدف المدرستين الانطاكية والاسكندرية التوفيق بين الدين والعقل، واتخذت الاولى فلسفة ارسطو، والثانية الفلسفة الافلاطونية . ونبغ من الانطاكية في حقبتها الاولى طلاّب كثيرون، منهم القديسان اوسطاثيوس وملاطيوس وفلابيانس الاول بطاركة انطاكية، وأتمّ فيها دراسته اوسابيوس اسقف حمص المذكور اعلاه وهو من بلغاء الخطباء، وثمانية اريوسيون، وبدأت حقبة شهرتها سنة ٣٧٠ ودامت ستين سنة بفضل ديودورس اسقف طرسوس الذي قرأ العلم في طرسوس واثينا، وزاد علم الكتاب الالهي فيها رفعةً ورقيًّا، وانبغ من أخذ عنه القديس يوحنا الذهبي الفم، وثاودورس اسقف المصّيصة مفسّر الكتاب العزيز . ومن المؤسف ان هذه المدرسة مع فضلها وما اسدت الى علمي اللاهوت وكتاب الله من الفوائد بطريقتها العلمية، وقع فيها زؤان البدعتين الاريوسية ثم النسطورية، فان اريوس تخرّج منها وديودورس عثر غير عامد في مزالق مهّدت النسطرة وثاودورس وضع اصولها .

اما المدرسة الاسكندرية وقد استوفت حظها من

الشهرة سابقاً فرئسها بعد القس اخيلا ، القس بطرس الذي صار بطريركاً واستشهد (٣٠٠–٣١١) ثم سرابيون فقار السياسي (بحسب رواية كتبة الاقباط المعاصرين) ؟ ولا نعلم من امرهما شيئاً ، ثم ديديمس الاعمى ندبه مار اثناسيوس لرئاستها والتعليم فيها حوالي سنة ٣٥٠ فأقام على ذلك حتى وفاته عام ٣٩٨ وكان ناسكاً متورعاً منصرفاً الى الصلاة والدرس والتدريس والتصنيف ، متوقد الذكاء من اعلم اهل زمانه لطيف اللهجة في الجدل وفي انشائه اسهاب وغموض ، وهو اوريجاني معتدل علق به من اخطاء استاذه الذي تخرج بمصنفاته ما اخمل ذكره . وفسّر غالب اسفار العهدين و كتاب مبادىء اوريجانس وردّ على الاريوسية والمانوية ، ولم يبق اليوم سوى كتابيه في الروح القدس والثالوث الاقدس . وسمع عليه مار انطونيوس وبلاديوس واوغريوس وهيرونيمس وروفينس ويظن ان بطاركة الاسكندرية مار اثناسيوس وثاوفيلس ومار قورلس تخرجوا في هذه المدرسة التي تبددت بعد وفاة ديديمس بمدة قليلة . فنقلها رودون آخر رؤسائها الى مدينة سيدا في بمفيلية ، ولم يطل بها الامر حتى انقرضت

بعدما عاشت زهاء مئتين وثلاثين سنة (١٨٠ — ٤١٠ ؟)

الفصل الخامس عشر

في النظام البيعي والفرائض الدينية

لما زالت عن النصرانية كرائه الخطوب واستصحبت بنور الأمن والحرّية ، لمت شعثها وجمعت شملها بعقد مجامع مسكونية ومكانية ، تحديداً وشرحاً للعقائد القويمة ودحضاً للهرطقات وحرماً لاصحابها . وسنت المجامع قوانين وانظمة للرئاسة الكنسية اذ لا قوام ولا اصلاح لمجتمع بشري بدونها . فحددت سلطة الكراسي الرسولية الكبرى المتساوية وربطت الاسقفيات بالمطرانيات ووضعت انظمة للخوارنة والقسوس والشمامسة ، واحكاماً لمن تاب بعد الكفر في الشدّة ورجع عن البدعة وتاب عن صنوف الخطايا وغير ذلك وحددت ان يعيد عيد الفصح في الاحد الذي يلي بدر نيسان ، واخذ اسقف الاسكندرية يعلن لعامة المسيحيين يوم الفصح لكل سنة .

وشيّدت كنائس فاخرة منها مثمنة الزوايا ومصلّبة

وذوات قبب ، وزينت الكنائس المبنية لاكرام الشهداء بصورهم على ما اثبت مار غريغوريوس النوسي . وعيدت اكثر الكنائس عيد الصعود الذي ذكره مار افرام ، وعم تعييد عيد الميلاد في ٢٥ من كانون الاول بعدما كان يعيد مع عيد الغطاس في اكثر كنائس الشرق ، وعيدت كنيسة اورشليم فقط عيد دخول الرب الى الهيكل . ووضعت اعياد مكانية لشهداء عديدين ، بعد اعياد مار اسطيفانس ويوحنا ويعقوب الرسولين وعيد اطفال بيت لحم ، وهامتي الرسل مار بطرس ومار بولس . ومنذ سنة ٣٢١ اصدر قسطنطين امراً بابطال الاعمال في الآحاد حتى تعليم الجنود .

ورتبت الكنيسة فروض العبادة بصلوات يومية ما عدا المزامير ، اذ أنشأ احبار قديسون راسخون في العلم صلوات تتلى في العبادة اليومية وخدمة الاسرار البيعية . وممن نظم النشائد التقوية لدحض الهراطقة ، القديسون افرام والملافنة القبادوقيون الثلاثة وامبروسيوس ، فاستعملتها البيعة في صلواتها ووضعت لها ألحاناً شجية تزيد في خشوع المؤمنين . ولم يزل يضاف الى الفروض البيعية

طوال القرون الثلاثة التالية حتى استكملت حدها .
وحصر مجمع اللاذقية (فريجية) سنة ٣٦٤ الترتيل في المرتلين (بسالطس) دون الشعب (قانون ١٥) . ووضع كل من باسيليوس ثم الذهبي الفم ليتورجية عمّ استعمالهما بعد خدمة القداس المنسوبة الى مار يعقوب . وكان في كنائس مصر الخدمة المنسوبة الى مار مرقس — وكاد يعمّ عماد الاطفال وقلّت عادة تأجيل المعمودية الى الكهولة او الشيخوخة ، وكانت توقد الشموع وقت القيام به كما كانوا يوقدونها في الشرق عند تلاوة الانجيل . وتُرك الاعتراف الجهري وبقي الاعتراف السرّي اما عند القسيس المعيّن لقبول التائبين او غيره .

الفصل السادس عشر

في اشهر مجامع القرن الرابع

اشهر المجامع التي عُقدت في القرن الرابع خلا مجامع اهل البدع هي :

١ : مجمع انقرة رئسه فيطاليوس الانطاكي سنة ٣١٤

وحضره سبعة عشر اسقفاً لاجل الساقطين في الشدّة وقوانينه خمسة وعشرون .

٢: مجمع نيوقيسارية (البنطس) رئسه فيطاليوس ايضاً في السنة عينها وشهده اثنان وعشرون اسقفاً ، ووضع خمسة عشر قانوناً في آداب الكنيسة وادارتها وبعض قضايا الزواج .

٣: مجمع نيقية المسكوني الاول لحرم بدعة آريوس آباؤه ثلثمائة وثمانية عشر اسقفاً وقوانينه عشرون سنة ٣٢٥

٤: مجمع رومية رئسه يوليوس الروماني وحضره سبعون اسقفاً انتصر وافيه لحق الاباء الارثذكسيين سنة ٣٤٠

٥: مجمع انطاكية بمناسبة تكريس كنيستها المذهّبة عدد اساقفته سبعة وتسعون ، بحثوا المعتقد ووضعوا خمسة وعشرين قانوناً سنة ٣٤١ (١)

٦: مجمع سرديقي اساقفته اربعة وتسعون ، فحصوا عن صحة ما وضعه المجمع النيقاوي وقوانينه واحد وعشرون سنة ٣٤٣

---

(١) عقد هذا المجمع اساقفة شرقيون من الاريوسيين وانصافهم فرفضت الكنيسة دستوره ولكنها قبلت قوانينه .

٧: مجمع الاسكندرية برآسة اثناسيوس الرسولي لتأييد دستور نيقية سنة ٣٦٢

٨: مجمع غنغرة حرمت فيه اعمال الاوسطاثيين وقوانينه واحد وعشرون سنة ٣٦٤

٩: مجمع اللاذقية (فريجية) لاجل بدعة المونطانيين اباؤه تسعة وعشرون وقوانينه تسعة وخمسون سنة ٣٦٤

١٠: مجمع رومية رئسه داماسوس الروماني وشهده اساقفة غربيون ألّفوا دستوراً للايمان سنة ٣٦٩

١١: مجمع نطاكية رئسه ملاطيوس الانطاكي وحضره مئة وخمسة واربعون اسقفاً، وقّعوا فيه سينوديقون اي رسالة مجمعية تحوي دستور الايمان مطابقة لما اتفق عليه الآباء الغربيون سنة ٣٧٩

١٢: مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني اجتمع فيه مئة وخمسون اسقفاً شرقياً برآسة ملاطيوس الانطاكي، وحددوا الايمان بالروح القدس وحرموا مقدونيوس واونوميوس وتباعهما وسنّوا اربعة قوانين سنة ٣٨١

١٣: مجمع اكيلا (ايطاليا) رئسه اسقفها فاليريان وشهده اثنان وثلاثون اسقفاً، وحرم فيه الاسقفان

بلاديوس وسكوندیان سنة ٣٨١

١٤: مجمع قابوي لحلّ الخلف بين فلابيانس الانطاكي وحزب بولينس سنة ٣٩١ - ٣٩٢

١٥: مجمع قيصرية فلسطين حضره آباء شرقيون اعترفوا فيه بسلطة فلابيانس وحده سنة ٣٩٤

١٦: مجمع القسطنطينية حضره فلابيانس وثاوفيلس لحلّ الخُلف بين اسقفَي بُصرى سنة ٣٩٤

الفصل السابع عشر

في اعمال الكنيسة في المجتمع البشري

أهم اعمال الكنيسة للمجتمع البشري في المئة الرابعة (١) إنشآؤها عدة مدارس مسيحية سارت على المنهاج الذي وضعه مار باسيليوس، فانه انتخب من أبلغ مصنفات يونان كتباً فصيحة نقيّة من اثر البذآءة الوثنية، فنجا التلاميذ المسيحيون من سوء اثر المدارس العامة (٢) تحريضها المؤمنين ليتبنّوا الاولاد البؤسآء متعهّدين بمعاملتهم مثل اولادهم، فوقت عيّلا معدمين بيع

اولادهم لضيق ذات يدهم (٣) تخفيفها وطأة الرّق فأقرّ اللاتينيون بقآء العبودية الموروثة مصحوبة بمراعاة الشعور المسيحي الذي يجعل العبد بمقام عديل ، ونادى الشرقيون بتحرير العبيد وفتح الاديار لقبول اللاجئين منهم الى الرهبنة حيث يستوي السيد والمسود (٤) احرازها من الدولة تشريعاً يصون العبيد التعسآء الذين كانوا يجبرون في المراسح على التمثيل الفاسد الوثني الشكل ، وإعالة الآبقين منهم من رِبقة الملاعب (٥) حملها القياصرة المسيحيين على تخفيف تعاذيب فظيعة كان يكابدها المحكوم عليهم بالاعدام أو لغوها (٦) سنّها حق الملجأ للمحكوم عليهم ، وكثيراً ما دخل الاسقف او القسيس بينهم وبين غرمائهم او خصومهم ودفع ديون المعدَمين منهم (٧) تعليمها العبيد فضيلة الشغل وفتحها ابواب قلاياتها وديراتها لابناء السبيل ، وانشآء الاساقفة ملاجىء للعجزة والقصّر واليتامى ومستشفيات للمرضى ، وكانت بيعة القسطنطينية ايام الذهبي الفم تعول ثلاثة آلاف بائس مسجّل ، ما خلا جماهير الاسرى والمرضى والغرباء (٨) رفعها شأن المرأة بعد الذلّ ومساواتها بالرجل ، فأوجب

لها قسطنطين حق الوصاية ثم اقرّ يسطنيان (القرن السادس) حق امومتها الشرعية . وبمثل هذه المبرّات بذّت النصرانية السمحآء الوثنية واخزت انانيّتها . وخطا التمدّن الحقيقي في العالم خطوات واسعة .

الفصل الثامن عشر

في اشهر الكنائس التي بُنيت في القرن الرابع

من اجمل مظاهر الازدهار المسيحي في المئة الرابعة الكنائس البديعة التي تطوّع بانشآئها القياصرة والبطاركة والاساقفة واغنيآء المؤمنين ، اجلالاً لعبادة الله سبحانه وتعظيماً لشأن النصرانية . فمن اشهرها : في اورشليم : كنيسة القيامة (انسطاسيا) و كنيسة الصعود في جبل الزيتون المقدس ، و كنيسة المهد المقدّس في بيت لحم — وفي انطاكية : الكنيسة القديمة الرسولية وكنيسة القُسيان والكنيسة المذهّبة الكبرى ، و كنيسة مار بابولا وبيعة الشهدآء باسم مار اغناطيوس ، وكنيسة العذرآء وبيعة الشهدآء المقابيين و كنيسة مار ديميطيوس

الناسك الشهيد - وفي رومية : كنيسة لاتران باسم المسيح الفادي ثم اطلق عليها اسم مار يوحنا المعمدان ، و كنيسة مار بطرس الكبرى و كنيسة مار بولس الرسول ، وبيعة مار لورنتيوس و كنيسة الشهيدين بطرس ومرقلينس وبيعة الشهيدة اغنيسة - وفي الاسكندرية كنيسة بوكاليس العظمى وبيعة مار ديونيسيوس و كنيسة مار ثاؤونا ، وبيعة سرافيون و كنيسة مار بطرس خاتم الشهداء والكنيسة القيصرية وبيعة مار اثناسيوس - وفي القسطنطينية بيعة الرسل و كنيسة آجيا صوفيا (الحكمة الالهية)[1] و كنيسة السلام (القديسة ايريني) و كنيسة انسطاسيا وبيعة مار بولس - وفي خلقيدونية كنيسة الرسولين - وفي دمشق كنيسة القديس يوحنا المعمدان[1] - وفي الرها الكنيسة القديمة التي سميت باسم مار توما وكانت من ابدع الكنائس شكلاً واتقاناً ، و كنيسة المعترفين ، وبيعة مار دانيال و كنيسة الحكمة الالهية - وفي صور الكنيسة الكبرى - وفي حلب الكنيسة الكبرى[1] و كنيسة مار قزما ومار دميانس - وفي

(١) بُدّلت جامعاً

نصيبين كنيسة الحكمة الآلهية - وفي حمص كنيسة مار يوحنا المعمدان وكانت من اعجب ابنية العالم (١) — وفي بعلبك الكنيسة الكبرى - وفي تسالونيقي كنيسة مار ديمتريوس وبيعة مار جرجس الشهيد — وفي نيقية الكنيسة الكبرى — وفي نيقوميدية كنيسة مار جرجس وكانت مثمنة الزوايا بديعة الهندسة وكنيسة فاخرة للشهيد لوقيانس - وفي اللدّ كنيسة مار جرجس — وفي الرصافة كنيسة الشهيدين سرجيس وباخوس — وفي سيواس بيعة الشهداء الاربعين .

الفصل التاسع عشر

في الكراسي الرسولية

تولى الكرسي الانطاكي في المئة الرابعة اربعة ابطار كة حتى سنه ٣٣٠ اشتهر منهم فيطاليوس ومار فيلوجونيوس ومار اوسطاثيوس ثم اغتصبه ستة اريوسيين او انصاف اريوسيين حتى سنه ٣٦٠ ثم تبوّأه القديس ملاطيوس

(١) بُدّلت جامعاً

حتى ٣٨١ ثم فلابيانس الاول الشريف النسب . وفي عهدهما رئس فئة ارثدكسية الاسقف بولينس ثم اوغريوس (٣٦٢ - ٣٩٤) واثناء نفي ملاطيوس قام دخيلان اريوسيان وزعيم شرذمة ابولينارية .

ورئس الكرسي الروماني احد عشر بطريركاً او رئيس اساقفة ، اشهرهم القديسان سيلبسطرس ويوليوس وداماسوس . وقام فيه دخيلان فيلكس واورسينوس .

وجلس على الكرسي الاسكندري سبعة بطاركة اشهرهم ، مار بطرس الشهيد ومار الكسندروس والقديس اثناسيوس نصير الارثدكسية ، وغصب الكرسي في عهده ثلاثة دخلاء اريوسيون . اما ثاوفيلس فستقف عليه في القرن التالي .

وتولى الكرسي الاورشليمي خمسة اساقفة اشهرهم مقاريوس ، وانتشرت النصرانية في عهده في اهل فلسطين ، ومار مكسيمس الثالث المعترف وفي ايامه تنصّر اهل مايوما سنة ٣٣٤ ودشّنت كنيسة القيامة بموكب حافل عام ٣٣٥ ومار قودلس الاول وفي زمانه قام ثلاثة دخلاء ، ويوحنا الثاني وستأتي اخباره في القرن التالي .

اما الكرسي القسطنطيني فلم يذكر الاّ في صدر هذا القرن ، ولو نسبه مؤرخون قليلون الى مار اندراوس الرسول في سند ضعيف ، وألحقوه بأساقفة هرقلية على رأي بعضهم او اساقفة افسس بحسب رأي مار يعقوب السروجي ومار ميخائيل الكبير . والمشهور ان اوّل اساقفته مطروفانس ، وقام بعده عشرة رؤساء اساقفة ، في طليعتهم مار الكسندروس ومار بولس المعترف ومار غريغوريوس اللاهوتي ومار يوحنا الذهبي الفم . ومنهم خمسة من اهل البدع .

وكرسي المشرق او المدائن (سليق وقسطفون في بلاد الفرس) ورتبة اساقفته الجثلقة (ومعنى الجاثليق : العام) فجلس فيه ستة جثالقة ، وهم فافا البابلي والشهداء مار شمعون ومار شهدوست ومار بربعشمين . وفرغ مدة طويلة اختلفوا فيها اقلّها عشرون واكثرها سبع وثلاثون سنة ، ثم قام فيه تومرصا فقيوما فمار اسحق سنة ٣٩٩

الفصل العشرون

في اللغات التي استعملتها النصرانية في القرون الاربعة الاولى

اللغات الكنسيّة المشهورة ثلاث وهي : الآرامية السريانية واليونانية واللاتينية . ومن الثابت ان الآرامية وهي لغة الرها وما بين النهرين وسواد العراق وقسم من بلاد الفرس ، وبلاد الشام الداخلية ، وفلسطين في القرن الرابع بل ما بعده ، كانت اللغة التي قدّسها ربنا يسوع المسيح بلسانه الالهي ، وشرّفها الرسل الاطهار بتكلمهم بها على ما اثبته العلامة اوسابيوس القيصري في خمسة مواطن من مصنّفاته . وبها كتب انجيل القديس متى والليتورجية الاولى ، واليها نقلت التوراة عن العبرانية اواخر المئة الاولى والعهد الجديد ما عدا الرؤيا وبعض الرسائل الجامعة اوائل القرن الثاني . واليها نقلت الترجمة السبعينية (الهكسبلة) على يد مار بولس التلّي ، والحرقلية للعهد الجديد على يد مار توما الحرقلي ، وبها ألّف العلماء السريانيون مصنفاتهم .

واليونانية وهي لسان بلاد يونان وآسيا الصغرى وانطاكية وسواحل سوريا ومصر ورومية والبندقية وجنوبي فرنسا ، ولغة العلم والتجارة ، كانت اشهر اللغات القديمة واكثرها انتشاراً في النصرانية بها كتب معظم اسفار العهد العتيق بحسب النقل السبعيني واسفار العهد الجديد ، وبها بشر القديس بولس اكثر البلاد وبها وضع اشهر علماء النصرانية الاقدمون مصنفاتهم القيّمة ، بل كان اكثرهم يجمعون بينها وبين لغاتهم الاصلية ، وبها كتب الآباء الرومانيون حتى عهد مار هيبوليطس سنة ٢٣٥ +

واللغة اللاتينية التي يقال لها ايضاً الرومية ، وكانت لغة الامبراطورية الرومانية العظمى وبلاد ايطاليا وافريقيا الشمالية واسبانيا ، وتعلمها ايضاً اهل الشام بسائق الحاجة الى دواوين الدولة ، بها بشر القديس بولس في ايطاليا ، وكتب الآباء اللاتينيون مصنفاتهم الدينية منذ منتصف المئة الثالثة ، واليها نقلت التوراة والعهد الجديد وبها كتب هيرونيمس الترجمة الشائعة (الفولكاتا) اما العبرانية لغة التوراة فكتب بها الرسالة الى العبرانيين على الارجح ،

ومهر بها بعض ائمة النصرانية الاولون لضبط نصوص العهد القديم . واما القبطية لغة بلاد مصر فأول من كتب بها هيبريكاس الناسك (٣٠٠ +) الذي مال الى بعض البدع ، ونُقل اليها الكتاب الالهي وانتشر ثم استعملها . واما اللغة العربية فلا يعهد مما كتب بها الا بعض الاسفار القدسية في بلاد العرب المتنصرة ولم يوقف لها على اثر ، ومرّ بك ان اولفيلا الغوطي (٣٨٣ +) نقل التوراة الى لغة قومه الغوطيّة .

الفصل الحادي والعشرون

في علماء النصرانية منذ سنة ٣١٢ حتى نهاية المئة الرابعة

اليك ثبت علماء النصرانية وكتّابها في هذه الحِقبة:

(١) ارنوب النوميدي الافريقي مؤلف احتجاج عن النصرانية في صدر المئة الرابعة (٢) تلميذه لوكتانس النوميدي معلم الفصاحة ومؤلف عدة كتب انتصر فيها للدين المسيحي وتوفي بعد سنة ٣١٦ (٣) مار اوسطاثيوس بطريرك انطاكية مصنف كتاب في نقض الاريوسية

ومقالات وميامر ورسائل ٣٣٧ + (٤) اوسابيوس القيصري المؤرخ الطائر الصيت صاحب المصنفات الحسان في التاريخ والتفسير والاحتجاج والترسّل ٣٤٠ + (٥) مار شمعون برصبّاعي جاثليق المشرق مؤلف اناشيد كنسية فصيحة ٣٤١ + (٦) افرهاط الحكيم الفارسي صاحب كتاب البراهين (بعد ٣٤٦) (٧) الانبا امّون كاتب رسائل للرهبان ٣٥٦ + (٨) سرابيون اسقف توميس مؤلف صلاة الاوخريستيا (٣٦٠) (٩) هيلاريوس اسقف بواتية مفسّر انجيل متى والمزامير وسفر ايوب ومصنف كتاب المجامع ٣٦٧ + (١٠) اوبتات اسقف ميليف في افريقية مؤلف تاريخ الشقاق الدوناطي ٣٧٠ + (١١) مار اثناسيوس الرسولي شارح سفري الجامعة ونشيد الانشاد ومصنف كتاب في لاهوت الابن وتاريخ الاريوسية والردّ عليها ورسائل ٣٧٣ + (١٢) مار افرام السرياني مفسّر كتاب الله وناظم الميامر والاناشيد الدينية ٣٧٣ + (١٣) طيطس البُصري مفنّد بدعة ماني في كتاب ٣٧٥ + (١٤) مار باسيليوس القيصري مصنف كتاب الايام الستة وكتاب في الروح القدس وردّ على انوميوس وخطب

وقوانين ورسائل ٣٧٩ + (١٥) مار قورلس الاورشليمي مؤلف التعليم المسيحي ٣٨٦ + (١٦) مار غريغوريوس اللاهوتي صاحب الخطب والاشعار النفيسة والرسائل وجامع كتاب المستطرفات مع باسيليوس ٣٨٩ + (١٧) مار غريغوريوس النوسي الفيلسوف مفنّد بدعتي اونوميوس وابوليناريوس ومصنف التعليم المسيحي ومفسر سفر الجامعة وغيره وله خطب ورسائل ٣٩٤ + (١٨-٢٣) آبا وشمعون السميساطي والشماس زينوبيوس وآسونا والقس عبسميا وقورلونا تلاميذ مار افرام ، مؤلفو ميامر وقصائد وشروح ، في اواخر القرن الرابع (٢٤) مار امبروسيوس المديولاني صاحب كتاب الايام الستة ومقالات عقائدية وخطب ورسائل ٣٩٧ + (٢٥) ديديمس الاعمى مفسر اغلب كتب العهدين وكتاب المبادىء لاوريجانس ومصنف كتابين في الروح القدس والثالوث ، والردّ على الاريوسية والمانوية ٣٩٨ + (٢٦) اوغريوس البنطي صاحب كتاب المئات والحِكَم النسكية ٣٩٩ + (٢٧) استيريوس اسقف اماسية الخطيب البليغ ٤٠٠ + (٢٨) مار امفيلوخس اسقف قونية مؤلف خطب ورسائل

وسيرة مار اثناسيوس ٤٠٣ + (٢٩) مار ابيفانيوس القبرصي صاحب «علبة الادوية» وكتاب المتأصّل ٤٠٣ + (٣٠) مار يوحنا الذهبي الفم مصنف الخطب البديعة في تفسير الكتاب الكريم والمواعظ الساحرة والرسائل وكتاب الكهنوت ٤٠٧ +

ومن العلماء الذين جنحوا قليلاً او كثيراً الى البدع (٣١) ثاودورس اسقف هرقلية مفسر الكتاب العزيز ٣٥٥ + (٣٢) اوسابيوس اسقف حمص مفسر سفر التكوين والرسالة الى اهل غلاطية ومصنف خطب فصيحة ومقالات جدلية ٣٥٩ + (٣٣) اقاق اسقف قيصرية فلسطين شارح سفر الجامعة ومقرّظ سلفه اوسابيوس ٣٦٦ + (٣٤) سابينوس اسقف هرقلية صاحب تاريخ المجامع ٣٧٨ + (٣٥) اولفيلا اسقف القوط ناقل الكتاب المقدس الى القوطية ٣٨٣ + (٣٦) ابوليناريوس اسقف اللاذقية مصنف عدة كتب في الكتاب الالهي وردّين على بورفيريوس ويوليانس ٣٨٥ + (٣٧) ديودورس اسقف طرسوس ، شارح معظم اسفار العهدين ومصنف كتاب في التجسد وناقض المبتدعة والمنجمين ٣٩١ +

الفصل الثاني والعشرون

في خلاصة اخبار الكنيسة في القرن الرابع

يمتاز القرن الرابع بانتهاء ازمنة الاضطهادات الوثنية الفظيعة في جميع البلدان ، ما خلا مملكة الفرس وشدّة يوليانس الجاحد القصيرة الامد ، وانتصار النصرانية باهتداء القيصر قسطنطين الكبير وافضاله الخالدة . فانعقدت المجامع المكانية والمسكونية التي بحثت ابواب المعتقد وحللت مشكلاتها ، وسنّت القوانين والانظمة ووضعت الاحكام لاصلاح شؤون المسيحية . لاسيما مجمع نيقية فانه قمع الاريوسية وهي اخبث البدع واسوأها أثراً ، وقد قاومت البيعة زهاء ستين سنة . وأيدّ الله كنيسته باحبار بلغوا قمّة الفضائل ورسخوا في شتى العلوم ، فناضلوا عنها نضال الابطال ومحقوا الضلال ، ومحوا جهالات دسّها ابليس في ادمغة نفر من المبتدعة المفسدين ، كاونوميوس ومقدونيوس وابوليناريوس وغيرهم ، ممن ضربهم الله بالخزي والمهانة وجذّ عروقهم

فكانوا من الهالكين .

ورُفع فيه لواء المسيحية على هام امم وبلاد جديدة ، كالارمن والكرج والحبش والغوط وقبائل عديدة من العرب . وشبه جزيرة القريم وكثير من مدن فلسطين ، ومدن الري واصفهان واصطخر من بلاد فارس ، ومرو ونيسابور (ابرشهر القديمة) وجرجان من اقليم خراسان (١) وهراة وسجستان من اقليم افغانستان (١) وعمّت النصرانية بلاد الفرات والجزيرة (ما بين النهرين) وكورة نينوى ، وخفقت اعلامها فوق قسم كبير من جبل طور عبدين وقردو وكورة نصيبين وماردين . وآمن بالانجيل قوم من اهل مدينة حرّان وسميساط وانحاء جبل لبنان ، وزاد عدد المؤمنين في مدينة انصنا (مصر) ومدينة تور بفرنسا وغيرها . ولما حاولت الوثنية استعادة نفوذها مُنيت بفشل عظيم كاد يقضي عليها ، فدلفت بقاياها في الامبراطورية الرومانية زمناً يسيراً وهي تعالج سكرات الموت .

وعبقت الكنيسة بشذا النسك والرهبانية ، وأنشئت

---

(١) تنصّرت على الارجح في العقد الاخير من المئة الرابعة على يد مار شاباي (برشابا) اسقف مرو .

الديارات في بلاد الشرق ، ورتبت العبادة والفروض وحُدّد موعد الصيام ووضعت اعياد وبُنيت كنائس عديدة فاخرة . واعتزت بنخبة صالحة ممتازة من جهابذة الائمة والعلماء الاعلام ، الذين انارو ها بمصنفاتهم الممتعة في التفسير وعلوم اللاهوت والفلسفة والفقه والجدل والادب . وازدهرت بالمدارس اللاهوتية والعلمية الكبرى في الاسكندرية وانطاكية والرّها ، وقيصرية فلسطين وافسس ونصيبين وغيرها — واذا استثنينا ما دهمها من شدائد المجوسية ويوليانس ومكاره الاريوسية ، فان القرن الرابع وهو زمان جهاد مجيد موفّق في سبيل الارثدكسية ، وتعليم وتنظيم وتهذيب ، يعدّ العصر الذهبي الزاهي لكنيسة الله المقدسة .

﴿ انتهى المجلد الاول والحمد لله ﴾

فهرس

صفحة

فاتحة الكتاب ٣
مصادر الكتاب ٦

الباب الاول

في اخبار الكنيسة منذ نشأتها حتى نهاية القرن الاول
من سنة ٣٠ الى سنة ١٠٠

الفصل الاول في الكنيسة المسيحية وتاريخها ٢٣
الفصل الثاني في حالة العالم الدينية اثناء تأسيس الكنيسة ٢٦
الفصل الثالث في حالتي العالم الاجتماعية والسياسية ٢٩
الفصل الرابع في تأسيس الكنيسة المسيحية ٣١
الفصل الخامس في فاتحة اعمال الرسل القديسين ٣٣
الفصل السادس في الرسل الاثني عشر بوجه الاجمال ٣٥
الفصل السابع في استشهاد القديس اسطيفانس ٣٨
الفصل الثامن في اعمال القديس بطرس هامة الرسل ٤١
الفصل التاسع في تتمة اعمال القديس بطرس ٤٤
الفصل العاشر في اعمال الرسل الاحد عشر ٥٠
الفصل الحادي عشر في بقية سير الرسل ٥٥
الفصل الثاني عشر في القديس بولس الرسول واعماله ٥٨
الفصل الثالث عشر في تتمة اعمال القديس بولس الرسول ٦٥
الفصل الرابع عشر في تقريظ الذهبي الفم للرسولين المعظمين ٧٠

صفحة

الفصل الخامس عشر	في المبشرين السبعين	٧٥
الفصل السادس عشر	في بقية سير المبشرين	٧٩
الفصل السابع عشر	في اضطهاد اليهود للكنيسة الاولى	٨٣
الفصل الثامن عشر	في المجمع الاول الرسولي سنة ٥١	٨٩
الفصل التاسع عشر	في فضائل القديس يعقوب اخي الرب واستشهاده سنة ٦١	٩١
الفصل العشرون	في الاضطهاد الاول سنة ٦٤—٦٨	٩٣
الفصل الحادي والعشرون	في خراب اورشليم سنة ٧٠	٩٦
الفصل الثاني والعشرون	في القديس مرقس الانجيلي	٩٨
الفصل الثالث والعشرون	في القديس لوقا الانجيلي	١٠١
الفصل الرابع والعشرون	في معاوني الرسل وتلاميذهم الاولين	١٠٣
الفصل الخامس والعشرون	في مشاهير تلاميذ القديس بولس الرسول	١٠٥
الفصل السادس والعشرون	في رفاق القديس بولس واعوانه في نشر البشارة الانجيلية	١٠٩
الفصل السابع والعشرون	في تتمة اخبار معاوني مار بولس وغيرهم	١١٥
الفصل الثامن والعشرون	في فضليات النساء القديسات في العهد الرسولي	١٢١
الفصل التاسع والعشرون	في القديسة تقلا اولى الشهيدات	١٢٦
الفصل الثلاثون	في الاخوة الكذبة الذين قاوموا الرسل القديسين وتعليمهم الصحيح	١٢٩
الفصل الحادي والثلاثون	في كنيسة اورشليم وانتشار النصرانية في فلسطين	١٣٢
الفصل الثاني والثلاثون	في نشأة كنيسة انطاكية	١٣٦

الفصل الثالث والثلاثون في نصرانية بلاد الشام ١٤٤
الفصل الرابع والثلاثون في الاضطهاد الثاني سنة ٩٥—٩٦ ١٤٧
الفصل الخامس والثلاثون في القديس ديونيسيوس الاريوفاغي سنة ٩٥ ١٥٠
الفصل السادس والثلاثون في جهاد القديس يوحنا الانجيلي وبعض فضائله ١٥١
الفصل السابع والثلاثون في القديس اقليميس الروماني سنة ١٠١
ومعالجة الخلف في كنيسة قورنثس ١٥٥
الفصل الثامن والثلاثون في كتاب العهد الجديد وكتب
النصرانية الاولى ١٥٨

الباب الثاني

في تاريخ الكنيسة في القرن الثاني

الفصل الاول في الاضطهاد الثالث ١٦٢
الفصل الثاني في استشهاد مار سمعان اسقف اورشليم ١٠٦ ١٦٥
الفصل الثالث في القديس اغناطيوس النوراني سنة ١٠٧ ١٦٦
الفصل الرابع شذور نفيسة من رسائل القديسين اقليميس
الروماني واغناطيوس النوراني وبوليقربوس ١٦٩
الفصل الخامس في بقية رسائل القديس النوراني ١٧٤
الفصل السادس في الاضطهاد الرابع ١٧٩
الفصل السابع في هرما الراعي والقديس بابيا ١٨٢
الفصل الثامن في القديس بوليقربوس اسقف ازميرسنة ١٥٥ ١٨٤
الفصل التاسع في المبشرين الذين خلفوا الرسل وجهادهم
ونشاطهم في نشر كلام الله ١٨٦

صفحة

الفصل العاشر في الاضطهاد الخامس سنة ١٦٢-١٧٧ ١٨٨

الفصل الحادي عشر في القديس يوسطينس الفيلسوف سنة ١٦٧ ١٩١

الفصل الثاني عشر في القديس ديونيسيوس القورنثي سنة ١٧٠ ١٩٢

الفصل الثالث عشر في الكتيبة البرّاقة سنة ١٧٤ ١٩٦

الفصل الرابع عشر في النصرانية في الرُّها وبلاد المشرق ١٩٧

الفصل الخامس عشر في النصرانية في آسيا الصغرى وبلاد اليونان ٢٠٠

الفصل السادس عشر في النصرانية في بلاد ايطاليا وفرنسا واسبانيا ٢٠٣

الفصل السابع عشر في النصرانية في مصر وافريقية ٢٠٩

الفصل الثامن عشر في النصرانية في بلاد العرب ٢١١

الفصل التاسع عشر في النصرانية في بلاد الهند ٢١٣

الفصل العشرون في هجسيبُس حوالي سنة ١٨٠ ٢١٥

الفصل الحادي والعشرون في القديس ثاوفيلس الانطاكي ١٦٩-١٨١ ٢١٦

الفصل الثاني والعشرون في مسئلة عيد الفصح سنة ١٩٧ ٢١٩

الفصل الثالث والعشرون في القديس ايرناوس سنة ١٤٠-٢٠٢ ٢٢١

الفصل الرابع والعشرون في القديس سرافيون الانطاكي ١٨٩-٢١١ ٢٢٣

الفصل الخامس والعشرون في اعمال اساقفة حديات (اربيل) من سنة ١٠٤ حتى سنة ٢١٦ ٢٢٥

الفصل السادس والعشرون في مدرسة الاسكندرية وبنطينس واقليميس الاسكندري ٢٢٧

الفصل السابع والعشرون في الاحتجاج عن النصرانية ٢٣٢

الفصل الثامن والعشرون في الهرطقات الاولى التي ظهرت في الكنيسة في القرنين الاول والثاني ٢٣٧

الفصل التاسع والعشرون في البدعة المونطانية سنة ١٦٠ ٢٤٢
الفصل الثلاثون في ططيانس سنة ١٨٠ ٢٤٤
الفصل الحادي والثلاثون في برديصان سنة ٢٢٢ ٢٤٨

الباب الثالث

في اخبار الكنيسة منذ بدء المئة الثالثة حتى سنة ٢٧٥

الفصل الاول في الاضطهاد السادس سنة ٢٠٢—٢١١ ٢٥٢
الفصل الثاني في القديس نرقيسوس الاورشليمي سنة ١٨٥—٢١٦ ٢٥٥
الفصل الثالث في القديس اسقليفياديس الانطاكي المعترف سنة ٢١١—٢١٧ او ٢٢٠ ٢٥٩
الفصل الرابع في الاضطهاد السابع سنة ٢٣٥—٢٣٨ ٢٦١
الفصل الخامس في مار هيبوليطس الاسقف الروماني المعترف سنة ٢٣٥ ٢٦٤
الفصل السادس في ترتليانس سنة ١٦٠—٢٤٠ ٢٦٧
الفصل السابع في يوليوس الافريقي ١٧٠—٢٤٠ ٢٧٠
الفصل الثامن في الاضطهاد الثامن ٢٥٠—٢٥١ ٢٧٢
الفصل التاسع في شهداء الاسكندرية ومصر ٢٧٥
الفصل العاشر في القديس فابيانس بطريرك رومية ٢٣٦—٢٥٠ ٢٧٨
الفصل الحادي عشر في القديس الكسندروس الاورشليمي سنة ٢٥١ ٢٨١

صفحة

الفصل الثاني عشر	في القديس بابولا البطريركي الانطاكي الشهيد سنة ٢٥١	٢٨٣
الفصل الثالث عشر	في العلامة اوريجانس سنة ٢٥٤	٢٨٧
الفصل الرابع عشر	في مصنفات العلامة اوريجانس	٢٩٣
الفصل الخامس عشر	في الاضطهاد التاسع سنة ٢٥٧—٢٥٩	٢٩٦
الفصل السادس عشر	في استشهاد مار قورلس الصبي	٣٠٣
الفصل السابع عشر	في القديس قبريانس اسقف قرطاجنة سنة ٢٥٨	٣٠٥
الفصل الثامن عشر	في المنازعة لاجل المعمودية ٢٥٣—٢٥٦	٣٠٩
الفصل التاسع عشر	في مار ديونيسيوس بطريرك الاسكندرية ١٩٠—٢٦٥	٣١٠
الفصل العشرون	في بولس السميساطي وبدعته سنة ٢٦٨	٣١٣
الفصل الحادي والعشرون	في القديس غريغوريوس العجائبي ٢٧٠	٣١٥
الفصل الثاني والعشرون	في اصحاب الاحتجاج عن النصرانية في القرن الثالث	٣١٨
الفصل الثالث والعشرون	في هراطقة القرن الثالث	٣١٩
الفصل الرابع والعشرون	في نوباطيان	٣٢٣
الفصل الخامس والعشرون	في بدعة ماني الثنوي ٢٧٥	٣٢٥
الفصل السادس والعشرون	في الكتب الموضوعة المزوّرة	٣٢٨

الباب الرابع

في بقية اخبار القرن الثالث حتى تنصر قسطنطين

من سنة ٢٧٥ الى سنة ٣١٣

صفحة

الفصل الاول	في حالة النصرانية في اواخر القرن الثالث	٣٣١
الفصل الثاني	في تأسيس المدرسة الانطاكية سنة ٢٩٠	٣٣٦
الفصل الثالث	في بعض شهدآء بلاد الفرات والرها سنة ٢٩٧	٣٣٨
الفصل الرابع	في تنصّر بلاد الارمن سنة ٣٠١	٣٤٠
الفصل الخامس	في الاضطهاد العاشر سنة ٣٠٣–٣١٣	٣٤٤
الفصل السادس	في شهيدات الدين والعفة	٣٤٦
الفصل السابع	في شهدآء مصر والصعيد	٣٤٨
الفصل الثامن	في شهدآء الاضطهاد العاشر	٣٥٢
الفصل التاسع	في بقية شهدآء الاضطهاد العاشر	٣٥٦
الفصل العاشر	في تتمة شهدآء الاضطهاد العاشر	٣٦٢
الفصل الحادي عشر	في شهدآء فلسطين سنة ٣٠٣–٣١٠	٣٦٦
الفصل الثاني عشر	في القديس بمفيلس الشهيد سنة ٣٠٩	٣٧٠
الفصل الثالث عشر	في اشهر شهدآء شدة مكسميان دايا وليقينيوس وعقاب الله لاعدآء بيعته	٣٧٢
الفصل الرابع عشر	في القديس متوديوس اسقف اوليمبيا ٣١١	٣٧٦
الفصل الخامس عشر	في ما نتج عن الاضطهاد من الشقاق	٣٧٨

صفحة

الفصل السادس عشر في الشقاق الدوناطي سنة ٣١١ ٣٧٩
الفصل السابع عشر في مدرسة الاسكندرية منذ سنة ٢٣٢ حتى سنة ٣١٠ ٣٨١
الفصل الثامن عشر في مدرسة قيسارية فلسطين سنة ٢٣٠ ٣٨٤
الفصل التاسع عشر في كنيستي حدياب وقسطفون منذ سنة ٢١٦ حتى سنة ٣١٦ ٣٨٦
الفصل العشرون في انتشار النصرانية وامتدادها الجغرافي ٣٨٨
الفصل الحادي والعشرون في درجات الكهنوت ورئاسة الكنيسة المسيحية مدة القرون الثلاثة الاولى ٣٩٥
الفصل الثاني والعشرون في الجماعة المسيحية وعبادتها واسرارها وفروضها الدينية ٣٩٩
الفصل الثالث والعشرون في الصلاة والصيام والاعياد والصلاة من اجل الموتى والوقف والصدقة ٤٠٤
الفصل الرابع والعشرون في المجامع الاقليمية الاولى ٤٠٨
الفصل الخامس والعشرون في الكراسي الرسولية حتى سنة ٣١٢ ٤١٠
الفصل السادس والعشرون في علماء القرون الثلاثة الاولى ٤١٢
الفصل السابع والعشرون في جملة احداث النصرانية مدة القرون الثلاثة الاولى ٤١٩

الباب الخامس

في تاريخ الكنيسة منذ تنصر قسطنطين سنة ٣١٢ حتى سنة ٣٥٢
الفصل الاول في تنصر قسطنطين الكبير وافضاله

صفحة

	على النصرانية سنة ٣١٢	٤٢٥
الفصل الثاني	في محاولة الوثنية استعادة نفوذها سنة ٣١٦—٣٢٣	٤٢٩
الفصل الثالث	في فيطاليوس وفيلوجونيوس بطريركي انطاكية ومجمعي انقرة ونيوقيسارية ٣١٣—٣٢٣	٤٣٢
الفصل الرابع	في تفاقم الشقاق الدوناطي	٤٣٥
الفصل الخامس	في بدعة آريوس	٤٣٩
الفصل السادس	في مجمع نيقية المسكوني سنة ٣٢٥	٤٤١
الفصل السابع	في اكتشاف الصليب المقدس وآثار الملكة هيلانة سنة ٣٢٦	٤٤٤
الفصل الثامن	في القديس اوسطاثيوس الانطاكي ونفيه سنة ٣٣٠ واصل شقاق الكرسي الانطاكي	٤٤٦
الفصل التاسع	في الفتن التي اثارها الاريوسيون	٤٤٩
الفصل العاشر	في هلاك آريوس شقياً سنة ٣٣٦	٤٥١
الفصل الحادي عشر	في اعادة مار اثناسيوس من المنفى وتبرئته سنة ٣٣٧ والمنكرات التي ارتكبها الاريوسيون في مصر	٤٥٢
الفصل الثاني عشر	في بدعة عودي الرهاوي سنة ٣٣٦	٤٥٥
الفصل الثالث عشر	في القديس يعقوب النصيبيني سنة ٣٣٨	٤٥٧
الفصل الرابع عشر	في اوسابيوس القيصري ومصنفاته ٣٤٠	٤٥٩
الفصل الخامس عشر	في تنصر الكرج والحبش وبلاد اليمن	٤٦١
الفصل السادس عشر	في جثالقة المشرق ورفاقهم الشهداء	

وافرهاط الفارسي سنة ٣٤١—٣٤٦ ٤٦٤
الفصل السابع عشر في شهدآء بلاد الفرس منذ سنة ٣٣٧ واسباب الاضطهاد الاربعيني ٤٦٨
الفصل الثامن عشر في شهدآء الاضطهاد الاربعيني حتى ٣٥٦ ٤٧١
الفصل التاسع عشر في مار بولس المعترف اسقف القسطنطينية سنة ٣٤٧ ٤٧٥
الفصل العشرون في النسك والرهبانية ومار بولس اول الحبسآء سنة ٣٤٧ ٤٧٦
الفصل الحادي والعشرون في الانبا باخوميوس منشىء الرهبانية المجتمعة في الاديار سنة ٣٤٨ ٤٧٨
الفصل الثاني والعشرون في مفاسد الهرطقة الاريوسية واطوارها ٤٨١
الفصل الثالث والعشرون في مساعي ائمة الارثدكسية ازاء فتن الاريوسية ٤٨٣
الفصل الرابع والعشرون في القديس يوليوس رئيس اساقفة رومية ٣٥٢ ٤٨٧

الباب السادس

في اخبار الكنيسة منذ سنة ٣٥٢ حتى المجمع الثاني سنة ٣٨١

الفصل الاول في نصرانية العرب في القرن الرابع ٤٨٩
الفصل الثاني في تنصّر القوط واحوالهم واسقفهم اولفيلا ٤٩٤
الفصل الثالث في فتن الاريوسية واعمالها الفاشلة وتعديات قسطنس على الكنيسة كلها ٣٥٣—٣٦١ ٤٩٦
الفصل الرابع في الانبا انطونيوس ابي الرهبان ٣٥٦ ٥٠١

الفصل الخامس	في بدعة ابوليناريوس سنة ٣٦٢ واوسطاثيوس السيبسطي	٥٠٣
الفصل السادس	في القيصر يوليانس الجاحد ٣٦١—٣٦٣	٥٠٥
الفصل السابع	في شهداء شدة يوليانس الجاحد وفي القيصر يوبنيانس وعضده للايمان القويم سنة ٣٦٣	٥٠٨
الفصل الثامن	في بقية شهداء الاضطهاد الاربعيني	٥١٠
الفصل التاسع	في اضطهاد واليس سنة ٣٦٧ وبسالة القديس باسيليوس وجهاده في سبيل الايمان	٥١٢
الفصل العاشر	في اضطهاد واليس للرها وشجاعة امرأة سريانية سنة ٣٧٣	٥١٦
الفصل الحادي عشر	في الانبا هيلاريون مؤسس الرهبنة في فلسطين وسورية سنة ٣٧١	٥١٨
الفصل الثاني عشر	في القديس اثناسيوس الرسولي ٣٧٣	٥٢٠
الفصل الثالث عشر	في القديس افرام السرياني وتلاميذه ٣٧٣	٥٢٣
الفصل الرابع عشر	في القديسين هيلاريوس اسقف بواتية ٣٦٧ واوسابيوس اسقف سميساط ٣٧٩	٥٢٦
الفصل الخامس عشر	في القديس باسيليوس الكبير ٣٧٩	٥٢٩
الفصل السادس عشر	في هرطقة مقدونيوس واونوميوس	٥٣١
الفصل السابع عشر	في المجمع الثاني المسكوني سنة ٣٨١	٥٣٣
الفصل الثامن عشر	في القديس ملاطيوس الانطاكي ٣٨١	٥٣٥
الفصل التاسع عشر	في الرهبانية وفضلها في الشرق	٥٣٨
الفصل العشرون	في مشاهير نساك المشرق	٥٤٠

الباب السابع

في اخبار الكنيسة منذ المجمع الثاني حتى نهاية القرن الرابع

٣٨١ — ٤٠٠

صفحة

الفصل الاول	في حالة الكنيسة الغربية لعهد داماسوس الروماني	٥٤٤
الفصل الثاني	في حالة الاريوسية في بلاد الغرب	٥٤٦
الفصل الثالث	في القديس قورلس الاورشليمي ٣٨٦	٥٤٧
الفصل الرابع	في مناقب القيصر ثاودوسيوس وحادثة انطاكية سنة ٣٨٧	٥٤٩
الفصل الخامس	في القديس غريغوريوس النزيانزي ٣٨٩	٥٥١
الفصل السادس	في الانبا امون والانبا مقاريوس الكبير والانبا مقاريوس الاسكندري وغيرهم من مشاهير نساك مصر	٥٥٣
الفصل السابع	في القديس غريغوريوس النوسي ٣٩٤	٥٥٦
الفصل الثامن	في فتنة تسالونيقي وتوبة ثاودوسيوس وفضله على النصرانية ووفاته ٣٩٥	٥٥٧
الفصل التاسع	في القديسين امبروسيوس مطران ميلان ومرتينس اسقف تور ٣٩٧	٥٥٩
الفصل العاشر	في القديسين امفيلوخس اسقف قونية وابيفانيوس اسقف قبرص سنة ٤٠٣	٥٦١
الفصل الحادي عشر	في القديس يوحنا الذهبي الفم ٤٠٧	٥٦٣

الفصل الثاني عشر في احوال الارمن ٥٦٧
الفصل الثالث عشر في الدوناطيين وبدعتي المصلّين وبريسقليان ٥٦٩
الفصل الرابع عشر في مدارس الرها وانطاكية والاسكندرية ٥٧٢
الفصل الخامس عشر في النظام البيعي والفرائض الدينية ٥٧٥
الفصل السادس عشر في اشهر مجامع القرن الرابع ٥٧٧
الفصل السابع عشر في اعمال الكنيسة في المجتمع البشري ٥٨٠
الفصل الثامن عشر في اشهر الكنائس التي بُنيت في القرن الرابع ٥٨٢
الفصل التاسع عشر في الكراسي الرسولية ٥٨٤
الفصل العشرون في اللغات التي استعملتها النصرانية في القرون الاربعة الاولى ٥٨٧
الفصل الحادي والعشرون في علماء النصرانية منذ سنة ٣١٢ حتى نهاية المئة الرابعة ٥٨٩
الفصل الثاني والعشرون في خلاصة اخبار الكنيسة في القرن الرابع ٥٩٣

اصلاح الخطأ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٢	٥	تنسبان له	تنسبان اليه
٢٨	٤	كانت قدوة	كان قدوة
٣٢	١٥	الظلمة	للظلمة
٣٤	١٦	فمغولية	بمغيلية
٤٠	١٢	في القرن الرابع	في العقد الثالث من القرن الخامس
٦٢	١٢	مستصحبًا	مستصحباً
٦٩	١٧	مبتغي	مبتغى
٨٣	١١	سنة ١١٠	سنة ١٠٦
١٠٠	٤	افيانوس	انيانوس
١٠٠	٩	قبضوا	قبضوا عليه
١٠١	١١	ضيعا	ضيقا
١١٢	١٧	النبطي	البنطي
١٤٤	١٢	القرن السادس والعاشر	القرنين السادس والعاشر
١٦٠	٦ الخ	فوليقرفس	بوليقربوس (Polycarpe)
١٧٧	١٢	فلتتأمل	فلنتأمل
١٩٠	٤	فوتينس	بوتينس (Potinus)
١٩٦	٨	ارمنية الكبرى	ارمنية الصغرى

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢١٢	١٨	سنة ٢١٤	سنة ٢٤٤
٢٢١	٥	ايروناوس	ايرِناوس
٢٢١	١٤	١٠٥—١٩٣	١٠٥—١٣٩
٢٥٨	٢	فخرقته واياه	فخرقتها واياه
٢٦١	٤	بعد سنة ٢١٢—٢٣٥ سقط السطر التالي وهو : لاسيما في عهد القيصر اسكندر سويرس (٢٢٢_٢٣٥)	
٢٧٢	٧	ولم يبق منه الاّ	ولم يبقَ الاّ
٢٧٥	١٣	بولس الثيبي	بولس الطيبي
٢٧٩	١٤	انتظمت	نُظّمت
٢٨٤	٩	فرضخ غوردیان لرغبتهم	فوافقهم غوردیان في سُؤلهم
٢٨٥	٦	فرضخ القيصر المذنب للامر	فاذعن القيصر المذنب للامر
٢٩٧	٢	اعدموا	عُدموا
٣٠١	١٤	معائدهم	معابدهم
٣٠٥	٥	القديسة سعدى القرطاجينية	الشهيدة سعادة
٣١٥	١	حطّه الابآء	انزله الابآء
٣١٥	١٠	الرضوخ لامر الكنيسة	الخضوع لامر الكنيسة
٣٢٦	٤	من نهر كوثي الاعلى انه ولد في قرية مردينو	من نهر كوثي الاعلى انه ولد في قرية مردينو
٣٢٦	١٦	نخلها لنفسه	نخلها نفسه
٣٣٢	٤	تطوّرت بعض التطوّر	طرأ عليها بعض الانقلاب
٣٣٥	٤و٦	غلاريوس	غالريوس

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٤٥	١٥	برضى	يرضى
٣٥٦	١٧	الثيبيّة	الطيبية
٣٦٥	٦	ثيبة	طيبة
٣٦٨	١٢	بفليس	بفيلس
٣٧٥	٤	بشروع	بتشريع
٣٧٩	١٧	ازعج	اقلق
٣٨٠	١٤	قيلقيان	قيقليان
٣٨١	٦	اوسيلا	لوسيلا
٣٨١	١١	وتطوّرت	وتقلّبت
٣٩٤	١٦	لبنوة	لنبوة
٤١١	٢	فابياس	فابيانس
٤٢٣	٦	الشغوف	الشفوف
٤٢٩	٧	بأسها	يأسها
٤٢٣	١٤	يومياً في صلواتها يومياً	في صلواتها يومياً
٤٥٣	١٤	وحطّوه	ونزّلوه
٤٦٤	١١	سلسق	سليق
٤٦٩	١٤	٣٩٣	٣٣٩
٤٧٧	١١	(بولا)	(يولا) بولس
٤٨٠	٨	الاسكافية	السِّكافة
٤٨٩	١٢	بطر	بطرا
٤٩٣	١٤	الشام وكندة	الشام وإياد وكندة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٩٤	٣	وكتبهم	وكتبتهم
٤٩٤	١٥	نشأة	نشأت
٥٠٤	١٦	سنة ٣٤٠	سنة ٣٦٤
٥٠٥	١٤	سنة ٣٨٠	سنة ٣٧٧ او ٣٨٠
٥٤١	٧	اعضائه	اعضائه وهو عامر غير آهل
٥٤٢	١٢	سبعاً	سبعة
٥٥٨و٥٦٠	١٢و١١	والنطيانس الثالث	والنطيانس الثاني
٥٦٢	٤	ما حقّق آماله	ما تحققت فيه آماله
٥٧٥	٤	واستصحبت	واستصبحت
٥٨٤	١٢	ابطاركة	بطاركة
٥٨٥	١٦	عام ٣٣٥	عام ٣٣٦

حاشية على صفحة ٥٨٦ سطر ١٥

اعلم ان المؤرخين الشرقيين اختلفوا في مؤسس هـذا الكرسي واساقفته الاولين قبل الجاثليق فافا Papa ومُدَدهم ، واجمع اكثرهم على نسبته الى مار ادّى الرسول مؤسس كرسي الرّهـا ، اما المحققون المعاصرون فيعتبرون نشأته بدءاً من فافا بعد اواسط المئة الثالثة .

تكملة اصلاح الخطأ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٣	١٦	فانسكبت احشاؤه	فاندلقت امعآؤه
٤٥	٤	سنة ٢٥٦	سنة ٢٥٤
٤٨	١	الى اهل ايطاليا	اهل ايطاليا
٥٢	١٠	لدى الرب	عند الرب
٥٣	١	قدر مملوءة	خاقين مملوء
٩١	١	السنادوسات	السينودوسات
١٠٩	٢	حسب	بحسب
١٢٥	٤	(لوئيس)	(لوئيس لويذة)
١٢٩	١٤	في قبيح	بقبيح
١٦٣	١٤	مزعجة	مقلقة
و ٤٣٠	١٠	〃	〃
١٦٩	١٣	ونعته الذهبي الفم بسكن الاله	(مكرّرة)
١٧٩	١٤	غرانياس	غرانيانس
٢٠١	١٠	وسارده	وسردة (سرديس)
٢١٢	٩	بنتانوس	بنطينس
و ٢٨١	٧	〃	〃
٢١٣	٣	٢٤٠	٢٤٤
و ٤٠٩	٢	٢٤٢	〃
٢٣٢	١٧	الرومامية	الرومانية
٢٦١	١٤	الغوثي	الغوطي

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٠٢	٥	الغوثي	الغوطي
٣٣٢	١٢	〃	〃
٢٧١	٧	اربعين وعشرين	اربعة وعشرين
٢٨٠	١٧	قونيليوس	قرنيليوس
٢٩٦	٤	سكتوس	سكستوس
٣٠٦	١٣	وحطوا	ونزّلوا
٣١٣	٤	بوظيفته	بدرجته
٣١٥	١	حطّه	نزّله
٣٤٧	١٦	دومينية	دومنينة
٣٧٨	١١	فيما قبل	فيما قيل
٣٩٤	٢	آمن منها	آمن بها
٤٢٢	٧	ثلاث قرون	ثلاثة قرون
٤٢٢	١٧	التعليم الكنسي	التعليم الكنسي العقائدي
٤٧٠	١٤	وسددا	وسداداً
٤٩٦	١٣	آنفاً	سابقاً
٥٠٩	١٦	عام ٣٦٣	٣٦٤
٥١٢	١٣	〃	〃
٥٢٦	٢	زينوبيوش	زينوبيوس
٥٣٢	٥	الخطاط	تضعضع
٥٦٤	١٧	سبل	سليل
٥٧٩	٩	نطاكية	انطاكية

DATE DUE

A.U.B. LIBRARY

CA:270:B28dA:v.1:c.1
برصوم ،اغناطيوس افرام الاول، بطرى
الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيس
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01070705

American University of Beirut

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866

CA
270
B28dA
V.1

General Library